

مجاناً مع دبي الثقافية

أنثى السراب

رواية

في شهوة الحبر، وفنتة الورق

www.rewity.com
^RAYAHEEN^



واسيني الأعرج

كتاب
29
أكتوبر
2009



المدير العام ورئيس التحرير
سيف محمد المري

مدير التحرير
ناصر عراق

المدير الفني
أيمن رمسيس

مدير العلاقات العامة
محمد بن سعود

مجلة دبي الثقافية تصدر عن دار



للمصنعة والنشر والتوزيع

معلومات المجلة
www.alsada.ae

• التحرير والإدارة دبي
الإمارات العربية المتحدة
منطقة الصفا شارع الشيخ زايد
هاتف: +٩٧١/٢٢٢٢٢٢٢
فاكس: +٩٧١/٢٢٢٢٢٢٢
أبوظبي هاتف: +٩٧١/٢٢٢٢٢٢٢
فاكس: +٩٧١/٢٢٢٢٢٢٢

• الإعلانات والتسويق

دبي شارع الشيخ زايد
برج المدينة (١٢) طابق ١٠٢ ص ب ٢٩٠٦٦
هاتف: +٩٧١/٢٢٢٢٢٢٢
فاكس: +٩٧١/٢٢٢٢٢٢٢

• التوزيع والإشراف

هاتف: +٩٧١/٢٢٢٢٢٢٢
فاكس: +٩٧١/٢٢٢٢٢٢٢

كتاب

دبي الثقافية

يصدر عن مجلة دبي الثقافية
ويوزع مجاناً مع المجلة
الإصدار 29

www.rewity.com
^RAYAHEEN^

أنثى السراب

(سكربتور يوم)

رواية

في شهوة الحبر، وفنتة الورق

■ الطبعة الأولى: أكتوبر ٢٠٠٩

■ حقوق الطبع محفوظة لدار المصنعة

هذا الإصدار

بقلم: سيف المري

لُحمة الثقافة العربية واحدة على رغم ما أثير من معارك بين المشاركة والمغاربة، وكَيْل من اتهامات وسجلات حاولت أن تقسم الأمة إلى مركز وهامش.. والناظر بعين الناقد إلى ما قدمه المثقفون المغاربة إلى الأدب العربي من روائع، وإلى الثقافة العربية من زخم، يجد أن الأدب المغربي مميّز في مستواه وعربيّ كامل العروبة في هواه وروّاه..

ولهذا؛ فإن تنوع ألوان طيف الثقافة العربية ووجود بعض الفوارق بينها، من علامات عمق ونضج هذه الثقافة التي امتزجت ببعضها منذ أمد بعيد، بل لقد ذهب التمازج إلى أبعد من ذلك، واختلط بشغاف الثقافة الشعبية مع أشهر سير التاريخ الشعبي العربي، ألا وهي السيرة الهلالية التي استمدت شخوصها وأبطالها من أفراد قبيلة نجدية هاجرت إلى تونس، وشكلت هجرتها تلك أخصب خيال شعبي عربي، بينما دارت أحداثها على أرض مغربية.

وبالتسليم أن الرواية العربية لم تولد من الأدب الشعبي، بل جاءت نتاج تأثرنا بالأدب الإنساني، إلا أنها أنتجت على يد الرواد العرب أدباً رفيعاً تحول الكثير منه إلى العالمية، وصار خير ممثل لهذه الأمة، وهي تطل برأسها إلى خارج الشرنقة التي حاول الكثيرون نسجها حولها.

ومع أن الرواية فن عالمي سيطر على المشهد الثقافي في الفترة الممتدة من القرن الثامن عشر حتى الآن، فإنها لم تجد طريقها إلى عمق ثقافتنا قبل بدايات القرن العشرين، أي أننا لم نبتدع هذا الفن كما حصل مع الكثير من الفنون الرائعة التي أنشأناها أو أضفنا إليها..

ومع كل ما يمكن قوله، صار للرواية العربية، بدءاً من النصف الثاني من القرن العشرين، حضور لافت، وحلت محل الشعر وأبعدته عن الصدارة، وقد لمعت في سماء الإبداع الروائي أسماء عربية وصلت إلى العالمية، وكان بعضها يكتب رواياته بالفرنسية أو الإنكليزية أملاً في انتشار أوسع.. ومع بروز أسماء كبيرة في هذا الفن؛ فإن أستاذنا الرائع واسيني الأعرج خير من يمثل الرواية المغربية والجزائرية.

ونحن إذ نقدم هذا العمل الكبير لقرائنا الأعزاء؛ فإن جُلّ ما نتمناه أن نكون قد وفقنا في إضافة المزيد إلى روائع الأدب العربي، وأن يحوز هذا الإصدار رضى قرائنا الكرام.

واسيني الأعرج وفضيلة الانكباب على اللغة

بقلم: ناصر عراق

ها قد وصلنا في هذه السلسلة إلى الأدب المغاربي وتحديدًا الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية، حيث يعد الروائي الكبير واسيني الأعرج أحد أبطال هذا الفن بامتياز في بلد المليون شهيد، وبالمناسبة كان والده واحداً من هؤلاء الشهداء الأبرار!

«أنثى السراب» رواية تنهض على الخوض في سراديب النفس البشرية للرجل والمرأة بعمق وحذق: الرجل حين يعمل ويعشق ويهاجر ويمرض ويموت إلا قليلاً؛ والمرأة حين تتلهف وتصبو وتهفو وتيأس وتغار وتخون وتقتل!

في هذه الرواية الباذخة والضمخة يطوف بنا واسيني مدناً عدة فمن باريس إلى الجزائر العاصمة، ومن وهران إلى فيينا، ومن بيروت إلى برلين ومن القدس إلى الدوحة، أي أنه يرسم لنا لوحة باتساع العالم تتفاعل فيها الشخصيات وتتصارع وتتحاب وتتخاصم وتحن وتذوب ويسقط بعضها إغياء في الطريق العام!

كل ذلك من خلال تقنية الرسائل المتبادلة بين أبطال هذا العمل الضخم، وهي تقنية مراوغة وغير مأمونة قد تصيب القارئ بالضرر إذا لم يتقن المؤلف ضبط إيقاع السرد من خلالها، وأظن أن واسيني - هذا الحكاء الكبير - قد استطاع أن يقدم لنا رواية بديعة تأسر قارئها وتجرحه جرحاً حتى نهاياتها!

المدحش أن الرجل يتعامل مع اللغة بافتتان يليق بها وبه فهي معشوقه الأول، وقلقه الدائم، فينكب عليها انكباباً حيث يبذل جهوداً خارقة لا يتكان صياغات جديدة، وتراكيب فريدة، حتى يقدم لنا نصاً خلاياً قوامه اللغة ومكرها والأعيبها وحنانها وأنصاعها لرغباته وقدراته!

وقد لمست ذلك بنفسي، فقد كان يتصل بنا من باريس ليطلب منا أن نغير هذه الكلمة أو نبدل هذه المقردة، على الرغم من أننا قد استلمنا منه الرواية وشرعنا في إجراءات الطبع.

على أي حال، يعبر هذا القلق عن رغبة حميمة في أن يصدر النص الروائي كامل الأوصاف، وهي رغبة مشروعة وضرورية للذين أدركتهم حرفة الأدب!

باختصار، إننا في «دبي الثقافية» يسعدنا كثيراً أن نقدم في هذه السلسلة «أنثى السراب» للقارئ العربي لأنها رواية ممتعة وضاجة بالأحداث، أبدعها بإتقان كاتب جزائري مرموق يعرف أصول الصنعة ويتقن فنونها، فهنيئاً لك أيها القارئ الكريم بهذا العمل الجميل!

أنثى السراب

(سكريبتيور يوم)

في شهوة الحبر، وفنتة الورق

www.rewity.com
^RAYAHEEN^

واسيني الأعرج



ريما، اينتي وحبيبتني..

شكراً لك، وحذك فهمت جيداً سر هذه اللعنة وهذا الخوف الساحر الذي اسمه الأدب. مجرد لحظة ألم من امرأة ورقية معلقة في شجرة الجنة، تريد أن تنزل إلى هذه الأرض لاستعادة صراخها ولحمها وحواسها الضائعة من سطوة اللغة، ومن سلطان الكاتب نفسه. وتقسم هذه المرة، أنها لن تحاسب إبليس على سحره. ستتواطأ معه. تجلس بصحبته تحت شجرة الغواية، تطلب منه بإصرار، أن يأخذها من يدها كمن يدعو عشيقته نحو حلبة الرقص، ويقطف لها تفاحة أخرى بيديه المرتعشتين، ويضعها في فمها قطعة قطعة. مثقلة بنبذ الشهوة، لتشعر بلذة ذوبانها الهادئ تحت لسانها، وتكتشف معه أكثر المسالك دهشة وهيبلا. لقد أدركت، متأخرة قليلاً، أن دنيا واحدة عاشتها، لم تكن كافية لإشباع جوعها الأبدي للحياة.

ليست هناك حقيقة أكبر من حقيقة الأدب، حتى عندما نصر على الحقيقة. نحن لا نكتب في النهاية إلا حياة موازية سندها الخفي إشراقات وخيبات ولغة تضعنا على حواف المستحيل.

واسيني



«بالأمس القريب، إن لم تخني ذاكرتي، كانت حياتي عرساً تتفتح فيه
القلوب وترفع فيه الأنخاب. وذات مساء، أجلس السعادة على ركبتني،
وجدتها مرة، فلعننتها».

أرثر رامبو:
فصل في الجحيم

«الصمت صديق أحرص وأنا، يسمع ولا يجيب أبداً».

واسيني

امراة تشبه الحياة قليلاً

ليلى...
ليلى الحبيبة،

إرثي الثقيل، وفقداني العظيم.

هل يمكن قتل امرأة ورقية تشبه الحياة قليلاً، لا حياة لها إلا داخل الكتب والقلوب؟

أضع كل هذا الجنون المشتت بين أيدي الفراء، كما شئت، لا كما ارتضيت، ولا ضامن لنا في هذه المغامرة المجنونة التي يتقاسمها كاتب من لحم ودم، مع امرأة من ورق وجبر، إلا الصبر وظل الكتابة السخي.

عندما وصلني بريدك الأخير، بعد أن عبر المهالك والمستحيلات، كنت أتلصص الحياة برؤوس أصابعي من جديد، كمن استرجع بصره بشكل فجائي. كان كتابك السري محملاً بهولاجس انتقامك من امرأة هي في النهاية، مرآتك ومرآتي الخفية. ليس في نيتي أن أخطئك، فقد كانت مريم وما زالت، أبقونة حبري البنفسجي، ولوني المستحيل، وعزائي الوحيد لمقاومة يقين الضحالة والقبح.

هل أقول لك إنني شعرت بجرح عميق وأنا أقرأك؟ وإنني أحسست فجأة بخواء مفاجع تحت قدمي، وبدوار يتهدد توازني؟ وإنني لم أفهم أبداً كيف تغادر امرأة فراش الكلمات، وعطر الحبر، ورائحة الورق الزكية، وترمي بنفسها في أتون حياة محكمة بالفناء والموت؟

لم تتركي لي خيارات كثيرة. ها أنا ذا أغضض عيني لكي لا أرى، وأسد أذني لكي لا أسمع هدير الضغينة من حولي، وأمنح جرحنا للعابرين، كما كتبته لا كما اشتبهته.

من حقد حبيبتي وأنت تضعين نفسك في موضع أنثى الظل، أن تحملي

مسدساً تجوبين به مدينة الكلمات وأزقتها الضيقة، بحثاً عن وهم اسمه مريم لا غتيالها. من حقدك أن تصنعي قراشاً جديداً من الرسائل واللغة، تنامين عليه كلما كانت قسوة الدنيا كبيرة، من حقدك أيضاً أن تشعلي النار في كل الأوراق التي جمعتها، وتحوليتها إلى حقنة رماذ ثم تبعثرها مع رياح الخريف القادمة. من حقدك أن تفعلني ذلك كله، لن يتغير شيء، ستظل مريم الأنتى الظليلة التي تغطي ضعفتنا وهزائمنا، ودسانتنا الصغيرة.

أتساءل اليوم، بعد كل هذا العناء، إذا لم تكن مريم التي أطلقت النار عليها، هي نفسها ليلى التي حين داهمها اليأس، حملت كمان والدها سي ناصر، وعزفت نشيداً عذرياً، وهي في أوج نزفها، قبل أن تنطفئ نهائياً؟

واسيتي

www.rewity.com
^RAYAHEEN^



نداء أخير...

-١-

واسيني...

أكتبك بلا ندم، باللون البنفسجي، أو حجر الشهوة، كما كنت تسميه دائماً،
فقط لأملك قلبك للمرة الأخيرة.
تستحق حبيبي على الأقل أن أهديك هذا الهبل.

-٢-

كان يمكن أن تُحكى عنا أجمل القصص، ولكنك ذهبت قبل أن أنبئك إلى
أسرار اللعبة ومخاطرها التي لم تكن تتقنها منذ لقائنا الأول. بكيتك يوم
صمت قلبك كثيراً، وصممت أن أمارس الموت وفق شهوتي، وأستل حروفك
من نصوصك، وأحولها إلى سيف مقدس مثل سيوف الساموراي، وأجهز على
نفسي، في الركن الأيسر حيث مشينة القلب، ولكن بدأ مفاجئة لم أتمكن من
رؤيتها، أعرف فقط، أنها لم تكن يد الله، سحبني من غفوتي وجرتني نحو
الحياة، ومتحنتني نفساً من روحها، ثم أوقفتني أمام مرآة جليلة اسمها
الحياة، ودفعت بي داخل سحرها.

طوبى لتلك اليد التي أشعلت الهبل في كل حواسي الميتة، وأيقظت مدافني
الحية، ثم انتحيت ولم تطالبني بأي شيء.

-٣-

لقد كتبتُ اشتيهت.

لحظة ألم من امرأة ورقية معلقة في شجرة الجنة، تريد أن تنزل إلى هذه
الأرض لاستعادة صراخها ولحمها وحواسها الضائعة من سطوة اللغة، ومن
سلطان الكاتب نفسه. وتقيم هذه المرة، أنها لن تعاسي إبليس على سحره.
ستتواطأ معه. تجلس بصحبته تحت شجرة الغواية. تطلب منه بإصرار، أن

يأخذها من يدها كمن يدعو عشيقته نحو حلبة الرقص، ويقطف لها تفاحة
أخرى. ترجوه أن يقشرها بيديه المرتعشتين، ويضعها في قمها قطعة قطعة،
مثقلة بنهب الشهوة، لتشعر بلذة ذوبانها الهادئ تحت لسانها، وتكتشف معه
أكثر المسالك دهشة وهبلاً. لقد أدركت، متأخرة قليلاً، أن دنيا واحدة عاشتها،
لم تكن كافية لإشباع جوعها للحياة.

ليعزلي واسيني على خبلي، فنحن في النهاية نتشابه.

ثيلي (ثيلي)



الفصل الأول

حنين الرماد

من أنا الآن بعد كل هذا العناء؟ كل شيء... إلا مريم.

تمددت بكل طوالي على الكرسي القصبى. أغمضت عيني لأسترجع أنفاسي المتقطعة قليلاً. لم أنم، ولا أشعر بأية رغبة في ذلك على الرغم من التعب الذي سكن كل مفاصلي.

تحسست جسمي والمكان الذي كنت فيه.

«امنحني حبيبي فقط فرصة قتل مريم فيك، لكي أستطيع أن أعيش معك بقية عمري حرة، مثلما أطمح. ولا تسألني لماذا؟ الإجابة لم تعد اليوم تهمل كثيراً لك الإجابات كلها، في ربع قرن من الخوف، والصمت، والأفئدة التي أستطيع اليوم أن أفتح متحفاً خاصاً بها. ربع قرن من الصبر والخوف...»

هل تدري ما معنى ربع قرن من الصبر والخوف؟

حفظت هذا المقطع عن ظهر قلب، من آخر رسالة بعثت بها لواسيني من غرناطة. لا أدري بالضبط، ماذا أصابني يومها، وهل فهمني كما يليق برجل حساس، يخاف على حبيبته؟ منذ عودتي من مدينة أجدادي الحزينة، اتخذت قراراً نهائياً بتصفية حسابي مع ظلي وسراي، مريم.

قبل قليل انتهيت شرب كأس قهوة مرّة لأنبت رأسي الذي شعرت به في حالة دوام دائم، ولكنني سرعان ما عدلت عن الفكرة. وضعت الترمس في الزاوية، ناحية رجلي اليمنى، ونسيته هناك.

الصمت الآن يتمدد على سكين الأشياء كظل الميت. هذا القبر، أو الكهف كما يسميه ابنائي وزوجي، وأسميه أنا منذ زمن بعيد السكريبتيويوم^٣، يعطي الانطباع، بأشياءه الكثيرة والمعقوفة، بقبر فرعونى ترك تحت الأرض. حتى طنين الذبابة الزرقاء، التي لا أدري من أين جاءت، انطفاً نهائياً. ربما تكون قد تعبت هي أيضاً من كثرة الدوران الذي لا يقضي إلى أي شيء.

على أن أنسى الآن كل شيء، بما في ذلك الدعوة لاستلام نتائج التحاليل

الرحمية، التي رميتها في الطرف الأيسر من المكتب ليسهل علي تذكرها.
مسألة شكلية ولكن علي أن أرتب كل تفاصيلي لأتمكن من السيطرة عليها.

«حبيبتي- اسمعني أرجوك- لنا كل الموت لننام»

جاءتني الكلمات مقطعة، من زمن بدا لي أبعد من بلاد الخوف.
قلتها له لا أدري متى.

٢٠

«هكذا إذن؟ لنا كل الموت لننام؟»

كان يجب أن يحدث ذلك. واسيني لم يقم من غيبوبته القاتلة، أو علي الأقل هذا ما أفنعت نفسي به. ومريم أصبحت الآن تحت رحمتي. لن أستاذن أحداً لتصفية حسابي معها. كان علي أن أفعل ذلك قبل مدة. تأخرت كثيراً.

قبل قليل حدثت ممدس بريتا، (برابلوم^٢) ٩ ملامت، بسمع رصاصات ووضعت يجانبي في انتظار لحظتي المناسبة. ثقيل، ولكنه قوي ومتين. المجرم والبريء الحائد يفكران بالطريقة نفسها. الفرق بينهما هي لحظة النسيان، الأسئلة الخفية، رجفة الارتباك، ثم العبور نحو التنفيذ فقط.

ليست الأسود استعداداً للحداد، فأنا مقدمة علي شيء خطير، قلبته في رأسي طوال الزمن الذي أعقب سقوط واسيني في غيبوبة فجائية، ودخوله إلى مستشفى كوشان بول سان- فانسون بهاريس^٣.

الساعة؟ لا أدري بالضبط أسمع فقط، حركتها الداخلية التي تشبه الساعة التقليدية، وكأنها قنبلة موقوتة تصيد ضحيتها. أرى الآن لوحتها المواجهة لي. نقاط حمراء متتابعة ومستقيمة علي خلفية سوداء كل شيء يبدو منطقتاً. لا أرقام أبداً. كان الزمن توقف نهائياً لولا تلك الحركة الخفية للعقارب المضمرة، التي تصلني برتابة مقلقة، وتحسنني باحتمالات انفجار سيحدث في أية لحظة، وفي أي مكان، بما في ذلك جسدي أو رأسي المتعب.

كل شيء يحمل قوة الصمت العنيف التي بداخلي.

٢٢

ما يزال الكمان الذي عزفت به طوال الليل مقطوعات سوزان لونديتغ^٤، في مكانه حيث وضعتُه عندما انتكأَت علي الكتابة. الممدس أيضاً تمدد ظله قليلاً ببرود. وكأنه مجرد لعبة نسيها طفل علي المكتب بعد أن شبع لعباً بها. لم يتحرك من مكانه منذ أن حشوته بالرصاصات السبع، وأنا لا أعرف بالضبط في أية لحظة سأستعمله، لكنني مقتنعة أنه ضروري للانتهاء من هذا التردد القاتل؟

تلمسته بارداً كان، كجثة ميت. لأول مرة لا أخاف منه.

نسيت وجوده بسرعة، منذ أن انغمست في كتابة هذا النزيف علي الكمبيوتر.

طبعاً لم أتساءل ماذا سأفعل بعزفتي. كل شيء صاف في ذهني ولا يوجد أي ارتباك في قرارتي النهائي. أعرف جيداً لماذا انزويت في السكربتوريوم، بعد أن وصلت إلى نقطة اللارجوج. النقطة الفاصلة بين جبن الحياة وبهاء الجنون.

سأفترض أن واسيني لم يستيقظ من غيبوبته أبداً لأتمكن من تجاوز قلقي الداخلي نهائياً. وسأقنع نفسي بأن كل ما قاله الأطباء لأهله، هو مجرد لعبة طيبة لاتاحة القرصة لعائلته لتقريب ترحيله إلى أرض الوطن بلا ضجيج، كما أكد علي ذلك في وصيته الأخيرة.

ليس جنوناً، بل هو عين العقل. افترضت إغاءته الشبيهة بالموت، فقط لأختبر حواسي الدقيقة علي المقاومة، وقدراتي العقلية علي الاتزان، واختراق عتبات الاستكانة والخوف من فقدان الشيء، ولأروض قلبي المتعب علي الصبر. وربما، أكثر من ذلك كله، لأتمكن من تصفية حسابي مع مريم التي أبطلتني الكتابة في جلدتها، وأخرجتني من الحياة.

قبلت بالعيب لكنني، قتلتنني في النهاية. لست سجيبة علي الاستمرار وفاء لكعبة تسحقني كل يوم عشرات المرات. فأنا لا أطلب البحر. حلمي بسيط كالماء.

٢٣



«أريد أن أسترجع هويتي المسروووووووقة عل فهمت؟ لا أريد شيئاً آخر غير استرجاع هذه الهوية المسروقة. أرفض أن تلبس مريم وجهي، وتسرق ملاحي، وتعيش بجسدي كل شهواتها وجنونها.

لست امرأة من ورق، ولكنني حقيقة واسيني المرة التي يحاول أن يتفادها وربما إخفاءها، وهي منقرسة فيه بقوة

قبل قليل، عندما تعبت من العرف، أدخلت قرص سوزان لوندبغ في عمق الكمبيوتر، ووضعت على إشارة التكرار لكي يظل يدور بلا توقف مثل المجرة.

صوت الكمان الذي يتلوى بين أنامل سوزان لوندبغ الرقيقة والأنيفة، ينهني الآن وأحياناً، وبلا حسي، في هذه العزفة السريعة تحت الأرض أسمع الاثنين القلق وهو ينبعث من روح متوارية باستمرار نحو الغياب، بعد أن تحولت إلى نثار من النور الذي يصعب لمسه والقبض عليه. تأتيني النداءات العميقة، متماوجة، متباعدة ومتقاربة، جافة ولسمة، غنيمة ومستسلمة. كأنها ساحل موحش. أسي الحركة بانهني المتقدة الآن تعطيني إفرق بيديها كلها. واحدة، واحدة استرجع بعض ما مضى، وأنت أجمع اللحظات المسروقة كما يروى لي، ثم أفككها مثل اللعبة قبل أن أطوحها في فضاء وأبعثرها عالياً مثل الإقاعات الصغرى وأحاول عندما أن أسمعها من الانعكاس

الموسيقى وذاكرتي المتقدة، هي كل ما يؤثث حضوري الآن، ويمنحتني حنيناً لذيقاً نحو زمن أصبح فصواً صغيرة على أن أجمعها وأرتقها، لأتمكن من فهمها، وربما نسبائها للمرة الأخيرة.

لا أحد غيري يدري الآن ما تفعل في هذه الإقاعات المتتالية؟

حبيبي، أفرا الحيرة في عينيك، كأنك أصبحت لا تعرفني؟ أيها المبهول لو فقط كنت تدري.. أنا مشبعة بك، مثل إسفنجة، حينما مستني يد، نضحت بك عطراً، شوقاً، ألماً وخوفاً. هل تعلم ما معنى أن تنضح امرأة برجل؟

أكتب بلذة وأغرق في شيء جميل ومبهم مثل تقبيله، تحسس جسده، فلي شعره الذي يهض بسرعة، تفتش تفاصيله الحميمة، ثم القوس فيه بجنون لا يضامى، والتلاشي على تأوهات، كان دائماً يضع يده اليمنى على فمي، كي لا يسمعها الآخرون، مازلت أسمع تنبهاته المتتالية: ششششششششششش... أرجوووووووك... عمري.. لسنا وحدنا أتحنس رجفاته المتتالية على صدرى، ملاصقا قوية وعطرها حاد. أريد عينا أن أخرج من جلدي لأحس أنه في بكه ولكن عبداً. هو لا يدري أنه كان يكتم أصدق صرخة في، وأجمل رعدة فيه، صرخة التماهي المطلق؟ رنين اللحظة العشقية التي لا حدود لسلطانها. هل كان يدري ماذا سيحدث لو اندغم الجسدان في تأوه واحد، وصرخة تخرج من الأعماق بشكل بدائي؟

لا تعرف، ولا ألومك، لأنك في هذه لا تشذ عن القاعدة. فأنت ككل الرجال تغتفر دائماً وراءك وخسك وبخاتك تسع إلى أصوات الآخرين أكثر من أن تستماعك للصوت الجميل الذي قبك، حتى في أدق اللحظات الحميمة، حيث لا شريك لك، إلا الجسد الذي يحترق فتضيق اللحظة القدسية التي بين يديك، وتسرق منك في أقل من رمشة مارية، أو لمسة خفية.

وهو الذي قال يوماً في أحد حواراته الجريئة: إن لذة الكتابة مثل لذة الجنس بالضبط. لا تشعر بسحرها دائماً حينما تشاؤها، نحتاج إلى قدر من الامتلاء بكل ما يحيط بنا من تفاصيل لا نراها إلا نحن، والتماهي في المطلق، حيث لا حدود تمتعنا من المرور عبر كل الحواجز القاسية والشفافة.

السبب ذلك كله؟ غير مهم. وحده واسيني، كان يعرف سر هذا الخراب الذي يحيط بي، ويملأني إرباكاً وخوفاً

تدخل حبيبي انساناً يستيقظ ذات صباح، ويحد بك لمس شو

نضحت

أصحتني الغسل من الخفاء

أنا أيضاً أضحك، لكن بمرارة، لأننا منذ زمن ليس بالليل، لم نعد نذكر الشيء نفسه لضحك ضحكة مشتركة افتقدناها بمرارة. هو يسخر من هبلى الفائت، وأنا تذكرت غريغوري سامسا^١، المسكين، الذي أغمض عينيه إنساناً سوياً، واستيقظ حشرة بشعة. أحياناً أراني تلك الحشرة التي تدور في مربع صغير يكاد يقتلها اختناقاً. تتسلق الحيطان، تتجأب عبثاً بين أرجل الكراسي والأسرة والفقوب التنفئة. بحثاً عن نجاة أصبحت رهينة الصدف. وعندما لا تجد الحشرة الضائعة منفذاً لها، تنزلق وراء الباب، تتكوم على نفسها بحزن شديد، وتنتظر متى تدوس قدم حشرة جسدها الهش، إلى أن تنام على عزلتها، داخل الكوابيس المربعة.

ما الذي يجعلني الآن أختلف عن غريغوري سامسا؟ لا شيء. كلنا ننتظر تلك القدم الخشنة التي تسحقنا على الأرض بوملأتها الخشنة.

- ٣ -

لا رفيق إلا الصمت الموهن، وذاكرة لم تعد قادرة على تحمل أنقالها الصميتة.

حالة سكونية مريبة مثل التي تسبق الموت، حيث يتسطح كل شيء، وتفقد الأجسام الصلبة أوزانها وأشكالها، وتصبح رخوة مثل قطرة زئبق

• - كم من الوقت مر حتى الآن؟

لا أدري. لا يهم كل شيء تحول إلى ذرات تعوم في الفضاء الواسع والراث. لا علم لي بالوقت، فأنا عندما رفعت رأسي نحو المنبه لأول مرة، لم أر إلا نقاطاً حمراء... .. تتراقص على خلفية سوداء، وشيئاً مبهماً ظل يتوغل في، ويسحبني نحوه هوة الذاكرة وتمزقها الذي أصبح من الصعب على ترميمه دفعة واحدة، ورتقه كما كنت أفعل مع الألبسة القديمة.

متعبة، ولكنني لم أعد منشغلة بذلك، لدي في أجفنتي ما هو أهم.

أكتفي الآن بهذا الامتلاء الغريب الذي سببه لي مرض واسيني المفاجئ، ووقوفه فجأة على حافة الموت، ثم دخوله في غيبوبة رأيته فيها ميتاً حتى بعد أن التقيت به خفية، في المستشفى. ربما لأنني قبل هذا الزمن لم أفكر في موته بجدية، ربما لأنني كلما رأيته قادماً من بعيد إلى مواعيدنا العديدة، بقامته المديدة التي ترى من بعيد، شعرت أنه نصف إله ضائع. لم تكن روحه في قدمه مثل آشبل، ولكن في مخبأ آخر، منفصل عنه تماماً، حيث لا يد تلمسها غيري. كنت أظن أنه مثل النجمة المسحورة التي لا تموت إلا لتعود ثانية، في شكل أكثر وضاءة وحياة. وكنت أظن أيضاً، أنه حتى لو قدر لواسيني أن ينطفئ، فلن يكون ذلك إلا مؤقتاً، إذ سرعان ما يعود مثل طائر الفينيكس^٢، محملاً بنشأ الحاضر، ورماد الماضي.

مرضه أحدث في زلزالاً عنيفاً غير نظام الأشياء في حياتي السكروية، وأبقيت حاجس العودة إلى كل مفقوداتي التي ضيعتها، بما في ذلك اسمي الذي لا أعرف إذا ما كان علي أن أحقد على واسيني لأنه هو من غير وفككه، أم أشكره لأنه من اسم هارب وعادي، اسم لا دهشة فيه، إلا عشقه المجنون لنوار البنفسج، صنع عالماً اشتبهته بسرعة لأنه كان يشبهني، لكنني كلما اقتربت منه، انزلق من بين أصابعي كحبات الرمل، ولم أتمكن أبداً من وضع وجهه وملامح على اسمي.

كأنني لم أكن أنا؟

• بكفيني هبلى وجنوناك الذي في، ورغبتي القصوى في الانتهاء من الكذبة التي سرقت حياتي. ولا يهم بعدها إن أتيتك، فأنا لا أقصد سوى أن أكون كما عرفتني في المرة الأولى. بدون وسائط، ولا حتى كذب أبيض، ولا افتعة. حتى ولو كان القناع جميلاً، واسمه مريم •

- ٤ -

لم أكن أعرف درجة الخطورة. ولكنني كنت أدرك أن الأمر جدي. ولهذا عندما قيل لي أن قلب واسيني توقف نهائياً، ثم عاد حتى بدون صدمات كهربائية، تهيأت فجأة لارتداء لباس الحداد الذي لم ألبسه منذ وفاة والدي.

رأيتني فجأة وراء جنازة غريبة، سي ناصر وواسيني؟

شيء قديم يسكنني منذ طفولتي الأولى، لا أفهمه جيداً. كلما تدثرت بالسواد، شعرت بلذة غامرة لا أعرف مصدرها. ولا أستطيع أن أتفادى هذا الإحساس المريب حتى وأنا في عمق الحذاب عندما تراءى لى واسيني في غيبوبته القاتلة، يعبر مسارب الموت بعيون نصف مفتوحة، لم أمتنع نفسي من هذا الشعور الغريب. ربما هذا ما دفع بي إلى الرج به نهائياً في إغفاءة الموت، لكي أتمكن من العيش بعده كامرأة عادية.

علينا أن نقتل من نحب لكي نتمكن من الحياة بشكل مخالف.

أضحك أحياناً من هبلى.

« امرأة ورفيقة تغفل كائناتاً من لحم ودم، رحاني كله هو أن أكل رأس مريم قبل أن تأكلني. كنت الحقيقة الوحيدة، وكان فتاعي هو الورق ».

قد أبدو مجنونة؟ موتة لم يكن فرضية فقط، ولكنه كان حقيقة عشتها بقوة جعلتني أستعيد كل ما خسرت: اسمي الحقيقي ليلي أوليلي كما كان والذي يناديني، وسانتي التي أعشقتها لأنها أنبأتني الحقيقي وتاريخي. وحبها الطفولي الهارب، والانتهاه من امرأة اسمها مريم، أصبحت ثقيلة على لساني.

لكن مرضه نهني أيضاً إلى وجودي وانتقائي

« ربما كانت رسالتك، عندما خرجت سالماً من مركز العناية المشددة. من مستشفى كوشان بول سان-فانسون، هي من أيقض في هذا الإحساس الغريب ».

« Tu me diras que c'est du cynisme? Peut être... Mon ange! C'est juste une envie folle de retrouver ce vieux rayon, fatigué par le temps, qui ne cesse de briller sur cet amas de cendre. »

قلت له منذ زمن بعيد إنني مريضة به، وهذا وحده يكفي لكي لا يحملني شططاً جديداً، ويجد كل أعذار الدنيا لتحمل حماقاتي وجنوني

ربما معه حق في شيء واحد، هو أن ما أفعله اليوم، ليس صدفة طارئة، ولكني أفعله عن سبق إصرار وترصد. حاجة حيوية ووجودية.

أنساءل وأنا أعرف الإجابة، هل مرت بذهنه يوماً فكرة موتي؟ أن يستيقظ مثلاً ذات صباح ويجد مكاني فارغاً؟ وعندما يفتح الخزانة السرية، تواجهه ألبستى الشفافة التي شيدت أعراسنا الجميلة، و« المانطو » الإيطالي الأسود الذي كان يعيشه، وقساتيني التي كان يشتري شراءها كلما سافرت معه، أو القلتين في مدينة ما تستطيع أن تحفظ أسرارنا. مدتنا الجميلة هي قساتين وحماقات متتالية، ونسيان غريب أننا ننتمي إلى عالم تصنعه كل يوم قليلاً، وكما نشاء. حتى ولولم نلتق كما نريد، فكرة وجودي حبة، ولو في آخر الدنيا، يعطيه نوعاً من الراحة الداخلية. هل مر بذهنه هذا الخراب؟ أستطيع أن أجزم لهم أنهم ذلك جيداً لأننا عندما نحب، نتفتح في أوجهنا كل الأبواب الموصدة، يفتح باب الحياة والقلب باب واحد يظل مغلقاً لأننا نخافه، هو باب الحزن.

يومها هبأت نفسي، من رأسي حتى أخمص قدمي. لا فتادك، فاصبغ جلدي بغطى بلقشرة تمساح. لكنني عندما واجهت المرأة، أحسست فجأة بعدى البياض الذي خلفته وراءك وأصبح بلفني. بدون أن أدرك حول الفجيرة التي كانت كل يوم تتوغل في بعنف غير مسبوق.

فتحت صندوق الرسائل الخشبي، آخر موروثاته عن جده الأندلسي. كانت رائحة شبيهة بعمار العنسيين، تخرج منه.

رسالته الأخيرة ما تزال في مكانها حيث وضعتها بعد أن أخرجتها من الصندوق. كان بها شيء غريب يصعب عليّ تحديده، يشبه الحياة والموت في الآن نفسه. ما تزال على الطاولة مستلقية في تعب ظاهر، غطت بجزئها العلوي، رأس فوهة المدسد كلما أعدت قراءتها، ذكرتني بأن شيئاً جليلاً قد حدث في وفيه، غير نظاماً جنونياً استقر في حياتنا منذ أكثر من ربع قرن.

أقرأها باستمرار، أفلقها قليلاً، لا لأتأكد أنه بحبني، وأنه ما يزال حياً، وأن الصدفة والأقدار الجميلة منحتة فسحة ضافية للجنون، ولكن لأوقف الزمن

عند تلك اللحظة بالتحديد، التي ذكرت في تجربة طلت مصارقة بين أفعى هاربة.
وذاكرة أرقض أن تنمحي.
قلت له يوماً.

«كنت لي حبيبي يعجمني تطرف مراكب وانت في حالة سكر نمت
عن كلمات الضابطة رسالتك فرأيت جميل دخلني من وعلة الحروف
الباردة»

ضحك، واسيتي لم يتغير أبداً. ظل هو، هو، طغلاً يصعب ترويضه.

من سين إلى ليلى

بيني العائبة^{١٠}
عبر القلب لا ينتفي

لا أدري ما الذي يعيدني الآن إلى اسمك الأول بعد أن بدأت مريم تهريب
منّي؟

اسم ليلى جميل. يذكّرني بوالدك الذي كان يناديك به قبل أن يموت
منكسراً على كمانه. لم أسمع مرة واحدة يناديك ليلى.

ها قد عدت حبيبتي إلى لوني الجميل الأزرق. هو مدادي، مثلما كان
البنفسجي حديقتنا المليئة بالاشتواء المجنون.

كل شيء هادئ في هذه الصالة البيضاء التي لم تعد تخيفني، شكراً على
عنوان «الإيميل» الذي خبأته في كفي. ملعونة^{١١} حتى في لحظة الموت
فقد منحني فرصة لكي أراك من جديد عبر كلمائك وحروفك الهاربة. أنا لا
أعرف بالضبط هل زرتني، أم أن حلماً غريباً اخترقني، وبدأ سحريّة وضعت
في كفي تلك الورقة. لا أعرف بالضبط ماذا حدث؟ ولكنني عندما استيقظت،
لم أجد شيئاً إلا ورقة صغيرة كتبت أكرز عليها بأصابعي المتفلقة بإحكام.
وكان علي ترويضها لأتمكن من فتحها. تذكرت بشكل ضبابي أنني قلت لك
الأهبي إلى البنك وخذي كل الرسائل التي تنام منذ زمن في عمق الصندوق
الخشبي الصغير. خففت أنك استرجعت كل شيء، خوف أن يسقط في دائرة
الموت والتسيان حسناً فعلت، لست نادماً أنني وضعتك في عمق الألم الذي
في قلبي.

ليلى الحبيبة

الموت استعداد بطولي، ويومها لم أكن مستعداً للتخلي عن الحياة
كانت هي رهائي الأخير. لم يكن لدي شيء أخسره. فجأة نبت في دماغي



يلقن غريب، وهو أن ساعتي لم تحن بعد، وربما أن كل ما حصل لم يكن في النهاية إلا «بروفة» اختيائية.

مرة أخرى تشاء الصدفة أن تضع الحياة في مسلكي الضيق كل شيء كان يفترض أن يقودني نحو الهلاك، كما في المرات السابقة. في ظروف مختلفة، كل الحسابات التي خمنتها سلفاً كانت خاطئة. كنت أتصور مثلاً أنني ساموت على يد مواطن معتوه يفلن أنني سرقت حبيبته من سريره أو على لسان إمام أعمى وأطربش يفتي حتى في حق الملائكة التي لا تخجل من النوم مع الحوريات أو ربما في طائفة ترتفع ثم تنسحب من الرادار ولن يجدا لها أثرًا أو حتى بسرطان ملجأ؛ وغاشم؛ فلا أحد فوق الصدفة الممبئة. ولكن أن يحددني قلبي، فهذا لم أتصوره أبداً، على الأقل بالشكل الذي حدث معي. بيني وبينه علاقة مصالحة عالية وجميلة.

مع أن كل شيء بدأ في ذلك اليوم بشكل هادئ ورائق.

يوم قبل الحادث، جريت في بارك لافيلات Parc La Villette أنا وإبنتي ربما كانت سمادتي كبيرة بالركض على حافة قناة الأورك Lo canal de l'Ourc الاصطناعي ثم رأيت معها معرضاً للمنحوتات العتيقة، وانقلنا على أن نعود له بعد أسبوع قبل أن يعلق لشراء بعض الطبع الجميلة التي سحرنا بهاؤها ويساعدها، ولم تكن غالية.

عندما عدت إلى البيت، ذهبت لسببتي نهائياً ثلث جسيدي على غير العادة سألتني ربما عن امتقاع لوني، قلت لا شيء، ربما تعب انجري فقط ثم صعدت إلى مكتبي، استحممت، شعرت بارتخاء جميل في الجسد، ثم انزويت قليلاً للعمل، قبل النوم، تذكرت فجأة سلة فضلات التغليف والكروتون، التي نخرجها كل ليلة أربعماء لتُفرغ فجر الخميس لم تكن ثقيلة لأنها، لم تكن تحوي إلا على الكراتين والزجاج والأغلفة، لكنني لم أوجدت بانقطاع في نفسي، وهو ما لم يحدث لي أبداً في حياتي. قلت ربما نزلت برد سببها أنني عرضت نفسي للهواء بعد حمامي، بعد الرياضة مع أن باريس يومها كانت جميلة ورائقة. عدت للعمل لكي أنسى، اشتغلت قليلاً على رواية: سوناتا

لأشباح القدس، التي عذبتني كثيراً في علاقة مي مع الموت، مشكلتي أنني عندما أتحدث عن أبطالي، أعيشهم بامتلاء وكأن ما يحدث على الورق حدث بالفعل الكاتب مثل الممثل، إذا لم يعثر دوره كحقيقة، سيبقى على هامشه تمت. في الصباح لم أستلج أيضاً أن أكل أية لغة، بدأت ألاحظ أن نفسي بدأ يضيق، ودقات القلب اختلف نظامها. قالت لي ربما وهي تكتم بصعوبة قلقها بابا، اعتذر عن محاضرة السوربون وذهب إلى الطبيب قلت لا تشغلي بالك، سيعود كل شيء إلى وضعه الطبيعي. على الساعة الثانية من اليوم نفسه، الخميس، نُزلت إلى العمل، لم أصل إلى محطة الميترو، التي تبعد عن بيتي مسافة خمس دقائق مشياً، إلا بشق الأنفس، تغيرت المسافات في تعني، وأصبح ما كان قريباً، بعيداً بالآلاف الأميال. تمت في الميترو، وعندما وصلت إلى محطة السوربون، نُزلت لم تكن هناك أية صعوبة بالنسبة للدرج الميكانيكي، لقد ألغمت عيني وتركتني أصعد وكأنني كنت ذاهباً نحو سماء طرية وسخية لكن عندما وصلت إلى الدرج العادي، اختللت أنفاسي من جديد.

كان المعزل في الخارج يسقط بقوة. وقفت لليل، تأملت الدنيا بانتشاء غريب شعرت ببعض اللذة الجميلة وأنا أتأمل تلونات الغيوم، وأشرب ماء المعزل وهو يغسلني ثم حاولت أن أمشي، شعرت بالعالم كله ينزل على صدري تسارعت الأنفاس ودقات القلب، وشعرت بالموت يكشر، تماماً في المسافة الفاصلة بيني وبين الجامعة التي لم تكن تتعدى في الحالات العادية خمس دقائق خطوات خطوة، خطوتين، ثم توقفت من جديد. مرة أخرى تذللني قواي، في لحظة ذهنية خاطفة، رايتني ساقطاً على الرصيف الحزين، بالضبط تحت عمود الإشارات الضوئية، نصب مغنى علي، والناس من حولي يتساءلون من أكون؟ يشؤون الإجابات الأكثر جنوناً وهيبلاً لا بد أن يكون مديراً في الإدارة، بلدية الدائرة الباريسية الخامسة ليست بعيدة عن هذا لا... لا... ربما يكون خورياً بهذا المانغو كاشمير الطويل، وهذه القبة السوداء الكنيسة حيث لا على بعد خطوات قليلة لا... لا... هذه الألبسة السوداء وهذه القبة بهذا الشكل، هي الهدام الطبيعي للحاخامات الذين

يمرون دائماً من هنا، عندما يريدون قطع شارع مونج^{١٩}، باتجاه الكنيس اليهودي الذي يقع في الزاوية الشرقية من شارع مونج^{٢٠} المستط بالباس في هذا الوقت لا هذا ولا ذاك. هو بكل بساطة استاد جامعي ربما تساعد في ذلك محفظة الطلبة الخائبة الخشبي لتسويرو على مرمى البصر ونشيط الاصوات ثم فجاد اولهم بفنشون حسيبي لتعوز على ما يمكن ان يبدلهم على شويبي بفنشون في ارقام تليفوني الفل الذي كان مرميا بالقرب مني. ليوجيبه نحو شيء ما كنت طائفاً من ان يسرق الفليفون ولن يصلوا الى اخباري، ربما الوحيد الذي كانت ترافقي في البيت باسم كان في مونتريال وروجن في الجزائر. انقلنتني من غفوتي حركة العاص الحماعية وقد يفتقدون الطريق بعد ان اصبحت الإشارة الضوئية خضراء والامطار الغوية التي عادت الى التسلط من جديد فجاء شعرت ان بي طاقلة مخزلة كانت في الاضيرة. وكان علي استعمالها بمعنى الحرية والمقاومة للوصول الى الجامعة لا انني سارا حدث لي ولكنني انطلقت لا اسأل عن نفسي الذي ضاق الى حد الاحتراق ولا عن الاختلال الذي لدقات القلب سني بدا لي انها تولفت نهائياً والتي كنت اعيش فقط بقوة الدفع الخارجي اومن انه في عمق كل إنسان شيء من بقايا طائفة جسدية مشتتة. عليه تجميعها للذهاب قلماً قبل الاستسلام النهائي عندما دخلت الى الجامعة شعرت براحة غريبة دسيت مباشرة نحو طابيب العمل الدكتور بلانتيرو Plantureaux عوف كل شيء من الفحص الأول قال أنت في وضع لا يحتمل التردد كنت قد بدأت ادخل في حالة لبدية من العيوبة فأنحز فراراً متحولتي الى مستشفى الأمراض النفسية لم اسمع إلا بعض الكلمات الجارية تحدث عن استدار في الشرايين وزحف الحظرة نحو الرلة والقلب وهو ما سينسب في الستة في أية لحظة يعزها انعمست داخل مياضات نعدوت ظمرا ولم أفكر منطقاً في الموت بدأت استقبل داخل رواية نسات معي لحظتها واستمرت الى يوم خروجي من المستشفى كانت بظلتها شابة في غاية الجمور والتضارح، والقسوة والعنف، اسمها ابروتيك

بقية التفاصيل تعريفها جيداً، ولا أريد أن أثقل عليك بها

ليلي الغالبية.

أشياء كثيرة تغيرت في

زالت بعض الموانع من ذاكرتي، وانتابتي رغبة محمومة لكتابة نفسي قبل فوات الأوان. لا أعرف بالضبط السبب الأصلي الذي أعادني إلى اسمك الأول: ليلي. أو ليلي كما اشتغلي والذ لا ن بسمك كنت مرتاحاً لمريم. وكان بؤث ذاكرتي بالكثير من المحبة والطمأنينة رغم قسوة الحياة. هل هي عزة الموت تعيدنا بالقوة إلى ذاكرتنا المدفونة في الأعماق؟ ربما لأنني اكتشفت بعد رحلة ربع قرن معك، أنه أن الأوان لأن أعيد لك كل ما سرفته منك خصوصي. أو أعزتي إياه، اسمك أولاً. ليلي^{٢١}

في السنوات التي مضت، كلما كتبت عن الحب، كانت الرسائل لعبتي المغيلة في الكتابة على الرغم من كونها لعبة غير مأمونة المسالك. لم اعمل الشيء الكثير سوى أنني استعملت حيلة الكتابة لأجعل من المستحيل ممكن في قلبي رسائل أشعر بالدهشة كلما قرأتها، ولهذا ما أنشره في الجرائد هو خليفة محنة بأحد كلمة هي الابد الحب هو أجل انفسا للإنسان، والا لكان مجرد مخرة لا شيء يحركها سوى الفأكل اليومي. الحب هو أيضاً تآكل عندما يخلو من الإبداع المستمر. هو معنى المعنى لحياة جافة لم تعد تحفل بارتجافاتها الخفية أمام لحظة حب مسروقة، أو أمام لون وجه تكشفه للمرة الأولى ليست ليلي ولا حتى مريم التي سرقت كل وجداني هي امرأة واحدة، هي مرجع الحياة والحب واللذة التي ترفض أن تستقل في دائرة التكرار القاتل ما الذي يفقد العلاقة غير الألفة والتكرار والدخول إلى الوظائفية والواجب؟ الحب كلما دخل في الوظائفية تحول إلى زواج مفتع. أشتغي لو كنت أسن الغوايين، أن أغير نظام هذه الكذبة التي نعوم فيها جميعاً، أن أقبل بالحل الوسط ما دام الزواج مجرد عقد. لبتفق الإنسان، المرأة والرجل معاً، على احترام الرضا الذي سيصبح مقدساً، ولكن شرط احترام كل البذور، وربما كان أهمها حرية تحديد مدة الزواج، خمس سنوات مثلاً خمس أو حتى خمس عشرة سنة، وليوضح في خاتمة العقد جملة مكتوبة بشكل نافر ومميز: عقد قابل للتجديد في حالة واحدة، تراخي الطرفين. بهذه الطريقة يستعيد الحب الله، إذ لا يمكنه أن ينشأ

خارج الإحساس العميق بالحرية والصدق. غياب الحرية في أية علاقة هو
فشل لها

ربما كان الزواج خسارة الأولى، ولكنه كان أيضاً تجريبنا العقلية
مع الحرية لم نخسر يا عمري سوى قيود الخوف واليقين الزائف. ستقولين
بأنني لم أغير كثيراً منذ أكثر من ربع قرن؛ تغيرت طبعاً. إذ زاد يقيني بأن
أكبر حماقة نمارسها هي الزواج. لأننا عندما ندرك خلل العلاقة، نكون قد
خسرنا أشياء كثيرة، ربما كانت الحرية أولى وأهم هذه الخسارات. حتى ولو
كانت مجرد وهم. لكنه وهم يضع الحياة أمامنا في أنفها ورعشتها المليئة
بالحياة. قد تبدو علاقاتنا الغوضوية والهامشية، حالات مرضية، وحيوانات
تستحي من ذكر اسمها، ولكنها تحديداً إصرار بانس من أجل استرداد حرية
الافتقارها قبل سنوات، ونعوض الخسارة، بخسارة أفدح

أتوكل عند هذا الحد لكي لا أواصل في الأذى

لن نبقى

مازلت، على الرغم من الكسر العميق ومصيدات الموت التي أصبحت
متعددة، وربما لا تحصي، قادراً على حبك والانتعاش في الجنون القديم
نفسه. لسنا بعيدين عن بعضنا البعض، كما يتبدى لك، إلا بالقدر الذي
يمنحنا فرصة لتخيل جنون جديد، نلتقي مرة أخرى من أجله

أنتظر على هامش أجمل وأخطر حافة في الحياة، الحب

لم أغبر توفيعي منذ بدأنا اكتشاف كتاب الأسرار^{١٤}

بشوق كبير

سين

باريس، مستشفى كوشان سان- فانسون، ٣١-٣-٢٠٠٨

اسمي، ليس هـ... ربي... هل يجب أن أصرخ على الأسطح لكي
تسمعن؟ لسيت مريم ولن أكونها.

أشبهني تمزيق هذه الكلمة مثل الورقة المريضة، لأتخلص منها نهائياً.
مريم لم تكن إلا استعارة قاتلة لضعف خفي أخفنا في مقاومته. أنا
ليلي، أو ليلي، كما سماني سي ناصر، والذي، أو كما يشتهي واسيني أن
يذهب خارج الكنيسة، أو في مزارع الشجرة اسمي العليل لا يلهي كثيراً
منذ البداية كنت أريد محوه والتخلص منه، ولهذا سأفادي ذكره، الأسماء
العائلية تضيف نقلاً لا معنى له، وتحمل غيرنا ما لا طاقة لهم به.

لا هدف لي من وراء هذه الحماية التي أنا بصدد ارتكابها، ولا وراء هذا
الجنون العاري المستبد بي. سوى وضع أشواق الحزينة في مهب الألف
الناعمة التي تشتهي أن تدرك الغنى الكامن في أعماقي. أفق أنه ما يزال في
الدهان من يريد الإنصات إلى الحقيقة التي أصبح حملها ثقيلاً. حدث لي أن
أصغيت طوال ربع قرن إلى صوت واسيني، هذا الرجل الذي أحبني كما لم
يحبنى أحد سواه، وأحبيته ومازلت، لدرجة أنني نسيت وجودي، أضحك منه
أحياناً عندما يحتضنني بشوق، فأناشئ بين يديه كحقة نور: «أوشوش»
في أذنه:

« يا مهبول! ماذا بقي لك مني؟ هل تراني؟ لقد نلشيت

— لا أنت هنا، حيث تنفخين، وحيث لا وجود سوى للنور... »

يتفحصني يشقيه جزءاً، جزءاً، من شعرة الرأس، حتى آخر مسام في
جسدي، فقط ليثبت لي أنني مازلت بين يديه، وفي عمق كفه، وأني لم أتلأش
أبدأ. وكلما فشت في مقاومة شهوة الجنون معه، ابتسم بمكر وتمتم في أنني
بدورة:

« هل أعاد الكرة؟ كل شيء فيك يقضك يا مجنونة.

— يكفي... أرجوك... »

أضحك، وأتمادي في غوايته.

لست خائفة، ولا حتى متعبة.

الوقت يمر بشكل ضبابي. يقذف بي بعيداً نحو زمن لم يعد لي ولم أعد له. أشياء كثيرة في، تحركت كلها كالسيل الجارف، لتضعني أمام أسمى مرآة في الدنيا: مرآة الحياة، ولم تمنحني حتى فرصة تأملها واحدة واحدة، قليلاً، ومحاولة فهمها.

ما زلت في وضعي الأول نفسه. لم يتغير أي شيء في زاوية النظر التي أرى منها الأشياء. لا شيء في الخلفية السوداء للساعة الإلكترونية إلا علامات الساعة بدون ساعة، والدقائق بلا دقائق، والثواني بلا ثواني —

لا أرى الوقت جيداً، ولكنني أكتشفه. أحس أنه في مثل المبهم الذي يسكنني كلما اختلت علاقتي بالحياة أو اهتزت، منذ أن توقف العزف على الكمان ولم يبق إلا صوت سوزان لوندبيرغ يملأ هذا الخواء المفجع

المسدس البارد، في مكانه، وليس في مكانه؟ يظهر ويغيب، يعلن، من حين لآخر، عن وجوده الظاهر كلما حركت ورقة من الأوراق التي تسحب بي بتخلي للخطأ. ثم يفلر لحاة من تحت الأوراق وكأنه هناك قوة باقية، تسحب ثم ترميه من جديد على المكتب.

لم أكن أحلم.

لا صدفة في خياراتي.

فكرة وجودي في هذا المخبأ الذي سميت السكربتوريوم، ليست مهمة، ولكنها ليست عبثية أيضاً. طبعاً، أنا أدرك سلفاً أن هذا المكان لن يحميني من تصف نووي محتمل، ولا حتى من نفسي التي تضخم هواجسها، ولكنه يوفر لي حالة انفصال عن الممارات التي عشت فيها حتى الآن.

لم أكن أعرف أن واسيني كان متورطاً في إلى هذا الحد، ولم أكن أعرف أيضاً أنني قادرة على التخلي عنه للموت بسهولة غريبة. هزة انتقاده كانت عنيفة إلى درجة أنها أعادتني إلى نفسي، ولم تعدني إلى صوابي. أخرجتني من سكرة جملة كنت فيها، ورمتني في أتون نازقاسية كان على مواجهتها

وتحلقها بصبر سيزيفي. في الحب مثلما في الشمس والأرض، نواة ملتصقة، لا ندري متى تنفجر مخلقة وراءها ما يصعب جمعه، وفهمه، وحتى رتقه.

فجأة لم أستطع كتم ضحكة حزينة شعرت بها تائبني من بعيد.

هذا هو واسيني الذي اشتبهته، بألوانه الجميلة وبرغبته الطفولية في التسطير تحت كل شيء. هذه الورقة الصغيرة له. أعرفها من لونها الوردى وخطوطها المائلة. فيها صرخته الأولى مثل الطفل الذي خرج من رحم أمه وهو لا يعرف شيئاً عن عالم كان عليه أن ينتزع فيه حق وجوده. لم أنتبه إلا بعد زمن بعيد، أن صرخته الأولى تلك، كانت مكتومة. أنذكر جيداً حتى اللحظة التي وضع فيها تلك الورقة المرتعشة بين يدي، ثم انسحب وهو يبحث عن مهرب لعينيه الخافتين متى... أو ربما من ردة فعلي.

لحبي، ويريد أن يبقى في ظلي حتى في حالة الخيبة.

لم أكتب له يومها شيئاً كبيراً. كنت تحت وقع الدهشة الجميلة.

في أسفل ورقة زرقاء اللون رسمت كلمة من خمسة أحرف: داخل مربع أسود، وأربعة ألوان كما في طفولتي الأولى. لم أكن أدرك يومها أنها ستضعني بين يديه كالفأكة الناضجة: أحبك، الحرف الأخير كان رمادياً مثلي، لأنني في لاشعوري، كنت مثل طفلة مبهوسة بعشيقها. أرسم دائرة ستأسرتني، وستنتهي بي إلى موتي. لم أكن بحاجة لشيء آخر سوى لأن أقول له أنا أيضاً ما كان في قلبي، لم تنفعني طريقتي، لأن شجاعة ما كانت تنقصها. أعتقد أن هذا النقصان صاحبنا على مدار أكثر من ربع قرن من الجنون والهيل

«هل تتذكر يا مهبول ماذا حدث يومها؟ وماذا كان يمكن أن يحدث لو

كنت شجاعاً قليلاً؟ ربما تكون قد نسبت كل هذه التفاصيل؟»

فجأة وجدته ممثلة به، مر الليل علي بصعوبة. كنت خائفة من أن أموت ولا أقول له ما كان في قلبي. في الصباح جئته مباشرة بعد درس الموسيقى، على ظهري كمان والدي. كنت مثل الترابادور الضائع. وقفت بمحاذاة،

عند مدخل مدرج الآداب، وكان شيئاً لم يكن. مدت له يدي. اقتربت منه. تماسكت، على الرغم من أن كل شيء في كان يرتعش بقوة. ثم وضعت وجهه بين يدي وقبلته تحت تصفيق الطلبة وكأننا كنا في مسابقة لأطول قبلة. احمر وجهه حتى كاد يتفجر، ولكنه كان سعيداً. ثم أخذته، من يده ووقفت. أتأمل ردة فعل الطلبة الذين ظلوا صامتين مضمزين سعادتهم أو حقدهم. أخرجت الكمان من غمده. وضعت بالضبط في مكانه المعتاد، تماماً تحت الجهة اليسرى من الذقن، المكان الأقرب إلى القلب. مدت أناملتي نحو ذراع الكمان، سحبت قليلاً في الفراغ لدوزنة الصوت، ثم بدأت أنحت شوقاً دفيناً. عزفت على إيقاعات موزارت الحزينة والمنكسرة: موسيقى الليل الصغيرة كان الجميع ينظر إليّ بدهشة لم يورثي من قبل بهذا الجنون وهذه القدرة على استحضار أجمل النوتات المسروقة، من أحلى سيمفونيات العالم. ثم غنيت له ما لم يكن يستتهي سماعه لحظتها. أعرف حساسيته المفرطة تجاه فيروز. كنت قاسية على قلبه لا شيء، سوى لكي يحبني أكثر:

«سني عن سني...»

يا حلويًا حبيبتي

التي ما اتبيعتك بالثمن.

وكل سني بحبك أكثر من سني..»

تأملته «بطلعة». رأيت في الأقاصي. مفرماً كطفل يبحث عن يد تقيه من النور الحاد للحياة الذي كان يفرقه في البهاضات المتماهية. أتساءل اليوم إذا لم أكن أنا أول من سرق غزيرة واسيتي الخجولة، وطفولته القروية البريئة والخائفة من شيء لم يكن مهياً له بالشكل الكافي؟

في المساء أخبرته بشيء مهم بالنسبة لي، لم أشعر أنه أفرجه كثيراً:

«سأتارك الجامعة وأذهب إلى الكونسرفتوار. أنا أضيق وقتي في هذا المكان. أريد أن أتعلم العزف على الكمان. على الأصول، كما كان والدي يفعل معي. منذ أن غادر هذه الدنيا وأنا أدور في الفراغ كالساعة المجنونة.

— أنت تعزفين جيداً. ثم إنك تشغلين في النادي الموسيقي للطلاب»

— لا يكفي. أريد أن ألتحق بالفرقة الفيلارمونية للأوبرا. بعد سنوات. لهذا، علي أن أجتهد إلى أقصى الحدود. حلم سي ناصر، الله يرحمه ويوسع عليه.»

أبي الذي كان مريضاً بالموسيقى، ومسحوراً بالعزف الدائم. أصر على أن يجعل مني شبيهه قبل أن تسرقه مني أزمة قلبية. هشمته قبل أن تسحبه نهائياً، كلما عزفت، بكيته، لا يمكنني إلا أن أتذكره. كان أمم عازف في البلاد، ولكن البلاد لم تأبه به حتى مات. لم يكن الوحيد في محنته. عندما تذكره، سلموا لنا ميدالية المجاهد النحاسية، وشهادة باردة، نظير تضامه من أجل استقلال بلاده. لم نعد نتذكر، لا أنا ولا أمي، أين وضعناها. تخيل، كان عضواً في الفرقة الفيلارمونية لأوبرا غارنيري، بباريس، في ذلك الوقت المتقدم، قبل أن يغادرها إلى المغرب، ومنها إلى جبال فلاوسن، ويكون مع مجموعة من أصدقائه، فرقة موسيقية عزفت أول نشيد وطني في الجبال والواحات العربية. بعد الاستقلال، نسي أنه موجود، وعندما تذكره، وظفوه كمدير لفرقة الحرس الجمهوري المكلفة بعزف أناشيد ضيوف البلاد من الرؤساء والملوك، في المطارات. كان يحلم أن يعيد أوبرا وهران إلى الحياة مع الزمن، تعب من هذه الوظيفة المعبتة، فاستقال متنازلاً عن كل شيء، حتى عن سنوات عمله، وعاد إلى كمانه حتى مات منكفئاً عليه.

«من من عقلماء هذه البلاد أخذ حقه؟ لا أحد. كلهم ماتوا في مرارة العزلة.»

قال واسيني بمرارة كبيرة تبثت على ملامحه، وهو يخفف من شجنه.

ثم نظر إلي بعينين مدورتين، مليئتين بالخينة. تذكرت أنه كان ينتظر مني جواباً على اختياري الكونسرفتوار بدل الجامعة.

«— لم الحين عمري؟ ألم تلال لي يوماً إن صوتي يصلح للأوبرا، وإنه يمكنني أن أكون سوبرانو في أرض أصبحت أبعد من قطعة للبحر، وإن مكاني غير هذه الجامعة المبتنسة؟ ولنت لي أيضاً إن عزفي ليس عادياً»

الكوئسرفقوار ليمس بعيداً من هنا، ويمكننا أن نلتقي متى شئنا. ما يزال لدينا متسع من الوقت لشتي الحماقات قبل الالتحاق النهائي!

-٤-

اليوم، لم يتغير واسيني كثيراً. كلما قرأت رسالته الأولى التي سربها لي بخجل، وجدته طفلاً مرتبكاً يبحث عن مسلكه الصعب في جنة الحب المبهمة. كان خائفاً من فقدان، ومن كلمة صغيرة يقولها بصوت عال: أحبك. وربما كان يحتاج إلى شجاعة أكبر ليتمكن من قولها حتى ولو كلفه ذلك فقدان.

أه لو كنت تدري أيها الأحق الذي لم يتعلم إلا قليلاً من خسارائه: كان يمكنك، لو لم تكن أهبل، أن تربحنا الكثير من الوقت. ولكنك فضلت أن تكون أشواك بدل أن تقولها وتعيشها بجنون ملغل لا يقدر عواقب كلامه مطلقاً

الغريب أنني اليوم أقرأ تلك الرسالة بالأحاسيس نفسها، والخوف نفسه، ولا أستطيع حتى أن أمنع نفسي من الارتعاش كالدمعات اليتيمة على وجه مراهقة.

لا شيء تغير. الإحساس نفسه والرجفة نفسها. غير أنني، هذه المرة، لم أبك حياً فقط، ولكني بكيت أيضاً على فقدانه

أحبك

رسمتها كما في كرنفال طفولي، عرساً من الألوان.

«لولا تقلها يا مبهول، في ذلك اليوم، لكنت سبتك إليها».

من لزعر الحمصي إلى أيللي.

عمري عشرون سنة

يايلى...

أختي العزيزة.

بدءاً من هذه اللحظة سأكون كاذباً إن ناديتك أختي.

لم تعودى أختي منذ أن خادعت قلبي وكشف لي عن سره الخفي.

فجأة يتدفق مدينتنا في كفي كالمدى العذبة. تفرق في الأسئلة الجميلة. ماذا لو كنت هنا، حيث شهوة القلب؟ ماذا كانت ستعني لك وهران؟ مدينة الملائكة والقنلة والهاربين من محاكم التفتيش المقدس، والمحتالين، والعلماء الهاربين من سلطان الحكام المرضى؟ هل أجداني هم من بنائها، أم مضطهدو أجدادي؟ من شيد إذن على أعلى قممها سائناً - كروث - ليفنعني بأن تاريخاً مر من هنا ومحا عذرية المدينة؟ أعرف الآن فقط لماذا جيتي لهذه المدينة. هو بقدر نفوري منها

بعد كل هذا، لا وجه في المدينة، إلا وجهك أنت وهران! أنت سائناً - كروث! أنت المدينة الجديدة! أنت الكوريدا! أنت مقام سيدي الهواري الطيب!

بدءاً من هذه اللحظة سأكون كاذباً إن ناديتك أختي.

لست أختي بعد أن أصبحت فن، ولم تترك مساحة أخرى لغير التفكير

فك

انتظري قليلاً أيتها العزيزة. لي سر في القلب أريدك أن تسمعيه. لا أملك أن أقوله لك بصوت مسموع سيوشو قلبي في أذنك بعد قليل

أحتاج إلى درية كبيرة لكي أصل إلى الكلمة الصغيرة التي تتراقص فوق لساني وتخاف من أن تخرج، وأن تنفث قليلاً هواء الطبيعة



ربما كنت خائفاً من شيء غامض في، ولكنني في هذا المساء، سأتشجع أمام الحديقة التي أخافتنني دائماً ودفعتنني إلى أكثر المسالك صعوبة، مع أن الحديقة هي أخطر ما يمكن للمرء أن يقوله للغير، خصوصاً إذا كان هذا الغير أنت.

يمكنك الآن أن تقولني عني ما تشائين، هامل؟ ضايح؟ ضايح؟ مهبول؟ لقد أفلقت اليوم السنة العشرين من عمري، وأصبحت بفعل القانون بالغاً واستطيع أن أقول لك ما يملأ قلبي منذ زمن بعيد، وصرت أنت امرأة مبتلنة بالحياة وحينئذ الكمان

لا أريد أن أعض على يدي كما كان يفعل أجدادي الأندلسيون لحفلة الندم العميق، إنني لم أتكلم في الوقت الذي كان يجب علي أن أصرخ فيه أمام الملا: أحبك.

لا يهم، لم أعد قادراً على الاستمرار في الدوران الخفي.

بدءاً من هذه اللحظة سأكون كاذباً إن ناديتك أختي.

البياضة رأيتك في حلمي، غارقة في كتلة من الضباب البارد، مثل البندق كنت تحتضنين كمانك، بالقرب من الشجرة التي تخترق ساحة الجامعة، وكنت تعزفين وتتلوين بقسوة، وكنت كمن يحفر جرحاً عميقاً في أعماقي عندما رأيتني حينئذ قلت نعال قلت لك إلى أين؟ قلت اسوأ سؤال بطرحة رجل على امرأة تسرقه هو: إلى أين؟ لا تكن غيبياً، أغضض عينيك قليلاً فقط، وبعدها افتحهما بهدوء، وتركك تفوديني. لم أشعر بطعم قبة مثلما شعرت به في تلك الليلة كانت شفتاك دافئتين وشهيتين. وعندما فتحتهما، كان شعاع الصباح قد اخترق المكان وأمي تناديني من المطبخ: واسيني - قم - الشاي جاهز. جريت أن أنام فقط لأجبك أكثر ولكن عبثاً، فقد كان نور الصباح قوياً ومعنياً بعد شروعت - يماً - الأبواب والنوافذ.

هل أجراً الآن وأقول حبيبتي؟

حبيبتي، ها أنا ذا قد تجرأت وقلتها.

هل أمتلك حق اختراق طفولتي التي ظلت تعاند لكي تخبرني شوقها إليك؟ لم أعد قادراً على إغلاق القلب على كذبة الأخوة والمثل العليا التي سطرناها بغياها أنا وأنت، فقط لتتلقن ربط أنفسنا بشيء كان كل يوم يزداد انغلاقاً علينا مثل الكماشة. لقد كثرت الحواجز التي وضعناها في مسالكنا. وعلى الآن تكسيرها واحداً واحداً إذا منحتني بعض الحق على قلبك، حتى ولو قضيت العمر كله ضائعاً في التفاصيل الحادة، كمفكك ألغام

سأتوقف عند هذا الحد، ولن أزيد كلمة أخرى يمكن أن تسرق منك إلى الأبد

أحبك، هل أخطأت؟

كل شيء في يقدوني نحوك ولا سلطان لي سوى أن أفك عند رجلك، وأحس رأسي وأتمتع أحبك لبني أحبك ولا شيء سوى ذلك إذا كان لكلامي صدق في قلبك، حاولي، عندما تمرين بالقرب مني، أن تفعلني ما فعلته ودعة مشتمة سبعة، أشري لي بمندليك الأحمر من بعيد، سأعرف أنني في قلبك، وسأركض نحوك حافي القلب والقدمين، وإذا كان العكس، اعبري ونكسي رأسك، بلا تحية، وسأعرف من تلقاء نفسي، أنك لست لي، وسأخرج من حياقتك، لأنني عاجز عن فعل شيء آخر غير حبك.

هذا هو أنا

رسالة الحب الأولى قد تكون هي الرسالة الأخيرة عندما تصادفها الموانع، وقد تكون فجراً لشوق سيندفع كالبحر.

أحبك وأنتظر تلويح المنديل الأحمر، عندما تمرين بالقرب مني

لزعج الحمصي بمودة ومحبة

وهراة شتاء- ١٩٧٨

« هي بالضبط، وكأني حسبتها بدقة مهندس معماري؟ »

لم أعد أؤمن بالصدفة. كل شيء، في هذه الدنيا، مرتبط سلفاً.

عندما رفعت عيني المتعبتين من كثرة الكتابة والقراءة، هذه المرة، لمعت أرقام الساعة الإلكترونية الحمراء، في استقامة. ذكرتني بشيء غامض لم أدركه جيداً؟ بتاريخ محدد؟ باحتفال ما؟ بموعد مهم؟ أو ربما بيوم فقدان؟

لا يهم. عندما تستقيم كل الأرقام، ذلك يعني أن شيئاً خفياً قد قد تحرك بقوة.

الكمان غارق في جبروت الصمت والعزلة. لم أعد قادرة على العزف الآن على الرغم من رغبتى الكبيرة لفعل ذلك. أصبح الآن بعيداً عني قليلاً، لكن موسيقى سوزان لوندنغ لم تتوقف أبداً.

تحسنت المسدس، كان بارداً دائماً. لم أكن أعرف تحديداً لأي سبب هو هذا، لكنه هنا، ولابد أن يصلح لشيء ما غامض في رأسي. سبيع رصاصات في داخله، محشوة بإتقان، لا تنتظر إلا من يضغط على الزناد. حسبتها قبل قليل وتأكدت منها. سبيع رصاصات نحاسية مختومة برؤوس صغيرة تشبه اللعب القائلة، أراني رياض، زوجي، منذ عشرة التسعينيات الحارقة، مكان المسدس، وعلمني كيف أفتح عند الضرورة لتنظيفه وأعيد تركيبه، وكيف أدافع به عن نفسي وعن أولادي. وضعه تحت تصرفي بعد أن وفر له «الكارتيل» مسدساً أوتوماتيكياً من نوع ميكرو غوزي^{١٧} كان يطلبه دائماً، وحصل عليه متأخراً قليلاً بفضل إصراره، كما يقول. الكارتيل لا يلتفت للصغار إلا نادراً.

« متأخر أحسن من لا شيء، في عالم يزداد كل يوم تعقيداً مسدس ميكرو غوزي مفيد وأحتاجه أكثر. وضعي غير مأمون في هذه الحرب الأهلية الخفية القاتلة، التي لا تعلن عن اسمها قوي وسريع. طوره غوزيل غال^{١٨} منذ

١٩٤٨، من سلاح تشيكى قديم نسبياً شبيه له SA 23 و SA 25. يحمل من ٢٠ إلى ٣٢ رصاصة من عيار ٩ ملمتر برابلوم. ما يكفي لإبادة فيلق من الأعداء يوفر ثقة كبيرة لصاحبه. به أشعر أنني رجل ونصف.

يذكرني دائماً بمثله المفضل: عضة من الذئب، ولا تطلقه سالماً

هذه المرة، وربما المرة الوحيدة، سيكون الذئب هو أنا، وربما أنت أيضاً.

أنين سوزان لوندنغ يأتيني جزئياً ومتوحداً مع العزلة، لابد أن يكون ذلك من عمق قلبي وجرحي الذي أكتشف كل يوم اتساعه مثل زلزال يخترق الأرض في عمقها. ربما كنت الوحيدة التي تسمعه. أمهني نفسي لاستقبال جرحي ومبرختي الأخيرة، وأضع أمام الجميع أسرارنا التي ليست كلها جميلة

أليست هذه عضة حقيقية؟

- ٢ -

هل تدري جيببى أنني قتلتك بلا تردد؟

لم يكن ذلك للمتعة. فلا متعة لي في قتلك، لأنني وقتها سأقتل نفسي أيضاً. ولكن فقط رغبة في التخلص منك لرؤيتك من جديد، ولأعثر على نفسي الضائعة في فكك الخفيفة، مثل نسمة فجرية. أحبك، ولكني أحبك أكثر عندما أحبك تماماً كما اشتبهت، سرفك متي عمك، حروفك، أسفارك، زواجك، جنونك، نساؤك، أوهامك، ما لم أتحمله، أن تسرفك متي مريم. كلما اشتقت إليك، وجدتك في دفه هبيلها وجنون أجديتها السحرية، وحتى في فراشها. قل عتي مبهولة إذا شئت؟ أنا نفسي، أتساءل أحياناً عن هذا الانقلاب الغريب في الأدوار؟ كيف يصبح الأصل فرعاً، والفرع أصلاً؟ شيء في الدنيا يسير على غير هديه المعتاد.

بإمكانى اليوم أن أعود إلى فراشنا الوحيد، المشترك والأجمل والسري للغاية. ومائلنا هي حياتنا المخبوءة ودليلنا في ظلمة مسالك هذه الدنيا القاسية. نورنا في مسارات البأس والاستحالات المنجعة. أسألك اليوم، وأنا



قرأها للمرة الألف، عن حجم الخسارات، والحقاقات التي ارتكبتها في حقنا. كان يمكنك أن تختزل علينا شقاء أكيداً. لقد أخرجتها كلها قبل ساعات، فقط لأشعر أنني مازلت موجودة على هذه الأرض التي بدأت تتخلى عني، وأني مازلت مشتهاة كأبة تفاعهة ممتوعة. وأني بكل بساطة، حبيبتي التي تملأ قلبك.

قد يكون ذلك بعض جنوني أو كله، فانا لا أتذكر يوماً كنت فيه عاقلة.

أريد أن أصفي حسابي، كل حسابي مع الماضي. سأضطر إلى أن أفصح من وضع ذات يوم سراً جميلاً في كفي. وفي عمق جسدي، وأثنى عليه. وعندما فتحت كفي وعبرت جسدي، أدركت أن الحمل كان ثقيلاً فقد حولني بللمسة لغوية سحرية، إلى أيقونة سماءها مريم، أفرحتني وقتها ألوانها الجميلة وزخرفاتها. وأسعدت الكثير ممن صادقتني في روايات واسيني بجنون لا أحسد عليه، قبل أن يتحول كل شيء إلى كابوس أكلني وأفرغني من الداخل. ثم صلاتني بالهواء الساخن وطوح بي بكل قواه، نحو سماء فارغة. أعترف بمسؤوليتي الكاملة في اللعبة. قبلت بمحض إرادتي أن أنسحب من المشهد. مقتنعة بأنني صرت فوق الحالة، متخلية عن اسمي لصالح امرأة ورقية. أكلتني، ولم أعد اليوم قادرة على تحمل وجودها معي في الفراش نفسه.

اكتشفت فجأة أنني كنت أنا المرأة الورقية الميتة. وكانت مريم هي سيدة الحياة كلها. كيف سرقت الحياة مني بدون أن أنتبه لذلك؟ تلك مشكلتي معها.

لنا إلا في البداية، وسأنت جنوني كما خططت له. لقد ركبنا رأسي. ولن يفقد شيء في طريقي.

— ٣ —

السكينة: زفاف، السكرية، يوم وساء يحيط به
في الطابق الأول، كلهم نيام

حبيبتي وابنتي مايا نامت مبكراً. اثنتا عشرة سنة. عمر النور والحب

والبنفسج البري المعطر. كأنها كانت تعرف أنني كنت بحاجة إلى الخلود إلى نفسي. تأملتها قبل ساعات، كنت أصرخ وكأنني أكتشف ابنتي للمرة الأولى: سبحان الله! نفس العينين اللوزيتين، نفس الشفتين المرسومتين بإتقان، نفس اليد بأصابعها الناعمة والطويلة. نفس الجسد المستقيم والفارع أيضاً. نفس العطر الذي ينبعث من جسدها. سنوات عمرها الهشة، لم تزدها إلا انحداباً نحو. كنت أعرف أنها ابنته وشبهه الصميم، ولكن لبس إلى هذا الحد المخيف: قالت لي قبل أن تنام: ماما حبيبتي، هل ستزولين إلى الكهف؟ طمأنتها أنني سأظل بجانبها، وأني سأظل بين قوق وتحت. لدي رغبة للكتابة لا أستطيع مقاومتها. قالت: لا يا ماما حبيبتي. «خليك» بالكهف. أعرف أنك هناك تترجحين كثيراً. معي خويا يونس وإذا حكيت مع عمو واسيني. سلمي لي غنمة. كانت تعرف كل شيء. أو ربما. كانت تحس بكل ما كان يعثرني حزناً، ويبدو عميقاً في عيني. أرى ذلك كله في نظرتها، ملمسها، أحاسيسها، ولغتها الخفية التي تبقى في داخلها.

يونس، ابن أبيه، رياض بحبه كثيراً ويشعر أنه وريثه الشرعي. يشترك معه في الكثير من التصرفات الغريبة. يقلده حتى في غضبه. يعرف جيداً أنه مثار اهتمام والده. نام على جرح هو وحده كان يعرف سره. إنه في عمر الهبل، سبع عشرة سنة. لقد أصبح عاشقاً، وأشعر بشططه بقوة هذه الأيام. كان يريد أن يتخطى كل العتبات والموانع، ولكن شيئاً فيه لم يحسم بعد. نام باكراً هو أيضاً، على غير عادته. سألني فقط: يما عندك حبة دوليبيران؟^{٢١٩} رأسي يكاد ينفجر. جنته بكأس ماء، شرب الحبة، ثم نام.

رياض، زوجي. سافر إلى اندونيسيا، ومنها سيسافر إلى كوريا الجنوبية من أجل صفقة سيارات. شأنه التجاري أصبح يشغله عن كل شيء آخر، وبقيت وحدي. عرف في وقت مبكر أن دكتوراه الاقتصاد السياسي، لن تقيدته في الشيء الكثير. لم يثقل لي، ولم يسأل كثيراً عني. هو يكرر علي أسطوانته باستمرار: Pas de nouvelles, bonnes nouvelles. حسناً فعل لأنه بذلك، يمنحني بعض الراحة، والخلود إلى نفسي، والقدرة على اختزال كذبة لم أعُد في حاجة إليها: كيف عمري؟ كيف حبيبتي؟ لم أعد قادرة على قولها له حتى

ما زلت في هذه الزاوية التي اخترتها لنفسى. وهو مرتاح مع جماعته، أو الكارثيل ٢٠ كما يسميه، والذي أصبح كل شيء في حياته

وحيدة وسط الفراغ الجميل الذي يمنحني السكينة للتفكير الجيد، طبعاً، لست في هذا السكربتوريوم الذي اخترته في قعر البيت، بمحض الصدفة. أريد أن أصنفي حسابي مع شيء غامض لا أعرف كيف أسميه؟ مرضى المزمن؟ حبيب العمر؟ دنياي؟ قاتلي؟ كاتبي الذي أقصاني من حقي في الحياة، ووضع في مكاني قناعاً سماه مريم ليخفي بعض القداسة على الجريمة؟ كل شيء سينتهي في هذه الليلة. أنا متأكد من أنه مع الفجر، سيبدأ زمن آخر.

—٤—

سيدو للذي لا يعرفني، أنها مجرد لعبة لفظية؛ أو لنقل فانتازيا جميلة لا تحدث إلا في الروايات، حيث تقتل شخصية روائية كاتبتها المسألة أكثر تعقيداً من هذه اللعبة المعروفة. لا أتذكر متى رأيت ذلك، ربما في فيلم أو قرأته في كتاب؛ امرأة مولعة بكاتب ينتهي بها الأمر إلى محاولة قتله، غير أن من نساء رواياته اللواتي قطعن الطريق أمام جنونهن.

ربما كان في أعماقي شيء من ذلك، لكن مشكلتي أكبر قليلاً، وربما أصعب.

ليس في نيتي أن أجهز على واسيني الذي افترضته منتهياً في غيبوبته الطويلة، ولكني سأنتح نفسي حق الجنون الذي متحه لنفسه، ولا يهم إذا كانت النتائج وخيمة والعواقب غير محسوبة. فانا أدرك أن ما سأقوم به ليس هيباً أبداً.

سأنتشر رسائلتي ورسائله، وعليه أن يتحمل عسر اللعبة، لأنه هو مخترعها في الأصل، ويدرك جيداً أن السحر يمكن أن ينقلب على الساحر في أية لحظة. كان على بهلولان نيتشه أن يجد مسلكه لوحده وأن لا يجبرني على التدخل

القاسي: فهو عندما يصل إلى وسط الحبل، عليه أن لا يرجع إلى الوراء، أولاً، لأن رجوعه مستحيل، ثم أنه حتى ولورجع، لن يضمن وصوله. ولهذا، عليه أن يتحمل شظط المسافة المتبقية له بينه وبين نهاية الحبل الذي يرقص عليه. همست بألم ولم يسمعني واسيني.

تممت بصوت مكتوم، إنني أتهاوى داخل الصمت بالكاد التفتت إلي عيون المحيطين بي، قبل أن ينغمسوا في لعبة الحياة الصعبة.

أريد الآن، أن أصرخ على مسمع الجميع، بعد كل هذه السنوات الجميلة والمظلمة أيضاً، التي أمضيتها في عمق الصمت: يكفي حبيبي، تعبت يا واسيني، ليس منك فقط، ولكن من كل ما افترضته مسألة سهلة، الموت صعباً أكثر من الموت احترافاً، لأنك ترى نفسك كل يوم تفقد شيئاً من جسدك وروحك ولا تستطيع حتى أن تصرخ بالألم.

أصعب الميتات حبيبي، أن ترى نفسك وأنت تموت
ألسى النهايات، تلك التي يريدك لك من لا يحبك

ليعذرتي واسيني. ليعذرتي قدراً ما يستطيع. هذه المرة سأكون أنا، ليلي أو ليلي، لا بهم، بلحامي ودمي، ولن أكون مجرد قناع للتراجيدية الجميلة التي عشناها حتى الآن. لن أكون مريم التي افتكها من الدم، ونحت لها تمثالاً من تور الشمس الهاربة، ومن ندى الفجر الربيعي، ومن همسة أوراق الخريف، ومن ظلال العشاق المتخفين عن العيون الهمجية، سأكون باسمي الحقيقي الذي غيبه حتى لم أعد موجودة. وسألعب اللعبة نفسها التي بدأها، سأجعل من رسائلتي فراشي الأخير للحياة أو للموت، لا بهم، وضالتي في هذا النوع الخطير من اللعب. رسائل حقيقية. محزنة أحياناً، جميلة في بعضها، وقاسية في أحيان أخرى، ومؤذية. سألعب بها في أصولها، كمن يلعب بدشامب النار، لا كما حورها واسيني في رواياته وجعل منها مادة أدبية ليخفف من التصاقها بالحياة.

لست لوهبة، ولست أيضاً امرأة من قش أو ورق، ولكني حقيقته التي هرب منها دائماً وأن الألوان أن يختبر جرأته وقوته أمام سلطانها.

كل هذا يحدث في مدار شبه مفلق، يشبه السكريتوريوم في كل شيء.

قد لا يكون المكان الذي أنا فيه رومانسياً ومناسباً، ولكنه جميل لأنه مثقل بالأسرار، وغامض لأنه يشبهني أيضاً. أؤمن أن أمكنتنا وحقاتب سحرنا، تسببنا أحد لآخر لا تنام في السرايا أسراراً مثل أسرارنا تنبأ لنا مع رجل تعشقه لأول مرة. تتحول إلى طفلة وهي تبحث عن أكثر اللحظات حساسية وجمالاً في رجلها الذي تحبه. تختار ألبستها الجميلة، أقمشتها التحتية الخفيفة التي تعطي سحراً خاصاً لكل حركة تقوم بها، بحيث يبدو جسدها كغيمة في متناول اليد، ويصعب في الآن نفسه القبض عليه. وعندما ترمي بنفسها في جنون اللذة، يمر داخل تأوهاتنا ونفسها المتقطع، كل شيء بسرعة، ولا تعرف من منهما يتوغل في الآخر ويخرقه. الارتباك الطفولي نفسه، الحرارة نفسها التي تعبر الجسد عرضاً وطولاً، وكذلك الرعدة التي تشبه رعدة الحمى في أقاصيها التي تحاذي الموت.

قليل من الصبر. أنا لم أبداً بعد حكايتي.

لقد امتلأ السكريتوريوم الذي يسميه أولادي الكهف، حتى أصبح رياض نفسه يستعمل هذه الكلمة وهو لا يدري، عن غباء أو عن سوء معرفة، أنه كان يرميني في عمق الغموض الذي كان ينتهي بي دائماً في أحضان واسيني. في عمق الكهوف نشأت كل الممنوعات التي غيرت وجه العالم، القرآن في غار حراء، مقدمة بن خلدون في مغارة افرنذا، مغارة سرفانتس التي خرج منها أمير متين وأخبره ضد مختاركم القبطي المقدس وقد سطر سرفانتس من الوثوقيين وأصحاب البهمن الفارغ، ثم وقف يتفرج على الجميع، ولم يسمع أحد قهقهاته التي كانت تنتهي دوماً إلى حالة عواء. سيدنا موسى نفسه، قضى زمناً ينتظر في مغارة، الراحة المنقذة وكلام الله، ويبدو أن رحلة سيدنا المسيح عندما سيعبث، ستبدأ من مغارة أيضاً.

مصير البشرية كلها، معلق على مغارة بحجم الخوف. السكريتوريوم هو سري المتبقي، منه ستنبعث حقيقتي الأعماق

التي تخرج مني لأول مرة، لا شيء مذهش فيه. مجرد مكان صغير، مليء بالأغراض الكثيرة التي ليست إلا ظلالاً لما كانت عليه: رسائلي طبعاً، المكتب القديم الذي تخلص منه رياض ليشتري آخر أكثر حداثة وديزايين أحلى يمكن أن يستقبل به الآخرين من أعضاء الكارثيل، طاولة الأكل التي بدلها زوجي بوحدة أكثر طولاً وأكثر تجاوباً مع الديكور الجديد للبيت، ارتبطت بها بشكل مرضي لفتة لأن لي بها ذكري وامدة جميلة أكلت عليها أنا وواسيني في لقائنا الأول، بعد عودتي من جزيرة كريت. لا أنذكر أصلاً أننا أكلنا. كنت أسعد امرأة لأنني استعدته من جديد، وكنت أظن أننا افترقنا إلى الأبد، ولم أكن أريد ذلك. أريده أن يظل الصدر الحنون الذي أسند عليه رأسي، كلما شعرت أن جسدي لم يعد لي، وأن بعض يقينياتي العميقة بدأت تُسرق مني. رباني الذي إذا تخيلت عتبته، شعرت بأمن كلي.

مغارة ليبي

لن أدافع عن نفسي، ولست مستعدة لفعل ذلك حتى ولو اقتادني زبانية الأديان إلى ساحة الرجم. أمر مثل هذا لم يعد يشغلني مطلقاً. لو كنت في دولة دينية لطبق علي الحد أكثر من مائة مرة. ما زلت أؤمن أن أكبر خيانة تمارسها امرأة، هي أن تنام في حضن رجل لا تحبه، وأصعب فاحشة أن يفتح رجل قلبه لامرأة هو أول العارفين بكذبته. ولا شيء بينهما إلا ورقة نابلة مثل قلبيهما وقبيلهما. زنا يمارس كل ليلة على مرأى القانون والله والبشر باسم وثيقة عاجزة عن توفير قبلة صادقة

لقد تخيلت تلك العتبات الكاذبة، وأصبحت في مكان آخر، في منطقة أكثر حساسية وأكثر خطراً. قد لا يفرحني ذلك كثيراً. حتى عندما أمتح جسدي لرياض، فهو ليس له. الرجل الذي في رأسي هو عذري الوحيد داخل الفراش.

نسيت هناك أيضاً الكمبيوتر القديم الذي يصابني في هذا القبر الساكن. لقد تخيلت التكنولوجيا الحديثة، ولكن قلبي وحواشي وأصابعي ما تزال ملتصقة به. ما تزال رعشاتي الأولى، وغرق أصابعي، وخوفي، على ملامسه من أن يكتشف رياض أسرارته المخبأة فيه. ذاكرته محدودة، ولكنه يقوم

بالوظائف التي أحتاج لها. الكتابة تحديداً والموسيقى. اشترى لي رياض كمبيوتر آخر موديل، بذاكرة ضخمة، ولكني لا أشعر تجاهه بأية قرابة كانت. تحول إلى أداة للعب لمايا ويونس.

ثم عليتي الوفية التي تنام عادة في البنك واستحضرها كلما اشتقت لوجدتي. رسائلي القديمة مع واسيني، من لقائنا الأول حتى عيشنا الموازي، ومرضه الذي أسخله الفيضوية القاتلة، أو هكذا افترضت.

التراجيدية الكبرى هي أن تنام في أحضان رجل أنت لست معه أبداً

موسى؟

أتحسس هذه الكلمة على شفاه الكثير ممن يعرفون قصتي. اللحظة الوحيدة التي لا أشعر فيها أنني موسى، هي عندما أخرج عن النظام المفروض علي من فقهاء الزنا. طبعاً، لست مجنونة إلى الحد الذي يجعلني أضع هذا الصندوق في متناول رياض، لي خوفاً وأوقات جبني. أخبئه في البنك، وكلما وجدتني وحيدة، سحبته نحو هذا السكريتوريوم. على الرغم من احتياطاتي الكثيرة، أفكر من حين لآخر في الصدفة القاتلة التي قد تحدث يوماً، ويجد رياض الصندوق، عشقي الموازي بجروحه وخوفه وعطره. ماذا سيحدث؟ على الرغم من طبيبته وحيه لي، سينقلب رياض، في الثانية الأولى التي تعقب الاكتشاف، إلى وحش خرافي. لا أشك في ذلك لحظة واحدة. أعرق طمعة للرجل الشرقي هي أن تنام امرأته في فراش، غير فراشه. طبعاً هو لا يكلف نفسه عناء طرح السؤال على نفسه. يستطيع أن ينام في الفراش الذي يشاء بدون أن يتحرك شيء فيه.

عاش العدل، حبيبي. عاش الشرق

لا شيء يكسر الآن حالة هدوشي. وألمي الجميل

أعوم وسط هذه الرسائل التي يغلب عليها لونان: البنفسجي والأزرق. لا توجد من بينها رسالة واحدة بيضاء وكان بهاض العفة احترقناه أصلاً

..حزنه نهائياً من خلال هذه العلاقة الغريبة بيني وبين واسيني. بعض هذه الرسائل قديم طبعاً، والآخر حديث. البعض مكتوب باليد والقلم، ما يزال حبر الحبر البنفسجي، وحتى الصبني، يفوح منه، والبعض الآخر مسحوب من الإنترنت. وبعضه القليل رسائل نصفها مشفر، لا أحد غيرنا يستطيع فهمها.

www.rewity.com

^RAYAHEEN^

من سبين إلى كوراثون مينا

أين متديل الحريرة؟

الغالية... كوراثون مينا

القلب والعمر

أين أنت الآن وسط هذه الظلمة التي نزلت فجأة على المدينة؟ أين موسيقاك التي تملأني الآن، وتخرجني نحو الأفاضي البعيدة؟ تعرفين جيداً أننا كلما التقينا ووضعت الكمان على صدرك، في عذوبة مقولية، لا أستطيع مقاومة حضورك

أتمتع كمعاشق فقد كل الوجوهات.

- أريد أن أسمعك عمري!

- هل تريدني أن أنهيك؟ أخلص عليك، لقد أصبحت ذرات من النور، فماذا تريد أكثر؟

- أن أشعر بأنني أقرب إليك من نفسك. موسيقاك ترميني في مكان لا شيء فيه بك على قدمير ولا شيء فيه يفكر. مكان يغرق في النور وندي الفجر، الذي تحوله أشعة الشمس إلى قطع من البلور المتلألئ على أوراق الشجر الخريفية. أريد عمري أن أرى أناملك وهي تنسحب وتعود في حركة أبدية، تعزف على روح تميد داخل الأشواق الحبيسة. أريد بأنانية العاشق. أن أراك حيث لا عين تلمحك ولا يد تلمسك.

ثم تعزفين ويندثر كل شيء يحيط بنا، ولا يبقى إلا الأناث التي تأتي من أعماق الروح

أبحث عنك. المسك. تتبعثرين كقراشة هشة بين أصابعي أركض وراء

ذرات النور التي تحمل أنفاسك وروحك. أقبض عليها بصعوبة، فتضيء كهو في الدفينة.

أذكر كل التفاصيل الحية

أين متاديل الحريرة التي نشقت بها صدرك، ثم دقنتها طويلاً في قلبي وغطيت بها أنفي لكي تظل رائحة جسدك عالقة بي؟ كلما مر على وجهك الذي لا أستطيع أن أنعم تفاصيله الهاربة، بحثت عنك في رائحة عرقك التي توفد كل حواسي الحية، حتى المقتولة منها. بعض الحواس تموت بفعل التسيان. أراك بكل تفاصيلك تحت ألوان تلك «اللعبة» البنفسجية وأنت تتضاءلين حتى تصبحين ضوءاً أو غيمة عارية.

عندما تمددت على الفراش، نظرت إلى السقف قليلاً. اندهشت من اللون البنفسجي الذي كنت قد اخترته لوناً لغرفتي. ضحكت وأنت تتحسسين بحاسة شمك القوية، عطر البيت الذي كان يأتيك من كل الجهات.

- حبيبي، هل تدري أن خبراء اللون يصنفون البنفسجي كواحد من ألوان الشهوة. الغريب أنني كلما رأيته عندك، أشعر أنني في غابة من اللذة الموحشة والبدائية، ولا أستطيع مقاومة الذذات المتأتية من بعيد، من مهاوي الأعماق. أشعر بك الآن وأنا في هذا السرير، كأننا في حديقة الله المليئة بالبنفسج. أعتقد أن الله قبل أن يخلق البشر، أبدع الحدايق والزهور ليجعل من الحياة الصعبة أمراً مستساغاً ومقبولاً ومتحلاً. من أين لك بكل هذه الحديقة الإلهية الرائعة حبيبي؟ من أين جاءك كل هذا البهاء أيها الغالي؟

أذكر كل التفاصيل التي تأسرني الآن وتضعني في كف الشمس. وتطوح بي عالياً في الأعماق الملتهبة التي لا قرار لها

عندما نمنا لأول مرة في الفراش المعطر نفسه ولمست جسدك وشعرت بالعالم يتحول إلى لمعة برق ثبتت طويلاً قبل أن تتغلغل وتغير لونها، لم أفكر في شيء آخر إلا فيك كان من الصعب علي أن أصدق أنك أخيراً أصبحت

هنا. هنا بالضبط حيث يفقد اليقين وجوده، ويصبح كل شيء بلا شكل ولا لون

كنت داخل الدمشقة ولم أكن أصدق أنك كنت هنا، ههنا بين يدي. وجهي في وجهك، وصدري على صدرك وقلبي في قلبك. شفقتي على جمرته شفقتك، ونبضي وعروقي يختلطان بك لأول مرة أدرك أنني كنت قادراً على حبك بعينين مفتوحتين خوفاً من انسياق أية رعدة لم أحس بها

كنت تمسحين كل الحرائق التي كانت في قلبي وجسدي. وكنت خائفاً من علكك

تمتعت وأنت تبحتلين عن كلماتك

- حبيبي، كل هذه الألوان لي؟ ألوان الجنة، لي أنا وحدي؟ وحدي لا شريك لي؟ لا بد أن تكون هذه هي بالضبط ألوان الجنة التي خطبها الله من اجنحة الملائكة ومن هشاشتها. هذا السحر ليس لبشر أقلين مثلنا. من أين لك حبيبي بكل هذا البهاء؟ من أين لك بكل هذا السلطان المذهل على كل حواسي، أنا لم أعد أعرف نفسي؟

لا شيء عمري

لا شيء. أشتبه فقط أن أركض مغمض العينين وراء أجمل الفراشات التي تملأ حديقتنا الريفية، وأفطرها مثلما أفعل مع الزهور الهشة، وأجمعها. وأحذر من إتلاف ألوانها وأجسادها الناعمة. أربطها كلها مع بعض بخيط من النور وبأشعة الشمس، وأحممها بماء الزهر الخفيف، وأضعها في عبق كفيك. وأتعلم في أدنيتك اركبي عربة الفراشات. اركبي هذه الهشاشة، وأتركها تقودك نحو الجنة. إنها محملة بألوان قوس قزح وهذاهب العباد.

لم أنتبه كيف أقدمنا على ذلك الشيء. شعرت بألمك، ولكنني سمعت ناولك

- عمري... لا تتوقف. أريد أن أنتقم من العشرين سنة التي سرقتها

عني اليوم. أنتقم من كل خيباتي السابقة، ومن رجال عبروا الجسد دون أن يعرفوه لقد ظلوا على حافة لم يدركوا سحرها. أريدك كما اشتبهتك ونسنتك. لا تتوقف

يا ميمونة

- لا أريدك أن توقف هذا الهبل. لست شيئاً حبيبي خارج هذا الجنون. دعني أضحك ولو لمرة واحدة من غشاوة الغباوة التي بنوا عليها حروبيهم وأمجادهم وسلطانهم. لتدرك النواتي. قتلن بسبب غشاوة غطت على عيون الفتلة، وحجبت عنهم نور السعادة وسلطانها الجميل. إننا نسمع الآن نحببهم ومن يستعطفن قاتلن، بينما هو يرفع سكينه بلا رحمة، ويحز في الطرية التي تستسلم لغاتلها بنعومة وكأنها ترسم قدراً آخر لحياة

يا دانا مويجلا

كأنت أوراق الخريف تملأ أسطح وشوارع المدينة، وكانت موسيقى الليل

هل تتذكرين ماذا فعلت عندما قلت لك أحبك وأنت؟ قلت بلا أدنى تفكير أنا لا أحبك. ثم صمت قليلاً وأنت تتأملين عيني بمكر كررت الكلمة نفسها بعيزان أثقل. أنا لا أحبك. وفي اللحظة التي التفأت فيها نحو البحر لأصرخ بأعلى صوتي لماذا لم تتخلى عني يا قلبي في اللحظة التي كان يجب عليك أن تفعلني فيها ذلك؟ ثم قلت أنتظر يا عبيط إلى عيني جيداً ماذا ترى؟ ثم كررت مغمضة العينين. «واش تحب تقول لك؟ لا أحبك يا ميهول. ولكني نموت عليك». اسحب سؤالك الغبي قبل أن أغير رأيي. فهو يؤذيني. إذا لم تر ذلك في عيني، فكأنك لم تر شيئاً. بل لم تفهم شيئاً من هيلنا الجميل. كل شيء في جسدي يركض نحوك. حافى القدمين، باحثاً عن المبهمة الذي يهرب في عينيك. لا اسم له إلا وجهك ونورك وجهك أحبك. نحبك ونموت عليك ولو استطلعت أن أصرخ بأعلى صوتي أمام كل مخلوقات الدنيا، سأفعل الآن بكل ما أوتيت من قوة، بلا ندم. ولبات الفتلة إذا شاءوا، لا قوة تمنعهم سوى جنوني

- هل ترى شيئاً في عمق عيني؟

- أرى ما لا ترين؛

- متأكد؟ ألا ترى أحصنة حارية من شيء غامض هي نفسها لا تعرفه إلا من هدير؟ ألا ترى شمساً تستدفئ ببحر يهرب منها، ليس خوفاً ولكن دعواً من الاستسلام لها؟ ألا ترى امرأة معزولة في ساحل مهجور، تغزل أشواقها في انتظار سفينة تأخر مجيئها كثيراً؟

ارتعشت في مكاني، وتوغلت في كلامك. لم يكن كلامك نبوءة. كان أكثر يأتي من مقبرة الروح التي اندثقت فيها كل الأشياء الجميلة والرائعة.

- كل ذلك أراه. وأرى خلفه أشواقاً مبهمه ترتعش كلما وضعت يدي على وجهك، وأصابعي على قلبك. أرى سرياً من العصافير تريد أن تطير ولكن شيئاً يحكمها إلى ذلك الخيط الرفيع من أشعة الشمس.

- أليس حباً يا عمري؟

- أشعر أن الكلمة لا تستوعبه، مثل الموجة العارمة يأتي ويحتلني حتى آخر مسام في جسدي يملأني مثلما تغرق حديقة في أشعة صباحية تأتي من شمس ربيعية مفاجئة.

كان كل شيء فيك يناديني بلا جزع ولا خوف

شعرت عندما دفقت رأسي بين يديك، وجسدي في جسديك. في آخر الليل، أننا انتقمنا لمائة سنة من الذعر الخفي. ربما لقرون من الصمت والكذب والضغينة.

لك صمتي وقلقي وانتظاري.

وهراة ٤-٤-١٩٨٨

لا دم في يدي غير دمي حتى الآن.

كنت منهكة عندما دخلت إلى السكربتوريوم. لم تكن لدي فكرة واضحة عما يمكن أن أفعله، سوى استرجاع هويتي، ومعرفة سر تهبي الذي يعذبني.

المسدس البارد لم يبرح مكانه برصاصاته السبع، وظله الذي يعتمد عليه. هو الشيء الوحيد الذي كان بلا رائحة.

على الطرف الأيمن من المكتب، الكمان بقصبتها الخشبية المصنوعة من شعر أجود الأحصنة، مستلق على ظهره كأنه في غفوة المتعب. كلما رأيته، ساءت والذي الذي قضى العمر كله يعزف نشيداً بتيماً وحزيناً، كنت الوحيدة التي كانت تفهمه وتبكي كلما سمعته. كان الكمان كل حياته، صوته يعبرني لأن ويخترقني كشعاع شمس حاد:

- هاه! يا ليلي... تحتاجين إلى الكثير من الوقت، وفناعة صارمة بحب الكمان. الكمان لا يرضى بنصف الحب أو بريعه. لقد أمضيت العمر كله أفتش أعماقه وداخله الناعم والحزين ولمست حساسيته الكبرى تجاه النسيان. النسيان يقتل الأشياء ويركب عليها غباراً خائفاً. الكمان كالكائنات الحية، يخفئ أيضاً. كما ترين، ينقسم الكمان إلى ثلاثة أقسام. جزءه المجوف *Le manche*، أو صندوق التردد، الذراع *La caisse de résonance*، والأوتار *Les cordes*. الكمان الكبير يسمى الكامل، وهذا للعازفين الذين وصلوا إلى درجة الاكتمال. طوله بذراعه، حوالي ٥٩ سنتيمتراً هناك مقاسات متعددة. وصناعة الكمان ليست معقدة لأي شخص. هناك أنواع كثيرة، لكن أفضلها طبعاً استراديفاريوس *Stradivarius*. هناك عائلات أخرى أتقنت هذه الصناعة كعائلة عماتي *Amati*، وغوارنيري *Guarneri*، وغيرهما. الكمان من النوع استراديفاريوس. من الخشب السويسري الكريم، ويزن ما بين ٣٥٥ غرام و٣٩٥. خبيلته الأربعة يجب أن تدورن على مستوى رأس الذراع بواسطة المراكز. حلقات التمديد تسمح بجذب كابل للأوتار. وضع اليد اليمنى مهم في الكثير من الحالات. فهي التي تحدد الفوارق بين الليفاتو *Legato*، حين



- هل ترى شيئاً في عمق عيني؟

- أرى ما لا ترون!

منافس! ألا ترى أحصنة شاربة من سماء عامض هي نفسها لا تعرفه إلا من شيرد! ألا ترى شمساً تستدفئ ببحر يهرب منها ليس خوفاً ولكن دعواً من الاستسلام لها! ألا ترى امرأة معزولة في ساحل مهجور، تغزل أشواقها في افتقار سفينة تأخر مجيئها كثيراً!

ارتعشت في مكاني، وتوغلت في كلامك. لم يكن كلامك نبوءة. كان أكثر. يأتي من مقبرة الروح التي اندثقت فيها كل الأشياء الجميلة والرائحة.

- كل ذلك أراه. وأرى خلفه أشواقاً مبهمة ترتعش كلما وضعت يدي على وجهك، وأصابعي على قلبك أرى سرباً من العصفائر تريد أن تطير ولكن شيئاً يحكمها إلى ذلك الخيط الرفيع من أشعة الشمس

- أليس حباً يا عمري؟

- أشعر أن الكلمة لا تستوعبه. مثل الموجة العارمة تأتي ويحتلني حتى آخر مسام في جسدي. يملأني مثلما تغرق حديقة في أشعة صباحية تأتي من شمس ربيعية مفاضلة

كان كل شيء فيك يناديني بلا حزع ولا خوف

شعرت عندما دفنت رأسي بين ليريك وجسدي في حساك في آخر الليل انسا انتقمنا لعانة سنة من الذعر الخفي ربما لغروب من الضبط والكذب والصغينة

لك صمتي وللقي وانتظاري.

وهران ٤-١-١٩٨٨

-٩-

لا دم في يدي غير دمي حتى الآن.

كنت منهكة عندما دخلت إلى السكريبثوريوم. لم تكن لدي فكرة واضحة عما يمكن أن أظله. سوى استرخاع هويتي. ومعرفتي سر تفهني الذي يعبرني المسدس البارد لم يبرح مكانه برصاصاته السبع. وظله الذي يتمدد به. هو الشيء الوحيد الذي كان بلا راحة.

على الطرف الأيمن من المكتب، الكمان بقصبتها الخشبية المصنوعة من شعر أجود الأحصنة، مستقل على ظهره كأنه في غفوة المتعب. كلما رأيته، تفرقت والذي الذي قضى العمر كله يعزف نشيداً يتيماً وحزيناً. كنت الوحيدة التي كانت تفهمه وتبكي كلما سمعته. كان الكمان كل حياته. صوته يعبرني لأن ويخترقني كشعاع شمس حاد:

- ها! يا ليلي... تحتاجين إلى الكثير من الوقت، وفناعة صارمة محب الكمان. الكمان لا يرضى بنفسك الحب أو بريعه. لقد أمضيت العمر كله أفتش أعماقه ودخله الناعم والحزين ولمست حساسيته الكبرى تجاه النسيان. النسيان يقتل الأشياء ويركب عليها غباراً خائفاً الكمان كالكائنات الحية، يطردني أيضاً كما ترون. ينقسم الكمان إلى ثلاثة أقسام: جزء المحوof La caisse de résonance، أو صندوق التردد، الذراع Le manche، والأوتار Les cordes. الكمان الكبير يسمى: الكامل. وهذا للعازفين الذين وصلوا إلى درجة الاكتمال طوله بضراعه حوالي ٥٩ سنتيمتراً هناك مقاسات متعددة وصناعة الكمان ليست معطاة لأي شخص هناك أنواع كثيرة لكن أفضلها طبعاً استراديفاريوس Stradivarius هناك عائلات أخرى انضمت هذه الصناعة كعائلة عماتي Amati، وغوارينيري Guarneri، وغيرهما. الكمان من النوع استراديفاريوس، من الخشب السويسري الكريم، ويزن ما بين ٣٥٥ غرام و٣٦٥. خيوطه الأربعة يجب أن تدورن على مستوى رأس الذراع بواسطة المراكز. حيلقات التمديد تسمح بجذب كاف للأوتار. وضع اليد اليمنى مهم في الكثير من الحالات. فهي التي تحدد الفوارق بين الليقاتو Legato، حين

يدع العازف القصبة تتزحلق على الأوتار بسلاسة، والسناكاتو Staccato. وهي على العكس من ذلك، الضربات الجافة والمفصولة عن بعضها البعض، التي تتم بواسطة حركات القصبة، والبيزيكاتو Pizzicato. وتتشكل عندما يعض العازف بأصابعه، بشكل خفيف، على الأوتار...

كان مسحوراً بكل كلمة يقولها، أراه وهو يأخذ كل شيء بجدية نادرة. بإصراره الدائم، جعلني أفكر مثله بعد أن أدخلني في هوسه الموسيقي المجنون. كان سي تاصر طيباً وملتجئاً بالحنان. قبل أن تسرقه مني سكتة قلبية، ظل طوال ما تبقى من عمره، يحلم ببلد آخر، بلد أجمل ميال نحو الحياة، قادر على نسيان الحروب وماضي الفار، بالموسيقى والحب. كان آخر الرومانسيين القادمين من حرب دموت كل العواطف المتبقية، التي ظلت تقاوم عواصف الأحقاد والضغائن. كان يريد لأبنائه وذويه، قليلاً من التاريخ، والكثير من الحكمة والموسيقى. لكن الورثة سرقوا منه كل شيء، حتى موسيقاه الخفية، أصعب ما فعله الورثة بعد ١٩٦٢، أنهم قتلوا بذرة الحلم الأولى، وحولوا الأرض المشبعة بالدم والخوف، إلى ربح ثابت، وعملة صعبة، وملاذئ وقصود ومصالح، ثم إلى كارتون محكم يدور به سيد من فؤاد ملتهب دوماً.

عندما أغادني خالي إلى الميت وسخمني من المدرسة يومها كنت حرة لأنني كنت أعرف أن وراء ذلك شيئاً خطيراً وأنت لاحقاً فرداً منكسراً على الكمال، والقصبة في يده اليمنى، طنبته يفكر في المشهد القادم كما تعود أن يفعل. جلست قبالة وأنا أنكي قلت له بابا اعرف لي مشهد المارحة فقد احبته لانه يثير شيئاً غريباً وغامضاً في حواسي لم يعشني وبقي منكسراً كزوت مرة أخرى كانت كل العيون منصوبة بحوي طنبته غامضاً من شيء منهم يحمله معه منذ زمن بعيد لكنه لم يود عليّ قلت له، كما تعودت ان أفعل عندما يكون حزينا، بابا حبيبي، لقد غادرت المدرسة من أجلي، فقط لأسمع تشويك، ظل صامتا، لغت من مكاني، عندما اقتربت منه ورفعت رأسه قليلاً، كان غارقاً في ابتسامة لم أعرف سرها سوى احتمال أنه ذهب وهو يفكر في شيء جميل.

يكبت لأنني يومها شعرت أنني خسرت نداء نقياً كان يحفظني من الانكسار وبين نفسي، حتى وهو في أقاصي المرض لم يمنعني من موسيقاه.

لم تلتفت لي الحياة، ولكنها كانت منشغلة بترتيب أدوار أخرى، لناس آخرين.

كل شيء كان مرتباً كما في يده الخليفة: الخسارات الآتية، الخوف الميطن، الليل والعزلة، والشك في يقين الحياة نفسها.

يبدو أن الوحدة تليق بهذا العنقوان الذي لا أحد يحسه غيري.

تمتعت وأنا أتوقف عند رسائلتي القديمة التي كانت السبب الأولى في هذه القصة هي لغتي الخفية وعنادي تجاه حياة لم تكن دائماً طيبة معي.

عندما أخبرت واسيني يومها أن عناده لا يفيد أحداً منا، وأن زواجنا ليس شيئاً جديداً ولكنه مجرد تجربة مضمونة قليلاً. لم ينتبه لخطر ما كان يفعله. لا أدري إذا كان صيباً، ولكنني أحمله كل تبعات ما حدث فيما بعد. كان مهووساً بجان بول سارتر، وسيمون دوبوفوار، والبير كامو، وكيركيغار، وبنيتاله، ومجموعة أخرى من المثقفيين الفرنسيين واليهود الذين في لحظة سيئة صيرحت: بلع أبو سارتر ودوبوفوار، هما على الأقل كانا في مجتمع يسمح لهما بالعيش مع بعض بدون ثوابت مسيحية، ولا أية صفوط مجتمعية. وليس إذا بقوت مفت علماً، سأصبح سحر عادية في عيون أهلي، قد أحسبني وحيداً وربما حصل أحدهم سكية وبقيت في جسدي دفقات عن شرف لا يتكرر إلا عندما يتعلق الأمر بجسدي وبسبي جسدي بمرغبة يومياً فيما لا يحسنه إلا الله ولا البشر لكن واسيني كان معلقاً مثل باب بيت قديم، لم يأبه بمرغباتي الداخلية وسرني كان في قارة أخرى لا كان فيها إلا هو.

- واسيني أرجوك، لا تكن أحمقاً

هز رأسه ثم مضى نحو تيهه، كان كل يوم يصنع قليلاً حريقاً مدرساً، لم يكن يدري مخاطره ولا مزالقه.



مثل ينام قدير العين في دوائره النظرية، ونسي أن كائنًا حياً كان يموت في فراشه كل يوم قليلاً، مسألة مثل هذه يعاقب عليها القانون. تسمى في الأعراف الدولية: Non assistance à personne en danger. أحس باللاجدوى، فأعود إلى الانكفاء على نفسي. كان بعيداً، وكنت أبكي في كل ليلة لأنساء فقط، وأتمكن في النهاية من أن أكون لغيره

-٢-

«ها أنا ذي، مريم، كما شاء لي واسيني في رواياته، لا كما شاءت الأقدار، ومحا بجرة حب مجنونة، اسم ليلى من الوجود. فجأة أصبحت أنتمي لاسم آخر لا أدري كيف شق صدري في البداية واستقر به، حتى في رسائله التي تكاثرت منذ أن قلدا بعضنا البعض، بجدية قاسية لم يكن يتصور هولها».

عذراً مرة أخرى أني نطقت باسمه عارياً، وأنا التي حاولت منذ أكثر من ربع قرن أن أخفي الجريمة. لقد أوهم الجميع باسم مريم وكأنها كانت بشري، وهي ليست أكثر من امرأة ورقية جاءت على أنقاض امرأة حقيقية. بنية مبيتة أو طيبة، سرق مني واسيني اسمي الحقيقي، وطوح به في الفراغ المميت، واشتق لي اسماً أكل كل شيء في داخلي وسرق مني هويتي وحتى ألسني

جريمتي من هذه الناحية مبررة على الأقل. لست سادية أتلدز بآلام الآخرين.

ليس معتاداً في العرف العام أن تقتل امرأة من لحم ودم شخصية روائية مليئة بالسر والغواية. أنا الحقيقة وهي الوهم؟

افترضته انتهى في غيبوبته القلبية، لاشيء، سوى أنني احتاج إلى حالة انفصال عنه لأشعر أنه عليّ أن أحمل كل شيء وحدي، ويمكنني أن أتخذ أكثر القرارات خطورة بدون استشارته. لا خيار لي سوى الانتباه من مريم في أقرب وقت ممكن. لقد سحقت كل شيء فيّ وحولتني إلى لاشيء. لا أدري

عبد. دخلت إلى حياتي كالسوسة، ولا حتى كيف قبلتُ بها بعودة غريبة. بما أنني كنت عبيطة وظلت أرى فيها الشخصية الورقية الطارئة في حياة واسيني. شخصياته النسوية كثيرة، لم يبق منهن اليوم الشيء الكثير إلا ما يحفظه ذاكرة القراء: كليمنس؟ فتنة؟ زوليخة؟ مايا؟ زهور؟ دنيا؟ جينا؟ سيلفيا؟ أناطوليا؟ وغيرهن... ربما لأن واسيني أغراني وهو يتكلم عن مريمته السابقة، مريم الطفولة الهاربة، في قريته البعيدة. مازالت ملامح وجهه أمامي تنفوس في عمق الحكاية وكأنه أمامي يتحدث بجديته المعهودة، المبطنة بكم هائل من السخرية

- لقد شرفت مثلما تسرق وردة من شعر غجرية، بغف ولا مبالاة، لا بأس من مريم اليوم، سوى أنها كانت جميلة وممتلئة كحبة قمح، وابنة شهيد ووحيدة العائلة، بيضاء كصباح ريعي في قرية على ضفة بحر موحش. لم تكن تراها إلا في لافونتين^{٢٢} أو السفاية، التي كانت مريم ترتادها كما تفعل جميع نساء القرية من أجل غسل الحبوب، أو الأليسة قبل أن ينسحب منها مساء، ليحتلها الرجال، عندما يعودون من الحقول المجاورة، من الدرس والحصاد، لتوريد الحيوانات والاستحمام بها. كنا نجلس على حائطها العالي قليلاً، كالغريبان الصغيرة، بعدما نملأ شعورنا المعجدة بالصايبون الذي يحافظ على ملاستها وثباتها ونستحم بعطر بلوم- بلوم^{٢٣} الرخيص، والقوي الرائحة الذي كان يستعمل أيضاً لتعطير جثث الموتى ونصوب أعيننا جميعاً تجاه مريم المنكفة على شيء تغسله أجمل يوم كان. عندما تغسل القمح، تضع الحبوب في إناء حديدي واسع مزروع في الأصل قاع برميل. تكب الماء على القمح، ثم تدخل برجليها في طقس غريب تبدأ في حركات متعالية، جيئة وذهاباً، وكأنها ترقص رقصة القمح كنا نسهبها، تتلوى بجسدها طويلاً، تتمايل. يسعفها جسدها الغض، ترفع عبايتها حتى الركبتين تظهر جلياً ساقاها البيضاء كشمعتي الأولياء الصالحين ترفع شعرها قليلاً، فيبدو واضحاً وجهها الذي يحمر كثيراً، قبل أن يتخفى ليظهر مح جديد مبرزاً عن عينين واسعتين مليئتين بالغواية الشيطانية التي كانت تنفذها. ابتسامة مشرقة، بدون أن توفد حركاتها المنزلة على القمح. كانت مريم ذكية، وتعرف كيف توزع ابتسامات الشهوة

الطفولية على كل واحد منا. وتعود إلى بيوتنا القصدية في أفنسي السعادة، ممتلئين بنظراتها كل واحد بروي غمرة مريم، أو ابتسامتها، أو ضحكاتها، أو حركة شعرها، أو التفاتتها المليئة بالسحر والأسرار، أو ثيابها باتجاهه. كانت مريم سحر القرية، وجمالها الدفين ورغبتنا المحروقة كنا نخلخل يوماً ألا تأتي للسفاية فجأة غابت مريم، وتركنا وراءها فراغاً مخيفاً. عوضاً غيابها بالحكايات التي لا تتوقف حولها. تزوجت بالقوة، من ابن عمها الذي كان وجهه قريباً من وجه الذئب فروي مساءاتها الحزينة مع الحرب احتلت قصة سمينها مريم والذئب، ونسبنا برووس كل الأولياء الصالحين أنها ليست خيلاً، ولكنها من رحم الحقيقة، تنافسنا في الشير مغامرتها المستيفة ضد شغل راحته لحوالات، ثم فجأة، كبريا وافتقروا الجميع، وفلتت مريم في صورتها الأولى، طفلة مليئة بالفنح والبراءة تزوج أصدقائي وبقيت مدة طويلة أعزب. أتعيد أخبار مريم، هل مازالت مع الذئب. أم أنه أكلها، أو أنها قتلتها؟

- أي حظ حبيبي لامرأة عشقها كل أطفال القرية؟

- لا تدري إذا كنا نعشقها حقيقة، أو أنها كانت استحالتنا الجميلة، وأنها كانت تختزل كل شهواتنا وتاريخنا القروي. وأشواقنا كانت كل ما كنا نشتيه. ولو طلب من أي واحد منا قتل الذئب، ما تردد؟ لكن الذئب كان ابن عمها وكان أولى بها من غيرد أكثرنا نظروا كان مصطفى الذي لم يقاوم غيابها طويلاً وحاول الانتحار مريض، قبل أن يفلح في العزلة الثالثة قبل اندب، وها هي أمد الأخت علهنا يعجب الذئب نحو الأسواق تأتي مشغولة في السوق تلك على قبر مصطفى طويلاً تنقيه من أية عيب صار تضع مالايتها على المساعدة يدو وجنبا الصبح عليها بالنور، ونغمس على شعرها الفحامي أشعة الشمس الربيعية فيصبح أزرق متلألئاً يبكبه طويلاً، ثم نردي مالايتها ونسحب في صمت كنا في أعقابها نلعل أيضاً من موت مصطفى ومن شجاعتها على الانتحار كال أكلنا تلاما وانثربا صبا لمريم..

وجئت قصة مريم طويلاً وحسيلة وعريضة أجمعت طغولها وبناتها

سني شجاعتها باختراق كل الموانع، والتوغل عميقاً داخل المقبرة. ولكنها - تكن تشبه مريم الروايات في شيء، لم تكف مريم المجنونة التي خرجت من جسدي وأوهامي، بأن أزاقتني ولكنها أرادت دفني وأنا حية؟

يجب أن يعرف العابرون نهاية «الناحية»^{٢٥}، كما كان يقول الأجداد، قبل يحكموا ويعودوا إلى وسائد نومهم مظلمتي القلوب والعيون.

لا هوية لي! وهل سأقبل بهذا الوضع الصعب؟

جلوسي وسط هذه الكومة من الرسائل والقصاصات، والمسدس المفتوح السيف، والحقائق لا يبرهنه سوى شيء واحد أن أفزع نفسي بأني لست امرأة من ورق وخشخاش، ولكني كائن حي كبقية الخلق، تألم كثيراً حتى جعلني حافة الحزن تحت وحش تبارا وسر. ولكنه لم يكن له أن يلحق بي بخساراته، ما دامت أفراده الصغيرة قد سرقت منه في زمن مكن.

لست مريم التي اشتهاها الجميع، ولم تشته نفسها

لست امرأة الأنوفة والرقبة الغائضة

لست حنين الرجال القانئين، ولست مخبأ الآمهم

لست العذراء، وحبيبي لم يكن مسيحاً منزلاً.

لست الألمي، عندما نغرق الأبي إلى الواحدية

هل يمر الزمن فزويها في زوايا وأبوابي، أن وراء سحر اللغة المدايق تخليها حشداً تغلغل بكل مسافة تتجسس، كبريت غائصة هوية أسوأ نسها لا يبرهن أية حاجة سوى شهوة الحب المستحيل أبلي، أو ليبي كما كان يستحي والحق

لست مجنونة، فأنا في كمال قواي الطافية، بل في أكثر حالات صفائي القليلة، ومستعدة أقل شيء، بدأني رائحة عذريات القنلة التي يترصصون بي وبه.

حزينة لأن الشعر التي تعلقت حياءاً بمرأة استباحها الدنيا، ولكني مفعمة

يمكن للذي يعرفني، من الآن أن يتخلى، عن قراءة رسائلتي ورسائل واسيني، وأن يرمي بهذا الكتاب الذي أضعه بين أيدي الجميع، عرض الحائط أو حتى في قلب النار، لأنه يستفز في أعرق نقطة ويرفض التواطؤ ولأن ما سأقوله لا يسر أحداً، لا أنتظر الشيء الكثير ممن يحبطون بي

أنتظر فقط أن يفتح البريد المركزي، لادفع بهذا الجنون إلى النشر

طبعاً، ليس هذا هو المهم الآن.

المهم، هو كيف يتحول الكاتب إلى مجرم ليس فقط بقتل أبطاله، فهذه الصورة قديمة ومعروفة، مارسب عنده الكتب، ولكن أن يقتل الملكات كنساء حياً، وينشئ من نفسه الأخير امرأة ورقية؟ ثم كيف تقوم المرأة التي تتخفى وراء رصاف الورق، وتنتقم لنفسها من الجميع؟ هذا هو بيت القصيدة.

اليوم، عندما أعود إلى رسائله، أسترجع شيئاً فشيئاً وجهي الذي غاب وسط ضباب مهم اسمه مريم. لم أعد أعرفه، بل إنني لم أعد أريده ولا أحبه. مع أن قصتنا بدأت لطيفة، أول مرة ناداني فيها باسم مريم لم يكن لي حقد على، ولأنني لم أكن من حبيباته، كان واسيني يستمر أن يقوم بحيد عني بأقصى راحة، وكانت مريم وسيلته لفعل ذلك

إلى اليوم لا أعرف من السجرم الحقيقي، واسيني؟ أم القراء الذين لم يثنوا للعبة، وجعلوا من مريم امرأة الاستثناء؟ أم أنا التي تخليت عن اسمي طواعية، وقبلت باللعبة منذ البداية ولم أعرها أي انتباه، ورضيت بتحويلها إلى قناع يحميني من عيون البشر والقتلة، وربما حتى من نفسي؟

أقلب الأوراق.

رائحة الرسالة القديمة ذات الغلاف الأزرق، تأتيني غريبة وتقتحميني. كانت الليلة معطرة بشيء يشبه رائحة النباتات البرية، هي الرائحة التي تزيد من شهرتي كلما دخلت إلى قراشي.

نجاة، بدا لي ذلك الزمن قريباً من قلبي ومن عيني، وكان بدأ قوية وضعت أمامي بنفضه، وخوفه، ورعاشاته المتتالية، وموسيقاه الدفينة. لم تكن هناك أية قوة تمنعني من الإحساس بالبعث الذي كان يؤذيني. لم أستطع أن أغفر له كل حماقته، وإلى آخر يوم من حياتي سأظل أتذكر لماذا ركب رأسه وتنازل عني لغريم لم يكن شيء يجمعني به سوى رغبته في الزواج مني، ما الذي كان يمنع واسيني من أن يغمض عينيه ويتركني أقوده نحو مرفأ كان موهلاً لأن يمنحنا الحياة؟ كنت اتفقت بيني وبينه أن نغترق متى شعرنا بالغفور يدخل قلبينا وسريرنا. كبار ونستطيع أن نترك بعضنا بتسامح، وبلا ضجيج. نطبق مشروعه المجنون في الزواج بعقد محدود المدة! لكنه لم يسمح إلا لأندية قليلة في أندية كسرت كل نور في شبهة وعلمي وسحبنا شيئاً فشيئاً نحو مرفأ مظلم، كان علينا أن نكابد ونجاهد على مدار شهر من ربيع قرن، لكي نجعل الحياة مستساغة أمام خطر الإغناء الذي كان يهددنا، وفي كل لحظة.

عندما امتلأت عياني ظلاماً ودماً، لم أكتب له رسالة، ولكني كتبت لغيره. أ يشبه تقرير نيكوس كازانتزاكي إلى جده ليس بالتبني ولكن بالرغبة والجنون، غريكو^{٢٦}. قلت ما كان يملأ قلبي وجسدي من نور، وحمم حارقة، وصخور بركانية ملتهبة، وهشاشة، لم أستطع المحافظة عليها كما أحببت.

هل كان واسيني يشتهي مثل الساموراي، أن يتخذ قرار موته بيده، عندما سد الأبواب كلها، ويدعوني في حفل حميمي وسري إلى حمل السيف المقدس للإجهاز عليه في لحظة تردده أمام الموت؟

هل كان كذلك؟

ريما... ولكنني سبقتني إلى وضع السيف في يده، فكنت أنا المقتولة، وكان هو السيف برضاي الكامل.

من مريم إلى سيزن

آية فجيعة كنت وراءها أيها المجنون؟

أيها البعيد القريب.

حبيبي

إضرابات الأطفال كانت عتيقة لقد كسروا كل ما جاء بين أيديهم
مات منهم الكثير. سماعهم ناس المدينة، شهداء الخريف أو ضحايا أكتوبر.
لأول مرة يموت الناس على أيدي ذويهم. لم يكن القاتل من بلاد أخرى
شيء في البلاد يتكسر وكان الناس فتحوا فجأة أعينهم على فاجعة كانت
تتهبأ في الأفق. كثرت الإضرابات ولا أحد يعرف إلى أي شيء ستنتهي! بدأ
الخوف بأكلني من الداخل، ليس على نفسي ولكن على هذه الثروة التي لم
نعد نفهمها، ولم تعد هي أيضاً تبذل أدنى جهد لتفتيش أحراننا ودواخلنا
التي شاخت بسرعة. أين البلد السعيد الذي بشرنا به بعد الاستقلال؟ بدأت
أرى في الشوارع فلولاً من البشر ما هم بأقنان ولا بهنود، بدؤوا يملئون
الساحات الكبرى، يقال إنهم من بيشاور وكابول، جاؤوا لتعلمنا الإسلام
النقي والمصحح!

لأول مرة أشعر أنني خائفة على أرضي خائفة من شيء أحس به وبالكاد
أراه.

دعني من هذا الخوف الذي يكبر كل يوم قليلاً، وتركني معك أيها
المجنون

أنت لا تدري مقدار الخراب الذي أهديته لي دفعة واحدة!

هل كنت جاداً عندما طلبت مني أن أكتب لك ما في قلبي؟ هل وصل بك
النسيان إلى هذا الحد؟ تريد رسالة أم تقريراً عن إخفاقي في نسيانك، أم
موجة صاخبة تضع بين عينيك ما تكون قد نسيته أيها الأحقر؟

كم أحبك، وكم تزداد بعداً في هذه الدنيا الظالمة. شيء ما يقودني
تحرك بشكل أعمى كلما اتخذت قراراً بتركك و بعدم رؤيتك نهائياً أريد
بالفعل أن أرتاح منك وأن تتخلص مني نهائياً لكي تعرف كيف تعيش. ماذا
فعلت لي؟ ما سر؟ ماذا أكلت من يدك أو من جسدك أو من روحك؟ أشتبهك إذ
أتركك، أخاف عليك من حماقتي وأرتياكاني وأنا معك، لا أعرف لماذا أفتح
أبواب الكوابيس والأحلام وأفتش عنك في أكثر الزوايا ظلمة عني أجرك
و«أوشوش» في أذنك أحبك: ربما لأنك تشبه والدي في هشاشته وحتى في
جنونه!

ولأن رياض كان لا يشبه والدي في سخائه، فقد كرهته، وأوصدت كل
الأبواب المؤدية إليه، وفتحت كل نوافذ الصغيرة نحوك لراك وحدي عندما
أشاق إليك

ستسألني لماذا كل هذا الحنين؟ وستقول لي إن الحنين مدمر وعيشي
لأنه يسجنني في الوهم ويحرمني من الحياة ومن إمكانيات أخرى! لا أملك
أجوبة سوى أنني أحملك مسؤولية الخراب الذي لحق بسعادتنا. لا أنفطر
أجوبة لحبرتي. فأنت منذ زمن بعيد اخترت أن تفكك الفلسفة الوجودية
والأسئلة التي لا تقضي إلا إلى مزيد من الخسارات والصمت. أحبانا أنماضي
في خيالاتي وأقول لو كلمتني رامبو الهارب من ظله، وأنا نازلة إلى السوق
الشعبية، سأصفعه ولن أكلف نفسي شرح السبب، هو يعرف جيداً لماذا
فعلت ذلك. إذا وجدت كافكا، وأنا أدخل المطحنة القديمة في المدينة، جالساً
يتمتع ظلال أذرعته الهوائية، سأفرغ عليه كيس الطحين لأنني قضيت هناك
وأنا صغيرة، يوماً يكامله أقرأ هيله القريب المسخ لو صادفت سارتر في
المعابر الخلفية للمدينة، لن أكلمه، ولن أحضر درسه. وسأضع المسامير
في طريق نيتشه الذي يسلك كل صباح المسلك الضيق الذي يمر بالقرب من
بيتنا، وسأفرغ هواء عجلتي دراجته التي يمتطيها وسأشبح بوجهي عن

ليبين عندما يسألني عن محطة الباص أو القطارات، سأنتقم منهم واحداً واحداً لأنني أشعر أنهم كانوا وراء خرابتي بعدما أتعطل وأهدأ وأضحك من نفسي «وين أنا؟ وين هم؟» أنت كذلك أحياناً تشبه والدي، ولهذا أصاب بحالة هبل كبيرة ليعدك عني، فقد قلته ظلمة الحيرة المستعصية ومقاطعة الشمس والهواء. لن أكلّمك لأحصل منك على جواب، فهناك الكثير من الناس في الحياة تكفي لوحدها كجواب، وأي اجتهد بعد ذلك هو كلام زائد.

لماذا تركتني أذهب نحو الحماقة مفتوحة القلب والصدر؟ ألم يكن بإمكان طولك وقامتك أن تسد في وجهي متحدرات الإنزلاق؟ لماذا تركتني أذهب مغفضة العينين نحو حقيقي؟ لماذا خفت سحرك عندما أخبرتك بأني سأتزوج؟ ربما لأنك كنت تريد أن تحل عقدة ضميرك تحوي وتتخلص مني وتقول «ما عليكش» هذا خيارها، وما علي إلا أن أقبل به؟ كنت تكذب على نفسك، وأنت تعرف ذلك جيداً

أحملك الخراب الذي لحق بسعادتنا. ماذا لو تزوجنا، ستقول لي بنفسك الوجودية المعبودة. لم نتفق على تقييد حريتنا، ماذا يساوي الكلام أمام الخسارات الكبرى التي لا تعوض؟ لا شيء نعرف لا شيء. أنا أعرف أنك كنت تكابر، وأن قلبك كان منكسراً وأنا أخبرك بعزمي لأحرك غيرتك. كنت أنشئني أن تلعنني، أن تضرب رأسك على الحائط، أن تمزقني وتمزق أطرافي مثل الدمية، أن تأكلني إذا شئت، أن تقعني بكل النعوت التي تشتهي، ولكن أن تقول لي كلمة واحدة فقط أحبك وأريدك. في حاجة ماسة إليك. ابقى أرجوك. أو حتى لا ترجوني، لست في حاجة إلى الاعتذار. لو فعلت ذلك، لتركك كل شيء بدون أدنى ندم وتبعك نحو حقيقي إذا استدعى الأمر. ولكنك بقيت صامتاً تقاوم بكبرياء منكسراً، ورجولة زائفة. ركبت رأسك. اسمح لي، في هذه لم تكن مختلفاً عن غيرك أبداً. أنت الذي ظل يقدس الاختلاف. كنت تشبه كل الرجال، ولم تستثن نفسك، كعادتك من الاندراج داخل المنظومة. يوماً، عندما خرجت إلى الشارع رأيت كل الناس يشبهونك مع أنني قبل أن أدخل إلى البيت كنت أراك متميزاً وفريداً. كم تتغير الأشياء فينا بسرعة جنونية؟ لا ألومك. ربما كنت على حق في نهاية المطاف من أنا بالنسبة

لك؟ لا شيء، امرأة كسائر النساء، أقل جمالاً وتكاء ممن عرفتهن قبلي وربما بعدي. عيبي أنك أول رجل في حياتي شعرت به حقيقة على الرغم من خسارتي السابقة مع رجال آخرين، وما هي ذي صورتك كل يوم تختصر جزءاً من المسافة الفاصلة بينك وبينهم. كنت أول إنسان اخترق جميعياتي بدون أن يشعرتني بعقدة الذنب أو لعن جسدي وحريتي معه لهذا. عندما احببتك لم يكن لدي حلم آخر سوى البقاء معك حتى الموت الزواج! أين الخطأ يا ربي سيدي؟ أننا لم نتفق من قبل؟ ما المانع أن نتحدث حوله اليوم ونتفق؟ عفواً أعذرتني، أنا أعذري. امرأة لا تطاق ولكن لا أحد يستطيع أن ينكر عليها طفولتها وصدقها

أعرف، بل متيقنة أنك أنت كذلك كنت تحبني ولكنك كنت جباناً، وغيوراً على مفرداتك وفنستفك أكثر من غيرتك علي. الله غالب هكذا. في لحظة من اللحظات فضلت علي كتبك وأثانيتك الثقافية ونسيتني ولهذا أعتك شوقاً وزعلاً وحينئذ في كل صلواتي، وأرشدك بحبي ويحزني لأنني أخفقت في كل شيء معك، حتى في الحقد عليك «ما عليكش، أنا ما نعرفش نزعف»... ربما لأنني كذلك، لم أعرف لا كيف أحافظ عليك ولا كيف أحبك

تعاليني حبيبي اليوم على فسوئي تجاه نفسي وتجاه الحياة وتجاهك! تلومني على رغبتني في الزواج! أريد أن أرى أبنائي وأن أذهب وأنا شبعانة منهم، هل هذا كثير علي؟ لا أريد أن يحصل لي ما حصل لأمي، ذهب أبي وهي لا تعرف إذا ما كان يجب عليها أن تحقق عليه إذ لم يترك لها فرصة الحلم بحياة أفضل، وفل رهبين تاريخه الميت!

ياها؟ ما أفسى صمتك؟ ماذا يجب أن أفعل لانهك أنك تعانني، وأنتي أريدك وأشتيهك، ولكني أرفض أن أكون امرأة موسمية، صحيح أنني امرأة أنانية ولكنها تحبك، لا تنس هذا. لماذا تبخل علي بشيء يمكن أن يمنحه لي أي رجل، يكفي أن أرفع أصبعي. لكنني أريد كل شيء منك لأنني أحبك!

هل يحدث لك أن تفكر أحباءاً في غير ما نحن فيه؟ أن تفكر في الحياة في لحظات سهوة؟ أتمنى ذلك. لا يكتفك الشيء الكثير وإذا لم تفعل حتى الآن. جرب وهل لي عن حرائك التي تنهيك من الداخل. في الرسالة القادمة.

-٢-

لا تكثر الدق حبيبي، لم أعد موجودة.

ترميني في صلب جهنم ولا تنسى أن تسألني كيف الدنيا

لم أعد أتذكر. وربما لا أربح في ذلك أصلاً

معضيتي الأولى وربما الأخيرة

من اليوم لا تكثر الدق حبيبي، فأنا متعبة ولن أفتح الباب مرة أخرى لأنني لست هنا. فعندما خرجت معك في ذلك الفجر البارد، لم أنس أبداً أن اسد ورائي كل شيء. حتى القلب المنتفخ لم يكن في نيّتي أن أهز راحتك الصغيرة فأمامك عمر. وأمامك أحلام وممالك كثيرة عليك أن تقاومها فأنا من زمان أشعر بأنني مريضة بك. بيدك وبإنهاكك الطقوية. وبذلك الأوجع التي ترضعنا الدم والخوف وكثيراً من الأسئلة المستعصية.

في وضع لا أحسد عليه أبداً. تركت وهران وجئت إليك محمولة بك. لتحمل مني امرأة ولأمتلي بك ربما كان مزاجي متطرفاً، فأنا لا أريد انصاف الحلول إما أن أحبك بجنون أو أنساك دفعة واحدة. أصعب شيء على امرأة أن تحمل في قلبها رجلاً لم تشبع منه. في قلبي خيبة كبيرة من الناس المستكينين في كذبهم الدائم. فلذفنتي خيبتنا عشرين سنة إلى الوراء انتهت فجأة إلى هول المفاجعة. لقد مات الذين كنت أحبهم. من الغتيل، الغتيل ومن اثر الانتحار. فعل ذلك بدون أدنى تردد حبيبي. هل تعلم هول المفاجعة كم أريد أن أقتع نفسي بأن أبي مات في حادث سيارة ولم يتحجر على مكانه^{٢٧} من شدة الخيبة التي لم يعد قادراً على تحملها! لقد سرق الورثة الحلم من حضنه رأيت في حياتك رجلاً يتزين و يتعطر ويعدل من هذامه.

و. الكرافاته^{٢٨}، ويقبلني على جيبتي قبل أن أخرج إلى الكونسرفتوار. ويقول بكل هدوء ويطيق كمن يستعد لأجل موعد في حياته:

- ليلي ابتني، أرجوك، عينك على أمك. لا أهل لها غيري وغيرك، اعطني عليها قدر ما تستطيعين، هي أكثرنا هشاشة.

يحمل في قلبه حزن أمي كتهمة يظن دائماً أنه كان بإمكانه إسعادها لو قبل لعبة البيع والشراء في البلاد، ولم يفعل ما فعله

كان والذي يخادع قدراً كان ينتظره في الزاوية. وعندما مات، جاء الوالي وكل المسؤولين المحليين، وفائد الناحية العسكرية الثانية، ورئيس كتيبة الديك الوطني الذي رأيته سابقاً في بيتنا، ووزير الثقافة، وكاميرات التلفزيون الوطني ليعزوا في الرجل الذي أسعد الناس مدة طويلة. بكمائه الذي كان له الفضل في عزف أول نشيد وطني في الجبال وفي المغارات. كنت أرى ربما ظلاً، في وجوه المسؤولين ملامح عصابات من الفللة والمافيا من الخضرة على أن ينالوا اليد لبرابرة وهم لم يسألوا يوماً عن وضعه وكيف كان يعيش منذ استقالته وتوقيف راتبه! لولا ميراث أمي من والدها، لعننا جوعاً ولنزلنا إلى الشوارع. كان قلبي مليئاً بالسواد وعلى الرغم من الحاج أمي، لم أمد يدي لأي منهم. كنت أراهم من وراء الستائر وهم يتبادلون أطراف الحديث ويذكرون خصال الميت. شيء بقي في رأسي، سمعته من قائد الناحية العسكرية الثانية لم يقله لي والدي. كان، الله يرحمه، رجلاً حليبيّاً. كنا في أعالي جبل فلاوس. بمناسبة مرور ثلاث سنوات على انطلاق حرب التحرير، أصر سي ناصر على عزف النشيد الوطني تحت سيل من الفنايل والقصف المدمر. حمل الكمان خرج من «الكازم»^{٢٨}. تأمل الحرائق التي كانت تخلقها الطائرات كلما نصبت أنوفها نحو الأرض تنفس طويلاً، ثبتت رجليه. وضع الكمان تحت ذقنه من الجهة اليسرى، ألغض عينيه، ثم بدأ يعزف النشيد الوطني. كنا واقفين باستقامة داخل «الكازم». بينما ظل يعزف بلا توقف تحت القصف. كنا نسمع أنينه مصحوباً بالفنايل التي كانت تتساقط على يساره ويمينه. نطلب من الله فقط أن يحفظه من موت كان قريباً الله يرحمه كان سبعا

كدت أقول له: تمنيت أن يكون ضيقاً مثلكم جميعاً ولا يعرض نفسه للهشاشة. والذي لم تقتله الغنابل، ولكن قتله الذين أقتعوه بمغادرة أويرا غارنييه^{٢٩} لالتحاق بهم، ليفتلوه فيما بعد بطرقهم السادية، ولكني عدلت عن الفكرة. ثم سمعت رأيت رئيس كتبية الدرك الوطني يوشوش في أذن وزير الثقافة والشباب، بأن السي ناصر اتهم أنه كان في الأصل عازفاً في سهرات القادة الفرنسيين، في باريس أوقف في يداية التحافة بالثورة، وخضع لبحث قانس استمر طويلاً، وكاد أن يتخذ القرار بذبجه، خصوصاً عندما اعترف أنه كان يعزف في أويرا غارنييه، في الغرفة الفيلارمونية. لم يكن أحد يفهم ما كان يقوله. كانوا كلهم فلاحين، شجاعتهم في نيران أسلحتهم فقط. ثم ذكرهم ببساطة طفل: وماذا سيحدث كل صباح عندما ترفعون العلم بلا نشيد وطني؟ لقد تركت الأويرا وجيت بمحض إرادتي. ولولا تدخلتي، قال رئيس كتبية الدرك الوطني، لقتل سي ناصر وردم كما فعل بالكثيرين

تمنيت لو كان والذي حياً، لسألته طويلاً عن هذه القصة، ولكنه خرج ولم يعد. الغريب هو أنني أحسست بعانقة فائضة اتجاه رئيس كتبية الدرك الوطني، وقلت سأزوره خصوصاً وأنه ترك بطاقته لخال أُمي فقط لأسأله عما لم يفقه يوماً^{٣٠}

يوصل قائد الناحية العسكرية الثانية وبعد الاستقلال جاءني إلى المركز وقال لي: لي طلب لديك باسم الدم الذي غطى ألبستنا لرفاق لفظوا أنفسهم في أحضاننا. اندهشت وقلت له أطلب. قال أرجو أن تساعدني على الاستقالة من الإشراف على الغرفة التحاسية للحرس الجمهوري. حاولت أن أصد، ولكنه أصر بقوة على قراره. وتدخلت لدى الحرس الجمهوري ورئاسة الجمهورية وجنته بالاستقالة. رأيت في عينيه فرحاً غريباً قلت له والآن؟ ماذا ستفعل؟ قال سأعزف بحرية كل ما في داخلي. ثم خرج ولم أره أبداً

أيها الطفل كم تحتاج من الجنون لتنفرد عن بقية الخلق وتذكر أن حبك صار لا يطاق، وأني لا أحتاج إلى فقهاء المدينة ولكن إليك أنت وحدك، الليلة واحدة. الحب الجميل هو الذي نشأ إلى دوماً المخاطرة فيه صعبة، ولكن علينا أن نعيشه لنذكر الشطط الحليقي للمتعة

كم تنفصك من الروح أينها البلاد المؤذية لتصيري بلاداً بلا منازع و بلا أفئدة، بلاداً كجبية البلدان، تحب ناسها وتكرم أحببتها من حين لآخر حتى لا تنساهم ولا ينسونها.

أيها البلاد التي نكست كل رايات الفرح ولبست حدادها وانصعلت أحذيتها القديمة التي أذلت فرحتها. لا تكثري الدق، لم أعد هنا فقد خرجت باكراً هذا الصباح ولم أنس أبداً أن أغلق ورائي كل الثواغ والأبراج، وأسد القلب للمرة الأخيرة، وأقسمت أن لا أنتفت ورائي. وقلت في خاطري ليكون للحب ثمن وعلى أن أدفعه لتلبية تداء غامض في داخلي اسمه الجنون

لقد انسحبت من الدنيا مثلما يفعل الساموراي عادة عندما يخسر حروبه المقدسة كما كان يشتهي والذي أن يفعل دائماً وما أنا في اليوم قد دخلت خفية القاعة المغلقة، وبدأت أحس رأس سكين المنفى التي سأتركها بعد قليل تنزلق من الجهة اليسرى للبطن إلى القصي اليميني.

أيها الغالي، حبيبي، أعذرتني، لقد يمتك وأنت صغير لا تكثري الدق، فقد خرجت بعد أن رددت على مسامع القوم الهادين قرتيلة الموت. ورميت كل المفاتيح في البحر الميت حتى أنساك دفعة واحدة. عندما شعشق بكنا نصبح قاب قوسين أو أدنى من الجنون أو من الكراهية. الكراهية التي تأكل شيء حتى نفسها، كالنار

أنا لا أريد أن أكره أحداً

أنت لم تقل لي ولكني أشعر بك من عينيك تتساءل عن هذه المرأة التي تصر على أن تبقى طفلة ملتصقة بك السن هو ما تشعر به في الأعماق وليست السنوات الزمنية، ومع ذلك كم أتمنى لو كنت أكبر قليلاً من سنك لذلك أشياء أخرى لم تسعفتي اللحظة المسروقة لأقولها لك كما اشتبهت أن أفعل.

- ألا يمكنك أن تكبر قليلاً؟ كم تلزمك من المسافات لتدرك أن شوقي لك صار مثل البتم، أعيشه وحيدة في فريقي وفي بعدك. وأنت تتلذذ بعينيك

فقط، أو وأنت تعيش خلوتك بمزيد من القسوة والألم، هل تستحق حياتنا
كل هذه الأحزان وهذا التماهي في الألم، إلا يكفيننا هذا الموت الذي يطحن كل
جسمينا بلنا وقلوبنا المشغرة.

اعترف لك صديدي أنها الغالي بحسنة قوتك، الذي يغفل دافعتي صما
سديت أن ألتصق لك، بلغت على هذه السيرة المستقيمة إلى الموت وضرة
ومن قال لك أنني أريد أن أكون مثل الناس يسلمون يصلي إلى أي قدر قريب
وإلا دية، لقد كان هؤلاء الناس منذ زمن بعد وشغلهم الوحيد أن يخطروا
بهم كل الأحياء مثل زمر النحل التي بدأت تتكاثر في البلاد، والذي، فم
من دفع به نحو الموت صمماً، ثم سبلونا إلى الأرصعة والمقابر والطرق
وذرفوا موعوا كثيرة

شأنا من أسود وشجرة الأبيرو، سدرج الغر للصلح معي نهاية
استهيبها، لا كما فصلها لي الآخرون نهاية أحتبها بألفاظي وأغزلها
بأصابعي الموت هو الحالة الاستثنائية التي نمارسها وحيدين، ونعبر
دهاليزها بدون رفقة. هل تعلم بأن الهنود كانوا يدركون قسوة الرحلة
ولهذا اخترعوا لعبة مرافقة المحب بالانتحار المقدس، بلادها المنسية صارت
تنحب هنودها أبي كان هندياً أحمر في انتحاره، ليس أبعد من البحارة،
فوجدت خبر وفاة فنان شعبي شاب ألقاً سمعته مبكراً في إحدى العرفات
السريعة وأنسحب المدهش في حالته ليس موته، فالحوادث المشابهة تقع
آلاف المرات يومياً، ولكن ملابسات موت صديقه هي التي استوقفتني. عندما
وصله الخبر لم يكلم أحداً لم يبك، لم يعو بأعلى صوته كالذئب المجروح
كما فعلت أنا في لحظة القسوة واليأس عندما خسرت والذي الذي لم أر
منه إلا خيباته وعثمانه. صعد إلى شرفة الطابق الرابع المطلة على الغاية
البعيدة والبحر المنسي الذي تخبئ كاساروق وراء الأشجار، ثم رمى بنفسه
ليلحق بالفنان الشعبي قبل أن يتخطى هذا الأخير عتبات البرزخ. يبدو لي
أننا شعب يرفض الحلول الوسطى، عندما يحب يتماهى في الآخر، وعندما
يكره يأكل نفسه قبل أن يأكل غيره

وها أنا ذي قد بدأت أكل نفسي أو ما تبقى منها

افتح عيني على الطفل الذي في، لماذا تفسر هكذا، أما أن لك أيها
صغير أن تعبر؟ ألم تدرك بعد أن كل شيء انتهى؟ فالمرأة التي عشقتها
قد ماتت، منك طوال هذا الوقت العدم، قد عانت لموت في سرها الأول
سبي لعنته مراراً، سر التمه والجئون! الريح التي قادتها إليك كانت ساخنة،
والدمار ليس شبيه موعسك الأول قالت ثقاً من عيني تتسلسل الآن في
مع هذه اندامك العذبة الموت الذي تنقشنا فيه فمرد صدقة ثم تفسحها
على صارت حبة كره تمل تدوي لك خروح الحبوب التي اغتال حسداً

يا يوسف الصغير، هذه المرة كذلك لم يحالفك حظ الصواب معي. أنت
مع امرأة الشغل، لا شيء فيها يوحي أنها موجودة مبهولة لا أحد سواك
يحدها انتباه الكائنات الذي تبحث عنه في أنت خلقتك لتروى فيه وجه
من تحد أن ترى لست أنا إلا ما فيك أنت ستتغيب كثيراً مثل كل محبي
الفسيفساء الذين يسعون لعبت ما يصلعه لهم الظروف وإوهامها

أنا تسائتي، لقد أخضت في كل شيء، حتى في طريق الذين كنت
سهم أما كان من الأجدى لك أن تترك جسدك يحترق على نهدي امرأة
الحر، وتعطي مثلما تعطي الخلائق، فلا شيء يضمن ذلك ولا حب سوى ما
سرفه الروح الضالة، لقد أحببتك إذ استهيتك ولكنك فضلت الهرب والتسلط،
في حياة مريحة ترى من شرفاتها الحدائق التي نشاء والسواحل التي

يا يوسف انزع عنك لباس الصمت والخوف والغبن، أنت لم تفعل ما
يجب، لقد ألبستني المتعة وآلم الشوق وانتظاراً جميلاً لست أدري إلى أية
جدار سيفضي. لماذا تصر دائماً على الجلوس في الكراسي الخلفية وعلى
نفسه، مستقيماً كخيط بليد؛ المرأة التي استهيتك وقطعت لباسك وحدها
تلك لك ومعك وفيك، وما عداها صدقة تزد الصدقة، وشوق بمحوه شوق،
ومسافة تأكلها مسافة والضلالة أبقي من العقل المسجون

باحبيبي، يا سيد الغي والغيرة، لا تكثر الدق، فالأبواب الموصدة لن
تفتح والمفاتيح اندفقت في رمل البحر العذب، وأنا انسحبت من ساحة



الخبيل. لا شيء يغريني للمزيد من الركض الذي لا يوصلني إلا إلى خلوتين وراء نقطة البدء

هي الرحلة تصل إلى منتهاها، ألم يكن هذا مشتهاك الدفين؟ لهذا عتدما خرجت في هذا الفجر الضبابي، «سكّرت» كل الأبواب والمنافذ حتى لا ينفذ الهواء السطحي إلى روح الموت. امش بهدوء وحاذر من أن توفد النوار. وزهر الياسمين، والبنفسج، والثرجس البتيم، والحبق النائم، والمعزوفات القاصدة لمّاخ وموزارت. وسنر سويسيا، ونيسر الانرسي، نيسرول الذي كان والذي يؤديه بكل عتفوان وحزن. الناس ها هنا باتون ثم يذفيون ولا أحد يسمع أناشيدهم وأنبيهم. اتركني أختار موتي فأنا متعبة من مزلق الدنيا. ودع الرياح تبعثر زرعها. ولجعل الخريف القادم من عود النوار الذي سأسكنه، متعة في فم العاشقين. ربما عرفت هذه البلاد بعد زمن، كم كانت مضطربة إذ اضطرت الطريق الموصل إلى عاشقها الذي ينتقلون الآن من يد قاتلها الضمير

اشك في كل شيء. ولهذا عندما اخترتك، كنت أختبر يقيني الذي لم يخدعني مثلهما خدعتني الآخرون. فعندما يكون الشك مرافقاً للحب، ويحول الحب مرافقاً للصدقة الأسمى لك أن تتسحب قبل أن يبرقنا قبح الأشياء. فالروح في خضرة الزوغان تغيب. محاربة طواحين الفراغ مضعة وقاسية. لم تعد لدي قوة أبي وأسلاقي العثماء لخوض الحرب المقدسة

أنت قبلت أن تلعب معي لعبة الصدقة، ومن تجرأ على عبور الصدقة عليه أن يتحمل قسوة تلك أسرار الخلال. هكذا نحن، يوصلنا صدقتنا دائماً مناسلين. وعندما نصل يقو الخطأ صدقتنا في نهاية بحر حياننا لاستقبال كل شيء، حتى الموت نتعلم كيف تبثلكه جرعة جرعة. ولكن نحترس دائماً بكل الوسائل الممكنة وغير الممكنة، من الخيبة، لتفادي خسارات الصدقة ونحن فيها.

لست الأول في الدنيا الذي تكسره الصدقة ولا الأخير أيضاً. لكنك الأول الذي رأى الصدقة في شكل امرأة عاشقة من شجرة الرأس إلى أخمص القدم

ولسما لامس عبقها، صارت رمادة وغباراً قبل أن تصبح بياضاً في وضج البحر، البحري، ثم تفلأ أبيض سرعان ما ذاب في الفراغ

هل تحب إذ نعلن للأخر أنا تحبه؟ أم نمتحن النفس إذا كانت قادرة على أن تكون؟ سنوات يا ابن أمني انقضت وبعض الغبار، ماذا بقي إليك أيها القلب المفتون من مخابن لم تفتش؟ لم تتعلم بعد يا هذا الولد الضائع في قمار الدنيا أنك لم تعد طفلاً ولكن خيلاً وسحراً وجدياً. اتبعني إذا استطعت. فقد تركت لك ليلة وعراً ودعت به طفولة منكسرة، وتركزت لي زرعاً في الأحشاء وتمزقاً كلما أحببت غيبك تذاكرته لا تتخيل أنني أصبحت عاللة: أبداً. إذا جئت وعثرت على في المدينة، سأرتكب معك حماقة اليوم نفسها. وسأستيقظ بالقدر نفسه. وإذا وجدتني تربة، فضع على بقايا القبر بعض الزهر الذي تشتهي. والنوار الذي تحب. وإذا لم تجد قبري، اخترع لي قبراً وضع عليه بنفسجاً وجبلاً يحفظني من العين الكريهة.

سيسي الغالي لا يكثر نرق عانت تلعب بديك كل الأبواب مومسة في أن رغبة عارمة لخلق كل ما تبقى من نوافذ، ومناظري الصغيرة، والنوم داخل سكينه بلا نهاية مثل إزميرالدا التي هرب من يديها حبها الجميل وعندما أستفيق، تكون ذاكرتي مساحة من الضوء، قد خلت من كل ظلام غبار السنوات الهاربة التي انسحبت داخل كذبة عالية وعظيمة، اسمها الحياة

بي رغبة للمصراع بأعلى صوتي في وجه الاستحالات الكبرى. وأكل كل تراب الأرض وشرب مياه هذا البحر الأعزل، لمعرفة مخابن اليقين. لكن من يتحمل صراخي؟ حتى الآفرون وأقرب الأقربين لم يلتئموا عنراً عندما صمتوا وخرجوا من الأبواب المفتوحة، ومن زوايا الصدفة.

أية صدقة ملعونة تسرقنا الآن أيها الحبيب الغالي؟

أي جنون وأي حب يسجننا في لغته الآن؟

قليل قليل فقط كان والذي وعشاقه الأوفياء، هنا، هنا بالضغط. جالسين يشربون القهوة ويتبادلون بكل يقين كلمات العسل والحب، ويهزفون أندلسا

هاربة، وباخ وموزارت، ويتفاسمون «السوناتات» المتعددة ويتراشقون بالأحلام، فجأة، تشتتوا ورجع كل واحد إلى جرحه الأول، يبحث عن مسقط رأس كلمات الحب الأولى.

لقد ماتت أرضنا الأولى يا حبيبي وعمري

مات مطرنا الأول

ماتت ابتساماتنا الأولى.

وانكسرت ضحكاتنا العفوية، ولم يبق إلا خراب الحقيقة الأولى

ها قد بدأت انحدراتي القصوى نحو شطط انكشافات الروح. وها أنا ذي أتجأ اليوم وأعبر الخيبة والصدفة معاً، مفتوحة العينين هذه المرة، عارية القلب والذاكرة.

كم يلزمننا من الألم والانكسارات لتدرك أننا طوال السنوات التي مضت، كنا نركض حفاة عراة وراء غيمة جافة مثل رحم يابس لا يجيب إلا رعدة الفراغ، مخطئين في كل التفاصيل الدقيقة للحياة، وأن ما كنا نظنه مطلقاً لم يكن إلا وهماً لأنشواق نرهبها أن تكون حقيقة ولم نصل لها وأن بيني وبين نارسيس شبه الدم والنجوم والخوف، ماذا حدث لنارسيس عندما اكتشف الجرح الذي كان ينزل من القلب كالخط المستقيم، لم يتألم للجرح، هو يعرف مسبقاً أن لكل جرح خاتمة، لكن وهمه باستقامته، وضلال الطريق، أذياه كثيراً.

اليوم، بعد كل الذي حدث مما عرفت، مما كان يمكن أن أعرف، ومما لم ولن أعرفه أبداً، بحق لي أن أرى ما يختبئ وراء مختلف الغلالات وأحجية الفنتة الوهمية. في حاجة إلى الفتنة، فتنة الروح والجسد، ولكن الدنيا لم يعد فيها ما يثير شهية الانتحار وما يهز الاقتتان ويخرج الإنسان عن جيروت العقل.

هل كان من الضروري أن أرتب للصدفة الفاتنة لأرى صفاء الخيط إنني

الآن أراه بعطش الراحة، وبعطش العذاب الذي لا يطاق الأنم عندما يصل إلى سنباه يموت الجسد، ويتضاءل الخوف من الموت، بل الموت يصير أمنية مستحيلة.

استطيع اليوم بعدما هدأت قليلاً، وربما لو فت قصير ليسترجع القاتل والضحية أنفاسهما قليلاً، أصوات الرصاص وعواصف الخوف وصراخ المفتولين على منحدرات البلاد البعيدة، ولعلم القاتل والمقتول جثثهم، أن أعود إلى الصدفة التي لاقتني بك في ذلك الشتاء البارد ومنحتني الكثير من الحياة، والكثير من الحزن والتسيان، لقد كنت فرحي وخرابي الكبير. كان الهواء رطباً في ذلك المساء العاشق، الليلة نفسها كانت مرصعة بالنجوم حينما قرأت الدهشة في عينيك

لثت لك

- لماذا الناس هكذا؟ كلما أحببناهم ازدادوا ضراوة وتكرراً هل هو القانون الخفي للكراهية المغطاة بالأغلفة الخرافية؟ هل علي أن أكره لأزداد قريباً من الآخرين؟

يبدو أن في الناس قدراً من العصيان يسير مع الدم. لن يرتاحوا إلا إذا قتلوا الروح التي فيهم بكثير من الحبلة و الأنانية

التقينا لبلبن متكسرين يبحثان عن ظل صغير يختبئان فيه كان هبلي كبيراً، وطفولتك مقلدة، وطوال السنوات ونحن نحاول عبثاً أن نجعل الفوضى ترتب للنظام، والنظام يقبل بصرق الفوضى، ونراهن على كذبة حب الناس البيضاء التي أفقدتها السنوات المتعاقبة لونها الأول

أشهد لك اليوم بالصبر وطاقاة التخفي. لقد كنت دائماً بجانب الصواب وأحزن من شيء لم يكن هو في الحقيقة ما يدعو إلى الحزن. عندما تغفّر امرأة الصدفة بعض خفاياها، تخشى الأكثر هولاً لأنها تعرف مسبقاً أن غباوة الرجل لم تعلمه إلا همدات اليقين الوهمي

يا يوسف الصغير ألم تعرف بعد أن لا يقين في الدنيا سوى الموت.
حتى الحياة ليست سوى لحظة عابرة تكسرنا النهايات الحتمية. ألم تترك
بعد أن الذين يريدون رأسك يتصور أحمر لك أصبحوا اليوم قيد يا أي
وأبي، فأنا ذاهبة، تاركة لك أبوابي الموصدة وشظلي الكبير

رجالنا مبتسسون. والرائعون فيهم يموتون مبكراً. أنت لست منهم. أنت
طفل جميل. حاذر أن تحسب رجلاً. أترك لهم فتوحاتهم ورجولاتهم الوهمية.
لمست في حاجة إليها مطلقاً أعرف صديقة، بعد خيبات متعددة، تأملت
عشاقها في العيين، وعندما عرفت أنهم لا يستأفلون أن تحزن من أجلهم.
تركتهم و تفرغت للدنيا مرة واحدة

Les hommes sont toujours comme ça, ils frappent éternellement
à la porte de la vie, et ils ne peuvent pas entrer. Le plus souvent, ils sont
seuls.

يحذرون دائماً العقوبة ولا يسبونها إلا حيث يحسبون الصواب
يحفظون في كل التفاصيل المنقطة وحدها المرأة تترك سر السعادة وتقتل
نفسها وتحرقها بالماء تصل حتى الخرج العميق

هل يصلك الآن في خلوتك صوت التكررات الشافة التي تمنقني؟ النحيب
الذي تسمعه يأتي من عمق الروح، هو نحيبي أنحدر الآن وحيدة نحو تربة
الموت والخوف. في كفي بلابيا قصص قديمة لم تعد صالحة. وموجات لم
تستقبلها الرياح للحمل إلى قلب سائنة. وخيبات لا تحصي انعم لم بعد
سيفها سوف للعودة لها ولنصبح مسارها

ما الذي يحزن امرأة بنت طوال العمر خلاها بفرح لا يضاهي؟ أنها ظلت
وفية لخرافة هي أسستها، أنها تستطيع أن تقسم برأس كل الصالحين بأن
خرافتها التي بنت عليها أشواقها كانت هي الدنيا وهي الآخرة

أستطيع اليوم أن أقول بلا تردد. منكسة الرأس. أمام الله عندما يسألني
عن باطن جوشي إلهي لماذا لم تتخل عني في وقت مبكر عندما تفرتك؟ أو
عندما وضعتك وأنا صغيرة داخل غلاف رسالة، ورميتك في أقرب شط لأنك

يا سيدك فظنني أنني أحسن من قناسني فكتبت السطور أكتت لك غرضها فد
استنبتا كل شيء ولم تعطيني إلا هبة الفراغ. عندما هدت الرياح، سمعت
دعوتك ضحكائك وهي تنكسر في الخلوة. كنت فقط تسخر من هبلي

أغفر لي. فقد أخطأت هي يليني. في الدنيا شيء آخر لا علاقة له
بالعطاء. الحب، يا الله. أكبر حالة التباس. قد نحب رجلاً لا يلتفت نحونا
مطلقاً. قد نتحدر الآخر، وهو لا يعلم مطلقاً بوجودنا. وقد يببب آخر ليصير
الغيب من أجلنا ونحن لا نعرف. بل قد نرتقي في أحضان هائلنا. ونحن
نعرف أنه جلدنا الأبدى. يبدو لي أن وراء ذلك كله يختبئ عطش الروح
في شيء لم يشبع بالشكل الكافي. تبقى شبوته معلقة إلى يوم نستفيق
في بركان الميت. عندما تطفئ الرغبات المدفونة. يخرج إلى النور ما يمكن
في تسميه حبا مثل ماء صاف بين الصخور الزرقاء. لكنه عندما يخرج تكون
الدنيا قد ماتت في أعيننا. والزمن قد مر، والجسد قد كل. والبصر قد زاع عن
عبد. والجسد قد راح. وحمل الصدمة يصبح قاسياً وثقلاً

ترب الأرض لم يصدقوا أبداً

تطلب غلي أنفسنا كثيراً. انظر دائماً نحن كثيراً من النساء وكثيراً من
الرجال الدنيا عودات مستمرة إلى البدايات الأولى. باستمرار تلتصق بالذين
نورناهم عراة ولم نلبس منهم. أما حيك لأشقى منك ولا أدري. ذا كانت ليلة
جميلة كهذه كافية للشقاء منك؟

الحيث. والحيث البؤس. والحيث مزارع. والغرب ظلياً والغرب أكثر
يزدادون تأنفاً عندما يصرفون في ضمان الغياب

أيها الغالي. حبيبي الذي صنعته من دماء الروح ومن خبايا القلب
المرتك. إلهي الصغير الذي شيدته من الخيبة والصدفة والقلق. اغفر لي. لم
صق أسامي إلا الفجر أصبح شني بين يديك وأقول لك أعزني بعض الشجاعة
لأعبر هذا الهول الرجال فاشلون وقساة امثحنني أنا المرأة المجنونة.
زوليخة يوماً واحداً. وساركب جنون الافتتان في قلب يوسف حتى يفتح

عينيه ويصير رجلاً لم تعد لي القدرة الكافية لممارسة كتابة نارسيس
الجميلة نحب رجلاً لا وجود له إلا فينا، يشبهنا في كل شيء، وعندما
نكتشف هول الفداحة يكون الزمن قد دار دورته

مراة النرجسي عمية، وعماما لا يداوى.

لا تكلف نفسك حبيبي، مشكلة البحث في الأسباب، فلن تجد ما يشقي
غلبك. لذا الدنيا أنها خلقت بعض غموضها، وإلا لكنت لا تساوي جناحي
بعوضة

ما يزال في العمر متسع لشقاء الروح، أعرضني بعض الوقت فقط، وعندما
تكبر، عبر البحر الذي سلكته، ولا يهم إن استحالت عليك الدنيا، أو خسرت
العمر

ألم تقل أنك تحبني أنت كذلك، وإنك لن تحفي متى، إذن لا تكثر الدق
حبيبي، فلا أحد وراء الباب، لقد ذهب الذين كنت تحبهم. انسحبوا باكراً على
رؤوس أقدامهم لكي لا يزعجوا أحداً عندما خرجوا في ذلك الصباح البارد،
كانوا يعرفون أنهم لن يعودوا إلى هذه الأرض مرة أخرى. ولهذا أقهر لعداء
رفض والدي، سي ناصر، الخروج عندما أفلطت الدنيا في عينيه. ليس لأنه
كبر كثيراً، ولكن لأن الدنيا صغرت في عينيه.

اليوم كلما خلوط خلوة جديدة نحو حقلتي الجميل، تذكرت كلماته
التي تعلق في رأسي كضربة سيف جافة، أو كنافوس كاتدرائية قديمة

«ليلى، حبيبتي، لا تشغلي بالك نحن هكذا، لا نترك وطننا إلا لننزوج
فيرا في المنفى».

- ٣ -

حبيبي

أنتهي أن أنساك لأرتاح منك دفعة واحدة
قبلت كل شيء، ولكني لا أعذرك على حماقة فتلتنا

ربما الأهل، أرحوك توقف قليلاً، لقد تعبت^{٢٢}.
ولأنك تخليت عني، انتحرت، تزوجت

ارتبطت بك مثل الذي يرتبط بقشة نحاف أشهد لك أنني الآن منهكة ولم
أعد قادرة على التحمل أشعر كأنك جردتني نحك لم تخليت عني لم أعد
أب لزعز الحمصي الطيب والجميل والسلاج أحياناً بعفويته حتى في كذبه
صبر. وأصبحت أواجه مثقفاً صعباً في رأسه عشرين ألف حساب يلحن
بين كل أفكار الدنيا التي تقف ضد سعادتنا، فلا تقل لي إنك ترفض الزواج
لأن شيئاً فيك مناف لذلك؟ كيف تريدني أن أكون لك كما أشتي، وأنت ترفض
كسارك؟ أريد أن أحضتك، أن أقبلك في الثوب الذي أشاء ولا أخجل، أريد
أن أقول للجميع: «اللي ما عجبوش الحال، ينطح رأسه مع حبيط» ولكن
سأبقي فقط لأكون لك..

أريد أن أدفع الثمن في صمت ووحدة، لكن أرحوك لا تحملني شقاوة
دنيا، لا أستطيع. لقد أصبحت هشاً كجناحي قرائنة مريضة، ويمكنني
أن أصاب بالعطب المزمع بسهولة. أنا لم أطلب منك سوى أن تجمع مصائرنا
الصغيرة، ولكنك اخترت طريقك مثلما اخترت أنا داخل الضيق والعيب الذي
لا معنى له على الإطلاق، أكثر المسالك بأساً

عقابك يقتلني ويعذبني، يا ربي كم أحبك وكم تبدو بعيداً.. ماذا يحدث
فيك؟ ألم تكن أنت من اختار هذا القدر؟ تخنأ هراً وتستدرجني فيه لتسهل
محاكمتي؟ ألم تكن أنت من فضل ارتكاب هذه الحماقة ضد نفسه وضدي؟
كلامك يقتلني، يعذبني وسأجن إذا استمرت الحال على ما هي عليه، فأنا
لا أملك حيالك إلا الحب والجنون. ولكن خياراتي الآن صارت معدومة. فقد
وضعت نفسي داخل موت محتوم علي أن أقاومه أو أنسحق فيه. أنت غادرت
المدينة منذ الإعلان عن زواجنا أنا و رياض، صديقنا المشترك الذي أغرته
التجارة الكبرى على الجامعة البانسة و رياض يريد أن ننسى حياة العزوبة
وأن نفرغ لحياتنا الزوجية، ربما كان محفياً أريد أن أنساك أنا أيضاً، لأرتاح
منك دفعة واحدة، تليقظ النسبان والحب إلى أجزاء، جنون واستحالة.

كأن يفرض أن لا أعود لك ولقد أعدتني مخطوب

شرفت مني داخل فراشك المديونة ولكني وجدت، وجدت بواسطة عانسة
صديقتي في الخنوسه قنوار التي كانت وسيطاً في إلاباء الصعبة مديونة
أكثر مني كانت دائماً تقول وهي محقة في ذلك، لن تعيش حياتين لنست
أدري كيف سلمت لها الورقة الأولى لتوصلها إليك كان يجب أن لا أفعل ذلك
وها أنا ذي قد انغمست في دوامتك من جديد قالت لي عانسة إنها تعرف
مكان إقامتك في العاصمة، لكني لا أريد أن أعرف لأنني أدرك سلفاً أنني إذا
رايتك لن أستطيع مقاومة عانسة تحبك كثيراً، ولهذا لا تترك فرصة إلا
وتذكرتك بإعجاب، لو لم أعرفك، لقلت أنك أنت من كلّفها لكي تقول ذلك الكلام،
«مليح» أنني أبذل جهوداً مضاعفة لكي أتفادك، فلا تطلب مني المستحيل،
والا ستضطر إلى دفني حية غيايبك بقلنتي والحماقة التي أنا فيها تجهل
على ما تبغى من قلتي

حبيبي، أقولها لأنني لا أمك غير ذلك، حبك يشلني ويهزني، أنا كذلك
أيوم أشعر بالقرص من نفسي أولاً ومن كل ما يحيط بي هل يغفل علي أن
الحبائل على نفسي لكي لا أراك وأنا الحرق داخليا فقط لا تبت لمعيط معتود
ومنكسر أرى الزوجة المثالية؛ لنست الزوجة المثالية، ولا أريد أن أكونها، هذه
المثالية السخيفة تقتلني، لكن وحياتك، فأنا أريد أن أنساك، ما جدوى هذا
الشغل الذي لا معنى له؟ أشعر باضطراب كبير، في هذه الفترة أمر بطرف
صعبة يطول شرحها رياض أصبح صعباً معي، وضيق كل حدودي، ولا
يعقلني أن أعيش في هذا الضيق لا أفعل كل هذه الفروء الله غلب، قد عني
أنا أعزده أحياناً لأنه يعيش مع امرأة لا تستطيع حتى أن تبادل شيناً من
التفاني العام الملقب علي

لا تعبت علي إن لم أكتب لك، سويت كلمات كثيرة ولكني فشلت في
تبليغها، وكلما تذكرت حماقتك، وأنت تردد علي أسطوانة كم صرت أكرهها
لا أنروح لأنني غير صالح لأن يكون زوجاً، أنا أصاب بالجنون يا أخوتي
وهل أنا أحب الزواج، هذه الكذبة المتفق عليها من طرف الجميع، روعي لك،

ولكن هل لي من ما عني لنحل لكي أستمع منك بخسدي، شل لك موسى
أدري أجمل وأجلى؟ هل يمكنك أن تثبت لي أنك تحبني بغير ذلك؟ لقد
استسري في دائرة أخشى أن تكون أنت أيضاً ضحية لها، ولن تملك أية
بسيطة لتبريرها؟ أتمنى أن أحرق كل شيء بما في ذلك قلبي وقلبك، لماذا
نسر دائماً على إيقاف جروحي؟ أنت مجنون، الوقت، بل الحياة نفسها لم
تعد ملكي، أن تمسك قلماً وتخط جرحاً على الورقة، معناه أن تملك قراً
صعباً من العزلة والجرأة أنا اليوم يا حبيبي خسرت أدم شيء، فني، جراتي
من الذي ينبض على قلبي لم يعد يتيح لي فرصة الكتابة، إنه يغار منك
عني

حتى وجهك لم يعد ينصاع لي كلما احتجت إليه، في مرة من المرات
فجأة أن أكسر نهائياً كمانتي الذي ورثته عن والدي، وأنهى علاقتي بالحياة
عسماً رفعتني إلى السماء وكنت في حالة هستيريا، مدسي ناصر يده نحوي
«يا كنت أهذي، ولكن والدي الله يرحمه، قبض على معصمي بحنان خفف
من بأسني وغضبي، ومسح على رأسي كما تعود أن يفعل، استسلمت له بكلتي
لم أجد مني الكمان بهدوء، ووضع على الطاولة، وعاد نحوي وضم رأسي
إلى صدره الواسع والطيب وقال لي ابك، ابك، لا تتركي هذا الرماد كله
في قلبك، فأنت لا تحمليته، وبكيت مثلما لم أبك أبداً في حياتي، وعندما
فتحت عيني، وجدت بعض الراحة عرفت كثيراً في ذلك المساء كل ميلوديات
الحنين والحب والعزلة والليل منذ ذلك اليوم لم تغادرني صورة والدي

الشريط الذي بعثته لي مع عانسة كان مدهشاً أنت تعرف أن أنين
الكمان يأسرني بقوة، يا بختك ما أصفى بالك، ما أقسى قلبك علي وعلى
نفسك؟ أنت تؤذي بحماقتك التي لن أعفها لك أبداً

أرجوك لا تزعل من ردي البارد، فأنا حزينة ومنكسرة عندما أروق،
سأكتب لك عن كل هذه التفاصيل، لا أقول لك شكراً فأنا أعرف عواطفك
وأعرف ما أعانيه من أجلك ويسببك، لا تسألني عن حبي لك، فأنا دفعت
نفسي نحو الموت والحقد والضغينة من أجل ذلك، أفكاري مشتتة، مجرّد
عاصفة و مستمر.

كن كما أنتهيك أن تكون رجلاً جميلاً لا تتعبه متاعب الضباب والنسيم في الأفق دائماً شيء آخر. ألم تقل هذا يوماً وأنا أضع رجلي على العتبة للمرة الأخيرة وانتظر أن تقول لي عودي.. أرجوك ابق لي قليلاً ربما وجدت حلاً؛ ولكنك لم تفعل. خرجت من صمتك بجرج سيستمز في النزف طويلاً.

تمنيت أن لا أكتب شيئاً لأنني في حالة لا تسمح بذلك. وما أنا ذي أكثر وليست راضية عما كتبت أغفر لي هذا الأسلوب المرتبك الذي يشبهني في كل تفاصيلي، ليست هذه لغتي ولكنني لم أجد سبيلاً آخر للصراخ في وجه صمتك إلا هذه الكلمات القليلة التي قالت ما لم أشته قوله

هل ندري جيبيني أنني بدأت أفنح نفسي بانك لم تعد لي. وربما كنت لامرأة أخرى غيري ثم لماذا الإصرار على العبث والعوت؟ ألم يختر كل واحد منا مسالكه وأقداره أو لنقل أنني اخترت انتحاري بعد أن أغلقت كل الأبواب في وجهي. أنا مرتبكة وشديدة الشكوك في قدراتي الخاصة. وربما قلت حماقات لا أقدر عواقبها

كل شيء ينتفض في وكأنه يحدث الآن. أراك منحنيًا على ركبتيك تفتح معبراً للمرور نحو الخوف وأنا أتساءل في خاطري: أي سحر يقوده نحو كل هذا العذاب؟ ألم يكن من الأجدي لنا أن ندخل من البوابات العادية لمصبات نهر الحب والعشق المدفوع؟ رأيت في المنام رجلاً طيباً يلبس الأبيض. يمتلئ بصوت حسان مرقد. يفتح في وجهي بوابات غريبة. ثم يسحبني وراءه وسد خلجان النباتات الاستوائية. ويدفعني إلى التزام الصمت والصبر أي باب يملك كل هذه المغاليق الطبيعية التي تطوقه وتجعل منه حصناً مهيئاً.. ثم فجأة.. يطير من أمام أعيننا سرب من الفوارس التي تدفن الواحد تلو الآخر في مساحات الضباب المتصاعد. تخطو خطوات أخرى إلى الأمام. يتمتم أنشئت. لم تعد بعيدين عن النبع. فجأة تحتاجنا دشنة الخلعة وكأنا نكتشف المدينة للمرة الأولى بنذع النور متدفقا مختلفاً بصفحة الماء ويتعمد الأشياء المحيطة. نتمتم من جديد تحت وطأة الدهشة الروية الساحرة فتحت في وجهي صورة أمني كليلية القدر. أمني كانت امرأة من نور وماء. وجهها صاف كمرآة قيل أن يكسرها زهاب والذي المحزن

يا ليتك خرجت من قلبي ولم تعد. لأعطيكي كل مبررات تسبائك. وحرق ما يجمعني بك. وسد كل البوابات لأتفرغ بعدها لبيتي وزوجي وأقبل بحري. ولكنك جئت بدون أدنى تردد. وكان يجب أن لا أراك لنتمكن أنا وأنت. في فراغه. من رتق جراحاتنا المنفتحة على الذاكرة. ونعيش حياتنا بعد أدنى من السكينة. وهل كنا نستطيع؟ فلا أنت تركتني. ولا أنا استلعت أن الغدارك كنت كالفرد. بل القدر بعينه قلت لك في الرسالة التي بعثتها مع عيضة لاختبارك. عندما عدت من سفرة جزيرة كريت

- متعبة جداً. أريد أن أراك. إذا لم تأت سانتو ٣٥

الجملة الساحرة الوحيدة التي كانت كافية لإخراكم من صمتك وهروبك وخوفك متني أو علي. لا أدري هكذا إذن سأتمكن من رؤيتك بعد كل هذا الفراغ؛ فحاة وجدتك أمامي. بعد أن أكلني اليأس والخوف. هكذا إذن مازلت أعني لك الشيء الكثير؛ أمازلت تحبني إلى هذه الدرجة بعد الحماقة الغائلة التي ارتكبتها في حلق وفي حلقى؛ لا بد أن تكون قد أصيبنا بمرض لم تعد قادرين على تحديدها مازلنا سجناء غربتنا وخوفنا

عدت متأخرة من شهر العسل الذي لم أدر كيف مر. ولا أعلم أصلاً جدواه وياض كان أسعد إنسان. كل مساء عندما يستحم ويأتي تحوي. كان علي أن اغمض عيني قليلاً وأنا داخل الموسيقى لأجذب في. وفي لحظة التعالي والدخول في شغفة الجنون. كنت أخاف أن أصرخ باسمك كما تعودت أن أفعل تلك الشغافية الوحيدة التي ظل عقلي فيها متيقظاً وعندما أعود إلى وضعي الطبيعي وأفتح عيني. أرى السعادة ترقص على محيا رياض لأنني كنت له ولو للحظة جميلة. ويشعر أنه أسعدني في فراش كان يشبه كل مساء مجزرة علي أن أتفادها بالكثير من الحيلة. أسوأ من شهزاة. هي على الأقل اختارت كفنها لو استطاع رياض أن يفتش قلبي من الداخل كلما استهاني. لما وجد غير جنونك الذي وُثِّته لي. ولعرف أنني لم أكن معه أكثر من غائبة وجدت نفسها بين يديه بالصدفة وهي ليست له. أو لنقل له ولغيره^{٣٦}. ولا أدري ماذا كان يمكن أن يحدث لي يومها لو لم تجدك صديقتنا المشتركة. وحاملة سرنا العظيم. عاشقة. في مدينتك التي شلدت بعض



قلت من حقى اليوم أن أخرجك من عرسك. ومعك قليلاً، أنا اخترت طريقاً لا يشبهني ولا يشبهك، ومع ذلك سلكته. وأنت بعيد عني تعبر مسلكاً آخر شيء ما فبقينا بنقلنا من بين الأصابع كالنساء. الكل ينهض ضدي. حتى نفسي كلما تعلق الأمر برويتك. مع أنني لا أجِد نفسي إلا معك منذ مدة لم أرك ولن أتمكن من رؤيتك قريباً

كل شيء مر بسرعة

لم أكن أعلم أنك تحتلني بكل هذه اللوعة

أول مرة تأتيني وأنا على أفة الانتحار لم أعد قادرة على الكذب على نفسي طوال هذا الزمن لم أكن إلا مع رجل واحد هو أنت. أشرب بك. أثناء بك ادخل الفراش مع زوجي وأنت معي ولا شيء غير ذلك. والآن أشهد أنني أصبحت مريضة بك. سيفتني قلة الروح عني كثيراً. مجرد فاجرة؟ محظية محترقة؟ تركت فراش العفة وذهبت نحو فراش الدعارة؟ مساكين لا يدرون في أكبر دعارة تمارسها هي عندما ننام مع إنسان ونحن نفكر في غيره. أنا لست عفيفة إلا معك وبين ذراعيك.

استريح لحظات ثم انطلقا في جواربهما. جاء بعد أسبوع غميف حدث في الأعماق. كان الظلام شديد السواد. والجو بارداً كان. ونسمات ندية تلتفح وجهي. قلت لي إنك ستأتي الليلة مثل المجنون. منذ زمن بعيد لم أرك. العاشرة والنصف ليلاً عند مدخل البيت. وقت أن أنظر لك كنت متأكدة من أنك ستأتي ولن تتخلف ثانية واحدة العتمة تظلل البنائيات والقبيلات التي تعتمد في خط مستقيم ولا تظلل إلا بعض الشجيرات التي نخترقها أضواء الشوارع البعيدة قليلاً عن بيتنا لا أحد في الخارج. السكان نيام في أفاصهم الحجرية. تساءلت كيف سألتك بعد كل هذا الغياب؟ وأنا التي قعنت جبي وأسكنته صدري حتى لا أؤذيك وأحرقك معي فجأة رأيت نور سيارة وهي تصطف بعيداً قليلاً عن البيت لا أحد غيرك بالنظر في مثل هذا

بوقت رأيتك تنزل ترفع رأسك قليلاً ثم لنحتني بعض الشيء تدفع عنك لتأنيسني تتمتع ثم تحبني السابق وتغادر. أنت مثلما أشتي رؤيتك دائماً. مصطف الكاشير الطويل الذي يلمسه معطف وأنت الذي كان يرتديه يوم اعتزاله قبل أن يعتال تحت التعريب لا أحد غيرك لا يوجد مضمون بالنظر في عمق هذا الليل لرؤية معشوقته. قصدت الباب الخارجي مسرعة. فتحتته كنت ورائي تصعد الأدراج باستقامة وهدهد وكان كل الأمور عادية. البيت بالنظر والعودة منظمة اشعت نوراً مائلاً قليلاً اخترت أن يكون بنفسه كما اشتبهناه دائماً. التفت نحوك مبتسمة. خرجت مني هذه الجملة التي لا أعرف ما إذا كان لها معنى. يا مهبول! أخيراً جئت؟ كم مر من زمن لم أر فيه بعضنا! أهون عليك إلى هذا الحد؟ كنت سأنتحر بالفعل لو لم تأت. قلت هذا له مبسطة. أريد أن أراه، أو سيضطر إلى حتمي في ضميمه طوال عمره. لم أعد قادرة على تحمل هذا الجؤس

وأنت وميضاً في عينيك هو نفسه الذي كان يملأني. نظرات حالمة ومن عاشقتين. لم أصدق نفسي أهو الرجل نفسه الذي استدرجته الحماقة لا فتقادي في منتصف الطريق؟

تسمرت في مكاني. لم أفهم نفسي جيداً. كنت جد مرتبكة كمرحلة

سحبتي من ذراعي وأجلستني قبالك. وقتها تأكدت من أنك هنا. وأني

قلت معك بديك

أخيراً التقينا بعد أن أكلتنا مآهات الدنيا. تذكرت كلماتك. ما زالت تظن في رأسي كطبول الحرب. لا شيء في الدنيا يمنع قلبين من أن يتعانقا في الدنيا. في الأفق دائماً شيء آخر. تعانينا ثم التقفنا في اللحظة نفسها إلى الساعة الحائطية وكأنك كنت تعرف تفاصيل البيت، زاوية زاوية. الوقت قصير. ومن العبث تضيق هذا الحب في الانكسارات الداخلية. الجروح كانت كبيرة وغائرة. بعض الجروح من الأفضل تركها نائمة مثل البراكين

فجأة نسيت كل شيء. بحنان دافئ كانت يدك تحسسان وجهي. ياداً

كم اشتقت إلى هاتين اليدين! هل تفعل الغربة كل هذا في الإنسان؟ لم أغير مستعدة أن أفتح جرحي أمامك. هذه الليلة أريد فقط أن أشبع من وجع بالطريقة التي أشتبهها استحلنا إلى عصفورين متعانقين. انقلبنا رغبة الحنين تاريخ من الشوق المستبد خلال من النور. كنت كل شيء لو قلت لي في تلك الليلة ظلي رياض وتصلني عن كل شيء، وتعالني معي إلى جهنم، لما ترددت لحظة واحدة ولكنك لم تفعل وظللت تنظر إلى عيني بحنان وجوع ظاعرين.

كنت الآن أودع من ظلي لم تمس جسدي ظلي تنعم بالظلي أن امور في فرقة السعادة لو لمست هذا الجسد الذي نعبد كثيرا وصل بنا إلى الجنة أمامنا الدنيا ومتسع من الفرح اليوم أستطيع أن أقول أنني وجدتك. وهذا هو المهم. عندما خرجت. شعرت بسعادة كبيرة وحزن عميق ووحشة مفاجئة أمام المرأة. كنت أتحمس عنفي والقبلة الطويلة التي تمنيت أن لا تتوقف. وأن تنزل نحو بلية الجسد كما كنت تفعل قبل هذا الزمن. أحاول أن أتأكد من أن ما كان يحدث، لم يكن مجرد حلم. كان حقيقة ولو كانت محدودة إنها ذاكرتي المعطوبة ما الفائدة الآن؟ كم تمنيت أن الحق بك وأنت تستعد للمغادرة والخروج من البيت مثلما دخلت. في صمت. واستسلام كبيرين. وأصرخ أبق قليلاً. بـت هنا ولا تذهب. رياض سافر إلى فرنسا. فهو يشتغل مع أخيه في شركة استيراد السيارات. ولن يعود إلا بعد أسبوع! مستعدة أن أمارس معك كل الخيانات الصغيرة والكبيرة. وكل المعصيات. بدون أدنى تردد أو ندم. امنحني فقط فرصة البقاء معك أكثر لأتأكد من أنك هنا وليس غيمة هاربة ومتلاشية بشكل دائم. لم يكن بيدي أن أجبرك على فعل ذلك كله. كان صوت محرك سيارة الأجرة التي تلفت لها. قد سرفتك مني عندما فتحت عيني المتعبتين. رأيت السيارة وهي تعبر المتعطفات الضيقة داخل هذه المدينة العضاءة بعض الشيء.

لم يبق معي في البيت إلا عطر الذي كنت تنتقبه بأنفاه وظللت وفيأ له كل هذا الزمن. Pour un homme وجعلتك الأجرة وأنت تقبلني وتضمني بحنان إلى صدرك

- غداً. ربما كنت لا أستحقك

وعندما أردت أن أقول لك اصمت. وضعت أصابعك يلفظ على شفتي وتفتحت شفتيتك... فهمت، قصمت

كم تمنيت أن أنساك حبيبي دفعة واحدة. ولكنك لم تمنحني أية فرصة لفعل ذلك حبك لي يزدني اشتعاً أكثر من ذي قبل. الآن تأكدت أن موضوعي في قلبك لم يتغير كثيراً وأنه سيكون بإمكاننا أن نتوغل أكثر في مدارات الحب المستمرة وإن أرى الحلم المسكون نفسه إلى مرة أخرى وهو يطرح من قلب الماء مستنداً إلى مكانه

حبيبي.

نسيبت أن أقول لك قبل أن تقادرتي. إنك كنت رائعاً في صمتك وحزنك. واني وجدتك قريباً مني أكثر من أي زمن مضى. وكنت حقاً حبيبته الحزينة. أعزرتني. ليس أمامي سوى أن أظل معلقة فبك حتى النهاية

الفسحة التي أعطيت لنا للسيان لم تكن كافية. فقد زادت من حرائقنا أنت لك الحروف والجمال تقاسمها حزنك. وأنا لا شيء لي إلا الصمت والتفكير فيك بشكل دائم. وكلما وجدت فسحة. انسحبت نحو كمان والذي وأخرجت كل أئنه المخبوء. أكبر مشكلة في الصمت هي أنه صديق أحرص وأنا. بسمع ولا يجيب.

حبيبي وتبهي.

أنا صانعة. وهي حاجة ماسة لصوتك ولصرخائي المكتومة أريد أن أصرخ لكن شيئاً لا لا يسعني. أبحث عبثاً عن وجهك وسط هذا الخواء الذي يزداد كل يوم اتساعاً

قلت لي قبل أن تفترق ونحن نلفظ على العتبة قبل أن تسلك سيارة الأجرة أحبك. اكتملي لي. أريد أن أسمع صوتك الداخلي لا الوجاهات الكاذبة. وإذا ثققت أنك نسيبتني. سأتركك. بل سأهجر المدينة التي أنا فيها إلى مدينة أبعد. حقائقاً على سعادتك. وما أنا ذي اليوم أكتب لك وأنا في كامل

جنوني، أدفع ثمن الحمالة التي تنافسنا في ارتكابها. أحبك وأنا حزينة لدرجة الموت اليوم الذي يذهب لن يعود أبداً. ضيقة في المراكب يا حبيبي. ضيقة حياتنا. ضيق شوقنا وجبننا رغم كبره وعظمته. أنت تقتلني بكلماتك وأشواقك وأحزائك أتدري أن نفس الفكرة راودتني وأنا أفراك؟ قلت في ذلك الصباح لماذا لا أكتب له باسمه؟ لماذا لا ألقظه يشفتي؟ تخيل أسماؤنا لتفادي الحمالات القاتلة. خوفاً من أن تسقط الرسائل بين يدي رياض إذ يمكن لأي رجل في مثل هذه الحالات أن يتحول من ملاك إلى شيطان. ومن عاشق إلى قاتل من الزمر الأكثر حقداً. أقول في خاطري: أحبه وأريده «راح يصير إيه يعني» يقتلونني؟ لقد فعلوها قبل هذا التاريخ، بل فعلتها بنفسني عندما انتحرت. وإلا كيف أسمى هذه الحالة؟

أنت دائماً تبالغني في الأماكن التي لا أنتفرك فيها إلا قليلاً.

وحيدة مع موسيقى الصمت والخوف القريب من الموت. يكفيني حبيبي أنتي رايتك أروجك فقط لا تحاكمني ولعل من يمينك إذا لم أكتب لك لا تزعج مني. فانا لن أكون إلا لك. الرجل في بلادنا العربية يستطيع أن يتمتع بحريته كما يشتهي، لكن المرأة التي هي في مثل وضعي، عليها أن توفد كل مكان حيلها لتستطيع الوقوف على قدميها والذهاب نحو حبيبها على رؤوس أصابعها حتى لا توفد حساسية المأزومين.

أشهد أنني قُلت في أن أكون زوجتك التي حلمت أن تمتدح طفليين. جميلين مثلما اشتبهناهما مايا ويونس، ولا أريد منك الشيء الكثير سوى أن تستمع إلى دُعري الداخلي من حين لآخر.

ولا تنس أبداً أنني مصابة بك ولهذا أنشيت بك، حتى برانحتك، أو بمعزل الذي يملأني، لكي لا أحتقن في وقت ميكر وأنا لم أعش الحياة إلا قليلاً

أكتب لك أيضاً لكي لا أموت اختناهاً
أدرب نفسي على نسيانك

لقد أشعرت حرائقي وهربت يا بختك على راحتك وقدرتك على الصمت

لو فقط تدري كم أشعر باليتم في غيابك

كنت أفن أن الزواج سيفتح كل أبواب المغلفة. ولكن يبدو أنه مؤسسة لا تختلف عن بقية المؤسسات الأخرى التي لا تعمل إلا على تغريب عواطفنا وتعليبها والتصدق بالكذبة الجميلة التي تبتدعها باستمرار حتى لا نموت قهراً أعدرتي. منذ زمن لم أراك، ربما لأنني أحاول عيشاً أن أدرب نفسي على نسيانك. وأحاول أن أفنتع بأنني أصبحت في بيت رجل آخر. وعلى أن أظل وفيه له. وأخادع باستمرار عواطفني الداخلية أنت تعرف أن ما كنت تحدثني من خطره صار حقيقة. القدر أحياناً يحول سخرينانا إلى حقائق في حياتي لم أكن أتصور أنني سأصبح زوجة لرياض كان يبدو لي بليداً ومقرفاً بحبه للمال وكس ورائي حتى سحبتني نحوه. عرف الفجوة التي تركها في غيابك وجعلني اصدق أنا المجتونة بك، أنه في النهاية رجل، والرجال لا يختلفون كثيراً لا أريد أن أقول لك أنني أخطأت في تقييمي، فذلك مسؤوليتي، ولكنني أشهد لك اليوم أنني عاجزة عن مقاومة غيابك هل تدري كم أحبك، وأني كلما تذكرتك رابطت عند المائدة علني أراك، أنا منكسرة وميتة، وربما حاقدة عليك أيضاً. أنت تعرف السبب جيداً

لا تلعني إلا منذ ذلك الصيف الفارغ خرجت و لم تعد قلت لي بغاوة باردة

أبارك زواجكما. رياض إنسان طيب، ويسعدك
كنت تكذب على نفسك وعلى. كنت منكسراً أكثر مني. قلت لك هل أنت مقتنع بما تقول؟ لا تغادر المدينة إذن؟
صمت وأكثرت لسانك. عرفت كل شيء من عينيك المتعبتين اللتين ظللتا تدوران في الفراغ، قبل أن تقول بأنك كنت الوحيدة التي شعرت بشغل

تريدني أن أبقى وأنت بين يدي رجل آخر؟ فوق طاقتي لا أمك
التشجاعة الكافية للقيام بذلك اعتقد أنني لم أستطع أن أمنحك ما منحه لك
رياض. كل الخير أتمناه لك

- أنت تعرف جيداً أن رياض كان العجلة الخافسة لتصلح الأعطال
حتى تسمت جيداً

خرجت ولم تعد ذهبت نحو مدينة أخرى قلت سأجرب العاصمة،
ليست مدينة سيئة هربنا نحوها العديد من المرات في القطارات الليلية
عندما كنا طلبة، واختبأنا في فنادقها الصغيرة التي كانت ممتلئة بشكل
دائم

هل نتطلع من نحب هكذا؟ نفلن لا أجد شيئاً واحداً يكرهني فيه، بل كل
شيء يقودني نحوك مع ذلك كنت أتحاشاك مثلما كنت تتحاشاني، وافترقنا.
أنا ذهبت نحو أثينا، ثم باريس لقضاء شهر العسل، وأنت سكنت مدينة لم
تض تحبها كان قلبك ممتلئاً وكتب خربة عليك وعلى نفسي في باريس لم
أر شيئاً سوى ما رأيته أنا وأنت في رحلتنا المسروقة. رياض يتبعني وهو
يعرف أنني في نهاية المطاف كنت عبثاً، أفتني خطاك كالمجنونة في شوارع
باريس. وشما هربت حتى راوية نعلها فيها خلعها بعدي

حين عدت متأخرة جداً من رحلتي. كنت قد احتللتني عن أخرى، ولم
بعد الزواج إلا جزءاً من الخطيئة الكبرى التي وضعتني في طريق رياض، أو
وضعتني في طريق أول شخص فكرت في لقائه هو أنت. أنت فقدت ولا أحد
غيرك

لم يبق أمامي إلا الاتصال بك عن طريق صديقتنا عائشة التي تطوعت
للربط بيننا. كانت متأكدة من أن ما حدث بيننا لم يكن إلا خطأ طارئاً، علينا
تصحيحه بأي شكل من الأشكال يوماً توفيني، حتى رياض صار يكرهها

مجنونة أنت! الله أعطاك كل خير وأنت تضعينه بحمافة لا تدفني
حالك حبة

لا أجد لها أجوبة إلا تحميل الأقدار شططي، ومزبداً من الكذب والسخافات
التي لم تعد تلقيني أنا نفسي فكيف أفتع بها غيري.

ياہ کم کنت دافئاً في تلك الليلة عندما زرتني في غفلة من الكل، لم
تسميني ولكنني شعرت بحرارتك

عندما تنتهي غفوتي وأعود إلى رشدي، لا أجد سبباً سوى ملاطعتك،
ولكنني سرعان ما يعاودني مرضي، وأجذني فجأة أركض وراءك أبحث عنك
في المدينة، وكالمجنونة، أعثر عليك داخل الحرائق نفسها. تبحث عني

ركبت رأسي يوماً وتخطيت عتبة الخوف مرة واحدة قادتنني نحوك
عائشة، في الصباح الباكر، سافرت أنا وإياها إلى العاصمة، في رحلة
استغرقت 48 دقيقة مرت كدهر. أرثني شفتك، على حافة البحر، ثم
تسكت

- لا تنسي أن نلتقي في العطار الساعة السادسة مساءً

- وإذا لم أجده.

- ينتظرك يا مبهولة، لن يخرج اليوم

فتحت الباب حتى قبل أن أدرك أن أسألك كثيراً وكأنك سمعت رانحتي.
تريد أن أقول لك بصوت عالٍ خذي في صدرك أو فرائدك كما تشاء، لم
تسألني، قرأت كل شيء في عيني، أخذتني بين ذراعيك، عرفتني عن أخرى
مثل برنغلة، وغريته، بنسلف كنت أرتجف مخافة أن يسرقني الوقت استلق
إلى كل شيء فيك، عطر، رائحة جسده عرقك، أنيكك وأنت تبحث عني في
أقاصي اللذة، بكيت على صدري طويلاً، وبكيت أنا أيضاً شيئاً مبهماً، اليوم
كله قضيت بين ذراعيك أستحم فيك بشرة لم ألحظه في نفسي من قبل في
البداية كنت أخاف من الحمل منك، ولكن مع تكرار الجنون لم يعد شيء
يهمني، بل صار يهمني أن أحمل منك الشهيتك أن تبقى في وأن لا تنسحب
ولم أشعر أبداً بالندم تجاه ما فعلته منك. لأول مرة أشعر أنني كنت صادقة

في حبي ولم أكن أمثل مطلقاً كنت أريد أن أؤمن، لكنني لم أكن أريد مطلقاً
أن أضيع هذه الفرصة

موجوعة بك أيها المجنون الذي لا تستطيع امرأة فهمه مثلي

موجوعة بحبك. أما زلت تتلقى رسائلي بشوق كما كنت تفعل دائماً
العادة قاتلة ومع ذلك نحن أحياناً في حاجة ماسة إليها في حاجة لأن
أمارس معك أبسط الأشياء اليومية. كان أقول لك صباح الخير صباح الخير
يا روحي لم أتوقع أنني سأجدها هنا

ياد.. لا أدري إذا ما كان علي أن أزعل منك أم أعضك، أو أكلك، أو مباد
أفعل معك وذاك كم كنت غيبياً يوم وقعت تحت وطأة فلسفة فارغة وعيد
كنت تعرف جدواها وحماقة سرقتني منك وسرفتني مني. ستقول لي هفوة
مزلق غير محسوب أقول لك وأنا أضع الاملاح على جراحتي لكي أقدر
من تحمل قسوتها ليلاً عندما ينفث كل شيء نحو المبهمة. وحتى لا تصير
واسعة وعفنة وتصبح مداواتها مستحيلة لم يكن من حكمة خسراتي بتلك
البساطة، ولم يكن من حلي توريطك في نفق عظيم أدركت سخافته قبلي

ياد.. ما أقصر جبلتنا! علينا أن نخادع العالم كله لنحصل على شيء
كان يمكن أن نحصل عليه كما نشتهي لو عرفنا كيف نتصرف. شيء ما في
الإنسان يقوده دوماً نحو حقه وتلاشييه. ومع ذلك، ما زلتُ هنا. على هذه
العتبة التي لم أردها، أواجه رياح اليأس وأحلم أن أراك كلما أشرق الشمس
وكلمنا غريت

خديجة السعيدة

و كل يوم تزداد بعداً وتوغلاً في مثل المدينة الحارة.

وكم أنا مرهقة وحزينة من أجل نفسي وللوضع الذي ألت إليه حائناً
وحزينة جداً من أجلك، لأن رأسك بإسفة كالحجرة الحب ليس فقط ما
نشتهي، هو كذلك ديمومة. ربما هذه قوته ومقتله، الذي علمك كيف تحب، لم

يعنك كثيراً كيف تحافظ على أشواقك حتى النهاية. ستقول لي، الحب مثل
الكائنات الحية، له بداية وله نهاية المشكل ليس هنا، ولكن فيمن يمنع
هذه النهاية لماذا نراحم الأقدار في حماقاتها؛ لماذا نقتل شيئاً بإمكاننا
أن نحافظ عليه ما دمنا نحب بعضها بعضاً؛ هل كثير علينا أن نكون مع
بعض؟

يحدث معي أحياناً أن أسقط في التهويمات وحب الرقص وراء غيوم
عارية كانت تركبها الأميرة الجميلة في أحجيات جدتي الكثيرة. وحين أفضل
في تحقيق شيء، أحزن بعمق وينتاب قلبي الإحساس بأنني فقدت شيئاً
ثميناً قد لا يعوض أبداً. لقد صرت في حاجة ماسة إلى الارتباط بأي شيء
يمنحني فرصة التعلق بك والتفائل، وعدم التنازل للأقدار التي أصبحت
تفأسسها في سلطانها القاسي.

الإيمان على الحزن يا حبيبي صعب في هذه المدينة الريفية التي
جعلت من السعادة واليأس ميادينها الأساسية. غريبة الأطوار هي هذه
المدينة. كم أشتي أن أخرج من هذه الدائرة التي تأسرتني. شفاؤك صعب.
وأسئلتي بدأت تزداد تعقيداً كلما استحضرت أوضاعنا الخاصة. لم أعد أرى
لها أفقاً. أنت مثلي، تؤمن بما تحدثه تفاصيل الحياة فينا. من معجزات لكن
يبدو أن الله والملائكة قد غضبوا على المدينة وعلينا. ولن ينزل أي نور أو
أية حياة على أسوارها. فقد انسحبت الملائكة والناس الطيبون منها. أحبك
ولكنني لم أجده بعد أجوتي عما يعذبني ويتوغل في قلبي بعنف كبير

نحن لا نحزن شهوة في ذلك و لكننا نحزن لأننا لا نملك أجوبة لأنسئلتنا
الفستخية

كلما كنت معك نسيت همومي الصغيرة، ورأيت حبات العطر التي تملأ
قلبك. لكنني كلما غادرتك، عاودني الخوف من الآتي الذي لم أعد متيقنة من
ملاحه هل تعلم ليها الحبيب الغالي أن لحظائنا المسروقة تأسرتني.

أراك الآن ونحن ندفع بشوق مجنون تجاه بعضنا البعض، داخل الخوف

على الرغم من التعب، لا أشعر بأية رغبة في النوم

غاب الكمان عن نظري، لكن أنين سوزان لوندنغ يصلني خفيفاً
وناعماً.

لم يعد المدس يثير انتباهي الآن، وبدأ شيئاً فشيئاً يدخل ضمن الأشياء
الآلية، كالأقلام الملونة الكثيرة، المسطرة، המחاة، الكمبيوتر، الرسائل
والمرق الصغيرة التي خبأتها في الصندوق منذ زمن بعيد... وغيرها من
الأشياء الصغيرة والدقيقة التي تنام على حواف المكتب.

أبحث عن واسيني في كل حرف، ليسهل علي أمر تسيانه.

صعب أن ترهن عمراً بكامله لحساب رجل هو مجرد غيمة هاربة، تمنحك
إحساساً قوياً بالحياة، ولكنك بمجرد أن تلمسها، تنزلق من بين يديك لتصبح
مجرد سراب لا يقر على قرار.

أكدت لي السنوات التي مضت أن واسيني مثل قطرة ماء، تبلل ولكنها لا
تروي عطشاً كبيراً، سماء أصدقاءه المقربين، الرحالة الذي لا يتعب، وأخرون
أطلقوا عليه تسمية الحمام المسافرين، كان دائماً يجيب بحيرة مضمرة: حمام
بظير بأجنحة من حديد! حتى عندما تعب قلبه، ونهته الطيبة عن كثرة
السفر، ابتسم وهو يفادر المستشفى، فهمت الطيبة جيداً قصده. ضحكتم وهي
تقول له: قلل على الأقل من حماقاتك السفر ليس كل شيء في هذه الدنيا.
استمر في غيه وجنونه، ولم يغير شيئاً من عاداته القاتلة.

تقرت الرسالة كالقنبلة الموقوتة أمام عيني. لم أكن أريدها أبداً، على
الأقل الآن. كانت رائحتها غريبة مليئة بالخوف والدم ويعض الفرج المسروق
خفية. قدّمت بي بعيداً نحو خراب ظننته مات وتحول إلى نثار طائر في
الفراغات العالقة.

رأيتني يوماً خارجة من الكونسرفتوار، في عالم كان يعج بالوماد.

والشهوة المسروقة، ولا نساء كثيراً عما ينتقلون في الزوايا المظلمة. غرفت
الصغيرة في العاصمة كانت كافية ولم تكن في حاجة إلى قصر بارد مثل
الذي أسكنه ويشبه قيراً. غرفة حميمية، مليئة باللوحات والألوان والأنوار
والستائر البنفسجية التي تتبعك في كل مكان. توفر لنا فرصة تعاطي كل
حماقات الدنيا، لعب الورق، الشطرنج، وممارسة الحب والجنس بالشكل
الذي تشتهي. وفي الوقت الذي نحب في النهاية نتصاحك عالياً كالسكارى،
بشكل هستيري وننساءل كيف وصلنا إلى جرة التعري في أعين بعضنا
البعض. من أين جاءتنا تلك الشجاعة النادرة؟

وعندما نفعل بأن الجيران يمكن أن يسمعوا جنوننا، نتكتم قليلاً ثم
نحاول عيلاً أن ننام. شيء فئنا يستعصي على النوم. عقوا، يستعصي على
الموت.

هل أنت هنا؟ أم خرجت بدون أن تودعني؟

هل تسمعي الآن أم مازلت غائبة؟

مريمتك الضائعة، التي لا تغض عينيها إلا لترك

وهان خريف ١٩٨٨

كان كل شيء في البلاد قد تغير بقوة وكثرت الثوب في جسد أرض مزقتها
الغزاة، وأنهكها حكامها وورثة دم شهدائها، حتى أصبح من المستحيل رثق
جروحها اللامعة

كانت الحرب الأهلية تأكل الأخضر واليابس، الصاحي والناثم، الحي
والميت، العالم والأمي، البريء والمجرم، ولكنهم لم تمنع الناس من ممارسة
جمال العيش

يوهمهم له أرحاباً.

قلت له وأنا أضمه إلى صدري، وأتأمل وجهه الذي شعرت فجأة بأنه
سليب عني وإلى الأبد، وأن الزمن لن يمنحني أية مهلة لإنقاذه من نفسه
أولاً، ومن القتل ثانياً.

- أخرج أروك إذا بقيت هنا لن تعيش طويلاً. أفضلك حياة، على قبر
مغطى بالأكاليل وميداليات الشهادة. أتحمّل اقتلاكك المؤقت، على إصرارك
المجنون لاستدراج القدر تحوك الخروج ولا تلتفت واءك... أخرج من أرض
الموت.

- ٢ -

كان القتل يحتلون كل شيء في المدينة، حتى دواخلنا الطفولية. دخلوا
إلى البيوت، وفناجين القهوة الصباحية، وساحات العشاق، والسهرة الخفية.
سمموا القلب والذاكرة، كل الناس أصبحوا يحسبون حسابهم.

أخرج. قلت له وأنا التصق للمرة الأخيرة بجسده المتعب، قال لي وهو
بصطنع مزحة لم تضحكني كثيراً.

- وماذا سيقول عنا الذين ينتظروننا في أكثر المعابر ضيقاً؟

- لا عليك منهم ومن أشكالهم. ماذا سيقولون؟ سينبحون ويصمتون.
خرجت أم لم تخرج. فهم تحت وصاية «البيع بروذرز»^{٣٧}. فعندما تقتل

لن تبتكث إلا أمك ومن يحبك، أو يحس بك، لست أول من يفعل ذلك. لم يكن
نابوكوف أهبل عندما خرج وكتب لوليتا، وما كان شارلي شابان أقل وطنية،
عندما اضطر لمقادرة أرضه الأولى باتجاه أمريكا. عندما عاد لها، في سنة
١٩٣١، قادماً من نيويورك، بكاهما بحرارة. أشعر بنفسي كالميت الذي عاد
إلى الحياة. الروائح، رائحة المطعم. أذكر المكان الذي كنت ارتاح فيه،
ويكني الآن لست ذلك الشخص. فأنا إنسان آخر، يعيش حياة أخرى. فجأة
تسهر كأنك مثل الثعبان الذي يتخلص من جلده الميت ويلبس جلدًا آخر
مع احتفائه بروائح الأول لم أشعر بشيء كهذا من قبل ولم أتذكر إلى أنني
كنت مريضاً بحدّة، يعواظني، ولا نيكوس كزانتزاكي، عندما بحث عن فجوة
حياة في باريس وغيرها من مدن العالم. اذهب عمري ولا تسأل، فالبلاد
منحها الورثة للقتلة، وسيكونون حلفاء شنيعاً، يفلق عيون كل من يرى أكثر
من يجب له أن يرى. اذهب. يمكنك أن تحب وطنك من الأرض التي أنت فيها.
البحر ليس رهين الأمكنة. هل رأيت عاشقاً ينسى معشوقه بمجرد خروجه من
البلد؟ بل يزداد الحب تاجحاً كلما افتقدنا أرضنا الأولى.

لم أضف شيئاً عما قاله له صديقه المسرحي، عبد القادر علولة عندما
صافه عبر أحد شوارع العاصمة، في عز المقتلة

- أخرج يا خويا من هذا الخراب. تظن أنك تمشي متنكراً؟ أي تنكر؟ عليك
أن تقص قليلاً من رجليك لكي لا يعرفك الآخرون. ستقول لي وأنت لماذا لم
تخرج؟ لو استطعت أن أنقل معي مسرح وهران على ظهري، لما ترددت لحظة
واحدة. أنتم الكتاب أخف الكائنات البهشة. لا شيء يثقل ظهوركم المتعبة. مع
حي، وقلب ينضض لكل الأشياء الجميلة، وقلم يكفي لزرع النور في الظلام،
وفي الليل الذي هربت منه النجوم، لن يمنحك المنفى المؤقت من الكتابة.

لا أدري كيف استمعت إلى نصائحي ونصائح عمي عبد القادر، وخرجت.
بينما نلخت أنا في غفوة الموت، لم يعد شيء يعنيني إلا ما تبقى من موسيقى
كانت تملأ قلبي وعيني وجسدي، فاحتميت وراءها. كانت حائطي الأخير
الذي حمى والذي زمنًا طويلاً من الانتحار. فارتبعت أكثر بما تبقى من
الفرقة الفيلارمونية لكونسرفتوار مدينة وهران، التي هجر أغلب أعضائها

المكان خوفاً ورعباً. وعندما أغلق الكونسرفتوار، أصبحت أنهب نحو الأوبرا أو المسرح الجهوي، الذي وضع عماله تحت تصرفي كل ما كنت أحتاج إليه.

فجأة أصبحت وحيدة وسط أوبرا خالية من كل نفس. كان عمي عبد القادر علولة يقول لي دائماً، قبل اغتياله: شوفي يا ليلي، أنت صاحبة القضاة. ازري في الحياة التي تشائين. يجب أن لا ينجح القتل في إسكات صوت الموسيقى والحب. عندما ينطلق عليك الكونسرفتوار، تعالي إلى هنا. المسرح كله تحت تصرفك.

كنت أعزف ساعات طويلة، في مسرح خال من كل شيء، وأنا أفكر في عمي علولة الذي كان يملأ المكان بصوته الذي يشبه زئير أسد مجروح. لم أعد أسمع شيئاً إلا صدى موسيقى القلب الحزينة.

ارتبكت كل يقينياتي في الحياة نفسها

— ٣ —

أجمل شيء في رياض، هو كرهه للقتلة الجدد. كان يراهم أكبر بلية يمكن أن تصيب أرضاً طيبة خضراء، أكثر من الجراد. إذ تتصجر التربة، وتموت الحياة فيها، فتصبح قاحلة لا ينبت فيها زرع ولا ينضج فيها خمر. أسوأ من قنبلة نووية.

«اللي أصابه ربي، يسلم عليه هذه الأقوام المصابة بالعمى الكلي». حصوله على مهندس الحماية، لم يكن أمراً صعباً، فقد كانت علاقاته كثيرة ومدمجة في الوسط التجاري والعسكري. لم يكن الأمر يعني كثيراً لا السبل في شأن أسداً على الرغم من أنني أصبحت أعرف هذه القنطرة العلمية كره أفكك المصالح، وكانت أركمه حتى أنه اقترح عليّ ذات مرة، لي أرافقه إلى مركز الشرطة للتدريب على الرمي. رفضت في البداية لأن خوفاً غريباً انتابني، ولكنني اتصعت لأمره لأنه كان أكثر براغماتية مني.

«تعلمي على الأقل كيف تدافعين عن نفسك وعن أبنائك، هم جبناء. إن يتظاهروا في دروسهم إذا قولوا بعد أدبي في الدفاع

أنا لا أجعل حقداً ضد أي إنسان، وليست بي رغبة للقتل، ولكن بي جرحاً عميقاً على كل من يمارس أن يستبيح أن يحس به أسس منه يورث عني يوماً الرواة الكذبة، القتل، السفلة، وما أكثرهم

كم تبدو هذه الرسالة الحزينة والمملوءة بالحياة، التي كتبها له بعد عاني به في باريس بعد غياب شعرت به عمراً وليس سنوات. كان الزمن قد ضغط، وتحول إلى لغة هاربة التصق بها عمر اللحظة، أنوارها، حنينها بامر، لذة إعادة اكتشافها باستمرار، شطط الجسد الذي يستيقظ بصعوبة... لحظة جميلة صنعها القدر، وقدمها لي على طبق من ذهب، في عمق الحروف والقنوط ويأس الموت المتريص بنا في كل الزوايا

— ٤ —

لست نادمة على ما فعلت.

فقد اتخذت قراراً صارماً وربما خطيراً لأنه يمس غيري أيضاً. صممت أن أكتب كتابي العفوية. ولا يهم إذا ساد الأمل أو السخط أو التراجع أو التراجع في السمت قد يكون السمت هو سلاح الضعيف ولكنه سلاح الخرس لا أنتظر الشيء الكثير من محيط قَبْلَ قبل قرن على الأقل

مازلت إلى اليوم، على الرغم من كل الخسارات التي لحقت بي، أعتبر لقائي بواسيني من أجمل مكاسبي في الحياة وأكثرها أناقة وقسوة في الآن نفسه. لا يمكن لأحد، مهما أوتي من قوة داخلية، أن يتخيل مقدار الحزن الذي ياكلني من الداخل ويحرقني بدون أن أستطيع فعل أي شيء حياله. كما لا يمكن تخيل مقدار الحرية التي منحتها لي هذه التجربة المجنونة وهي تزحف نحو عمر بدأ ينتكس رايته.

ما زلت أصر على أنه كان يمكن تفادي هذا الشطط بقليل من التأمل. لكن حيث يحل الجنون، يحل الخراب أيضاً مشفوعاً بشيء واحد جميل، هو الحرية. الدوحة فقط ما عساه، حالة خراب متواصل

التي أجبرنا أن أوقف الزمن حيث كنت عليه أن يتوقف ولم يفعل. لا شيء ولا تردد. لقد عشت زمناً قاسياً في الظل لأنني اخترت الطريق الأكثر



صعوبة. ولهذا، كلما تذكرت أن مريم سرقت جزءاً من حياتي، سرقت مني واسيني نفسه، بحثت عن جنون آخر لأسترجع كل ممتلكاتي المنهوبة. مريم لغة غيمة. ضباب في ساحل مهجور، ولكن لبلى دم ولحم، فوح وخوف، عقل وجنون، شيء يُحس ويذاق ويلمس. لبلى هي التي تعيش معه السعادات الصغيرة والانتكاسات المتكررة. مريم تنتظر دائماً عند المداخل، حيث ترى الجميع ولا يراها أحد. هي التي تسرق اللغة والنفس مني، مستعملة حياتي الخفية. ولهذا عندما أقول أصفي حسابي معها، ليس الأمر نزوة كتابية عابرة، ولكنها تصفية قاسية لحساب قديم وتمزيق لقناع لم أعد قادرة على تحمله.

كان على مريم أن تحس أولاً ما معنى أن تفقد رجلاً تحبه في عز موجة الموت، لتعرف معنى الكلام الذي أقوله. لكنها لا تستطيع، لأنها من اللغة فقط وفيها.

مريم لا تعرف أن رسالتي البائسة، من عمق النار، لم تكن مجرد صرخة ومفردات مرصوفة، ولكنها كانت نداء يتأتى من الأعماق المعزولة في عزها.

كثر القتلة، وكنا المؤهلين الأوائل للموت، وكانت مريم تدخل أنفها في جسدي لتتنفس جرحي قبل أن تلبسه، وتفتش خزانتي، وتتعمد في حمامي، لتلبسني كما تشتهي، وأصبح أنا الغريبة، الوحيدة مع نزفي الحقيقي.

ياها، لو كنت أنا أيضاً مجرد لغة: كم سأكون سعيدة!

لو فقط كانت الحرب الأهلية التي أكلت أعز من أحب، مجرد جمل وكلمات منكسرة: وكنت أنا مجرد دمية، تهز رأسها وعينها عندما يحركونها، وتبكي عندما يهزون جسدها قليلاً.

لو فقط كانت البلاد وهي تذبح نفسها بنصل صدي وتذبحنا في أثرها، مجرد لعبة روائية معقدة، لوضعت حداً نهائياً للعبة وأيقظتك من جبروت الخوف، وقلت لك: تعال عمري، ما يزال لدينا متسع من الوقت للجنون والحب.

ولكن الحياة كانت شيئاً آخر. الحرب لم تكن لعبة يمكن تبديلها بغيرها

متى شئنا. كانت موتاً حقيقياً، والموت لم يكن مجرد حالة عابرة، كان فاجعة فينا وليس في اللغة، ومريم لم تكن استعارتها الجميلة.

ولهذا كنت عاقلة إلى أقصى حد ولم ألعب اللعبة التي أتقنها غيري، أن أعيش معك وكان شيئاً لم يكن، وأن السحابة التي تدمي سعادتنا ليست إلا غيمة هاربة، أفنتك بأن تختار المتنافي لأنني كنت أناثية: أريدك حياً وبعيداً، على أن أراك ميتاً وقريباً مني، داخل قبر أزوره كلما سمحت لي ظروفي الصعبة، وأطلب منك عذراً أنني رأيتك في عمق النار ولم أفعل شيئاً من أجلك.

•••



يلقى إلى سبي

سيني الحبيب

عمري ونهني الجميل

أطفاك البارحة شمعة يونس الثانية. كان سعيداً تمنيت أن يكون منك
ولكنك كنت دائماً أعقل مني بكلماتك التي لم أعد أحبها سيأتي وقتنا. ليس
الآن. متى إذن؟ عندما يصبح عمري قرناً تحبك ولا تسأل عن الحريق الذي
يكبر كل يوم أكثر بداخلي. سيكبر يونس وسيعرف. طال الزمن أم قصر، أن
أمه لم تكن لوالده. ولكنها كانت لرجل منحها كل شيء إلا الفرائش الدائم
الذي حاولت بكل ما أوتيت من قوة لاقتاعه به ولكن. جعلني يونس أكتشف
أشياء غريبة حدثت لي دفعة واحدة، ربما حدثت عنها يوماً.

أنا اليوم راقعة على الرغم من راحة الموت التي تحيط بي في كل مكان.
بلدي لا تخرج من حزن إلا لتدخل في نكسة جديدة سرقوا الطفولة من
عيون أطفال أكتوبر. يخافون الأطفال. خرجوا كسروا، لتحكمهم فلول القنطة
الذين بدؤوا يسرقون ألق المدينة. لقد تسلحوا بإسلام يشبه الإسمنت. لا روح
فيه ولا ماء. واشترطوه مسكناً للجميع.

خرجت الآن من دار الأوبرا ممتلئة بك ولا شيء غيرك. لقد أصبحت أعزب
طويلاً أمام الأصدقاء بعد أن تمزقت الفرقة الفيلارمونية، وكثيراً ما أفعل ذلك
وحدي أو أمام المرأة الكبيرة التي تيسرني إحدى فاعات الأوبرا غفلة لاصرق
أن الحياة ما تزال مستمرة. وأن شيناً فينا لا يزال حياً

كلما عدت إلى نفسي ووضعت الكمان على متكا كنتي الأيسر، وعزفت
بيدي اليمنى. تذكرت أنه ربما، حسناً فعلنا أننا لم نترج، وإلا لمات كل هذا
الألق الذي فينا.

ليس افتقادات سهلاً، ولكنك على الأقل مازلت حياً

سأعزف لك حبيبي هذا المساء، وأراك في داخلي كالثور الهارب.

هل تذكرها، تلك الطفلة المشاغبة التي سكنتها الموسيقى في وقت مبكر
وسابك بعدوا؟ هل تذكر أنني كنت أفسو عليك فقط بالحب وبالأغاني
سبى تعبك إلى قلبي؟ حتى اسمك مزقته بسببها ودفعته إلى التوقيع به
ونسيان عذرية لزعر الحمص، الذي دخل أول مرة إلى وهران وهو بطلاً
بشمسة العيون العابرة من أمامه. ولا يفهم ما كان يدور حوله. كان طفلاً
يربوا إلى أقصى الحدود.

سيني حبيبي.

كم اشتبهت أن أشبهك في غبك وهيك وامتهن حرفة الكتابة بلون
الشهوة، اللون البتفسيحي. ولكن كل شيء هنا صار رمادياً ومراً، لا نعيم
يكفنه إلا السواد المستشري

لا تبحث عني حبيبي، فأنا متفرسة فيك مثل الحلم الشفي، الذي لا
يشوق ولا يعرف نهاية

شئ آخر يمضي بأسنلته المرة وبرده، ولحظاته المسروقة. شئ آخر
يأتي مليئاً بالأشواق التي لم يعد شيء يوقفها أبداً. لا أدري لماذا يتنامى
خوفي من فقدانك بقوة أنت مهبول وأخاف أن تسرقك الحياة مني على حين
غفلة

أيها الهارب الأبدي من ظله ومن خوفه الضامر، هل تدري يأتي سيدة
انقل منذ أكثر من عشر سنوات؟ وهل تعلم ما معنى أن ينتظر الإنسان
عاشقاً طوال هذه المدة؟ لا أعتقد أن بنيلوب عرفت لذة الانتظار وشقاوتها
مثلما أفعل كانت ربما ملت ووجدت كل الأسباب لنسيان عوليس والبحث
عن حياة أقل ألماً وأكثر اختصاراً. أنا لا أرقب السفن القادمة من بعيد، كل
يوم، ولكني في كل صباح أسأل قلبي، هل مازلت فيه، ومازالت أحبك؟ فيحمر
خجلاً من حماقتي لأنه يعرف سلفاً الإجابة التي أشتني. عشقتك وعمري
أقل من عقدين، واليوم برزح العمر نحو مدارات الخوف، فهل سألت نفسك
كيف صورت حبيبك كل هذا الزمن لتعيش في الظل. وتنتسج في السر شوقها
المستحيل؟



لهذا النساء رانحة الذكريات المنزلة في تدفق كحفة ماء صافية شربتها يوماً من ذلك، في شلالات «لوريطة» الأندلسية التي جفت اليوم ولم يبق منها شيء يذكر. هل تذكر أيها الأهل المينوس منه، عندما كنا نقترب منها، وننصت ملولاً إلى هديرها الجميل، قبل أن تفاجئنا بنشيتها ورياء مائها المتساقطة من أعالي الجبل إلى الوادي الذي يستقبلها، كنت تضمّني وتقول لي أغمضي عينيك فقط وتركني نفسك تتسايب مع الماء وتستشعرين بإحساس غريب وكأنك أصبحت ريشة فوق السيول أغمض عيني، وأسد كل حواسي إلا حاستي السمع والشم يدخل الهدير الجميل إلى قلبي في شكل مهمات، ممزوجاً برائحة جسد الطفولية كما اكتشفتها أول مرة، عندما كنت لزعر الحمصي ولم تصبح سيني الملعون الذي يؤذي حبيبته من حيث لا يدري، يأتيني كل شيء جميلاً وهادئاً، أشعر بخفة وزني، قبل أن أدخل في دوّار عميق، إلى أن توقفتني من غفوتي الجميلة بقيلة، لا أسأل عن المسافة التي تفصلني عنك، كنت فيك ولم يكن بهمني أي شيء آخر

ها أنا ذي على حواف بحرنا الجميل الذي شيدناه من جنون الغوضى والحب، وحدثنا كنا نعرف أسرارها، أنزل على الموجات الهاربة باتجاه عمق لم أكر أكر مخاطرة، بل لم أكر لبسني دحليلاً تزيّنق الرمال من تحت قدمي لكن صورتك ترتسم في كل شيء، على صفحة الماء، بين تفاصيل الرمال المنزلة، على الصخرة اليتيمة التي يتمزق عليها الموج الهارب من نفسه إليه، تدعوني لجنون آخر كنت أنشده وأخافه، لم تعد نشتهي تغيير العالم لحظة فقط نسرقها من العمر المنفلت منا إلى تخوم الذاكرة كان البحر لغتنا المشتركة ومهرتنا الجميل بعد أن جفت مياه «لوريطة» الرابع

سيني حبيبي

هل تدري أنني منذ سنوات وأنا أقاوم هديرك وندائك الداخلية التي أغرفت كل سفتي وبحاري لا حدود حبيبي لفيك، لا حدود لوزنك الداخلية كان عوليس يربط نفسه إلى عمود ملول في سفينة، يصم آذنيه كي لا يسمع نداء عروس البحر التي كان يمكن أن تسرقه أنا أفتح قلبي... مسمعي كل حواسي الخفيفة والثامنة لأسمع نداءك فقط ولا تهمني النهايات أبداً كنت

... فكيف يمكنني أن أتفاداك يا عمري؟ لا بهم.. وحده موجك المنكسر من مساء علي صدري يأخذني إلى عمق الاستثناء لأنتقي فيك، ولا شيء آخر سوى صوت اللذة المكتوم وأتبع يأتي من مدافئنا الداخلية، بريك، لماذا كنت تكتمه، لماذا لم تتركني أصرخ بأعلى ما أمك من قوة، أنا بحاجة لأن أصرخ، كتمت صرخة ولا بدتي، هكذا قالت لي أمي خوفاً من العسكر المرابط على حدود البيت، وكتمت صرختي خوفاً من أن يسمعن الجيران! ليذهب كل حيران الدنيا إلى الحميم ربما حدثت عليك في أعماقي، إذ لم يكن من الضروري أن تروض صراخي وجسدي وحتى اسمي؟ هل يمكننا أن نسكت بعيد البحر الذي كان فينا؟ أنت تعرف عمري أو لا تعرف، لا أدري؟ لكل امرأة ميزانها في لحظة الرعدة، لحظة واحدة قبل التلاشي، هناك من تقول كل الذادات الجميلة المخبأة في الأعماق، وهناك من تكتفي بالإصغاء إلى تفلح النقاسها، وهناك من تشتهي أن تصرخ وإن تسمع أنينها قبل أن تنهاوي كنيسة ممزقة يصعب جمعها وربتها شيء من التوحش الجميل المبطن فينا يحتاج إلى الإعلان عن نفسه بقوة، جرئت معي ذلك عندما ننام بعيداً على حواف جزيرة منسية أو بحر لا أحد يوحد به إلا نحن، لماذا حبيبي تحاول دائماً أن تروض أجمل حماقاتنا، ساحاسك يوماً على كل هذا العقل الذي يأتي في الوقت الذي يجب فيه أن يغيب، ولا يسأل

هل تذكر أول لقاء بيننا؟ كنت مفلأ خجولاً خرج من حضن قريبته وأمه وكنت أيضاً صغيرة، أبداً خلواتي الأولى مع الحرف، وكنت أنت الحرف كله لأنه كنت تصنعني، وكنت من حيث لا أريد، أشكك وفق جنوني بحيث لن يمكنك التخلص مني أبداً حتى ولو شئت ذلك، كنت تكتب لي أجمل الرسائل، وأقرأ أحلى ما كنت تكتبه، عشت كل نساك اللواتي صنعتهن من احرف النار كالكيميائي لقد أصبحن يؤشّن ذاكرة هذه البلاد الواسعة كنت تارة في مريم وتارة في دنيا زائد، وأخرى في فتنة، وأحياناً في كلبمونس، أو ربما اناطوليا، كلهن يسكن عقداً في عني لأن بهن شيئاً من عمري، رانحتي، غمزتي، الخلال الذي على خدي، مخالبي لحظة جنون اللذة... حين أفكر أفكر فيك وأنفي كل حبيبائك المنسيات على الصفحات القديمة التي كتبتها، ثم ها أنت تضع يدك على كتفي وتساكني، لماذا تهضي كل

هذا الوقت في الاستماع إلى محاضرة مينة عن اللغة السانسكريتية؛ لم أكن أعرف بماذا أجيبك لأن محلي ليس دائماً معي، إما فيك كلياً وإما في الكونسرفتوار الذي كنت أنتظر بفارغ الصبر الالتحاق به؛ ربما كنت أنتظر أنا أيضاً من يأخذ بيدي ويخرجني من هذا البقيع الغريب الذي لا معنى له. المدرج كان يمتلئ راحة غريبة، نزعاً امتلاكك وتاملك مثلاً أشتهي؛ لم يكن يغريني الدرس أبداً؛ كنت فقط أتأمل وجهك الطقولي وأريد أن أبيع منك في المدرج كنت أشعر أنك لي وحدي دون الآخرين، أناملك قبل أن أهرب منك إليك في عمق الدرس أتخيل أصابعك الرقيقة وهي تنسج خيوطاً من الليوم على جسدي. هل كنت أحلم؟ ضاهي أصابعك الرائعة الرقيقة وهي تنسج من خيوط النجم لباساً شفافاً على كل جسدي. خطي أني لم أكن حبيبة ورقية ولكني كنت حقيقته الوحيدة كنت حبيبته التي لا يمكن أن تقولها إلا على قصاصات امرأة مبعثرة في شخوص رواياتك. أتساءل أحياناً من كان منا أحلى وأجمل، أنا أم مريم؟ من حيث لا تدري حبيبي خلقت مع الزمن، بيني وبينها. عراكاً غريباً كاني أصارع نفسي في مرآة مواجهة لي؛ أتساءل بخوف ماذا لو كانت مريم حبيبة أخرى غيري؟ سره الآخر؟ ربما كانت مثلي، امرأة عشقتها ثم تماهت مع اللغة ولم يبق منها إلا عطر حو أقرب إلى اللغة منه إلى الحقيقة؛ أنا مازلت هنا هنا حيث لا انفصال لك عني. فلتك ورعشتك الخفية شوق حقيقي تلمسه كل صباح وفي المساءات المسروقة. تحتضن رعشاته وهي تتأوه من لذة لا تستكين على بر. لا مكان لشيء آخر في ولها؛ فإن فلتك، عندما تتخلي عني، يصبح أكثر من مشروع. تضحك يا أحلى، أنت لا تعرف جنوني المكثوم تصور امرأة كتبت جنونها منذ صرخة الولادة التي لم تخرج من فمها. ماذا سيحدث عندما تنفجر بقوة؟ موسيقى الصمت la musique du silence التي فيها مثل الموج الهادر. لا بحر لها إلا جسدينا المنهكين من الجري وراء حقلنا في حياة معلقة على خيط، كلما لمع ركضنا نحود قبل أن يتسحب بعيداً وينظر إلينا بسخرية لا نحسد عليها. وتعاود الكرة قبل أن تتيقن أن كل ما حدث كان مجرد سراب قلق. ربما كان ذلك بفعل التماس التي لا أرفع نخبيها إلا معك، ورجفة جسد لا يحيا إلا على وقع أناملك الناعمة وهي تخط حروف العشق على صدري البكر الذي انتظرك

جناً طويلاً. الذين سبقوك إليه حبيبي لم ينظفوه، ولهذا اندهشت عندما وجدتني عذراء بامتياز. وكنت قد حكيت لك عن كل الحملي الذين عرفوني قبلك؛ الكثيرات منا تمعن عذراوات على الرغم من سرفة بكارتهن العذرية حبيبي ليست غشاء فقط. هي عذرية جسد يلتصق كل مساء بدون أن يتعلق بكل مخزونات الجميلة والرائحة

سبي

كيف أتفاداك الآن وعطرك يملأني؟ مزيج من رائحة أنفاسك وعطر Pour un homme الذي كنت تحبه، وتشبهه أكثر عندما يملك مني

فحاة صنعت كل شيء، وأصبحنا نمارس حبنا بحزن.

قلت لي يوماً لماذا البلاء تذيب نفسها بتحل حاد؟ ألم يكن أمامها شيء أجمل تقوم به؟ كانت رائحة الدم المنسكبة على الطرقات تملأ أنفينا. ماذا حدث لينقلب الجنون الجميل إلى جنون بدائي، ويصبح الحب أكبر إرادة يمكن أن يمارسها إنسان؟ المدينة التي كانت تنام بين أحضانها أحلامنا استيقظت ذات فجر على دوي الرصاص وأشلاء المثقفين والكوابيس التي قضت مضاجعنا أصبحت شوارع مدينتنا الجميلة ثعابين تنصيد حركاتك؛ ماذا فعلت أيها الرجل الطيب لعالم كان ينهار ويموت بدونك؟ كنت تثير الضحك، وأحياناً الشفقة، وسط كومة من الجبانع، وأنت تتخفي وراء قبة سوداء ونظارات، بطولك الفارع الذي كان دائماً يفضحك لم يكن أمامك إلا مفارقة المكان. ولكن ماذا أفعل أنا في غيابك؟ كنا نخاطر بحبائنا من أجل لحظات حب نخطفها من الموت اليومي. تركض نحو البحر، وهناك نتأمل تكسر الموج والزرفة طويلة. قبل أن نغيب في غيمة كانت تصنعها قفلات الويسكي التي كنت تسكبها في فمي وعلى جسدي. يا مجنون ما أكثر حبلك وهبك الجميل؛ أتعبك المدينة حبيبي، ينسب من حكمتها. قلت لك ارحل لا أريد أن أحملك في قلبي جنازة دائمة. في أعماقي لم أكن متحمسة لخروحك لكن قلبي كان صامتاً أمام عيني. أرجوك لا تركب رأسك أخرج انت مدعو من المعهد العالي للأساتذة اذهب ولا تلتفت وراءك. ابق هناك قليلاً وسأزورك عندما تشتاق لي قلت لي كيف تبررين غيابك أمام زوجك؟

فقد، وإما أسبل صحنك من حرجي، والهاون على صدرك لا شيء. فقط ما
نقولك أنت لأروحك. كذب جميل، له نفع الترفق المستعمل صحت ولم نفل
أية ثقافة أخرى.

يوم رحلت، مشيتنا طويلاً على حافة البحر، ولم أرافك إلى المطار قلت
لي يومها أشياء كثيرة لا أريد أن أتذكرها كلها حتى لا أجن بك. أكبر الأحران
هي تلك التي تسكنها وليست تلك التي تسكننا. أكبر الأفراح هي تلك التي
تنتهي عيشنا وليست تلك التي نتمنى عيشها. أكبر الأنشواق هي التي تهرب
من عيني عاشقين سريين.

لم تكن نساءً كثيراً عن المخاطر حتى يوم مغادرتك البلاد باتجاه
باريس. كان الموت بطاردنا بقوة ومع ذلك كنا نصر دائماً على اقتناص
الحياة من عمقها وداخلها.

• اسألني شو بيني
بأول هالسنة
يا حلو يا حبيبتي
مامبيك بالديني •

سبي، عمري.

كم كان فراقك قاسياً لو سألتني يوماً أن أترك كل شيء وراني وأنت
فيك حتى التهلكة، ما ترددت لحظة واحدة أصبحت المدينة موحشة أدركت
فجأة أن حبك وحده كان يمتحنني القوة الكبيرة لمواجهة عبثية الموت
المتريص بكل شيء والأقدار القاسية فجأة انحسر موجك عني، وأصبح
يسكن موانئ أخرى وشواطئ الضفة الغربية. كنت أسير وحيدة وسد صور
الجثث في المدينة. لقد سرقت القنلة الفراحنا الصغيرة لم يقتلوك ولكنهم
سرقوك مني على الرغم من ألمي وحزني وخوفي المرضى عليك، كنت
سعيدة لأنك كنت هناك في مأمن في منأى عن قوة مدس أعمى أو ضربة
سكين.

لم أكن أنصوري يوماً أنني سأكون حزينة وسعيدة لبعذك حبيبتي.

مرب البصر من عيني ولم يبق إلا صوتك الذي كان يخترق غريرتي من
حين لآخر عبر التليفون وأنت تبحث عن كلماتك مثل لزعم الحمصي في
أولي عطفونه عمري متناقض إلى ولم أع قادراً على التحمل اختنق الوي
ان أجىء أو تأتين إلى هنا، أفقد سنوات البحر والشلالات الجميلة التي
جعلها القنلة.

كان صوتك يأتيني دائماً ومتواطئاً مع جسدي وأسراري الصغيرة.

حبيبي سيني

كنت أريد أن أعزك بقوة أختصر فيها سنوات الألم

قلت لك بحيث كنت أتقنه جيداً

• سيني حبيبتي عليك

• يا مسئولة تسأليني عن حالي في أقصى برهات الانظار ياسيني

• طيب.. تعال، نلتقي في حديقة لوكسمبورغ، في مواجهة لصر العلكة
الحزينة، بجانب البحيرة. سأستحم وأحلم بك، في انتظار وصولك هل هناك
فصل أجمل من هذا الربيع

• لو فقط كان ذلك صحيحاً،

• قلت لك أنا أنفلك على حافة بحيرة حديقة لوكسمبورغ

• أرجوك عمري، أنا متعب ولا أحيد هذه السخريه الضارة

• تعال فقط إلى الحديقة وستراي كما تشتتي

• أنت في باريس؟

• لم أقل هذا الكلام

• راج تيليني ••

عندما رأيتك كنت تلبس معطفاً أسود، وعلى رأسك، بيريه باسكي •
أسود أيضاً كنت طويلاً، وجميلاً. تحفت قليلاً، كنت تبحث عني بعينيك
تشف. كنت منهكة في رمي الخبز إلى الحمام الذي كان يغطيني لم ترني



عندما قمت وقام معي سرب الحمام الذي كان يحيط بي، رأيتني، تسمرت في مكانك وأحسست بزلزال تحت قدمي. عندما التصقت بك، بكيت ولم أستطع السكوت هذه المرة لم تعد يدك التي ارتجفت طويلاً في فمي لغت صوني وكانت دمعاتك تنزل في صمت وقسوة. تعمت قفط ولا أدري ماذا قلت لي لم أتكلم ولم تتكلم قال الحمام ينثر الريا يعور مسوفة وبغاية قبل ان ينسحب.

شدتني من يدي. درنا طويلاً في الحديقة قبل أن ينتهي بنا المطاف في نزل صغير في لوكسمبورغ ولم نستيقظ من جنوننا إلا بصعوبة. بكينا وشربنا وتزاعلنا وتعانقنا لم يكن شيء يفد في طريقنا. لأول مرة أشعر أن للحرية طعماً يشبه اللذة. كان الطور القاسي يختبر حبنا الهارب، ويضعه أمام واجهة فقدان الحب. ما معنى أن يعيش بلد حراً أهلية.

شنتني

- عمري.. لا تهتمى اتركهم يحكون أننا هربنا لهم البلاد التي صنعوها. ولنا الوطن الجميل الذي لا أحد يمكنه لأنه داخل لغتنا لا تسألني عني، ليكتبوا مرضهم، فهم لا يعبرون عن أي شيء سوى عن حساسة فاسدة قتلتها الضفينة والحسد أريد أن أبقي خارج نظامهم. ليست لي أية يد فيها. وسأدفع عن وطن آخر، في، ولن يتمكن منه أحد مهما كان مجرماً ومرعباً. وطن ينسبه وطن الهندو الأحمر. وطن الأقلية الناطقة، ولكننا أقلية الحق.

لم تكن غرفة النزل كافية لاحتضان جنوننا. نزلنا ليلاً إلى الحي اللاتيني، وسهرنا في بار جميل حتى آخر الليل. أردت أن أسألك: كيف تبرر غيابك كل هذه العدة عن زوجتك؟ ولكنني رفضت أن أقصد لحظتنا بأسئلة لم تكن تهمني أصلاً. كنت ممتلئة بك وبحفيف الأشجار والأوراق المبللة المتناثرة في حديقة لكسمبورغ التي كانت تحتلني بعاشقها الغريبين. لم يكن للحب وطن إلا القلب وساحات كانت تكتسب معانيها من خلالنا لم تكن ساتحين مولعين بالصور والذكريات الهاربة، كنا عاشقين ينام في قلوبهما حيناً إلى الأشياء الصغيرة التي سرقت منهما على حين غفلة.

كلما بعنني لحدث الأرواح المثلثة في عيني، تعثر الدليل الخفيف الذي كان يغسل أوجاعنا ووجهينا المندفخين بأن شيئاً مذهلاً قد حصل بعد أن يمرنا كل أمل في النقاء.

قال أدري حبيبي

يوم جنتك ركبت جنوني ووضعت كل شيء وراني ولم أسأل عن النتائج الوحيدة التي كان يمكن أن تحصل لي. وهل تعلم فيم كنت أفكر؟ في شيء قد يبدو لك تافهاً. لم أكن خائفة من الإرهاب، ولا حتى من تحويل الطائرة أو تفجيرها. كنت مذعورة من أن تسقط الطائرة ولا أراك الأقدار أحياناً مريضة. نبلغ بها درجة القسوة والتشفي حدا لا يتصور.

كلما ثبت عيني في وجهك، وجدتك جميلاً وجزيناً بعد أن أفقدت الهموم قليلاً من وزنك. أحبك هكذا تماماً مثلما التقينا أول مرة وأنت تبحث عن الوسيلة التي توصل لي بها حبك. ولم أكن أنتظر إلا ذلك قبلتك حتى قبل أن تلولها سماعياً كنت كفاكية ناضجة، سفلت بين يديك قبل أن تستدرجني بلغتك المجنونة نحو قلبك.

أنا أيضاً كنت مسكونة بك.

كنا تشرب كأساً مسروقة وهادئة، سألتك عن حالك. رفضت أن أتوقف طويلاً عند المنفى الذي بدأ يخط مسالكه على وجهك الطيب.

- كيف حالك حبيبي في هذه المدينة؟

- لا أدري لماذا أجيبك؟ مرتاح، وقلق وجزين، ومنكسر، وحي إلى أقصى الحدود. أعمل في المعهد العالي للأساتذة بشارع دولم^{٣٨}. وهو أهم معهد تخرجت منه كبار الشخصيات التاريخية. اعتبر نفسي محظوظاً إلى أقصى حد.

أول مرة أشعر ونحن بباريس أننا تحررنا من العسس والجلادين. لم تكن في حاجة إلى وقت كبير لاستعيد أوقافنا القديمة الغريب التي في كل

مدوه كامل بخيف أحياناً لا رصاص، ولا قنابل، لا موت ولا وجوه
كريمة ولا قتلة

يوم عدت إلى أرضي التي قلت تميد بي، لم أصدق، لم يكن ممكناً أن
نبتلى مع بعض أكثر من أسبوع. صحيح أنني بكيت في المطار مثل طفل
صغير يفصل عن أمه، وشعرت بشيء من العث في حياة كنا نريدها صعب
نأتي ننسج من عيشها والتي كنت مسمعة بك بشكل لم أتصوره من قبل
كأن يكون حشد امرأة وكنايتها وانفاسها المتقلعة برجل برجل واحد على
الرغم من أنه لم يكن هو الأول في حياتها. بعده يبدو لي أنني أصبحت
عاجزة أن أكون أنا كما أشتي نفسي أن تكون

عدت بكابات صغيرة. عندما ودعتك في المطار، كنت منكسرة

فحاة عندما تمددت براسي على كرسي الطائرة. وبدأت أستحضر
لحظاتي الجميلة، استيقظت في وجه أنها، الطالبة الروسية الجميلة. قلت
في خاطري، يجب أن أنساها لأتمكن من العيش. ثم غرقت في كل تفاصيلنا
المجنونة. وكنت سعيدة لأن الحاجز الوحيد الذي كان يفصل بيني وبينك
كان هو البحر. مجرد بحر لا أكثر وساعتان من الطيران.

لم يستغرق بعد أن ينسبك المدينة وجهي. وعلى الرغم من أنك رتبت
حياتك في باريس من دوني، تقول لي إنني من يشك إلى هذه المدينة ولا
أطلب سوى أن أصدقك.

سأغيب عنك حبيبي، وسأندفأ طويلاً بظلك. أحياناً أسأل نفسي لماذا
تأخرت كل هذا الزمن لنلتقي، ثم كنجمتين حاريتين، نفترق بسرعة غريبة
في سماء لم تعد قادرة على تحمل جنوننا. كنت فيك كبدرة شمس، وكنت
في كنفس الله. كلما تذكرتك عدت إلى الكمان بلا كلل، وعزفت حزني البعيد
عندك

هل تدري أن ما يحصل لنا هو أجمل شيء يمكن أن يحصل بين كاتب
مجنون وعازفة كمان تعيش على متن سحابة هاربة؟ هل تدري يا عمري

نحن نحتاج إلى بعض؟ ربما يكون أصعب شيء في الحياة وأكثره قسوة، أن
تحب رجلاً ليس لك، وأن تعيش إلى الأبد في الظل، وأن تتناثر لغة وثقافات
وموسيقى هاربة، وتتماهى مع الكلمات والإيقاعات التي بلغت من لسانك
خير به، لكنك هنا في القلب حيث كل شيء يتحول إلى نثار من النور

الهارب

المدة، ونست في حاجة إلى شيء آخر يكتسبني إلى في قلب

في انتظار انضمامك وشرق وجهك الهارب دوما

الجزائر، صيف ١٩٩٤

www.rewity.com
^RAYAHEEN^

أيها المجنون، أريد لك قدراً أجمل...^{٢٩}

شوقي الذي في:
نشوتي اليمعيدة.

حبيبي

أنا في بيروت. وصلتها البارحة محملة بلقائنا الأخير في باريس. كان يجب أن نلتقي كي لا نموت شوقاً لو لم أرك ولو في ليال خاطئة وساحرة. لاشتعلت الحرائق في أنا جد ممثلة لقدر يمنحنا صدقاً تصنع بها عرساً من النور، وعرساً من الفرح المؤقت، وننسى أن موتاً ينتظرنا في الضربات وفي المسالك العسية

تمنيته هذه المرة أيضاً أن تكون معي، ولكن سافرت مع وفد البرلمان العالمي للكتاب إلى مدينة استراسبورغ مع يول سوينكا، وسلمان رشدي، ومحمد ديب، وديدا، للدفاع عن حق الكاتب في الحياة، سيجرمتي منك مرة أخرى. ضحككت عندما أضفت إلى القائمة الثقيلة. الشبخة الريميتي قلت لك يومها بالسخرية القدر! قلت: لا تأملني جيداً لماذا غادرت الشبخة الريميتي أرضها التي أحببتها حتى الموت، نحن لا نحب أنفسنا كثيراً، ولا نحب من هو منا لأن به جزءاً من صورتنا الخفية لماذا لم تعد الريميتي إلى أرضها البربرية التي أنجبتها! لقد سرقوا منها حقها في التعبير الحر، التعبير عن الحب، وعيش الحياة، واللذة المسروقة والسخرية من التفاف الاجتماعي المستشري! وجدت نفسها فجأة على حدود مدينة لم تكن تعرف لغتها ولا كتابة حرف من أبجديتها لن تقول شيئاً ولكن الريميتي مستضافة لتفتني ألمها العميق وستعرف كم ما تزال تلك الخلقة العظيمة حية على الرغم من سنواتها السبعين. ولدت في ١٩٢٣، ستملاً قلوبنا حيناً، وستكشف عن كل جبيننا وساديتنا المتوغلة فينا. لو بقيت هناك لقتلها المعتوهون

والجهلة الذين استباحوا مدينتها. مازلت إلى اليوم أتذكر الغنبتها المجنونة: شرك... قطع... التي غنتها في ١٩٥٤. ضد وهم غشاوة العذرية التي كانت الشغل الشاغل لأعراس المدن والقرى. وأتذكر أسطواناتها المعروفة بباني-ماركوني^{٣٠} التي رسم عليها كلب يفصت إلى مكبر للصوت. كنا نسمعها على الفونوغراف القديم ذي اليد المحركة للأسطوانات.

تمنيته أنا أيضاً أن أعرب ثنوك مرة أخرى، ولكنني في لبنان مع الفرقة الفيلارمونية التي أعيد تركيبها، بدعوة من أويرا بيروت. إنهم يريدون أن يبدووا خربلهم بالنور واللون واللغة والمسرح. ينسى الجميع أن حرية أخرى تأكلنا اليوم وتسحق ذاكرتنا وأبناءنا. حروب يموت فيها من لا علاقة له بها. حروبهم، ودمنا ولحمنا.

كانت الفرصة جميلة لأنفَسَ هواء آخر، وأحلم بك خارج نار الحرب الأهلية الطاحنة التي أبادت كل شيء. أصرخ، فيتشتت جسمي رماداً. ماذا ربحوا من قتل رجل مثل عمي عبد الغادر عولة، كان يحب الشمس والفقراء، ويمسح كل صباح بيديه الناعمتين، على وجود الأطفال المرضى بالسرطان الذين لم ينتظروا كثيراً بعد موته. فقد لحقوا به الواحد تلو الآخر في صمت لم يشعر به أحد إلا ذويهم

أريد أن أنسى كل هذا الرماد الذي يلغني، ولا أتذكر شيئاً غيرك.

عمري وحبيبي.

منذ زمن بعيد لم تنراسل. وصار تواصلنا شبه مستحيل أنت اخترت أن تنحرج بطريقك، وأنا اخترت انتحاراً موازياً لا أريد أن أندم عليه مطلقاً زيارتي الأخيرة إلى باريس، تركت في حلفي مرارة، Un goût amer d'inachevé قبلت خروجك على مضض، لأنني كاتبة امرأة عاشقة، كنت أريدك أن تكون معي. نعيش ونموت في الفراش نفسه، لكن القتل شاءوا لنا مصيراً آخر. ولأن الخبرات كلها ضئيلة، ومحدودة جداً، ماذا كان بإمكانني أن أفعل غير الدفع بك نحو أنفاق المتنافي المتظلمة، في أعماقي كنت واثقة من قدرتك على صنع حياة أجمل من فراغات الخوف. وأنا أستعد يومها للدخول إلى

ومن مجروح، تساءلت في سري الخفي، هل وطننا معنا أم ضدنا؟ فحسن حتى عندما نتفادى الموت، نموت ميكرًا بالأمراض التي تنام فينا طويلاً قبل أن تفاجئنا وهي تظلمه من سذاجتنا، وحتى لا نسب لها ازدهاماً كبيراً بوجودنا المؤقت، نحلم دائماً أن نخلل صغاراً ولا نؤذي، في أسوأ الأحوال، إلا أنفسنا، لأننا عندما نتعزى عتبة الطفولة، نموت

أيها العزيز على القلب والذاكرة

أحسبك على لغتك المجنونة على المسحو الذي تكتب به رسائلنا، فأنا منذ زمن بعيد لم أعد صاحبة، بين عيني أنت ومايا التي لا تنام إلا في حجري. فقد التصقت بك كأنفاسك ودمك أفقدك كثيراً داخل هذا الفراغ المهلل بحجم وطن أحبك، ولا أدري لماذا عليك أن تتحمل حمائاتي الكثيرة. أنا أعرف أخطائي جداً أحبك، وعندما نحب نصبح أنانيين جداً. إنك تلقحم على بقوة كبيرة، كل رسائلي اليانسة التي أكتبها

كنت تقول لي دائماً عندما نشرب كثيراً وتتناق كعادتك حفلاتي مسؤولية الخراب. ها أنا ذا أحملك مسؤولية الحياة

ها أنا في اليوم أيضاً، أقول لك الكلمات القاسية ذاتها، إنني أصيب بمسؤولية الخراب الكلي، فأنت تدفعني بقوة صمتك إلى ملازمة النار كالكاظمة وسط أذنتها المقدسة، ولفظ تيجانها، ووضع سمعتها داخل كفي أو قلبي.

الحياة هنا صعبة ولتكنيا ليست مستحيلة

هل أخفي عنك أحزاني وألامي بعدك بقلتي، أعطيتي المفاتيح ودعني امضي نحو حقيقي. فأنا متعبة وأريد أن أنام قليلاً، سأخرج، ولا داعي لأن أغلق الباب ورائي. قيامتك لا تملك باباً، مشرعة داخل قوامات الخوف والجنون عصياني الكبير أن أحبك وعصيانك الأكبر أن لا تسمع إلا إلى انتحارك. من حفي أن أحبك للحياة والدنيا ومن حفي أن تكون مسكوناً بشيء شفاف اسمه اليأس. ولكنني متعبة ولهذا أقول لك، أعطيتي مفاتيح

القلب لأرميها للمرة الأخيرة في البحر، ودعني أخرج. هذه النار التي أشربها يومية، صارت تؤذيني كثيراً ولم أعد أملك طائفة إضافية لتحملها

أعزوني. أنا أهلي كثيراً ولا أملك غير ذلك في الوقت الحالي.

اكتب، اكتب لي أي شيء تراه جميلاً. أريد أحاسيسك في الكتابة وليس واجباتك. أعرف أنك تكره فعل الأشياء من باب الواجب، ألم تقل لي ذات مرة، إن الحب عندما يصبح واجباً، من الأحسن التخلي عنه نهائياً؟ اكتب، أو ليست الكتابة مغامرة داخل الحقيقة والوهم وضد كل المستحيلات؟ ها أنا ذي أركب معك الجنون والمستحيلات نفسها كلما شعرت بالحاجة الماسة إلى وجودك بجانبني داخل هذا الخوف

في الماضي القريب، كنا نتحدث بشوق وحزن كبيرين عن أصدقائنا الفلسطينيين الذين سرق منهم وطنهم وحققهم في الحياة. كنا نتحدث عن صرافاتنا العراقيين الذين شربوا قبل الحرب ودمرت أسواقهم واحترقوا وما بعد اليوم يعبرون صحاري النية القاسية، من مات قهراً مات، من رجع إلى وطنه بعد الإغلاقات الوهمية، رجع، لينتحر هناك بعد أن تخرته سنوات المنفى. كنا نتحدث عن الشيليين، والمغاربة، واليمنيين والكوبيين وغيرهم. ولم تكن نعرف أننا كنا في قائمة الانتظار، اليوم، يبدو أن كل الجبهات صممت ونسيت الجميع في زحمة الأحداث المتسارعة. عندما جاء دورنا في المأساة، وجدنا أنفسنا وحيدين، معزولين، مقتولين في دواخلنا. كلما اشتعلت إليك، ولم أستطع مقاومة شوقي، أنزل إلى المقهى الإسباني، السينترا بوهرا، فقط لأرى ابتسامتك ووجهك وضحكائك وأشم بعض رائحتك، تسألني عائشة عنك، وتجلس قبالي على كرسيك بالضبط، وهي تصر على بلقمتها الطفولية. هنا كان يجلس واسيني إذن؟ أتمتع هنا كان يجلس الرجل الذي منحنى الحياة بيد والجنون باليد الأخرى. لقد تغير المقهى كثيراً أحياناً يكون فارغاً، وفي أحيان أخرى يصير مزدحماً بالبشر، بشرنا نحن تحديداً أراهم مكتوبين متعسرين على طاولات قديمة مثل أواني رخامية عتيقة صخبون سينمائيون كغاب مسرحيون. أساتذة الجامعات بسطاء. يتحدثون عن المشاريع المكسورة، عن وضعياتهم الإدارية، عن البطالة، عن

تذكرت، صديقك الشاعر بويكر، التفتيت به في بيروت وهو يستعد للمجيء إلى باريس. رجل طيب جداً، ومجتون مثلك، ولكن تنقصه بعض النباهة الأحداث والخوف والحذر الزائد. ضيقوا له بعض ردود فعله التي كنا نعرفها فيه. توقعت أن أراه قبل سفره، ولكنه سافر بدون أن يخبرني. كنت أريد أن أرسل معه بعض الأشياء لك ولريما، ولكن يبدو أنه نسيتني ثم، إنه مهبول بعض الشيء ويصطدم وهو يمشي بكل شيء من حوله بما في ذلك السيارات وأعمدة الكهرباء، فكيف أحمله رسالة مثلاً، مثقلة بشوقي إليك؟ يدهس الناس ويعتذر في كل خطوة يخطوها. وعندما يريد تفادي هذا الحرج، يفضل أن يجلس في أقرب مقهى حتى تقل حركة المارة، ولكنه بمجرد جلوسه، يسقط، بحركة لا إرادية، كل ما على الطاولة، فيحفر ويعتذر. مسكين بويكر. يبدو أنه أصبح بشخصية ضرورية لهذه المدينة المقتولة بالحرب الطاحنة الأخيرة.

حبيبي، قلل من خطاياك البغيض والويسكي قدر الإمكان. اكتب لي دائماً وأنت سكران فتعزف مزاج حبرك في مثل هذه الحالات يغريني بالكتابة إليك

أتساءل مثلك داخل هذه العزلة القاسية عن خراب ما يحدث لنا ولأرضنا لا شيء، سوى أن أصدقاءنا ما يزالون يموتون بالرصاص والذبح، ويقتلهم هناك، المنفى وقسوته، لم نخبها لمواجهة هذه الحالة الفجائية ربما لأن المثقف مثل الحاكم تماماً، كانا يتأمان في فقاوعة وطنية ملونة، وبيقين لا يحسدان عليه

هذه الليلة لم اتم مطلقاً لا أدري لماذا، ربما لأنني انتظرت تليفونك الذي لم يأت على غير عادته على الرغم من وعدك

وأنا أكتب. أسمع الآن نغرات الأمطار على الزجاج الخلفي المغلقل على شارع صغير في المدينة اسمه شارع المتنبي، الذي كانت تعيش فيه فنانة يونانية اسمها ماريكا لم نعرف عنها إلا أنها كانت غانية، بينما يقول العارفون عنها أنها ناصرت الثورة العربية ضد الأتراك عندما كانت في بداياتها. لا يعرفه الناس كثيراً، ولا السيارات، وهو بذلك يوفر متعة الصمت

والعزلة. الغرفة التي أنا فيها داخنة، والمزلق قريب من الأوبرا، لكن برودة ما تملأني. هل هي الوحدة القاسية، وحدة العاشق الذي تعود على عينيك وقلبك وسماحتك، وحدة التوحيد الذي نغره الأصدقاء والأقرباء الصغار والكبار. كما يقول أخوك عزيز.

تسألني ماذا أفعل الآن؟ لا شيء أو على الأقل لا شيء يستحق الذكر اقرأ بعض الكتب في غيابك أملاً هذا الخواء الذي يقهرني دائماً ومن قال إن الخواء سهل؟ إنه الفترة الوحيدة التي نسمع فيها تكسر كل الأشياء الثمينة في دواخلنا. أحياناً أقفز من نومي كالمدعورة أبحت عنك. أيتك؟ أين تخبني الآن؟ قبل قليل كنت هاهنا في الفراش تنفسه. ثم أهدى عصفور قلبي. أصمت وأنا أتأمل سقف هذه الغرفة الصغيرة. استحضرك بكاملك. لا أستطيع تحمل كل ذلك وحدي.

تصور! كلما سمعت خبراً يأتي من وراء البحر. كلما رنّ التليفون. أتخيل أهبس الصور. مع ذلك أقل أرفض هذا المصير وأخاف عليك لم نصنع لهذا القدر. أنت وحيد الآن بكيفية الأصدقاء هناك، في عالم يشتبه أن يكون على غير ما هو عليه، يريد أن يتغير، ولكن هل سيسعفه القنلة والذين يقفون عند العتبات، ينتظرون الفرصة المناسبة لفتح قلوبنا الممتلئة بالنور، لملئها بالظلمة والقسوة أرفض معك هذا القدر فهو ليس لنا

حبيبي

ماذا تفعل الآن؟ تذكرت؟ هل لي أن أسألك بدون أن أريك؟ كيف هي أُنيا، طالبتك الروسية الجميلة؟ لا ترعز مني! هي جميلة وأنا أخافها وأخافك عندما تتدحرج في أجمل غيمة بنفسجية بعد رشقات الويسكي! لا تهتم عمري أحبك وأعرفك. ولهذا لتغيرتي ألك مبرر هل لي أن أطرع عليك هذا السؤال الكسول؟ كيف تعيش هذه القسوة؟ كيف تخرج؟ كيف تدخل؟ كيف هو طعم الخوف في حلقك الآن؟ بماذا تشعر وأنت تغادر البيت صباحاً؟ هل مازلت تخرج؟ كما كنت تفعل هنا، واضعاً يدك على قلبك أو في جيبك، موهماً كل من يراك بأنك مسليح، وأيتك في باريس، كل حركاتك ما تزال كما كانت، تجلس مواجهة الباب في المعافى، تتأمل الوجوه التي تدخل وتخرج



الخوف، الموت المجاني، محوطين بالجرائد الوطنية ذات العناوين العريضة السوداء، وأخبار الموت اليومية، يعيشون بتوقيات الشوارع وولمن يأكل نفسه يحزنون. يحتسون البירות الرديئة والرخيصة، يدخلون الساحار الوطنية لأنها ما تزال رخيصة. يتناشون، ثم ينسحبون باتجاه ما، هم أنفسهم لا يعرفون وجهتهم أحياناً. أبحت عنك، أبحت عن شعرك وقامتك التي ترفض أن تنحني أو تكسر. فلا أجرك أشتاق إليك. أعشك واشتهيك غيابك يؤذي، لا شيء، في سواك سوى لغتك ودهشتك الطفولية. وهأت تنسحب مخلفاً وراءك إلهككات وجراحات من الصعب ترتيبها الآن. سن الخوف وبداية الانحدار نحو النهايات الغبانعية. لقد انسحب كل الذين كنا نحبه، وانعظفات كل العيون الطيبة. لقد بدأت رحلة اليأس الكبير بكل مخاوفها

أيها العزيز على القلب والذاكرة

هل تصدق أنني من فرط خوفي عليك، لم أعد ألقن الكتابة إليك، ربما لأنني لم أعد أجذ ما أقوله لك سوى أنني أذكرك كثيراً، كثيراً لدرجة أنني أحياناً أجذ نفسي أعيش بتوقيات كل هواجيك اليومية الصغيرة، من يوصل ربما إلى المدرسة؟ من يأتي بها من هناك؟ أما تزال تتدرب على الرقص والموسيقى كما كانت تفعل؟ هل تجد وقتاً للتفكير في هذه الأشياء. من يقوم بإحضار حاجاتك في مداخل الغربة؟ من يحضر لك بريدك؟ بمن تتلقى كيف تعيش وتنام وتتلقى أخبار الموت الأحمر؟ وجودك خارج الوطن يشعري بعبدة السعادة، وربما عبدة العيش بهناء بعيداً عن الخطر. بينما اخترت أنت هذه الحياة المجنونة، لماذا أعود في كل مرة وأطرح عليك هذه الأسئلة الساذجة التي استهلكناها بدون أن نصل إلى نتيجة؟ سبق أن أجبت عن ذلك كله في مقال قديم كتبتة عن زميلة شاعرة انتحرت في ظروف غامضة، قرأته مرة ثانية بالمصادفة وأنا أفتش عن كلماتك هنا، وهناك، وكأنك تكتبه اليوم، لكن دون أن تعي ما كنت تقول من فرط عنادك المجنون، وتماديك في استدراج القدر إلى حماقة لن أغفرها لك في نهاية الأمر

ربما كان ذلك وهماً، ربما كانت اللغة ذاتها وهماً، ولكن من قال إن بلغة الغيم التي تتوازن من خلالها ونعطي بها لحياتنا معنى من المعاني، ليست

أوهاماً بدورها، ما معنى الحب؟ الكراهية؟ النضال؟ الخلود؟ المقاومة؟ الكتابة؟ العدالة؟ الشيء الوحيد المؤكد في مغامرة الإنسان، هو الموت الموت فقط، الباقي مجرد احتمالات طارئة

وها نحن نموت داخل العزلة والكلمات

أيها المجنون، أريد لك مغامرة أجمل وأريد لأطفالنا قدراً غير هذا سمعت اليوم، بالصدفة، من صديقة مشتركة تقيم في بيروت، أنك ستعين وزيراً للثقافة في الحكومة القادمة! أنا لا أمزح، الخبر نزل في أغلبية الجرائد العربية وسمعت كذلك أنك رفضت، وكنت على يقين أنك ستفعل ذلك وأنت لم تحدثني في الموضوع لأنه بالنسبة لك محسوم أنت والإدارة اثنان، كما كنت تقول دائماً قد يضلطون عليك ويصورون قبولك نضالاً وطنياً لا ترتكب حماقة كهذه ليذهب جميع سياسيي الجزائر إلى الجحيم، وليبجحوا لهم عن آخرين غيرك يهدونهم وجاعة هذا الموت المجاني، من كل قلبي أتمنى أن ترفض هذا القدر الذي يريدون زجك فيه، أنت أكبر، ولا أريد لبراءتك الطفولية الكبيرة أن تلبس وتختطف وتختصر في رحلة عتيق، وبذلة رسمية، أعرف أنك في الحقيبة لا تملك إلا أن تضحك عندما تسمع مثل هذه الأخبار المضخمة أفتر عن حبيبتي القدر هل تشعني قسماً لي يا عمري أنا فاسل في إدارة نفسي وشؤوني الصغيرة، فكيف أفلح في إدارة مؤسسة كالوزارة، هي أكبر مني قد انصغي الكبير ان فعل عاتقاً حراً، اختب القلب واسم وبل إلى البحر كلما رغبت في ذلك، بدون ان اضطرر كلما تحركت، إلى أن أبحت عن حرسى وعسسى المسألة إذن منذ البداية كانت محسومة ولا أدري كيف نزلت في الصحافة؟

لك وجاعة التاريخ جببي، والأدب وكرسى شاعر في قلبي ينتظر محبب

أيها الغالي

ليس هذا ما أردت كتابته إليك، ولكننا، نجلس أحياناً لنكتب شيئاً، فنكتب غيره إنها حمالة الكتابة، أمنتيتي الكبيرة أن أفراك دائماً وفريباً، هاه

تضع يدك في جيبك الأيمن وتغرس الوجوه الغامضة! يبدو أنك نقلت خوفك معك كيف حالك وأنت تواجه الموت كلما نزلت إلى المدينة! أنا بدأت أنسى هذه الحالات التي كانت مشتركة بيننا. نوع من التبدل يفلل رأسي. فأنا لم أخلق لهذه الراحة القاسية والفناكة. هذا الخوف الذي كنت أعيشه معك كلما دخلنا عمق المدينة أو غادرناها. صرت هنا لا أتذكره إلا عندما أكون وحيدة في شارع خالٍ، فتستيقظ في كل حساسياتي القديمة. أشتاق. أودحرج معك نحو كل الأماكن التي كنا نحبها. حتى ولو كان ذلك بخوف كبير. أقبل أن أختصر المدينة داخل سيارة حتى لا يرانا القتل، لكن شرط أن نكون مع بعض

فيما تفكر الآن؟ هل ما تزال في قلبك تلك المرأة التي عبرت ذات يوم جهمك بكاملها لتصل إليك وهي لا تحمل شيئاً مهنماً سوى بعض الأخرق وأوراقها بيضاء ومداداً أسود، هكذا نحن دائماً. عندما نلتقي في حاضرتنا. نحرقه بالأسئلة عن الماضي ونرفقه. وعندما يعبر هذا الحاضر ماضياً نتشوق له ولأصفر لحظاته. بحنان كبير

هل هو قدر العاشق أم قدر الكتابة ذاتها. التي لا تستقر إلا على العود والنار والرهبة؟

حبيبي...

ثم ماذا حبيبي لو تحدثنا قليلاً

أنا مشتاقة لصوتك وللحزن المتخفي في كلماتك .

متعبة ولا أريد أن أرهق

لا شيء بعد كل هذا. سوى أنني تعذبت أن أكون معك في عزلك لنصدق ولو لأيام قليلة. أننا عاشقان شجاعان. ولكن هذه المرة كذلك. ستكون وحدك الكبير. وأكون أنا أثناء ذلك أحضر مقاطع الموسيقى الأخيرة التي ساعزفها اليوم على مرأى أكثر من ألفي شخص مشتاقين لشيء من الموسيقى بعد سنوات الجفاف. في أوبرا بيروت وعندما أعود إلى أرض الحرائق سأدخل في رتأبتي. تدريس الموسيقى. التي لم أعد أجد فيها أبة رغبة ولا متعة. مثل الدواء تماماً. والتفرغ قليلاً لبونس الذي بدأ يكبر بسرعة

ويرتبط بقوة بالذاتي التي وجدت فيه تعويضاً عن مفقوداتها الكبيرة في الحياة. وتحضير البيت. وتنظيفه. وغسل الصحون الصغيرة. ثم الانزواء نحو النافذة الخلفية لتأمل الشارع الواسع. والتمتع باسترجاع وجهك. ومدينتنا والكتابة. الكتابة دائماً. والتفكير فيك وعزف آخر الألحان التي كان والذي بنام عليها.

أرايت؟ الكتابة كالمتعة. نهب دائم وحيلة. فالحياة تعلمنا أن نكون قراصنة الخوف

قملاتي قملاتي قملاتي

مرحباً التي تمنى لو أنها لا تحب جداً جداً ولكن

بيروت خريف ١٩٩٤

تأملت أصابعي، فقد شعرت بنوع من الوجع، لا شيء.
المهم، لا دم في كلي.

كلما رفعت رأسي ارتسم الوقت أمامي جلياً، أرقام حمراء على أرضية
سوداء، كل شيء أصبح الآن واضحاً.

كل شيء في موقعه على الرغم من الزلزال الذي كان يحرك كل داخلي.
الكمائن ابتعد قليلاً إلى زاوية المكتب وكأنني دفعته بمرفقي من دون أن ألحظ
ذلك إلا الآن، المسدس غير موقعه قليلاً، وأصبحت فوهته موجهة نحو أوراتي،
وكأنه يتربص اللحظة المناسبة ليمنح الموت بسخاء لكل ما لا يروق له، ما
أكثر الكلمات والأوضاع التي لا تعجبه.

ربما كان الغبن الكبير الذي يحتل كامل جسدي، هو الأساس في هذه
الوضعية الشاذة والغريبة، والتي قد لا يمددتها عاقل.

أريد أن أفهم على واجهة الطريق الخالية في هذا الوقت، وأصرخ بأعلى
صوتي:

«لست مريم كما أردتني واسيتي، ولا حتى كوراثون ميا التي ابتدعها
من عطر أجداده الأندلسيين، ولا مادري ميا، التي ناداني بها في زمن ما،
عندما اشتاق لرغوة حليب أمه، ولا حتى ليلي كما كان يناديني والذي كلما
اشتاق لسماع صوتي أو عزفي على كمانه الجميل، وكما اعتاد واسيتي
أيضاً، أن يناديني، قد لا يثير اسمي الشيء الكثير في من يسمعه مثلما حدث
لمريم التي سرقت كل شيء مني، ولكن هذه هي أنا على صورتي الحقيقية،
ليس كما ارتسمت في اللغة والأوراق».

نسمة من البرد تسربت من مكان ما، الوقت يزحف بثقل، مازال لدي
متسع من الوقت للحديث إليه وهو يضع قلبه وذاكرته المتعبة بين يديه
لغتي الوحيدة، صراحتي القاسية، ورسائلي وقلبي الذي يرفض أن يستسلم
لغي الأوهام.

«لا أدري إذا ما كنت قد بدأت، أم مازلت في المقدمات المبهمة؟»

شعرت مرة أخرى ببرودة المسدس ولكنني لم أعره أي انتباه، حتى أتت
بدأت أشك في أنني أنا من وضعه في هذا المكان، قد تكون الصدفة الملعونة
التي عودتني على أكثر الهزات غريبة، في كل مرة ألحظ أن فوهته قد غيرت
وجهتها، المؤكد هو أنه الآن بدأ يفرق شيئاً فشيئاً تحت ركام الأوراق
والرسائل، والتفاصيل الصحفية الكثيرة التي أختبئها مع وثائقي الخاصة.

كيف نشأت هذه الفكرة الملعونة التي أغرق فيها الآن، فكرة استرجاع
اسمي واقتراضك في غيبوبة غير رحيمة.

أسترجع تفاصيلك، فترتس فرانسى بقوة.

كل شيء بدأ بخبر صغير في جريدة الخبر اليومية، لينتهي إلى شيء
غريب، مازلت أشم رائحته التي تشبه الزعفران ورائحة الكافور، قلب حياتي
رأساً على عقب ودفعني بقوة نحو نفسي

-٢-

قبل سنة بالضبط، انتابني هذا الإحساس الغريب، لقد تركت كل شيء
ورائي لأكون قريبة من أنينك الأخير، خفت أن تموت ولا أراك، اشتيتك أن
تموت في حضني وليس بين ذراعي زوجتك أو أية امرأة أخرى، أو وحيداً، في
عزلة قاتلة.

مرضك كان يمكن أن يسرقك أو يثقل، تخيلتك فاقداً للغة، المشي...؟
عاجزاً عن تثبيت عينيك في شخص، وإجماً في الفراغ، في اللاشيء، وكل
ما يحيط بك مجرد ضباب، كان أقدس شيء فكرت فيه، هو أن تظل في كامل
قواك العقلية، ولكن بلا حراك ولا قدرة على الكلام

قلت لي آخر مرة، عندما زرتك في باريس، ونحن نخرج من فيلم يتحدث
عن الموضوع نفسه: *Le scaphandre et le papillon*¹¹ المقتبس من سيرة

ذاتية لجون دومنيك بوبي، الذي وجد نفسه مسجوناً داخل جسد لم يعد يستجيب لأي من أوامره على الرغم من أن عقله ظل في كامل صحوه. أصيب بما سمي في اللغة الطبية بـ **Locked-in syndrome** التي تعني حرفياً السجين داخل نفسه، الذي يخسر فيه المصاب ملكة الحركة والتكلم، وحتى التنفس، إلا بأجهزة مساعدة. ويضطر إلى حفظ أبجدية بترتيب غريب وجديد، من الأكثر استعمالاً إلى أقلها: **ESARINTULOMDPCFBV** و **HJ Q Z Y X K W** ويركب جملة بعينه. تقرأ المدرية عليه الأحرف، وعندما يأتي الحرف المطلوب لتركيب الكلمة يؤثر بعينه اليسرى، الوحيدة التي كان يستطيع تحريكها، وعندما يريد تصحيح الخطأ، يفعل ذلك برمشتين. وهكذا حتى يركب الكلمة قالجمله. الغريب أنه عندما أصيب بالإغماء الخطيرة، كان في عز ارتماطه بالحياة. كان يستمع إلى أغاني البيتلز، **The day in the life**

«صعب عمري، أن أعيش هكذا في اللاشيء. شجاعة خارقة كان يملكها بوبي لا أملكها ولا أريدها. ولست في حاجة إلى حياة بانسة».

كان واسيني يسخر من نفسه ويضحك، قال لي يوماً ورأيت في عينيه جدية غريبة: لو يحصل لي ذلك، لا تترددي في قتلي، قدر غريب كان بجانبه، وربما فيه، يصفي إليه بانتباه ويضع كلامه على حافة الاختيار.

كل شيء يومها مر بذهني بسرعة غريبة.

لا أدري بالضبط من أين جاءني المثل ولا أدري ماذا حدث في تلك اللحظة بالذات التي سبقت رنة التلفزيون بثانية واحدة، وانتقال يوم الخميس نحو الجمعة. رفعت رأسي نحو الرناتمة: الخميس ٢٧ مارس ٢٠٠٨. التفت نحو الساعة. لمعت شاشة المنبه بأرقامها الستة للحمراء مثلما تفعل الآن. المنبه الذي لم يعد له مكان في البيت بعدما احثك مكانه منبهات أخرى موجودة في عمق العوالمات الفردية لكل منا. لكنني أحب هذا المنبه، لأنه هو من كان يذكرني في زمن مضى، بكل مواعيدي الجميلة مع واسيني، أقوم باكراً. أمشط شعري الذي كان يحب غزارته العجيرة، ورائحة الحناء التي

تخترقه. حتى عندما تعطل المنبه، طلب مني رياض، بعفوية الرجل الطبيعى والغنى، أن أرميه، وأن اشتري غيره. كدت أصرخ في وجهه. من يجرأ على رمي ذاكرته؟ حتى «المصلح» نفسه، نصحني بشراء منبه جديد أحسن من تصليح القديم لأنه سيكلفني غالباً. لكنني أكدت له أنني مصممة على دفع أي ثمن ممكن لتصليحه. وهو ما فعله بعد أن ربح أسبوعي. كانت يومها الأرقام تشير إلى 00h 59mn 00s الواحدة إلا دقيقة بالضبط طُن في رأسي، فجأة، مثل غريب؟ *Jamais deux sans trois* لا أعرف حتى من أين جاءني. ولا السبب الذي أيقظه في. طبعاً عرفت فيما بعد، سر كل النذارات الأسرة التي كانت تتذبح في داخلي الهش والمنكسر دوماً.

لست أدري ما الذي قادني نحو الانترنت. فتحت على يومية جريدة الخبر.

كانت عيناى المتعبتين مثبتتين على شيء غامض في الجريدة، في الصفحة الثقافية، في الزاوية الجانبية المظلمة بأخبار كثيفة، فجأة شعرت بلببي ينتقل إلى فمي.

«دخل اليوم، إلى غرفة الانعاش، الروائي الجزائري المعروف واسيني، في غيبوبة. إثر أزمة قلبية حادة ألمت به، وهو الآن تحت العناية المشددة».

فراغ البحر العس من المرات، متمنية أن لا يكون المعنى بالمرض هو. نتصور دائماً أن الأعطاب لا تصيب إلا الآخرين، وننسى أننا نحن أيضاً آخرون بالنسبة لغيرنا. زاد خوفي عندما بدأت أفكك الكلمات. أزمة قلبية حادة غيبوبة. العناية الفائقة! على الرغم من هروبي بعيداً عن الحالة، لم استطع تفادي تذكر فيلم السكاغوندر والفراسة، لابد أن يكون الأمر خطيراً، قلت في خاطري وأنا أحاول أن أتوازن. يعني أن الموت أصبح عند العتبة ينتظر أبة غفوة!

استعدت آخر صورة عندما التقينا، كان وجهه متعباً، علته بعض الزرقة التي لم أرها أبداً على محدد، حتى في أقصى درجات انكساره. وهو قد كان شاحباً جداً. عندما سألته:



- حبيبي، عليك أن ترتاح. إنك تتعب نفسك كثيراً بالأسفار التي لا تتوقف.

ضحك كعادته. رأيت فجأة لزعر الحمصي، الطفل المشاغب، ينسحب تاركاً وراءه مساحة من الظلال المبهمة.

- وماذا يمكنني أن أفعل بدل الأسفار؟ أن أثبت في مكان كالحجرة؟ أنتظر متى يجوفني هدير الوديان؟

- قليلاً ريثما تسترجع باقي قواك الداخلية.

- يبدو أن قدرتي خط بشكل نهائي. ورثني أجدادي الأسفار وانسحبوا يصعب علي من هو مثلي، أن يعيش نصف حياة.

لم أطمئن على الرغم من أنه أكلني أن أتعابه ناتجة عن قلة الراحة وكثرة العمل في مشروعه الروائي الكبير عن العرب في ظل اتفاقية ساكس-بيكو. لقد اشتغل على مدار ثلاث سنوات بلا توقف.

أعرف أن للعمل دوراً كبيراً في إرهاقه، لكن العلامات التي ارتسمت على وجهه كانت تنذر بشيء أكبر، وربما أخطر. لم أفكر في شيء آخر. سوى كيف أرحل نحوه في أول طائفة.

-3-

لا يمكن.

لم أجد فرصة للاحتجاج ضد شيء غامض فيه رائحة الموت، ولكنني تمتعت في محاولة يائسة لكتف صرختي الحادة وعوائني الباطني.

ليس من حقه أن يموت بهذه الطريقة.

الأقدار أحياناً لا ترحم لأنها كثيراً ما تأخذ مزاحنا مأخذ الجدية.

كنت أسخر طبعاً، عندما قلت له في آخر مرة، وأنا أنام على صدره كما ولدتني أمي، وكان يبدو حزيناً ومنكسراً. وقال وهو لا يدري ماذا كان يقول.

- ماذا تفعلين عندما أموت؟

ضحكت من كثرة المرارة، ولم أدر من أين جاءتني الإجابة

- أسترجع اسمي فقط، ليلي، لكي أمارس غربتي براحة. مريمك هذه لا تشبهني. كارثة، محت كل ملامحي وامتحست كل فرحي

- غريب؟ ألم يكن يعجبك اسم مريم؟

- كان. أصبح اليوم يقتلني لأنك منحتها حرية أكبر منها. تقلدني في كل شيء، وتتفرد بكل الاستثناءات الجميلة التي لا أستطيع القيام بها.

شيء الأملى دائماً أكبر مما

وكأنه كان يستدرجني نحو شيء كان يريده:

تري أكثر من هذا؟ طيب حبيبي، عندما تموت سأكتب عنك أجمل نص. لا.. لا.. سأفصح كل الحقيقة المتخفية وأقول إن وراء مريم امرأة حقيقية اسمها ليلي أوليلي أنا وأنت كل رسالتك ليناك الناس أي لا أفعل كلاماً فارغاً. أنشر رسالتنا بكل تفاصيلها، لا مثلاً فعلت أنت في رواياتك بعد أن مارست عليها سلطان الرقابة، وذويتها في فعل الكتابة. لن أنقص منها كلمة واحدة. هل يرضيك هذا؟ طريقي في إثبات هويتي الحقيقية.

استل ضحكة جميلة لمعت تحت النور الودي المنبعث من وراء زجاجة الويسكي التي كانت في منتصفها.

- «شوفي غيرها عمري. نكتة باهجة».

كان يظنني أسخر.

- كيف لامحاة من ورق، خلقتها على مدار ربع قرن برفقتك وبرضاك، أن تكتب كتاباً، وهي مجرد لغة هاربة يصعب القبض عليها؟ من هي مريم إذا لم تكن مجرد لغة ورموز مجنونة، كل من أراد أن يمتثلها، أصيب بعدواها.

قلت له وأنا أشعر بجديته، في موضة قلنتها عابرة وغير محسوبة.

- هذا ما تظنه حبيبي، لم أعد مريم التي خلقتها من أوراق هاربة. التي ستحدث هذه المرة، هي ليلي. الغفلة الصغيرة التي بليت بك في وهران، وغنت لك أم كلثوم وفيروز على عتبات مدرج قسم الآداب، وعزقت لك بكمان والدما القديم أجمل الألحان، ورافقتك في أماسيك الشعرية، عندما كنت تكتب لها شعراً قبل أن تهرب نحو الرواية. امرأة من لحم ودم ضاق عليها أن تظل حبيسة الورق ورائحة الحبر البنفسجي الذي تحب طعمه، ولكنها تحب الحياة أكثر، ولا أحد يعرف أنها امرأة حقيقية، تحب وتكره، وتحقد أحياناً على من يدخل مساحتها المقدسة، ويحاول أن يسرق أشواقها. لها أظافر حادة لا تغزرها فقط لحظة اللذة القصوى في ظهرك، وقد جربت ذلك في لحبك، لكنها تدافع بها أيضاً عن نفسها عند الضرورة. تريد أكثر من هذا؟ لقد وضعتني في جسد أنقل مني كلباس الغواصين مثل جون دومنيك بويي المسكين، أحتاج إلى كثير من الماء لكي أطفو على السطح بكلي.

- يبدو أنك فكرت في الموضوع طويلاً: مبهولة. لم أر يوماً مريم خارجك أبداً. بل أنت من سجنني داخل شخصية أحبها الناس كثيراً حتى أثاروا غيبي، وما أخاف، هو أن يصبح تكرارها مملاً في النصوص. يا عمري أين أنت؟ أين مريم؟ ألفت امرأة من حبر، لا تساوي هسة واحدة من شفتيك.

قبلني لكي أسكت، ولكنني واصلت في غيبي الذي استهويت.

- سترى عندما تموت ماذا سأفعل؟ قد أقتلك فقط لأفعل ذلك

- الصوت بين يديك موسيقى، هرب من يقين الخوف الذي تبطن فيها طويلاً.

- سأقتلك فقط لأشعر كم أنا بحاجة ماسة إليك يا أحقق.

لم أكن جادة أبداً. مجرد موضة هاربة لا شيء من ورائها، فلماذا تنصت الأقدار لكل حماقاتنا التي لا نعني من ورائها إلا الحب؟

أريد في هذه اللحظة، من هذا الهدير القاسي الذي في داخلي، أن يصمت، وأن يسمع فقط لدقات قلب لم يعد كما كان.

- اهلاً حبيبي، واترك كل الخبل الذي في قلبك بنام قليلاً واسمع لشهيدتي الخفي أحبك يا أكبر مهبول في الدنيا أدرك حبيبي اليوم، أن المرض أعادك إلي أكثر بعد أن شعرت بك تغلت من بين أناملتي كحفنة ماء، ولكنه أعادني أنا أيضاً إلى نفسي التي نسبت دائماً الإصغاء إليها.

- ٤ -

أستعيد اللحظات وكأنها تنشأ الآن في قلبي، جارفة في أثرها كل شيء.

الكلاب غاب من مشهد البيت نهائياً. ربما اندفن تحت كومة الرسائل وروائعها التي تملأ المكان. حتى المسدس غاب تحت أغلفة بعض الرسائل الخشنة والمزق الصغيرة ولم تبق إلا فوهته ظاهرة للعيان، موجهة هذه المرة صوب الكمبيوتر.

كل شيء بدأ يتضح عندما تجاوزت الساعة الرابعة والربع صباحاً.

- ٥ -

قبل سنة بالضبط، يوم بيوم، عندما رنّ التليفون من باريس، عرفت الصوت من بخته. سفيان صديق واسيني، وناشره المقيم بفرانكفورت التقينا به العديد من المرات، وأعارنا بيته لنقيم فيه في لحظات هروينا. كنت مولعة بالمناحف وليس فقط المعرض السنوي الضخم للكتب. كنا نقيم يوماً في «الماريتيم»، الواقع في ٣ مارتودور هاوس^{١٢}، بينما ننزوي بقية الأسبوع، في بيته الواقع في الطابق العاشر من نهاية جديدة. بيته يحبرنا من ثقل القندق، ويمنح حركتنا بعض الحرية للذهاب نحو متاحف المدينة التي أحبها كثيراً.

- عندك حجر؟

كلا وهو ينطق حمله بصعوبة على الرغم من سرعته المعهودة في الكلام.

- نعم يا سفيان. حائرة وخائفة، ولا أعرف كيف أنصرف الآن. الساعة الواحدة نيلاً. ثم أني لا أعرف المستشفى الذي يوجد فيه، ولا درجة الخطر الذي يعانيه.

- هو بمستشفى كوشان هول- سان فانسون الباريسي. على كل، لن تستطعي رؤيته، فهو في غرفة الإنعاش، في العناية المشددة، وتحت رحمة أجهزة معقدة جداً. ولا يمكن زيارته إلا بعد أيام عندما تتضح حالته التي أتمنى أن لا تكون قد تركت أثراً سيئاً على جسده وفكره.

لم أكن أريده أن يعطيني تفاصيل عما يمكن أن يحصل له، فقد كانت صورة الفيلم الذي رأيته مع واسيني، كافية لأن تجعلني أصاب بالرعب الكبير.

- هل كان وحده أثناء الأزمة؟

سألت سفيان وأنا أصطنع هدوءاً لم يكن كافياً لإخراجي من حيرتي.

- كل شيء حدث في الجامعة مما سهل نقله بسرعة إلى المستشفى. ابنته ربما التحقت به لتكون قريبة منه، وهي لا تعرف أكثر مما نعرف، لكنها طمأننتني. زوجته في الجزائر وستصل غداً إلى باريس، وابنه باسم في كندا، وهو في طريقه إلى باريس. تخيلي مشقة الحالة! في لحظة واحدة يمكن أن يتغير كل شيء.

- غير مهم أعطني تليفون ربما، ابنته.

تمنيت أن لا يعطيني كل تلك التفاصيل المتعلقة بزوجته، لأنني كنت منكسرة ولم أكن في حاجة إلى انكسار عميق. هي لا تحبني كثيراً، ولكن أتمنى فقط أن لا تكون قد ورثت ذلك للأولاد، فأنا أحبهم أيضاً. لا أحسدها على شيء، سوى على شرعيتها، والأأكد أنها تحسبني على حريتي وجنوني.

ربما، عندما سألتها، لم تصف شيئاً جديداً عما كنت أعرفه من سفيان، سوى أنها أعطتني بدقة اسم الجناح ورقم الغرفة.

كان صوتها حزيناً.

- حبيبتي. أنا «ثانت» ليلي، كيفك؟

- الحمد لله.

لم تتمالك، سرعان ما غاب صوتها في نوبة بكاء، دمت أني أبقيتها فيها، على الرغم من أن واسيني كلمني كثيراً عن شجاعتها العالية أمام الخوف الحقيقي كل الشجاعات تسقط ويتمرى الإنسان أمام مشاشته التي يقضي العمر كله في تخيلتها.

- خيران شاء الله عمري. كيفه بابا الآن؟

- في وضع صعب. على كل حال إنهم يقومون بكل شيء لإخراجه من هذه المحنة. قالوا له إنه محظوظ بدرجة عالية، لأنه أخذ إلى المستشفى في الوقت المناسب تماماً، وبسرعة كبيرة.

- طيب حبيبتي... طيب... سأكلّمك غداً. ما رقم غرفته؟

- هو ممنوع من الكلام والزيارات ما عدا عائلته الصغيرة.

عائلته الصغيرة؟ شعرت بألم عميق وبرجفة داخلية. وكان ربما رمتني بعيداً عن كل حياة ممكنة، أو كأنها ذكرتني بوضعي الاعتباري الذي كنت أشتبهه وأرفضه! لو كانت ربما تعلم ما في القلب، لما قالت هذا الكلام الذي عذبني. أعرف أنها لا تقصد ذلك، ولكنها الحقيقة المرئية على الأقل.

- لا عليك. رقم الغرفة؟

- في الطابق الثاني، غرفة رقم ٥٠.

- تسلمي حبيبتي. خل بالك من نفسك ومن بابا.

-٦-

في تلك الليلة بدأت أكتب له يوميات، وأنا أعرف أنه ربما لن يقرأ رسالتي أبداً.

لم أفكر في أي شيء آخر إلا في الرحلة الجوية الصباحية الأولى التي تنطلق عند الساعة السابعة صباحاً نحو باريس. قلت في خاطري الوقت مناسب. سأكون في باريس الساعة العاشرة، وأصل عنده الساعة الحادية عشرة. ليكن. ولكن في هذه المسافة الفاصلة، بين الواحدة ليلاً والسابعة صباحاً، كان علي أن أحل مشكلة مايا ويونس. وأن أتصل بأمي لكي تبقى في مكاني ليومين، وأتصل بزوجي الموجود في إفريقيا الجنوبية لأبهر له سفري إلى باريس. ليست لدي أية فكرة لأكره الكذب ولهذا عندما أصنع الكذبة، أحاول قدر المستطاع، أن أظل في عمق الحقيقة، حتى ولو كانت جزئية. تعطيني نوعاً من الراحة الداخلية بأنني كنت على حواف الحقيقة، ولكنني كنت أيضاً في عمق الكذبة. لا يوجد كذب أبيض وكذب أسود، يوجد كذب مجاني ومضّر، وكذب دفاعي، لا يضر في النهاية أحداً. هو حقيقة أخرى. إن أقول لرياض عما حدث لواسيني، فهو على يقين وهمي بأننا لم نلتق، منذ أن افترقنا، منذ قرابة العشرين!

لو كان يدرى ماذا حدث في هذه العشرين سنة؟
طبعاً هذا غير صحيح. أعرف. ليكن

اسم واسيني وحده يثير فيه حساسية مفروطة لا ينتهي مفعولها إلا بعد أسبوع. أو شهر. يتصور أنه لولا وجوده لكانت حياتنا العاطفية أفضل. في كل مرة أريد أن أقول له جملة كرها واسيني كثيراً على لساني في كتاباته. طبعاً قناعي، مريم، هو الذي يتكلم دائماً. لا أتحمّل أن أتحوّل إلى كاذب بوضع في الزكن.

تستطيع أن تزعج كل شيء، أن تسرق نبضه وحياته. إلا القلوب فهي لأصحابها. ثم أصمت لأن التعب يكون قد أرققني، ثم أنني أفهم أحاسيسه ولا أريد أن أزيده. رياض ضحيتي، مثلما أنا ضحية قناعي، مريم

-٧-

لم أفعل شيئاً سوى أنني رجعت إلى مخبئي لكي أكتب له فقط وأتساءل دائماً مثلما يفعل غيري: كيف يمكن لرجل أن يتواجد في كل مكان، أن يدرس في جامعة الجزائر وفي السوربون، وفي الإمارات، وجنيف، وفينسيا، وكوبنهاجن، نيويورك واستوكهولم، أن يكتب روايات طويلة النفس،

أن يتحصل على الجوائز، أن يتعامل مع الصحف وينتج برامج في التلفزيون. و... هل هو جتني أم رجل مسحور، أو يملك وقتاً لا يملكه الآخرون؟ ربما كان له جيش من الطلبة تحت وصايته، يستفيد من جهودهم لا بد لرجل مثل هذا أن يكتفي بقصر العمر، لأنه يعيش زمنه على عكس ما يعيش الآخرون. بسرعة مجنونة لا قوة تلف في وجهها، ولا بد أن يصطدم يوماً بمجرته القاتلة. هذه المرة كادت المجرة الضائعة في الفضاء، أن تأخذه وتتركني معلقة في الفراغ.

اكتشفت فجأة كم أنا وحيدة في هذه الدنيا. قد لا يكون ذهاب شخص مهماً، كلنا نذهب يوماً، لكن ما يتركه من فراغ مهول، يحتاج إلى زمن طويل ليعتده. هل العمر يسعف بعد كل هذا الزمن؟

أحفظ أن الحب أيضاً مجرم. قد يقتل أحياناً بلا سبب مسبق ولا عقل! الحب يقتل حينما يريد. يدفع حينما يريد أيضاً. ويترك العاشقين في حافة الحياة بمشيتها، ويصنع لهم نهايات تراجيدية ليدخلهم في تلكرة العابرين في هذه الحياة، وهم لا يعرفون أن ذلك يمكن أن يحدث يوماً، أيضاً

بدأت يدأي ترتجفان، ولا أعرف إذا ما كان علي أن أشكر القدر الذي لم يأخذه، أم أشكر قوة واسيني التي منعتني من الإغفاءة القاتلة وإغماض عينيه؟

أحياناً في خلوتي، أتساءل إذا لم يكن واسيني قد تعب وأصبح يستدرج الموت بطريقته المجنونة؟ كل شيء في عينيه المتعبتين، في كلامه، في حركاته، يقود نحو ذلك. ربما كان يريد أن يذهب على رؤوس أصابعه لكي لا يثير أي ضجيج وراءه، ولا يزعج أحداً. عادة واسيني التي لم تتغير منذ طفولته الأولى. لا يريد أن يزعج أو يحرّج الآخرين. لقد تعود على الصمت الذي يصنعه من حوله، ويعيش فيه الزمن الذي يريد.

- قلت لـ حبيبتي، إن الحب قد يقتل أحياناً -

التفت نحوي ابتسمت قليلاً، ثم انسحبت، وكأن الأمر لم يكن معنيك أبداً.

من مريم إلى سين

الحب قد يقتل أحياناً!

سيمي الحبيب

قلت لك حبيبي، إن الحب قد يقتل أحياناً، ويبدو أنك لم تصدقني؟

التفت نحوي واشسجت، وكان الأمر لم يكن يعنك

أرجوك تريث قليلاً قبل أن تنام، لا تلهب الآن، مازلت في حاجة ماسة اليك. أنففسك مثل الهواء وأشريك كل صباح مع أنواء الفجر. لك كل الموت لتنام حبيبي. لا تلهب الآن

عثرت على هذه الرسالة في شكل قصاصة صحفية من جريدة الخبر وقد كتبتها طالبة لا أحد يعرفها، ولكنها مليئة بالعرفان شعرت بسعادة عندما قرأتها وأنت لست وحيداً في دنيا ليست دائماً عادلة معنا احتفظت بها لأن صاحبتها كانت تشبهني ولكنها لم تكن أنا بها قلبى وليس لغتي. أشتى أن التقي يوماً بهذه الطالبة لا لأنومها على حبيها لك. ولكن فقط لأنحنى أمام قلبها العليل الذي تحرك في وقت كان يعبر فيه الناس الشوارع مشغلين بحياتهم اليومية، غير معنيين بما كان يحصل لك.

«ربما يتساءل الكثيرون: كيف يمكن لرجل أن يتواجد في كل مكان، أن يدرس في جامعة الجزائر، وفي السوربون أيضاً، أن يكتب روايات طويلة النفس، أن يحصل على الجوائز الكثيرة، أن يتعامل مع الصحف العربية والأجنبية والتلفزيون و... هل هو جني أم رجل مسحور، أو أنه يملك وقتاً لا يملكه الآخرون؟

سيكتفي جواباً أن واسيني ينام الآن في المستشفى بباريس، بكل بساطة لأن قلبه قد فرغ من لحظة من اللحظات أن يتنفس، لقد مات القلب. يسرق من نهضة الكثير ليمتنحه للآخرين. أتساءل في الغفوات الصادقة إذا كانوا كلهم، بالفعل يستحقون ذلك؟ أجزم أن الكثيرين منهم يتشوقون الآن وينتظرون خير

الموت ليركضوا نحو المقبرة لتأدية واجباتهم الأخيرة. واجب التخلص من صوت مقلق لراحتهم. قد يكون كلامي قاسياً، ولكنه في صلب الحقيقة التي لا تلعب بال لغة وسحر العواطف الخبيثة، كلما رأيت رجلاً ذكياً سلم أمره للموت، رأيت الغزلان المذبوحة في عيونهم. نهتا في ظلمة الضئيلة ولا شيء، فغيرهم، حتى البراكين تتحول أمامهم إلى نثار من غبار، وتهرب بعيداً.

ما زال واسيني يظن الخبر في كل البشر ليس هو صاحب شعار كل انقاس طيبون حتى إشعار آخر. وهو لا يدري أن الصفائف تولد معهم في شكل نظرات مريبة، وأحقاد صغيرة تكاد لا ترى، وحسد غير مبرر، وغيرات شديدة لكل ما لا يشبههم قبل أن يتحول ذلك إلى قبيلة موقوتة في دواخلهم.

واسيني، رجل يأتي كل صباح، يمشي بمسكنتين وحسد يحاول ما استطاع أن يجعله نشيطاً وجوياً. ينزل من السيارة قبل أن تدب الحياة في الجامعة لأنه يستيقظ باكراً؟ ما معنى ذلك إذا كان أصلاً لا ينام مثل باقي البشر؟ يكتفي بساعات قليلة يسرقها من نهايات الليل ويدايات الفجر قبل أن يقف وراء لوحة خشبية ضربة مازالت بها رائحة الزيتون الذي صنعت منه ويكتب عن كل ما يملأ قلبه. نصف حياته مرهون لشخصيات يصنعها من البنفسج وورق الحلفاء، وعطر المواسم، ثم يصدق أنها موجودة، فيحبها، يضعها في قلبه وعينيه، ويخاف عليها. يقول إنها هشة ولا نصير لها في الحياة غيره. ثم يحكي عنها طويلاً، عن مشقة العيش، وعن تفاصيل حياتها الدقيقة كما كان يفعل أجداده الأندلسيون عندما يجلسون وراء براد الشاي ويدوون سرد الخفايا وقصص العشاق. جده الذي شق البحر إلى نصفين كسيدنا موسى، ومشى على الماء من الماراية حتى سيدي بوشع، كان يفعل ذلك بحماس، تماماً كمن كذب كذبة جميلة استلذها العابرون، فصدقها بلا تردد.

أراه الآن بشموخ العابر نحو الجنة. يأتي صباحاً حتى حين لا يكون مرتبطاً بالتدريس لأن الجامعة محطة ضرورية ويومية تشبه الأكل والنوم، ومقهى تنشأ فيه أجمل الأحاديث وأكثرها صدقاً. يبدأ يومه بلا مواعيد، ولا قرارات معينة، ولكنه لا ينتهي إلا بعد أن ينصرف الجميع لأنه سيجد دائماً من يحتاج إليه وهو لا يستطيع أن يسم أنذنيه ويدير ظهره. أمه الطيبة، المليئة



بالأشواق النفسية، التي لم تشبع من وجهه، لم تعلمه كيف يدير ظهره. ولذلك اكتسب احترام الجميع حتى لا نقول حبهم، لأن للقلوب أسرارها وأسبابها أيضاً حين يتعلق الأمر بالحب والكرامية. كانت علاقته بالآخرين استثنائية الجميع يشهد على ذلك، لم ير أبداً في طلبته ولا في درسه كشفاً مرتباً في نهاية الشهر، بل علاقة حميمة واندماجاً كلياً.

واسيني الذي يأتي إليه الطلبة ممثلين بحدهم الذي ثبت في الزوايا من أحاديث أنصاف الأصدقاء الذين يتسمعون في الوجه، ويطلعون في الظهر، كان يعلم الناس أن يحبوا كل ما يقومون به، ويتجاوز روح سخية كل ما يقال ضده، ويتصرف مع الجميع بالتساوي، حتى حين يعرف أن الخديعة موجودة خلف الوجه المبسم.

لن أجعل منه ملاكاً ولكنه ليس شيطاناً. رقته في المستشفى، وقلبه الذي قد يتوقف في أية لحظة، يحتاج إلى وقفة أمام إنسانيته ومحبته، كيف؟ حين يطلب من طالبته أن تكلم رسالتها، ويرجوها أن تفعل ذلك بسرعة لأنه لا خيار لها كامرأة سوى أن تنجح في مجتمع ذكوري اختلت فيه كل الموازين، ما غابته يا تري، أصحاب النواب الحسة سيقولون فعل خير الآخرون، القلة المتخفون، والحاقدون المرضى، سيقولون إن شيئاً غريباً في الأمر مبطن داخل هذا الرجاء. معذورون، لأنهم تعودوا التفكير بنصفهم السفلي الذي يتباهى ويتفاخر بالهزائم المتتالية ويخفيها في الفرائش الذي سرعان ما يفضحه. كانت الطالبية تعمل عملاً بسيطاً لا يوفر لها إلا مصروف المواصلات وتصوير الكتب. كان يأخذ منها كل الوقت الذي يمكن أن تكمل فيه رسالتها. متأزمة نفسياً كانت، لأنها تشعر بضيق الوقت الذي يفرض عليها قانونياً المناقشة، فيطلب منها أن تتوقف عن العمل مقابل أن يدفع لها راتبها الشهري لمدة معينة إلى أن تنتهي من بحثها. تستغربون؟ لقد حدث ذلك هنا، في جامعتنا الموقرة وفي بلدنا الذي يتقاتل فيه الناس على البطاطا، والبصل وينسون أن الإنسان ليس معدة ولكن رأساً يفكر أيضاً. ما الذي سيستفيد منه أستاذ وكاتب كبير، يرى طالبته تنجح؟ لقد ناقشت الطالبة، وتحصلت على علامة جيدة، وأصبحت أستاذة، وعاد إليها بريق

عينها وثقتها في نفسها. لم تكن جميلة بالقدر الذي يهز العابرين أمامها، ولم تكن غنية حتى نتهمها، ولم تكن متسيسة حتى نتهمها، كانت طالبة، ولم يكن أكثر من أستاذ، عفواً، كان أكثر من ذلك، كان إنساناً. هل سأحكي أيضاً، وأفصح أسراراً أعرفها عن طالبه المسكين - وكل الطلبة مساكين - الذي لم يكن يملك ثمن الانتقال من مدينته إلى الجامعة، ولم يكن يملك ثمن العصور الذي يقدمه للحضور بعد المناقشة. لم يشك الطالب يوماً، ولكن واسيني كان يحس بالأمنا الصغيرة ومازقنا. لم يقل شيئاً. أعطى لإحدى الطالبات مبلغاً زهواً كبيراً، وشك أن يقام لطلاب الاحتفال الذي يليه به ويحبه سبباً. والحق ألا يعرف طالبه شيئاً عن مصدر المال. ماذا أقول؟ هل كان واجباً ما حله مع طلبته ومع كل الناس؟ أبداً. لماذا لم يفعل الآخرون مثله؟

هو ذا يدفع اليوم ثمناً غالياً، في عزلة لا شيء فيها إلا ابتساماته التي تنكسر على بياض المستشفى والأطباء الذين يتوقفون عند رأسه قليلاً، بطئنون، ثم يمضون نحو مريض آخر.

أعترف الآن ما كان يقوله واسيني وأصاحبه حين كان يسري أنه سكران أول ضحايا كلامه: الحب قد يقتل أحياناً.

هو الآن ينام في المستشفى الباريسي لأن قلبه لم يتحمل قانون حياته الغريب. عليه أن يشفى ليس من أجل عائلته الصغيرة التي تثقل عليه، فقط، ولا من أجل قرائه في كل أراضي الدنيا، أولئك الذين يعرفونه ولا يعرفهم. ولا من أجل طلبته الذين يحزنون اليوم من أجله، ولا من أجل كتبه ومشاريحه المقبلة. ليس لكل هؤلاء فقط، بل، لأن الحياة نفسها تحتاج إنسانيته التي تذيب الصدا عن النفوس، والبرودة التي تملكت إلى الأعماق، من أجله هو فقط الذي كان يقول. الحياة ليست هبة فقط، ولكنها استحراق أيضاً، وهو يستحقها، لكي نرى ما يخبئه لنا داخل كتبه القادمة.

وحده يعاني اليوم، ويغيب عن الوعي، ويقف على تلك الحافة المخفية بين الحياة والموت. لو كلفني، سأطيق أمنية نيكوس كازانتزاكي، وأتمول على الأرضية بعض العمر من المارة، من هذا ساعة، من ذلك يوماً، من آخر



شاب مليء بالحياة، شهراً كاملاً، وعندما أعود في المساء إلى البيت، متأكد
من أنني عندما أجمع الثواني والساعات والأيام والشهور وربما السنوات،
سأجد عمراً طويلاً يسمح له بكتابة نصر آخر، على الأقل.

من أجل هذا الرجل الذي يكفي يوم واحد من حياته ليملأ حياتنا الفارغة.
أكتب الآن أنا التي لست شخصاً قريباً ولا مهماً في حياته، فقط لأدعو له
بالشفاء والعودة.

من أجل هذا الرجل الذي ينام تحت الرقابة الطبية الصارمة، هو الذي
سخر دائماً من الرقابة ولعنوا ورفضها بعناد شديد، أكتب وربما لن يعرفني
أبداً لأن اللواتي تشبهنني كثيرات^{١٢}.

أريت حبيبي؟ الدنيا ليست بكل تلك الظلمة التي تلقنا أحياناً داخل
غطاءاتها الشرسة مازالت فيها فسحة لعشاق لا أحد يعرف قلوبهم المليئة
بالسور

أراك الآن تبسم شوقاً وحنيناً وتغازل المعرصة التي تلف في كل وقت
عند رأسك منذ أن بدأت تعود إلى الحياة شيئاً فشيئاً.

هل تعلم أيها المحنون أن وراء البحر قلياً يبيض لك ويشتعل على
تونسك هل تعلم أن هناك امرأة على بعد أكثر من ألفي كيلومتر دفن
عينها كل صباح على حوافي البحر وتدعو لك ليس فقط أن تعود ولكن أن
تعود شامخاً لكي نستطيع أن نجعل من الحياة إمكانية شافية لضعفات
الجسم التي تحرر الدواخل وتمنح السعادة الخفية.

لقد أردت أن أبعد عنك قليلاً، بل كثيراً ما تخيلتك انسحبت بهدوء داخل
غيبوبتك، وأرى إمكانية العيش من دونك! كان علي أن أروض نفسي لفعل
ذلك لكي لا أموت بشبهة الدهشة. كنت فقط أريد أن أجرب، ولكنك لم تترك
لي فرصة لذلك، لأنني تأكدت أنني لا أملك إمكانيات العصور، لأن الهواء لم
يدخل رتي. أحاول أن أعصر قلبي ليضخ قليلاً من الدم ولكنه يقضائل
كنشاز الخوف

لم يعد هناك برد يوقظ الحواس. لم يعد هناك حر يعمق شبهة الجنون
لم يعد للعطر رائحة الغواية، ولا للجسد رغبة حتى في أبسط الأشياء، لم
يعد المطر الذي ينزل الآن مغرياً، ولا جميلاً كما كان.

لم يعد لدينا معنى حبيبي، وعلى أن أنحته من خوفي عليك وخيبيتي
وذعري الخفي من ذهابك الأخير. لن تذهب لأنك كما قلت لي ساعراً: لست
مستعداً لذلك وكانت أنت من يحدد الساعة. ثم إنك لم تمنحني هذه العرة
سعادة تنظيم حقيقتك الأخيرة، وترتيب أشيائك الصغيرة، منذ زمن بعيد لم
أفعل ذلك.

عندما تخرج من هذه المحنة، أخرج أنا من باريس التي دخلتها كسارقة
لا تات إلي بما أحتاجه وأني سأحملك في قلبي يبقى أسي رائحة كما
اشميت رويك في المستشفى. ويكفي أنك وضعتني أمام أسننتي الهاربة
أني تعادنيا طويلاً قبل أن أعود لها مجبرة. سافر حبيبي. إلى مكان جميل
وغني للثقافة. أنت تريد نيويورك لأنني أعرف أنك تحبها لمسيب غامض،
وفي العصور والصخب يودي صحتك عد إلى عابقتك ثم تشر نحوها وأنا
كانت هناك امرأة، ربما كانت عازفة البيانو والرسامة التي حدثتني عنها.
قبلها من عندي وقل لها. هناك في الضفة الأخرى امرأة انتظرتني طويلاً وما
زالت ترفض أن تسلم أمرها للأفكار القاسية. امرأة استيقظت فجأة لتجد
نفسها في مواجهة كائن آخر من ورق وحريز، سرق منها عفويتها وحياتها
تفاد حبيبي نيويورك، ربما كانت في سري العميق حسرة الغيرة هي التي
تحركتني. لأنني أريد أن أضحك في عيني بعد أن متحك الموت عمراً جديداً،
وأكون أول امرأة تحتفي بعودتك من فراغ البياض نيويورك حبيبي صاحبة
وأنت تحتاج إلى بعض الراحة. سافر إلى مكان ترواح إليه. أمستردام. مثلاً.
لا. لا. أمستردام مدينة بريئة ولكنها لا تكفي لراحته. أعرف مغامراتك
فيها. لن تلقنني أنك كتبت شرفات بحر الشمال من مجرد الخيال ذات
يوم سأفصحك بجمع نساءك لقد بحثت عنين بالابرة وعرفت حنين، وعرفت
أنها، لم تعد تعني لك الشيء الكثير لكن لن تلقنني بأن كليموثس هي
أنا فقط لأنها مشدودة إلى الكمان! أو مجرد شخصية ورقية لا ورق حبيبي



بدون حياة مبطنة وخفية. من هنا يتحول الأدب إلى أجمل كذبة تمر عبرها الحقيقة الخفية. كليمنوس أشواقك الدفينة، وقد تكون امرأة منحكت ليلة أو ليلال، حركت فيك مدافن السعادة المعلقة على نبض القلب. فتنة، كانت حبك الأول، أو لحظة الإغصاب الجميلة التي مارسها مع امرأة ممتلئة وأنت مازلت في دفة الطفولة. قلت لي يوماً وأنت تتحدث عنها كانت جميلة. عيناها خضراوان مثل حدائق الجنة. لقد رأيتها وهي تضعك بين فخذيهما، ثم ضمتك إلى صدرها بقوة وقالت لك: أحبك. سمعتها كما تعودت أن تسمعها من أختك زولبخا، أو أمك ولم تتساءل كثيراً، ولكنها كانت أول امرأة حركت شيئاً فيك يشبه البراكين الصغيرة. وظلت تستعيد كل حركاتها، وشبهتها، وصرختها ربما إلى اليوم مازالت تلك الصرخة تحاصرك، ولهذا كلما شعرت بالرغبة تحلل جسدي يكامله وارتعدت بين يديك وصرخت، وضعت يدك على فمي وأنت تتعمش ششنتشست عمري المكان ليس لنا وحدها؟ لا أدري إذا ما كان السبب هو الناس الذين يحيطون بنا، ويفعلون الشيء نفسه، أو تلك الصرخة التي رأيتها تتراقص في عينيها الخضراوين اللتين استسلمتا لك في وقت مبكر؟ لا أنصحك بأمستردام حبيبي، ليست لأنها صاخبة، فهي ليست كذلك، ولكنها مدينة تخبي كل جنون الدنيا، وبها ما يهزك بعنف، وأنا أريدك أن ترتاح. ترتاح فقط من الشغل اليومي.

أخرج حبيبي نحو قريتك الصغيرة اشبع من وجه أمك التي كلما تحدثت عنها غلبتك حسرة أنك لم تبقي معها، طوال هذا العمر إلا شهوراً قليلة. احك معها! اسمع أنينها الداخلي لديها أشياء كثيرة لم تقلها لك امتحها القليل من لحفاتها الهاربة لها أحزانها وخوفها الدائم عليك. أترك الهاتف النقال وراءك ولا تأخذها معك، فليس في حاجة إلى أصوات الغير الثقيلة. أقطع صلتك بالدنيا، وارتح قليلاً لتتمكن من استعادة نفسك وترميم الكسورات الخفية. خذ معك جهاز الكمبيوتر النقال الذي أعرف أنه صديقك الكبير، واحمل كتبك التي تملأ مخيلتك ألف ليلة وألف ليلة، الأكيد، هناك ليلال لم تكتشف بعد أسرارها. دون كيشوت، هناك بعض أسرار أجدادك الأنرلسيين المخبوءة داخل جمل سرفانتس قلت لي ذات مرة وأنت جاد في حماسك. سأقوم يوماً بدراسة هذه الرواية العظيمة، وأظهر للعالم ما يتخفى وراء

سرفانتس هناك موقف عظيم لسرفانتس من محام انتفنيس المقدس احتفظ بها لنفسه خوفاً من سريده. فقد علّ يحمل حباً خفياً لهذا الأرض وناسها. تذكر روايات كانزانتزكي وسيرته العظيمة. أعد قراءتها الرجل كان نبياً عظيماً مملوءاً بالسحر الذي كلما شعرنا بسهولة تقليده، وجدنا أنفسنا أمام مغاليق ومستحيلات كثيرة. خذ عرشك الأدبي الجميل وارحل صوب بحرك الأول، وشمسك الأولى، وترتكب الأولى ولا تسأل عن البقية. عندما يلف الموت على العتبات لن نذكر ما عشناه، ولا ما لم نعيشه، ولكن ما كان يمكن أن نعيشه وتركناه لبلالة اليومي والمكرر. اذهب إلى بيتك البحري، ولا تخبر أحداً سيساعدك البحر. ووجه ماما ميزار المتعب من كثرة الهزات المتكررة التي لم تعد قادرة على تحملها كلها، أنا متأكدة من أنك تستطيع أن تستعيد ما هرب من طفولتك هناك.

شعبي بيبي

هل تدري أنني اكتشفت اليوم سرّاً خطيراً؟ تريد أن تعرفه؟ لا أحبك... قلت لك لا أحبك! الحب شيء عادي يعيشه البشر بشكل يومي ومكرر حتى أصبحت الكلمة لا تعني الشيء الكثير ربما تكون قد مارسته أو قلته على الأقل لأكثر من امرأة.

أنا يا مهبولي الغالي، ساموت بكل بساطة من دونك. سأتلأشي وأصبح شيئاً آخر بلا حياة ولا روح. لو كانت الأعمار تستعار أو تمنح، أنأنا لك عن عمري. أنسحب من دائرتك لتحريك مني ومن المشكلات التي بسببها وجودي لك، مقابل أن تكون سليماً معافاً. قد يكون هذا إحساس أم وليس إحساس حبيبة الأم، يا سيني، هي الكائن الوحيد الذي يتعذب، ويعطي بلا مقابل. لقد انقلبت الأقدار عليّ، وحولنتني إلى أم، وأصبحت فجأة ابني! ربيت عليك الكبدية، كما تقول أمك وأمي. ليس كلاماً جميلاً أقوله لأقويك وأدفع بك لنسيان نيويورك وأضواءها، وأمستردام وحبيب نسانها، بل إحساس عميق لم يتضح سره إلا الآن، بعد هذه النسوة المرة.

إن كان كانزانتزكي يمتحن أن يستجدي بعض العمر من الناس العابرين. لمعجبين بما أظروا وشكبت أحلامه التي لم يسعفه الوقت للعالمها فاما

مستعدة لأن أمنحك كل عمري، لتعيش عمراً آخر، وتحلم وتكتب لن أدم إلا على شيء واحد، إذا ضيعت العمر في الفراغ الذي يأكلنا أحياناً حبيبي. سيني الغالي. أرجوك لا تنس وعدك. لقد أكدت لي يوماً أنك ستكون بخير، وسنبقى في كامل عافيتك. أحملك نتائج وعدك. أرجوك لا تخني. لأنني سأكون أحرز امرأة في الدنيا تستطيع أن تنفذ ما قلته لي. لقد رأيت يوماً في عينيك إصراراً جميلاً على الحياة، وأعرف أنك ستبقى بوعدهك لي لأنه لا خيار لك. لأنك لست شخصاً آخر غير الكائن الدافئ الذي أعرفه. صحيح أنك تخلت عن لزعة الحمص، لكن بقياه الجميلة ما تزال فيك. لن أنام الليلة أعرف أنك متعب قليلاً، ولكني سأنتظرك حبيبي. أريد أن أبقى مفتوحة العينين، حتى أتلقي جوابك الذي تقول لي فيه أنك عدت إلى الحياة العادية، ولم يكن ما حدث إلا هزة ذكركت قليلاً أنه عليك أن تهتم بصحتك قليلاً. أنتظر أن تكتب لي جواباً فيه ما أشتي أن أسمع. سأشاركك الآن وأعود إلى البيت، أحب الموسيقى. لقد أعدنا فرقتنا الفيلارمونية إلى الحياة، وأنا سعيدة بذلك. وفي مقسم بين المدرسة العليا للفنون أو الكونسرفتوار الذي أعيد فتحه، وأوبرا مسرح وهران التي أأدرب فيها يوماً مع الفرقة. نحن بصدد إنجاز أشواق المدينة على يد المايسترو الإيطالي جيوفاني جوليانو، الذي سيفتني معنا مدة طويلة لإنجاز سيمفونيا فيفالدي. الفصول الأربعة. رجل أنيق ويحب فنه بقوة منذ زمن بعيد لم نر هذه الجدية. أشغل كثيراً، لأن السيمفونية تعتمد على كثيراً رياض استسلم لرغباتي، وكلما كان لديه وقت، مر على المسرح قليلاً، وحضر معنا بعض التدريبات قبل أن يلعب في شرايين المدينة لشؤونه اليومية المتعلقة بسوق السيارات التي أصبح المورد الأساسي للنموذج الياباني والأمريكي. هو وبعض أعضاء الكارتييل.

سيني. حياتي وموتي. سمانتي أرضي. شمسي وبحري. ظلي وغيمي. هل أعود إلى تانيبك كما تعودت؟ لم نتركني بلا وطن وتؤثر سرياً في المستشفى؟ هل تعرف أنني لم أكتب اليوم، لسبب بسيط هو أنني حمقاء وأفنع نفسي أن كل ما حدث لك لم يكن إلا كابوساً. لم يكن حقيقة. وبأنك ستقوم غداً وتقرأ رسالتي وتبشيم من جديد من هبلي وجنوني.

ماذا فعلت بي أيها الغالي؟ كنت أعرف سلفاً أنك سترتكب هذه الحمافة يوماً أو ترتكبك هي صدفتي. كنت على يقين أن لعمراً صغيراً، سينفجر في أعماقك وسيغير شيئاً فيك، فقط لتلتفت نحو نفسك المنهكة مجرد إنذار، ولكنتي لم أكن أعرف درجة خطورتها، هل تدري ما فعلته بجسدك؟ لقد جعلته يعيش عمره بسرعة لم يتعود عليها. إذا كان البشر يقضون أربعاً وعشرين ساعة وهم يركضون في مدارات الحياة، فقد متحته أنت، بسخائك القاتل ستاً وتسعين ساعة؛ يعني أربع مرات عن العادي. وإذا كان متوسط العيش في بلداننا المختلفة خمسين سنة، هنيئاً لك، فقد عشت داخل هذه السرعة أكثر من مائتي سنة. قرنان بالتمام والكمال! هل تدري ذلك طبعاً أنت لا تطرح على نفسك كل هذه الأسئلة المرتبكة. الذي يحبك ويخالف عليك هو من يطرأها ذلك أخاف ليس فقط من العيون المدورة المليئة بالحقد، بل من نفسك أيضاً كلما وضعت رأسي على صدرك، وسمعت دقات قلبك، شعرت بحزن كبير لأنني لا أستطيع فعل الشيء الكثير لأمتح هذا القلب الراكض دوماً. بعض الراحة، لا أعرف ماذا أقول؛ فانا بلا روح. لا شيء يتسع ليستوعب حزني وخرابي الخفي. لقد صليت من أجلك كثيراً، وعدت إلى الله الذي نسيت وجوده. لم أطلب منه شيئاً خاصاً لي ولهذا كنت متأكدة من استجابته لي. قاوم حبيبي ولا تستسلم للموت الفاسي. الموت هو حالة خواء حيث تفقد الأحياء أشكالها وأوزانها، وأنت جزء حي مثل التراب، ومثل النبتة المنقرسة فيك. ليس من أجل ماما مزار التي وضعت رجلاً في الجبس. ولن تتحمل أن تسبقها إليه. وليس من أجل عيني ريماء وشقاوتها. وليس من أجل وجه ياسم الملائكي، وليس من أجلي أنا التي لم تعد شيئاً مهماً في حياتها فقط. بل صرت كل حياتها. وليس من أجل مايا التي ستعثر عليك يوماً ضمن أسرارنا الدفينة. ولا من أجل طليتك الذين ربيت في عيونهم ذلك البريق الجميل وعلمتهم الاستثنائية وحب الحياة. ليس من أجل أصدقائك الذين يحزنون اليوم من أجلك ويفكرون فيك كثيراً، لا، ولكن من أجل مريم التي صنعت من أوهامها حياة موازية ومن ضعفها قوة منحها لكل النساء حتى ولو أغضبتني ذلك كثيراً من أجل فتنة التي جابت قفار الدنيا هرباً من حب أصبح يخيفها من أجل كفة التي انتحرت على واجهة بحر أمستردام.

فقط لتظل وفية لأمرها المعشوق، من أجل أكاريا الذي ما يزال ينتظرك لتطلق قيده ولا تتركه معلقاً بين الحياة واللاشيء، كليمونس التي وضعت كمانها عند العتبة وأقسمت أن لا تعود له إلا إذا عدت من جديد إلى الحياة. هؤلاء هم صدقت الكبير، من أجلهم أمكت قليلاً حبيبي، ما يزال لدينا متسع من الوقت للحلم والجنون والكتابة. امنحهم وعداً صغيراً بأنك ستعود لهم. لا تبتهم قبل الأوان. ما زال العمر بين يديك حبيبي من أجل سيني الغالي أيضاً. المجنون الذي وضع حياته على كف عفريت، وراهن عليها. ولم يكثر لها بعد أن يحسبها من أرى من أجل حبيبي الذي لم ينجح إلا يوم أمك طفولة، مفعماً بارتكاب المعاصي والحماقات. من أجل سيني الذي يستحق أن يلق أمام المرأة، ويستقبل يوماً سعيداً لأنه يستحقه. لحبيبي الذي علمني أن أحب الحياة والألم استسلم أبداً للقوتها لأنها في النهاية تختبرنا قبل أن تمنح لنا استحقاقاتها. تعرفني، أني لن أطلب منك أن تغير نظام حياتك المجنون، ولن أطلب منك مثلما يفعل الأطباء معك أن تحفظ جدولاً لمواعيد الأكل، والنوم، والدواء. فأنت أكثر جوناً وتسبباً وحماقة من أن تؤثر فيك بطلباتي الغبية، ولكني سأطلب منك فقط. أن تلق مرة أخرى بفامتك العالية، وتصر على حقتك في الحياة، وتنتزعها انزعاجاً كمتسلفي الجبال الذين كانوا منك الأعلى في عصر سيد العمت والازرار على الحماة حتى في أكثر الحالات بأساً

حبيبي. انتظرنني على حوافك العشبية الجميلة أدخلني بين ذراعيك. وأغصانك. مدني بما تبقى من شوقك الخفي امنحني بركة شوقك وامسح على رأسي مثل أي قديس صوته قريب من الله، وقل لي فقط أنك ستعود لأنتظرك عمراً آخر، وربما قرناً لا يهم حبيبي سأشبع قلبي بقلبك، وسيتدفق فيهما الدم نفسه بعد قليل. سأزرع فيهما وروداً وألواناً من طفولتك. حبيبك أنك وقتها لن تمنعني من خيانتني مرة أخرى، لأن دمي الذي فيك سيفضحك! وإذا أردت الهرب مني. ستضطر إلى أن تسحبنى وراءك وستقرأ هذه الرسالة. وأنت تضحك، وستلعنني على كل حماقاتي التعبيرية. وستقول « الله يخرب بيتك، جميلة وملعونة حتى في قمة شجتك » ولن تكون مخطئاً أبداً في تعبيري.

حبيبته التي تنام معك على السرير نفسه، وتحسن بالأنف نفسه. وكل صباح. عندما تخترق أولى الأشعة مدارات السواد، تصبح على يقين جميل. أنك ستخرج من غفوتك التي تشبه غفوة الأنبياء، وستعود ممتلئاً بالإبداعات السحرية وبالشوق المجنون للحياة.

أهدأ حبيبي، فأنا قريبة من نبضك. أنا فيك.

مريم التي تنتظرك على أجمل حافة للحياة معك، أو الذهاب معاً

الجزائر العاصمة في ٣٠-٣-٢٠٠٨

www.rewity.com
^RAYAHEEN^



مازلت أقاوم التفقت ونثار الذاكرة المعمي للبصر

هل أكتب؟ لست في وضعية المراحة لأتلى بخيالاتي، وأقتنع نفسي بأن ما حدث ويحدث هو مجرد حالة طارئة. لقد هدني مرضه ونزل عليّ كالشهب الحارق، فكد أن يحولني إلى رساء. لكنني، بغضل قوة داخلية استعدت كل قواي، بل ذهبت إلى أكثر من ذلك، أدركت شرطي الصعب الذي كان عليّ تجاوزه. مرضه كان كإنتار الخطر المصاحب بإساءة فجائية قوية، كشفت من حولي حقل القنابل الموقوتة الذي كنت أمشي فيه بالصدفة.

هذه الكومة من الرسائل، لا تنسيقي ما أنا منها من أجله. مصممة على الذهاب وراء الحماقة حتى النهاية أجمل الحماقات هي تلك التي لا نسال أبداً عن نتائجها الوحشية، إلا عندما تحصل

ليس في نيتي أن أتمرد على واسيني كما تفعل عادة الشخصيات الكتابية عندما تصاب بالخيبة في الصميم. لست منها، ولا أشبهها. قراتها في الكثير من الكتب، ولم تعد تغريني مطلقاً. رأيتها عند أحد أصدقائه من الكتاب الأمريكيين - بول أوستر^١ الذي خلغ عليها كل سبل الحياة، وجعلها تخرج من الكتب وتغادر كاتبها. أنا أحدث عن امرأة حقيقية تتخفى وراء امرأة من ورق. الأولى تعيش موتاً مفروضاً عليها، والثانية تجني كل ما يمكن أن يمنح لامرأة جميلة أجديني اشتراك معها في كل شيء، حتى في أدق الكلمات الحميمية. إلى درجة أنها سحقتني وغطت علي ولم أعد إلا ظلاً لها، بينما العكس هو الذي كان يفترض أن يكون. صرخت مع نفسي عندما اكتسحتني وجودها: بكفي. ولم أكن مخطئة في قراري أبداً. هذه المرة، ليلي تتمرد على مريم. فقط ليعرف الناس الذين أحبوا مريم أو عشتوها أو حتى كرهوها، لست هي وإن كانت متي. من لحم ودم أنا. قد يبدو في ذلك نوع من الغرابة؟ أنا نفسي في حالة امتعاض وإنشداد أعصاب تمنعني من الدفاع الجدي عن رأيي وتوضيحه لمن يريد فهمه. كان يفترض أن أحب مريم لأنها اشتقت من أكثر الأحاسيس عمقاً في لكن انقلاباً ما حدث في الأشياء المحيطة بي وتلك التي في، لم يدفنتي فقط إلى كراهيتها، ولكن انتظار الفرصة المناسبة للقنابل

والإنهاء من وجودها الذي أصبح ينغص عليّ كل شيء، حتى في سرير الحميمية مع واسيني. كلما وضعت رأسي على صدره، انتابتي أحاسيس غريبة منها أن مريم سبقتني إلى هذا المكان، وكانت أفضل مني في جنونها معه. الغريب أنني لم أعرف وجهها، ولكنني يوم رأيت أنيا، طالبة واسيني الروسية، شعرت أنهما تشتركان في أشياء كثيرة: الوجه الطفولي الموشى، نمش القواية، العيون الملينة بالسحر والأسرار الخفية.

مريم هي التي بدأت هذه الحرب غير العادلة. جاء بها واسيني من الغد، ومتي. احتلنتني في البداية، وقبلت. قلت في خاطري: مجرد همسة، شخصية روائية لا أكثر. سباتي زمن وتأتي شخصية أخرى تأكل رأسها، ثم ألفتني بتواطؤ غريب من واسيني الذي سكنها نهائياً وسكنته. حتى أصبح يناديني مريم، فاختزلت المسافة نهائياً بيني وبينها.

أعرف أن حربي ليست مقدسة، وليست حتى عادية، ولكنها عادلة.

لست مثلاً يتصورني الناس من خلال أفتعتها، أبداً. لست ملاكاً، وربما كانت حماقاتي أقرب إلى غوايات الشيطان منها إلى هداة الملوكوت. ربما كانت الغيرة من حريتها، هاجسي الذي يأكلني، ولكنني أظن أنني أكبر من ذلك كله.

أريد فقط أن أصرخ بأعلى صوتي: لقد تعبت من ظلام مريم. مريم أصبحت الظلام الذي يقتل حقيقتي بإخفائها. أشتهي أن أخرج إلى النور مثلاً يخرج جميع الناس، أن أنتخرج فقط في الطرقات كبقية البشر. لا أريد أن أمشي على الماء كالأنبياء والسحرة والملائكة، كما أردتني واسيني في نصوصه الكثيرة، وفي غيّه الجنون والخفي، وهو يدفنتني في أعماق. مريم. مجرد امرأة تعشق الحياة وتريد أن تحب في العلن.

يا... لولا تلك الحماقة التي ارتكبتها قبل أكثر من ربع قرن لما حدث الذي حدث. ربما لإحرم القراء من اشتغالات مريم، ولكن أنا؟ ألم يقل لي وهو في قمة صفاته: ألف رواية مسبوكة بإحكام، لن تساوي لحظة سعادة واحدة نعيشها مع بعض بحرية تامة: أية امرأة سوية لا تريد في النهاية شبتاً آخر

إلا تصديق ذلك. لا أشك في أية كلمة من كلماته، ولكنه لم يفعل شيء الكثير لكسر جبروت مريم واستعادة ليلي أو ليلي الصغيرة، التي ظل قلبها دائماً يخفق لحزنه وخوفه ومرصه. ماذا يمكن لسيدة الورق أن تفعل غير الاستسلام للهد التي تصنعها؟

لست سيدة الورق ولكتي حقيقته الأكثر تخفياً. نفس الله فيه.

-٢-

لقد تعبت وخلدني طاعة التحمل.

أنا أبسط كثيراً مما يتصوره الناس الذين صادقوني في روايات واسيني. حفنة ماء لا أكثر كأس شاي على حافة قفر من الرمل. أشتي أن أعود إلى هويتي، وإلى يومياتي البسيطة والصغيرة التي تجعل مني إنساناً عادية، لا تستثير انتباه أحد. تماماً كما كنت، قبل أن يسجنني واسيني في كتاب العمر الذي يكتب في كل مرة منه فصلاً واحداً، يضع على غلافه اسم رواية. حياة بسيطة جداً. أشتي أن أعيش طقوسي الجميلة التي لا تكلف شيئاً أبداً. أن أشتري الصحيفة اليومية التي تعودت على إيمانها، بدون أن أثير انتباه أحد. أن أقف في الطابور الذي يشبه شعباً خرافياً لأشتري الخبز والحليب، بدون أن يهرجنني الناس بعيونهم وأستلثمهم المقلقة. أن أدخل إلى أقرب حانة، أشرب بيرة باردة ثم أنسحب على رؤوس أصابعي قبل ذهاب آخر باص نحو مرتفعات المدينة. أن أدخل المكتبة البلدية، وأواصل قراءة آخر رواية بدأتها. لأن إمكاناتي المادية لا تسمح لي باقتنائها. فأنا في النهاية، لست أكثر من امرأة عادية تملأ شوارع المدينة بدون أن ينتبه لها أحد. لا أملك ما يؤهلني بأن أكون استثنائية وخرقة. امرأة كل الأيام، وربما أقل من ذلك، في مجتمع حائر بين دينه ودينه، بين ما هو، وما يريد. يعيش الاثنان في الوقت نفسه، في نفاق لا يحسد عليه أبداً. يشبه الطاحونة التي عندما لا تجد ما تطحنه، تأكل نساء البلاد. وأنا إحداهن.

أشهد اليوم، وللمرة الألف، أنني لست امرأة من ورق، فهل من يسمع؟ ودمي ليس حبراً صينياً أسود ولا حتى بنفسجياً رشيلاً. دمي ككل المخلوقات

أحمر. أثاليم عندما أخرج، وأبكي عندما يصيبني الفقدان وشظف العزلة

أنا امرأة من أحاسيس مرتبكة ومحروقة. من لحم ودم وبعض الجنون الذي لا يقاوم، ولم تعمل السنوات التي مضت إلا على تأجيجه.

أقسم بالله، ويكل أوليائه الصالحين، أن اسمي الحقيقي ليس مريم، ولا تنويماتها التي اخترعها واسيني وأقنع بها قراءه الكثيرون: لا ميرا، ولا ماريوشا، ولا ماريانا، ولا مي، ولا ماري، ولا ياما، ولا ماري، ولا حتى مايا، ابنتنا الجميلة، التي أحبها واشتركنا في إنجابها في أجمل غابات الدنيا وأكثرها صفاء.

اسمي، ليلي بكل بساطة. أربع حروف مكررة، لا إشارة فيها. ليلي، ولا شيء غير ذلك. اسم لا يعني الكثير خارج القصص العربي القديم. ولا توجد له أية دلالة استثنائية في تاريخي الشخصي. لكنه اسمي الذي منح لي جدي الطبيب الذي كان يعشق هذا الاسم ربما لسر دفن معه.

عشت أسراري الخفية مع واسيني، قبل أن ينقلها محورة ومقنعة، نحو نصوصه. غير اسمي الأصلي، برضاي ولكن على مضض. قال مريم هي أنت، ولكنها أيضاً قناعنا المشترك في الحياة النظامية. كدت أقول له: كنت أفلم من الحياة عندما رقصت زواجنا بحجج واهية؟ يا مجنون، ألم يكن من الأسهل عليك وعليّ لو قلنا ما فعله جميع البشر وربحنا وقتاً جميلاً ليهلنا وجنوننا؟ ولكن الفكرة بدت لي قديمة وغير مفيدة، بل ومكررة لدرجة الفتیان. هناك حياة حاضرة، كان عليّ أن لا أخسرهما في زمن لم يعد ينظر المتأخرين. قال مريم، ستكون في مأمن من العيون الهمجية، وستكون مريم شخصية روائية لا أكثر، وسقرونا الناس على هذا الأساس. بهذه الطريقة السرية سنكتب قصتنا الجميلة، ونمررها كما نشتهي.

بدت لي الفكرة مغرية في البداية لأنها كانت تمنحني فسحة أن أكون، وأن أظل في دائرة وآسهن ولا أفقده، وأعيش داخل لفته. كانت الغواية كبيرة، لكن مع الوقت، ابتلعنتي مريم نهائياً، ولم تترك لي حتى مساحة المناورة.

ولم يبق في العمر ما يمكن أن أخسره. قلت في خاطري يجب أن يوقد هذا العدوان لأفول ملء صوتي المبحوح:

«لست امرأة من حروف وجمل مرصوفة، ولكنني امرأة تنأثم، وتئنو، عندما تشعر أن سم الحياة سرى بين مفاصلهـ».

قد أكون مارست اللعبة المجنونة نفسها، ولكنني لم أكن محترفة. حين في اسمه الذي أعطيته له في مدارات حياتنا الصغيرة أسميته ياسين بدم باسم صهي كان يمكن أن يكون ثمرة حبنا لو شاء واسيني. فاجتزأها. سير ولم يحتفظ في رسائله، من الاسم، إلا بجزئه الأخير الذي كان في النهاية قريباً من اسمه الأصلي. لم يكن الأمر عسيراً. فقد اخترت له هذا الاسم لأنه كان يحب كاتب ياسين، الذي عرفه قبل أن يموت، والثقي به في مسرح سيدي بلعباس وبلدة تينرا، وتكونت بينهما صداقة جميلة لم تنته إلا بموت ياسين هذا وحده كان يثير في جملة من الاهتزازات الداخلية، حتى في انتقامي - واسيني، كنت امرأة عاشقة. فقد منحت اسماً أحبه وقدره وأحزنه. فهو يرى أن كاتب ياسين قلته ورقة اللآلئ الجدد. فقد ظل يحمل نعمة ظل يصمت منها. ولم يتكلم نفسه مثله الدواع عن نفسه. كان يحب يجسدي عنه بغير وجهه ويخلي بصوتها صوته والكساره

«الأنهار حادة أحياناً يا ليلي تتصرف فيها كمن يتصرف في ألام خاصة تحسوري ماذا حدث؟ عندما مرض كاتب ياسين سافر نحو صديقه الماشية جاكوبين أرو² في فرنسا بعد أيام من وصوله كانت كانت ملكية من السموات الصغيرة حاول أن يتعبر شرب حتى النقص ثم فتح وريده ومن حظه وجد صديقه ذهب به نحو أقرب مستشفى كان مريضا قد سمعه بقوة نسيم اليفرة بعد أيام احقته بهـ لوكسيا قاهرة سمعت بمرضاة وأنا بموسكو عرفت أنه كان في أيامه الأخيرة وصلت ليلاً إلى غرونوبل، وكنت أبوي أن نحمل دويدي والدي في الحديقة نفسها لكنه ذاب في خريف حزين من سنة ١٩٨٩. فبال لي بأنه سيمثل في القدر إلى الطرقت. وهو في مركز اللحن والمغمار وقصص فحراً وبطلت مكان تصوير المسامع والحوارات فإذن مع سبق إقترافني الساعش مني الشكل الذي تصعب فيه الكلام من التواضع

معرفة والمسماء، وأشار لي باتجاه المرأة الواقعة في صمت. كانت ملفوفة في معطف مشمير أسود، درء لبرد الخريف القاسي. عندما رفعت رأسي عالياً، رايت أشعة تنزلق من سطح مركز الشحن ذات الأسقف الزنكية العالية، تشع على وجه المرأة التي التفتت نحوي عندما تحسست ظلي. قلت لها لأطمئنتها: «صديق ياسين، وجئت من موسكو، فقط لتوديعه، من موسكو! فقط لتوديعه؛ شكراً لك». تمتعت. ثم التفتت نحو التابوت وقالت بصوت مسموع هذه المرأة. أيضاً هذا لتوديع ياسين اسمي زوليفة كاتب. ابنة عمه. التابوت الثاني لأخي، مصطفى كاتب. فرقت بينهما الحياة والسياسة، ولأخي بينهما الموت. «أخي، أي قدر مجنون! أصبت بالفعل برعشة باطنية غريبة. وبدأت رجلاي لم أكن ولم أكن قادراً على تحمل جسدي. كيف يكشف القدر عن حقيقته؟ كل هذا القدر من الضيق؟ أغضضت عيني، لا أكاد أصدق أن المرأة كانت تقف على بعد خطوتين مني، هي زوليفة كاتب، نجمة ياسين هارمة. فقد صنع منها أسرارها الغامضة، وعوالمه الأدبية. انتابني شعور غريب لحسنت كأن نجمة خرجت من كتاب ورقني، لتواجهني بلحمها ودمها بكاءً وقللاً ورامحاً بعض الغيبس. أقرأ الفاتحة، وأندب من ما كنت أرى عندما فلتحت عيني لم أر شيئاً قلت ربما كنت أراهم عندما التفت نحو المخرج. رايت تحت شلالات الصور العتسب من الأسقف امرأة ترشي معطفاً من الكشمير ذي اللون الغامق، تقادر المكان بخطوات ثقيلة وثابتة.

رايت كيف يتقاطعون الفص من هذا النكاح الغريب زوليفة كانت فضيلة نجمة الماشية من يعرف هذه النجمة غير الصديقة التي قادت نحوها من خير من زوليفة. حين سالتها بوجها عن أروماها التي كانت تنفق حزمها، وتكسر ما تنفق من قلوبها، لم يعبث على الحوافر تحت شمسها المرمية

— لا أسري لفتي، مثل بصادا، رائد نجمة تلوح من كتاب

— وأعادنا إلى زوليفة وهي أصامت بلحمها ودمها، لموت بسبب كتاب من بوجها الذي عرفت. وعبر حافلة من السائقين من يسل عن ماسنيتها

ونسبان كل الكدر الذي كنا نعيشه في يومياتنا. كنا مقبمين في المباس - ثور^{٤٧} ولكننا تجولنا في كل المنطقة بسيارة اكثريتناها. باس تير، اليوتاباير^{٤٨}، قبل أن ننام لمدة أسبوعين في جزيرة القديسات^{٤٩}. اعتقد أن مايا نبتت في تلك الأراضي المذهلة والساحرة. عندما جاءت مايا إلى الدنيا، رأيت فيها كل الماء الدافئ الذي كان يتدفق من أعالي جبل الكبريت^{٥٠}، وشلالات العشاق التي استحممتا فيها مع بنات أحد أصدقاء واسيني. في أدغال الكاريبي التي لا تعيش فيها الثعابين، كنا نسرق أجمل اللحظات محملة بطعم الثباتات البرية البدائية، والفواكه الغرائبية التي كنت أكتشفها وأذوق طعمها، للمرة الأولى.

قد يبدو ما أقصه غريباً، ولا أخلاقياً. لا يهم، فقد صممت أن أحكي عن كل شيء لأتخلص من رماذ شخصية ورقية سحلت تحتها امرأة لم تكن متفردة في شيء إلا في عشقها لكمائها، ولرجل عندما ظننت أنها تخلصت منه بالزواج من غيره، وجدت نفسها فيه حتى الغيبوبة. كنت كل شيء إلا امرأة مثالية؟ كجميع الناس. كنت أحتفي بجنوني الخفي، وعييتي التي تصل أحياناً حد الهيل. فعلت ذلك عن سبق إصرار وترصد. ولهذا، لا أريد من مريم، حتى ولو كنتها في بعض تفاصيلها الجسدية والحياتية، أن تسرق مني طفلة مذهلة أنجبته بقسوة لا شبيه لها إلا الموت، الذي لا يزال إلى اليوم يقف على رأسي. وحياً مجنوناً، يقع خارج كل العادات، تقاسمته أجمل سماء في الدنيا، وأكثر الغابات عذرية ودفناً في مايا سحر الكاريبي وكثافة خلجانها ودفنها، وصفاء سماء لوس أنجلوس التي لم يخلني من رأى فيها أجمل سماء في الدنيا

لا يزال ذلك كله يضح في رأسي بقوة، ويهزني بعنف كلما تذكرته. ولو أن واسيني لم يتوقف أبداً عن حماقانه التي تراكمت حتى أصبحت لا تحصى فقد غير كل شيء في رواياته، حتى اسم ابنتنا مايا، وحياتنا، ولم يحافظ إلا على ظلال الأشياء التي يصعب القبض عليها. هو يعلم جيداً أننا لم نروح من حماقات الدنيا إلا هذه الطفلة الشقية ولحظات. كلما تذكرتها في تفاصيلها، ازدادت حقاً عليه. ماذا كان يضره لو أن مايا الآن بين يديه، «بغلي» شعرها

كما تعود أن يفعل معي، يبدن في أذنيها أجمل الأغاني القادمة من بعيد مثقلة بالأساطير الأندلسية، بملك صوتاً مليناً بالحنان يورث الكثير من الآمان. ماذا لو حكى لها عن حدها المورييكي، لها حق كبير في قصته، وورثها بعضاً من جوتوياته الكتابية؟ ماذا لو أوقفني عند الباب وضمني إلى صدره وقال: أروحك لا تخرجي، في حاجة ماسة إليك. كنت رميث كل وعودي لرياض، ولأمي، عرض الحائط، وبقيت معلقة على صدره حتى الموت. ماذا لو كان واسيني عاقلاً قليلاً ونسي وجوديته المخبولة؟ كنت أولى قرائه، ولهذا أشهد أنني كنت أولى ضحاياه أيضاً. اليوم، كل شيء تغير، حتى النظرة للخبثات الكثيرة.

كلما قرأت عن مريم، شممت رائحة الدم الحادة، في يديها، وبين أصابعها. رأيتها، عندما كنت حاملاً بمايا، في الكثير من الكوابيس وهي تحمل سكيناً. تريد أن تولدني قبل الوقت، كانت تفتح فمها عن آخره كالذئب، وتقول لي: سأفعل ذلك قبل أن يصل قطرة الأمهات والأطفال. تتلمس بطني. تتحسس سرتي التي انفتحت كبرتقالة. تحاول أن تقتعني بأن الولادة من الصرة أفضل، أكثر راحة وأقل ألماً، وجسالية أحسن. يكفي توسيع الفجوة قليلاً بالسكين الساخنة، ليخرج الجنين سالماً معافى، تلمع السكينة تحت مصباح الضوء الخافت، يتناوبني خوف كبير. تمد يديها نحوي. تبرق عينهاها بشرر غريب. أوقفها عند حد الصرة. تحاول ثانية وثالثة. أرفض أن تلمس بطني. تزقق في وجهي بأعلى صوتها فاتحة فمها عن آخره، تكشف عن وجهها للحاق. تظهر أسنانها المخرمة السوداء، ويعلو صوتها الذي هو مزيج من عواء الذئاب، وزعيق الشياطين.

- يجب أن يخرج هذا «الكبُول»^{٥١} قبل فوات الأوان لا أريده أن يحتل فراشاً ليس له ولكن لغيره يجب أن يموت

أصرح بكل ما أوتيت من قوة. أشعر بانسداد في حلقى. تمد يدها مرة أخرى نحو بطني، أحاول أن أعضاها، ولكننا تبعدنا.

- أنت حقاوة وجسودة وأكثر من هذا كله. غيورة. مايا أجمل زهرة حب مايا عمري. ليست «كبُول». أجمل مخلوقة في صورة بهاء الآلهة.

الكاريبي الدافئة في اعماقي شهوة مجنونة كانت تجرّفتني نحوك. ثم احضننتني بجنون كانت الساعة التي لمعت أرقامها في يدي تشير إلى الخامسة فجراً. وكل شيء خال من الحياة إلا أنا وأنت وزقزقة الضفادع الخضراء والصغيرة التي تملأ الأمكنة ويتفادل بها الناس خيراً كنا في البداية نخلقها عصافير ليلية. ولكن مع الوقت تأكدنا من أنها تلك الكائنات الخضراء ذات العيون الواسعة. كنت أعرف أنك تركت كل شيء من أجلي. تركت أصدفهاك وأهلك، وحتى لوس أنجلس الجميلة التي قضينا فيها وقتاً جميلاً. لا أتصور أن جنوناً مثل ذلك سيتكرر يوماً. ليس لأن الليالي تلك اثمرت حبيبتني الرائعة مايا. ولكن لأننا كنا خارج كل منطق مستقر للحياة. كنت سعيدة. يبدو أن ليلة البدايات تبقى عالقة في الذاكرة كاللمعة الجميلة التي تستمر معنا حتى الموت. جمال تلك الليالي وأسأها العميق. أنها لن تتكرر أبداً حتى ولو شحذنا لها كل حواس الدنيا أحسن. لأنها لو عادت مرة أخرى بالقوة نفسها، ستقتلنا من فرط غزوبتها.

ليكن. لا أطلب منك الشيء الكثير بعدما خربتني حادثة فقدانك في المنافي، نذكرني فقط. قل إن امرأة أحببني بعد أن وضعت حياتها كلها على حافة المخاطر الكبرى. تذكرني بقلبك، بجسودك، بلمسك، بهمرك، بلسانك، بأصابعك الناعمة، بكل حواسك الخفية. وبعداً إذا لم نلتق، ليس مهماً لنا مشترك جميل اسمه مايا سيأتي قريباً. مليئاً بالحب والحياة، سيفلح حياً فينا ويذكرنا دوماً باحتمالات حياة جميلة، أتمناها أن تدوم طويلاً لأنها الأصدق.

سبني الحبيب

لا تؤاخذي على كلامي السابق، كنت فقط أريد تذكرك أنني مازلت هاهنا. بالضبط بالقرب من نبض القلب حيث لا يمكننا الكذب على عواطفنا. فقد منحت قلبي كل الضمانات التي كان ينتظرها. وهذا وحده كان كافياً لكي أسقط بين يديك كقطرة المطر الأولى المليئة بالصفاء والعفوية والشوق

هل تدري أن غيابك متعب. مثل الفجوة العميقة التي لا يمكن ترميمها صولك انطقاً وأبوابك مغلقة لقد جريت فتحها ولكني لم ألتج. فزاد إحساسي

بلاختناق والوحشة وأخشى من الزلزل القاتل. لأنه كلما زاد شعورنا بالضيق، زادت بقوة، إمكانات الخطأ والانزلاق المميت

هل تدري حبيبي؟ قد تكون هذه آخر رسائلني التي تصلك من أرضنا المشتركة. سأغيب شهراً بكامله في أوروبا مع رياض. سأكون بين فيينا وبرلين لا أنصحك بالمجيء لأنني أخاف أن أنسى نفسي وأرمي بكل توازني غرض الحائط. وأتبع مستسلمة كسجين يسلم نفسه بخياره. أخاف عليك كثيراً من هبلي. ومع ذلك، إذا أردت أن تترك تريتك ومنفكك، وتقطع أحوالك، ورائي فأنا أنتظرك هناك. وسأخبرك ريثما أصل بمكان. أشعر أحياناً كأنني سدد خروجي من وهران، وعبوري الحدود، سأخفف قبل أن أنتهي من المينوتر الأول المغلف إلى العدم. ولم أعد أنتظر الآن الفرصة للخروج من هذا الضيق الخانق. بعد أن قضيت زمناً طويلاً في انتظارك كل يوم أنتظرك وأسمع خطواتك بلا جدوى.

أليس جنوناً؟ أنتظرك وأعرف سلفاً أنك لن تأتي..

ريما في اعماقي لا أريدك أن تأتي حفاظاً على سرنا الجميل

سمر حبيبي

رفقت أن أبعث لك برسالة مبتورة بداتها في وهران. ها أنا ذا نجرها ورائي كمن يسحب قدراً جميلاً لا يعرف أبداً إلى أي جنون سيقوده

أنت في ذاكرتي دوماً، خيط من نور مفتول بأشعة الشمس التي لا نخل على غرفتي الصغيرة، إلا قليلاً. أشعر الآن بالهدوء بعدما تخلصت من شقاوة بونس ومتاعب مايا التي تذكرني في كل مرة أنها أصبحت كائنات حياً. تستعد للخروج. مايا لم تكن مثل بونس، الذي جاء بهدوء كبير. حملة لم أحس به أبداً قوضها قاسية. ولا تتركني أنام أبداً تتحرك وفق مزاجي عندما أكون سعيدة. أشعر بها ترفس وتطير في بطني كالقراشة، وعندما أكون منكسرة. أشعر بها تنبذ مكاناً قصياً في رحمي. وتتكفى على نفسها

وتنظر تنظر إلى كل حركاتي متأكدة أنها ستكون أجمل من النسخة لآنها
أحلى هدايا العمر التي توصلني بك حتى الموت

يبدو أن مهالك الدنيا سرقت منك ذاكرة الأشياء الصغيرة. هل نسيت
يوم ميلادي؟ في مثل هذا اليوم الربيعي انزلت من رحم أمي شيرين قبل
الوقت وكأنني كنت مستعجلة للوصول إليك تخيل. لم أمكث في بطن أمي
سوى سبعة أشهر وسرقت الشهرين من زمن لم يكن لي، ومن قضاء لم يكن
من الممكن المكوث فيه ملوياً

قلت لك عندما تريد أن ترحل إلى هنا تعال ولا تسأل. ستجد امرأة
تنتفرك بشغف عندما تستقيم الأمور ويصبح البشر بشرًا والناس ناساً
والدنيا دنياً

تخيل! أشعر بالعالم كله يناصبني العدا. بكنائسه وجوامعه اليهودية
ومساجده، ورجاله ونسائه، وعساكره ومدنييه، ملائكته وشياطينه.
مومساته ونبياته، مؤمنيه وكافريه. ألقت صوبي فلا أسمع إلا الصرخات
المتتالية وضجيج تكسر الأشياء والارتطامات المثالية وكأن بنايات عالية
تتهاوى عند رجلي. لا أدري لماذا كل هذا العمى الكلي. الحروب عمية
ويرتكب فيها الناس أبشع الجرائم. لست أنا من سن قوانين الدنيا الظالمة.
ولست من أباد شعوب الهندو الحمر في جبالهم الآمنة قبل أن يدخلها
اليانكي الحضاري ولست من محا بشر تاسمانيا من الأراضي البكر، ولا من
قاد اليهود إلى المحرقة، ولا من افقتى آثارهم ومخابنهم ليمحوهم. الذين
اخترعوا المحرقة هم من يسلمها اليوم في أماكن أخرى. وهل يكفي الاعتذار
عندما تكون ملايين الأرواح تتساءل فقط لماذا قتلت؟ لا مسؤولية لدي فيما
حدث على هذه الأرض فلماذا هذه الروائح الكريهة من الضعينة والعداء
المستشري؟ وحياتك، وحياة مايا الغالية، لو بقدر لي أن أعود ثانية إلى
مدينتي، سأرتكب الحماقات نفسها وسأحبك كل يوم أكثر. وسأنجب منك في
خواتم الشهوة، أجمل الأطفال وأحلامهم

حبيبي..

أول ما وصلت إلى فيينا، طلبت من رياض أن يرافقتي إلى الأوبرا
القديمة، أوبرا الدولة^{٢١} لمدينة فيينا، ولكنه رفض. ذهبت وحدي. كنت
سعيدة بعزلة داخل قاعة واسعة لا ترى فيها إلا ألوانها الزاهية وجمالها
أشبهها فقط لأن عظيمًا مثل المايسترو كارايان^{٢٢} كان وراء تجديد نظامها.
هو الذي عمم الأوبرا باللغة الأصلية لأنه كان يرى في ذلك عطاءً خاصاً يأتي
من بعيد وهو من ريعها بأوبرا لاسكالا لمدينة ميلانو الإيطالية ليهوبيا
من ثقل القرن التاسع عشر. تخيل. في كل فصل تقدم أوبرا الدولة خمسين
أوبرا وفراقة العشرين باليه؟ شيء مدفش ولا يصدق. أية مسافة تفصلنا
عن هؤلاء من حيث الرفاهة وتحت الداخل؟ كنت كلما اشتبهت استحضرتك
بالاستماع إلى موسيقى فاغنر. وأدفت خوفاً وعزلة في ملاحمه المذهلة.
فأجذنتي عالقة بيدك اليمنى. أدخل المدينة الساحرة، وأهيم في شوارعها
وباراتها قبل أن أدفن نفسي بلذة. في مسارحها التي يبدأ فيها كل شيء
إلا الروح العالية التي تنسحب من الأجساد وتبدأ في الطوفان بخفة على
جميع الرؤوس. أشتقي، في غفوتي، أن أدفن كل شيء إلا ملامح وجهك. فهي
تمتحنني الرغبة العالية في الحياة والاستمرار عندما يتغلق كل شيء علي
في غيابك. كنت أستجد في عزلة، في المخبأ، بالكاتب التي لم تبرحني
أبداً كنت أدرك بعمق أن أكثر واق من الجنون والموت المجاني هو الكتاب.
قرأت جنون نيتشه وهيدجر، ولصائد شيلر المذهلة التي جعلتني أزداد
عناشة، وليس غريباً أن يبتهوون الذي غني له تشيد الفرح في سيمفونيته
التاسعة. فريدي غويسبي، كان يحبه أيضاً لرشافة كلماته وقرأت صديقه
غوته الذي كتب معه كزينيس^{٢٣}، التي تضعني قاب فوسين أو أدنى من
الجنون الجميل. يبدو أن في شيئاً قوياً قد تضامن مع الموسيقى والشعر،
ويرفض أن يموت أو يستسلم للخوف الذي يحيط بي من كل جانب

لا أدري إذا ما كنت سأتمكن من الانتهاء من هذه الرسالة. فقد تركت
ورائي مدينة حزينه تفرش بومياً جنازتها في الساحات العامة. في
الكنائس المتخلفة والمساجد العتيقة ينزل الليل بسرعة على جراحات
المدينة وأنينها. لقد صارت المدينة تغلق أبوابها مبكراً بينما الأمطار التي
تنفر نافذتي المعزولة، لا تتوقف عن النزول. حتى رياض أصبح يخاف من

المستقبل. لقد تغير كل شيء أراك يتيماً داخل كل هذه الوحشة. ياه... لو فقط كنت أدري أن حبك يكلفني عمري، لأنه مثل كل الأشياء الجميلة، كثير الدفق، وقصير العمر.

أضع رأسي على الوسادة وأحاول عبثاً أن أنام وأضغط كثيراً كي لا أحس بكل هذه الشجون الطاغية لا شيء يسعطني الآن، حتى وجهك صار يبهو مني وينزلق كالماء أحاول أن أضغ ملامحه بين كفي ولكنه بسرعة يتسرب من فجوة ما. ويلتبس مع النور الآتي من النوافذ الممطرة. أراك تحكي لي عن أشياء لم أكن قادرة على فهمها ولكني عندما فهمتها صار من الصعب علي اللقاء بك فقط لأقول لك كم كنت على حق، حبيبي لقد دافعت عن حريتك، مثلما دافعت عن حلي في أن أكون إنسانة عادية، تحب وتزوج وتنجب أولاداً.

سجى حبيبي

لا أدري إذا ما كان فعل الموسيقى هو الذي يسرك نحو الأفاقي؟ بي شهوة غريبة لاستعادة تلك الليلة التي جمعتنا في الغابات العذراء. أيعقل أن تلتبس للحظة المعاشة بالحلم، أفكر فيك وأنا الآن تحت سحر المدينة، وفي كل ما يجعلك قريباً مني. كيف أصبح كل شيء موحشاً في عيانيك المدن هكذا حبيبي، مثل البشر. لا تؤمن لا أدري لماذا؟ كان هنالك شيئاً حدث الحراب حتى أنني انبعل أحياناً بك فيمطر لمدينة شتية راحلة أن تسحب قناعاً محتجباً بحمالة للحرارة ما دام فعل المنتصرون يربلير. في استباحة سوى حرقها وإبادة سكانها؟ كان الأميركيان يقولون عن اليابانيين إنه لا يوجد نساء بريئات، ولا أطفال ولا شيوخ، مادام الكل يتدرب على حمل السلاح للدفاع عن مدنها لا يوجد نازيون وغير نازيين ما دام كل الألمان والنمساويين، ساروا في ركب هنتر. أعطى المنتصرون لأنفسهم كل مبررات الإبادة وعندما اندفع الروس والإنجليز نحو برلين، لم يكونوا أكرم ولا أفضل من غيرهم أية كذبة تلك التي يتشونونها لتخبئ التقتيل المتكلم؛ الذين احتلوا برلين، تحولوا بفعل القوة إلى نازيين جدد، فسرقوا أموال الألمان ومخزراتهم البنكية بعد أن أمانوهم. وقتلوا الملاحي، وقتلوا الناس

بالمسرات ظمناً في ملجأ بورن^{٥٥} ببولونيا، طلبوا من السجناء حفر قبورهم ثم دفنواهم أحياء في أمتعة أخرى، في ملجأ دارومشتادت^{٥٦}، الضخم الذي لا يختلف في أي شيء عن الملاجئ النازية، شتقوا المئات لأنهم رفضوا أن يمشوا بأنفسهم تهمة لم يرتكبوها أنا متأكد من أن الألمان سيكتلمون يوماً، عندما تهدأ ماسي الحرب والخوف من التبعات القاسية. أشم ذلك في كل الناس الذين تعلمت عليهم في هذه المدينة الجميلة

سجى حبيبي

أية امرأة ستصادفك في تلك الأرض اليابسة، في عياني، وتعيد لك أول كل ما افقدته، قل لها أحبك إذا أحسست بذلك، قل لها أيضاً أنك لست بتوفيق امرأة لا حياة لها إلا النور الذي يدخل من النافذة محملاً بالحرارة والسرور قل لها تهمة امرأة محبسة بحمور رجل لم تعش معه إلا في سنوات في عاتق مبحورة من قل نفس بشري تساوي اليوم عمراً سبعة. قل سيكون علي أن أشكرها لأنها أعادت لك الحياة، أم أكرها لأنها سحقت جزءاً من ذاكرتك الحية؟ هل أخفيك غيرتي؟ أشعر بمرارة قاتلة كلما حسنت بظل امرأة يهجر جسدي الذي لم يكتب له أن يرتاح قلباً من هجوم الأنواق المسروقة. لقد اخترت حبيبي أصعب المسالك وأقساها أراك تحكي عن شيء لا أفهمه، لكن صداه العميق يصلني قوياً لأنه يدخل في المسامات ما استندان أفكر فيك كثيراً وبالمدينة التي تحتضنك الآن، وبموسيقى الجاز التي تسرك مني سلسلة عبر الإضاءة الكثيفة لتطاعى السعادة من بي تلك المرأة القوية التي أغادت إلى أصابع الخبابة وسبحت لك أن تعرف لحناً هارياً على كل تفاصيل جسدها المضيء، لو تعلم كم هو قاس أن تقف عينيك على عالم لا يرحم طولتك أنا عاشقة لك، مجنونة بك مع وقف التنفيذ ليس لأنني لا أملك الجراءة، بل لأن في داخلي الصعب، عالم يتناحر بلا رحمة. قاسية هي الدنيا حبيبي، قاسية جداً ألا تعلم أنه ليس من العدل أبداً أن أكون بكل هذا البؤس وهذه القسوة الخائفة؟ ولأنني لا أريد أن أحقد على حماقات أحلأ أشتهي أن تعرف كل شيء عني وسط هذا العالم الذي يتماوج كثلماً أريد فقط أن أحبك، وأن أقبل بمحافة اللذة الجميلة التي حملت فيها منك بظلمة مذهلة سأسبها مايا كما اتفقنا، لأنني أعرف أنك تحب هذا

الاسم؛ ستنمو كزيتونة قوية في البطن وستنزل في وقتها الذي تشاؤون. لا تخف عليها، فهي ستكون جميلة وصلبة وتشبهك. لست بئس من لجاننا القريب. إن لحفلة جنونا التي أثمرت مايا، كانت أصدق شيء في علاقتنا. وأن الله الذي أخلق المدينة يجبروت أوامره، لم يتخذ عنا ستسألتي من أين لي بهذا اليقين كله بأن القادمة ستكون صبية. لقد ذهبت عند الطبيب وأكد لي للمرة الثانية أنها صبية. مايا.

أيها الشقي الذي نسي أن جزءاً منه ينبض دائماً بالحياة في غيابها، شعر أحياناً بأنني عبرت معصرة العنبر بحدادة كل ما هو سجد ونكر أجمل لحفلة مهمة مستحق أن تذكر. عندما أبدأ في تعداد فتوحاتي في الدنيا، هي وجهك الذي لا يموت أبداً في ذاكرتي ودهشتي وأنا أكتشف أسرار مايا في بعثتي. أدفع حياتي حبيبي كلها مقابل أن أراك سعيداً وأراك تأخذ مايا للمدرسة وتعود بها تنزلها بالضبط عند الباب وتنسحب قبل أن يراك قنلة الروح. أشتي أن أمتحك كل ما يعطي لحباتك معنى، وأن أكون أمامك يوماً. ثمينة كغرفة مطر، وشبيهة كتفاحة. أحلم أن التصق بذراعك، وأغمض عيني بحيث لا أسمع إلا صوت البحر الميت وهو يداعب قديمك وأنامل رجلي، ويهدد غفواتي المسروقة.

المطر ينزل في الخارج، بارداً وقاسياً وشجيماً، لكنني أشعر بدفء خاص كلما أجنحتني وجهك الجميل الذي لم يتخلص بعد من نهشة الطفولة والطيبة العفوية كم أنت دافئ عندما تصوب نظرك نحو المبهيم الذي لا يأكل ولا يبعدك عني إلا ليدخلك في بهيل المشتاق.

ها أنا ذي الآن أشعر بكل ألغائي المدينة المسروقة تأثيني دفعة واحدة. في فيينا مثل يقول: إذا أحببت، لا تضع وقتك في تعداد الخسارات الهامشية، لأنك ستضيع الأهم: متعت أن تحيا أولاً وتحسب فيما بعد وأنا أحببتك ولهذا ليس في نيتي، أن أخسر ما تبقى.

اعذرتي حبيبي، على ثرثرة ليس هذا وقتها، وعلى كلام قد لا يبدو لك مهماً. ولكنني أريدك فقط أن تعرفني جيداً. وأن تدرك أن حبي لك كان صادقاً

ولم أكن معنية بأن أريح حبيك وهماشيتك نحوي، رجلاً منكسراً، ولكن حبيباً يملأ قلبي حتى وهو بعيد، يدور داخل دوامة شبيهة بتلك التي أعيشها

أحبك ولا أطلب منك شيئاً يخل بنفطامك الحياتي. أعرف أن جنونك عادل، لأنه جنون كاتب، وأعرف أنك لن تستطيع إنقاذ نفسك بسهولة من الشوق المتفطرس فقد أصبحت مثلي، مثبتاً في لحظة سحرتنا ثم سجنتنا في عمقها. أملني أن تتوصل إلى الخروج من هذه المحنة بالشكل الذي تراه مناسباً أمام الموت فيتبع كل حبل البقاء الممكنة أتمنى لك فقط أن تظل حياً ومقاوماً لا تكسره المنافي، ربما التقينا في مكان ما في هذه الدنيا التي ضاهت على ذوبها، أنظفرك غداً، بعد شهر أو بعد مائة سنة، لا يهم، في أي أرض، ويتجاه أي بقعة أخرى أرحم، لأن العيون الهمجية لن تتسامح مع حماقتنا، المعنوفون، وسنة الأخلاق، وفقهاء الزور، والأزواج المغدورون، والسياسة الفاشلون، سيجدون لذّة كبيرة في شغلنا في الساحات العامة. لقد استولوا على كل شيء، حتى على الهواء والماء وقطرة الحياة الأخيرة

افك معك في جنونك المستحيل، لا لاني مجنونة مثلك فقط، ولكن لأنني أحبك وأشعر بالظلم الذي سلط علينا وسلطاناً على أنفسنا هل تدري الفداحة التي لا ترمم؟ لن أصمت عن حماقتك حتى تضعني تحت التراب الله غالب. أشعر دائماً بحرقة ويعيشة مفردة تأكلني من الأعماق. ألم يكن من الأجدي أن تكون الآن معي، في هذه المدينة الجميلة، تضع يدك على بعثتي وتتحنن نبض ابتك التي سقائي؟

سيني، عمري وحبيبي

ما زلت أنظفرك أنت لست بعيداً عني، باريس على بعد قبلة، ثعال! أو لمسة! أو همسة! ربما استطعت فقط أن أنام على صدرك قليلاً عندما يصير قلبك خالياً من امرأة أخرى ولو للحفلة واحدة. ولا تنس أبداً أن هناك في الظلمة القاسية، ثمة امرأة تحبك، تنسج كالفراشة، من خيط الظلام الأسود والطويل جداً، وتلج الشعلة المتقدة، حاداً حاداً وأملأ صغيراً للقاء بك ذات يوم. أعاف فقط من الصدفة القاتلة التي تخلط كل الأوراق الأكثر ترتيباً وتعريني وتعرني معي.



أنتظرك حتى ولو كان ذلك على أكثر الحواف خطورة وجنوناً.

ساعدني حبيبي فقط لكي لا تأكلني الصدفة القاتلة وأظل كاللمعة في قلبك الجميل

حبيبتيك ليلي التي تنام دوماً على أمل عودتك.
وهران، قيينا، برلين. ٤ - ٤ - ١٩٩٦.

من ليلي إلى سبين

هل يكتب لي أن أراك؟

أعبد لك ثلاثة زاني لد الشبح بعد من سماع صوتك وحواف
بعد أن الأمور مملونة كثيرا

«الكثوثة» العظيمة التي صنعناها في أجمل مكان في الدنيا، لا تريد
أن تأتي الآن

مذ يومين و أنا أنتظر مجيء مايا^{٧٥} ولكنها تتعنت وترفض الخروج
فتلغني ألأم الطلق- رياض مسافر، ولا أريد أن أرعبه سعيدة أن أعطي الحياة
لغيره من نور. أنجزناها في أجمل غابات الدنيا، وأكثرها هدوءاً وسكينة،
بين جزيرة القديسات وتحت شلالات جبل الكبريت الدافئة التي تشبه السحر
عندما دخلنا تحتها، لا أدري أي سحر أخذني. استسلمت لك كلياً. كان الماء
ينزل من الأعلى وأنت تستدني إلى صخرة كانت في شكل سرير جميل كنت
أشربك مع الماء ورغوة اللذة، وأدقق فيك كالينابيع البكر. كنا من وراء
غلالة الشلالات التي كانت تفصلنا عن كل شيء إلا عن تساقط المياه وزفرفة
الصفادع الخضراء الصغيرة التي كثيراً ما وجدناها ملتصقة بأدوات الطبخ،
في عيونها المدورة براءة غريبة، السكان الأصليون تألفوا معها بقوة. عندما
صرخت من شدة النشوة، لم تضع أصابعك على فمي، ولم تقل شيئاً حسناً
فعلت، لأنك لو قلت لي لا تصرخي، سأهجر سريرك طوال حياتي. عادت
البانسة، التي لا تستيقظ إلا في الجزائر أو في البلاد العربية؟

الطيب قال لي عندما زرتك اليوم، نتفخر قليلاً قلت لك لا تأتي خوفاً
عندك مني ومن القلفة الذين صاروا يعللون المثلل ساعدوك في الوقت
المناسب. لا تزعج مني حبيبي، أرجوك أعرف أنك بالعاصمة من أجل
«سبينيرك» الشهري لكني لا أريد أن تؤذي نفسك وتؤذي معك. ما زال
لدينا متسع من الوقت للحب والحياة يا مجنون أنا أحبك فلماذا تؤذي

نفسك وتؤذي نفسي معه. ليس في نيتي تعذيبك ولكني مخنوقة ولا أستطيع رد أي شيء. أنت قريب مني أنت في أكلتك وأتمني أن أعطيك كل ما في القلب وأستشيرك في كل ما يشتغلني لكن عالمي صار مغلقاً

حبيبي، هذه الرسالة كتبتها البارحة فقط وأنا معددة على القرائن، و كان علي أن أتخيل سلف الغرفة سماء واسعة لكي أستطيع الكتابة أنا مثل الأنجم علني أعثر على الطريق الذي ضيعته بالصدفة المجنونة. الصدفة المجنونة شاءت أن أحمل مايا في بطني لو لم تكن منك لتخلصت منها. اليوم صار بطني دوراً مثل التفاحة، وابنتك أصبحت حقيقة كم أتمنى أن أراك يوم الولادة، لكنني خائفة من المفاجآت الكثيرة سأخبرك. أمي معي دوماً وعائشة بجانبني، تقوم بكل شيء، حتى بوظيفة ساعي البريد. الله يكثر خيرها. تصبرني وأصبرها. كل مرة أشعر فيها بالسعادة، تأتي الحالة التي تنقص علي حياتي. لدي شعور دائم بأنني كلما رأيتك. سيكون ذلك هو المرة الأخيرة، ولهذا أريد أن أشبع منك أن لا أخذك على قلبي كشوق محمود أن أحبك فقط. لا أدري لماذا أشعر أن هذه الولادة ليست كالولادة السابقة. يونس لم يعذبني كثيراً. لقد جاء بشكل يكاد يكون طبيعياً. لكن شدد لم يولدته فقلع كما شاء.

سبي حبيبي

يا.. كم تتغير الدنيا! وأنا صغيرة، وضعت للحب تصوراً جفنته في ذهني. وها أنت تأتي اليوم وبمسحة يد واحدة، تكسر كل يقينياتي وأهمني. معك أحيا بدونك أموت، ومعاً نهب كل ما رفضت الأقدار منحه لنا بسهولة. وتشعر أنه حقاً الطبيعي عندما فُلتت قلت أنا أياغ سأنتظره حبيبي مهما بعدت المسافات. ستكون لي قلبك وروحك. لن يخدعني أحد فيك. فأنا أعرفك من داخلك. رجل زاهر بالعطاء سيقبلي فرحي الذي لا يموت أبداً. نخب لجاننا ونخب الذين نحبهم. ونكاية في القنلة والعسس والعيون الباردة كالمسدسات. كنا نعيش لحظة الاستثناءات الكبرى. وكنت أود أن أسألك من علمك كل هذا الدلال هل هي امرأة مثلي، أم أنه ولد معك أم تراك رضعته من حليب القوية فيك شيء غريب ينبع بعفوية تنازلت عن كل حقوقي

مقابل وجهك. وها أنا في داخل الأرض الخراب، أرمي بالبذرة لأرى شوقها وترعرعها وانبثاقها. سترز ورداً وينفسجاً كما تستهبطها. سنرويها من فيض عطاءاتنا. لن أخاف من شيء، فليك كل ما اشتبهت في حياتي.

لا يهمني أنك اليوم لم تعد لي، ولا غداً عندما تضحك امرأة أخرى على صدرها. وتحاول أن تزيل عنك وحدتك، وحزنك، ووحشة المكان، والخيبات كل هذا لا يهم. فأنا لا أطلب منك ما ليس لي يبدو لي أن الحياة لم تمنحنا الكثير، ولكنها منحتنا سعادة اللقاء العابر، وجمعتنا في سرير واحد، ولو كان ذلك لزمن مسروق، ولكنه كاف لأن تجعلني أجن بك كلما تذكرت. تكفيني مايا. ستكون حالة اختزال لكل هذا الحب المستحيل، وهذا الشوق

سريع لم يعد يزعجني. لكنني أشعر بتعب في القلب «ابن الكلب» هذا القلب كلما سمعته دكرني بهانة البارحة رأيت سريعاً عني عن حب في التليفزيون، ذكرني بحالتي وحالتك وأتيتهم كيف يفتحون الصدر، ويعوضون القلب بجهاز آلي، ثم يملأون الفجوة الصدري بالماء البارد، ويعزلون القلب عن أي عمل حتى يتوقف، و يبدؤون بعدها عملهم مثل أي مصلح للسيارات، لكن مزاج القلب صعب، إذ يمكن أن يظل نائماً حتى بعد ريمه من جديد بالدورة الدموية ومحاولة إيقاظه. يعوضون الشرايين المسدودة بشرايين ينزعونها من السابقين، يوصلون من خلالها القلب مباشرة بالشريان المركزي شيء مخيف ومذهل. لأن الشخص الذي كان مجهداً ومتعباً، بعد مدة قصيرة أصبح إنساناً عادياً وممتلئاً حيوية. أفكر أحياناً إذا لم يكن من الأجدي التفكير في عملية من هذا النوع لحسم مشكلة القلب هذا

مايا لا ترحمني لحظة واحدة. صارت متعبة. إنها توهفتي وكأنها تريد أن تثبت لي ارتباطها بي وحبها لي. لا تشبه في شيء يونس المسالم سأحاول أن أنسى حسرة الحياة وأني لن أموت، وأني سأعيش لك ولمايا. ولحبيبي يونس الذي كثيراً ما أنساه



لا تشغل بالك حبيبي أنا في مستشفى جميل، وعائشة تملأ حضوري، كلما حاولت الابتعاد عنك، رمتني بين ذراعيك وهي تضحك: «لو كان جيت في مكانك، والله ما نخليه يرقد دقيقة واحدة ماذا ربحت من زيجة سخيفة؟ ثم.. كم ستعيشين؟ كل يوم يذهب بحسب من رصودك وليس من رصيد غيرك. جماعة الكارتيل لا تربي الكبد على النساء، يشتررون نساء جاهزات للمتعة، في كل الأمكنة التي يزورونها»

لا شيء ينقصني حبيبي، أنتظر فقط اللحظة الآمنة التي سادعوك فيها لتأتي، وأراك. مشتافة إليك، لكن حياتك عزيزة عليّ، ولا أريد أن تكون ضحية لأنثائتي، لست في حاجة لاختبار حبك أعرف أنك تحبني، وهذا يكفيني أريد أن تغل حيا لتري ابتدك وتحملها بين يديك. لا أريد أن أكلفك مزيداً من الشقاء، في الوقت الحالي الوضع صعب جداً. وقت رياض أصبح مرتبكاً. يعاني من صعوبات مالية لا أعرفها بدقة، ولا أريد أن أعرفها أبداً بخرج ويدخل، يسافر ويتحرك، بلا نظام مسبق. أنا أيضاً تعبت من الكذب. جفت ذاكرتي. لا شيء يعطيني مبرراً للحياة إلا أنت، وألا ما جدوى ما يحدث من حولي أريد لماذا أنسلت في ساستمانا حتى عندما أريد أن أتحني عن أنثائتي، أجدني في عمقها

أشتيك أن تكون بجانبني، ولكني أرجو لا تركب رأسك وتأتي لا تهتم كثيراً، سأدير أمري. لقد تعودت أن أدير شؤوني في غياب سلطة رياض. هذه المرة أسامحك، ستركزني ألد وحدي داخل الألم والصعوبات والخوف من الموت، أجمل نجمة لكن في المرات القادمة سأطالب بحضورك معي على طاولة التوليد، وأعطيك يدك لحظة الألم حتى أدميها، لتعرف فقط ما معنى أن نعطي الحياة لكان هو جزء من لحمنا الذي يقطع منا أذكر كلامك اليوم بمزيد من الحب والصبر

«العلاقة الحقيقية هي ما ينشأ بين الجنين وأمه، تحمله، تكلمه، تتألم له وبه، وبعدما تقبل حالة التمزق في جسدها؟ والأب أثناء ذلك ماذا يفعل؟ لا شيء، ينتظر كأي شخص أجنبي، لا يهجم الأمر إلا قليلاً، يقترب دوره في عيادة، كل رجل يستطيع أن يكون أباً لأن العلاقة اكتسابية، لكن امرأة واحدة،

وحيدة فقط تستطيع أن تكون أمّاً، لأن العلاقة طبيعية»
كم كنت محباً

أحبك أحبك بجنون، وأخاف عليك من أنثائتي. لكن هذه المرة أسعى لأن أكون متعلقة حقاغاً عليك. علينا جميعاً، ولا أطلب منك الشيء الكثير سوى أن تمنحني ما تستطيعه من قلبك وبغتك وأشواقك ودعواتك. أضع يدي على وجهي، أغمض عيني. وأحاول أن أسترجع صفاء وجهك: ياداً ما أبعدك وما أفرحك إليّ؟

كلما وجدت وقتاً لنسيان الألم، أهرب نحو رواياتك. ما أرق قلمك، وما أفساداً روايتك الأخيرة قرأتها أكثر من مرة، لكنها المرة الأولى التي أقرأها بحرية ولذة، وأنا في فراشي وليس في الحمام. كلما طببت صلحة ارتعش قلبي خوفاً من أن يكون رياض أو أحد زبائنته، قد سمعوني وكشفوا سراي من أعطاك كل هذه الأنافة في الكلام وهذا العنف؟ لقد وضعت قفصنا بين سري والقباس هل هو الاله سري حيث وحمل مثل شو سحر سكتة سري لا يقاوم؟ هل كنت مثلي، ضحية أبجديات الكلام؟ سعيدة بهذا الموت، فقد منحني أجمل هدية حبك. حولتني إلى لغة، وهل هناك حلم أجمل بالنسبة لامرأة من تحويلها إلى أبجدية مشتركة، لا يمكن أن نكتب هكذا إذا لم يكن من وراء ذلك شعلة حارقة أنا التي كنت أظن أن كل شيء انتهى، أجدني اليوم متعلقة على كلماتك وأشواقك وجنونك الذي لا حد له

حبيبي، كم أشتاق إليك

رسالتني هذه المرة تشبهني كثيراً، مرتبكة، وحروفها هشة جداً. ربما لأنها الأخيرة يبدو لي أنني هذه المرة سأتركك الطيب لم يكن متفانلاً لوضعي. لم يقل شيئاً، ولكن تعابيره لم تعجبني، وهو يقرأ نتائج التحاليل العلبية طالبنى بمجرد استعادة راحتي إجراء فحوصات رحمية للتأكد من أن لا شيء في عنق الرحم

«عينك على مايا حبيبي، إنها أجمل هداياك»

عندما تكبر مايا، خلاها إلى صدرك أدخلها في أسرارك، كما فعلت معي.

اتركها ترى النوارس وهي تقفز من أمام رجليلها الصغيرتين قبل أن ترفلن في الضباب، وبعدها عمدها في مصبات أنهار الغابات العذراء عندما يعلأ النور لأول مرة عينيها الطريبتين، تستصيبها غشاوة، وبعدها غفوة قبل أن يفتح أمامها الشوق بكل قدسيته وعظفته. ساعدها على امطاء عوامة الحياة، وسيرا مع بعض، ستريناني في الأفق. قل لها إن أمك هناك وسنصل إليها ذات يوم، ولكن أخبرها بأنك والدها واكشف لها سرا سيوقعها في البداية. وستفاجئك زمناً. ثم تعود إليك لتسال عن قصة أمها معك

لا أدري من أين يأتي كل هذا الخوف، الله بدأ يسمع دعواي. أريد أن اغادر هذه الأرض وأنا قادرة على المشي، والحب، والتمييز بين الخير والشر، حتى أستطيع أن ألق أمامه بكبرياء وحب. لا أريد أن أدخل عرشه مهدمة. كنت دائماً أحسد عائشة التي تركت سعادتها الزوجية الوهمية، وركضت إلى بيروت، وراء صديقها القسطنطيني الطيب، لتنام على ذراعيه أيام الاجتياح الإسرائيلي، ووزعت معه جريدة المعركة، قبل أن يستشهد في محيط ملعب بيروت، الحب هو سيد الكرامات الكبرى. أستطيع اليوم أن أموت بدون تردد

لا شيء لي سوى حبك والموت فيك. من هذه الناحية. صمعت أن لا أعادي لدري حتى ولو قادني ذلك إلى حتفي. لا أريد أن أزيدك شقاء على ما ستعانيه. أعرف أن حبك لي كبير ولهذا، عندما ألد سأكون أقوى من عاصفة، وعندما أرحل، سأرحل بوجهك وقد أترك لك ما تقاسمناه بعشق كبير. وإذا حدث و أن ذهبت معي مايا، لا تحزن كثيراً حافظ على نفسك. سننتظرك هناك ستكون وحيداً داخل العزلة، وسأكون بصحبة هذه الدلوعة التي لا شيء برضياها إلا إذا سحيتني معها. الأطباء لم يقولوا شيئاً، ولكنني أعرف من عيونهم أن الولادة ستكون عسيرة، والقلب العريض والهش. سيكون تحت رحمة مزاجه الخاص يمكن أن يتخلى عني في أية لحظة قلبي غير وفي معي، ولهذا فانا لا أثق فيه، وأخاف أن يخادعني ويأخذني على حين غرة.

هل تعرف أنك أجيل رجل عرفته في حياتي؟ صحيح أنني لم أعرف الكثير ما عدا سلسلة المجانيب الذين تحدثت لك عنهم، ولكن مع ذلك، أنت

وحدك. وحق ربي وحدك، ولا أحد يضاهيك حبيبي؟ شيء فيك يستعصى على مقاومة أية امرأة مهما كانت. أيها المهيول، ألا تخاف علي وعلى؟ ترميني هكذا في حجب الموت كاية أضحجة فرعونية توضع في هارب خال من الحياة، وتترك وحدها. في مواجهة الموت. أمام إله قليلاً ما يرحم؟ اليوم فقط انتبعت من قراءة روايتك، ووضعتها جانباً. بقيت مع دهشتي. هل هذا الرجل يحبني إلى هذه الدرجة ولهذا يورطني إلى درجة قصوى؟ بقيت في دوامة وحيرة وكل أجوبتي انكسرت هل الحب يدفعنا إلى هذه الدرجة من التخيل، بل والاقتراض الذي قليلاً ما يخلط عندما يكون صادقاً؟ أنت لا تدري أنك تمنحني قدراً لا يوصف من قوة المقاومة. عدت إلى المطبخ مرة أخرى وأنا لا أدري ماذا أفعل؟ ماذا لو قرأ رياض هذا النص؟ ماذا سأقول له لم يعد في حاجة لسماع ما برتبك في قلبي. هو نفسه مل مني، ولم يعد قادراً على تحمل هذه الحالة منذ مدة وأنا أقرأ كتاباتك في الحمام حتى لا يشك في أحد، ولا يحس بالنار التي كانت تأكلني من الداخل. الخوف يمتلأني من القلة المستترين كلما كتبت، استحضرت الشاحبون قصتنا، عالم بأكلته يتهاى لمطارديتي بمزيد من الإذانة والتذيد السؤال الذي يورقهم هل صحيح أنها تحبه. وأنها تنام معه كلما خلت به؟ لا يملكون الأجوبة، ولكنني أوفر لهم فرصة للحياة من خلال محتني. يقاتلون من جسدي أحياناً أنساها عن قوة هذا المرض المستفحل، أيعقل أن يجعلوني قصة لهم ولهن، وأنا أعرف جيداً الأصدقاء والصديقات الذين يعيشون معهم؟ أعرف حتى البيوت التي يرتدونها؟ لماذا المرأة أكثر حقداً على المرأة وألماً تسامحاً معها؟ أعطيت لرياض ما استطعته، لكن حالة العبت كسرتني، ولا أريد أن أموت وأنا في حالة كذب مع نفسي. خطئي الوحيد هو أن مايا منك؟ هم لا يدرون أن مايا هي أصدق وأنجح ما ربحته من الحياة ومن حبنا المجنون ومن هذه العيشة المفرطة للحياة نفسها. أخطر حب هو حب الأفق الغامض المتب ولا

سأبقي قلمنا نساءت من قلمنا

انقضت من مكاني، حدثت حولي. الصمت مازال يلف هذه المدينة الغريب ليس بهذه الغرفة متقد نحو البحر. ولكنني كلما بذلت جهداً، ولعلت من قواشي. وأطللت من النافذة، شاهدت قراغا في الأفق يعطيني الإحساس

يوجد هذا البحر، أو على الأقل يرميني في طوق الوادي الذي كان يحيط
المدينة قبل قرن، وقبل أن بجف.

كم أشتي أن لا أكون، أن أغضب منك بجديّة، ولكن شيئاً في داخلي
يستحسى علي، ولا يمنحني أية فرصة لرفضك أشتك وكما أشتي أن أعضك
وأدميك، ولكنك مثل الزنبق، كلما ظننت أنني وضعتك بين يدي، وجدتتك هناك
تنظر إلي مثل الجنّي، تسخر من سذاجتي. كم أشتي أن أواجهك في مثل هذه
الحالات، لا للدفاع عن نفسي، ولكن للصراخ أمام العلاء، أنني أحبك أحبك. لا
أريد أن أظل مختبئة داخل صمتي.

الصمت من جديد كل الليل مر هكذا النور يتسرب من بين شقوق النافذة.
الساعات تزحف بسرعة وعلى أن أقوم لأمشي قليلاً حتى تكون الولادة سهلة
ولا يتعب القلب هذه الأيام صار ينهكني وصرت أرهق بسرعة لماذا تصر
دائماً بتواضع مع القدر، على وضعي في زاوية الخبيثة. ألم يكن بإمكانك أن
توقفتني عن شيء في ذلك الصيف المجنون؟ تضحك كعادتك أو تنكت؟

أنت مخفنة يا حبيبتي من يقاوم شهوة غابة عزراء؟ أنا لا أعرف
سوى الكتابة عن امرأة لم يعرف قلبي سواها. سيأتي زمن ويحكى عنها إما
كشياطين، أو كملائكة. هل تتخيلين عاشقين حقيقيين سعيدين، وهما في
غمرة الحب والالم؟ ها أنت تكسين ذعر الداخلي أحبك هكذا وسط هذا
الشطط. أنا لست مصرّاً على هلك أبداً. ألمح أن أونس غريبك وقلبك ووجدتك
وخوفك، لتدركي أنك لست وحيدة وسط هذا الفقر الذي اسمه الحياة. أريدك
أن تحافظي على هذا الألق الذي يجب أن يظل حياً ومشعاً هل تريديني أن
أصمت وأنسحب؟

من أين تأتلك كل هذه الكلمات التي تخصيني؟ من أين يأتيك كل هذا
السحر الذي ينسيتي مأساتي ويربطني بك بقوة أكثر؟ من أين تأتي بكل هذه
الوداعة التي تجعلني أغفر لك كل حماقاتك وأزاد ارتباطاً بك؟ أنت تقتلني
بحبك. ماذا أفعل معك؟ يبدو أنني لا أملك سوى أن أنسى أنني وأراك لأشبع
منك قبل أن أتركك فتحت عيني على أجمل وهم تعبته البشرية وتدافع

عنه. الحب كتاباتك ولدت في جروحها ونموها وعلامات استغهام بلدر
ما أشعر بالحب، ينشأني الإحساس الغريب بالموت أفشش عند وأخاف
على رهاقتك مني مدناً غابات موحشة أحياناً أتساءل كيف ملكتك القوة
لاختراق كل الأغلفة الوهمية ووصلت إلي كنت خلف كتل الضباب. لا يكاد
وجهي يظهر أبداً. حتى ملامحي انكسرت. استطعت أن تلمس قلبي وأشواقي
وتجرتني نحوك. أنت مثل عرض البحر، كلما اقتربنا منك ازدادنا انجذاباً
وخوفاً. كم أشتي أن أهرب منك وأن لا أضرط أمانك أحياناً أرتجف لمجرد
نكر اسمك. أخيراً اهتديت إليك من خلال أحرفك التي تقول فيها كل شيء
بأنفسى حب ممكن أنا اليوم لم أعد مستعدة أن أخسرك بعد أن وجدتتك. كلما
رأيتك فرستمت في ذهني مباشرة كل اللحظات الجميلة التي حورينا فيها
الوقت مستعدة لخسارتك أبداً ولو خسرت كل هذا العز الوهمي الذي يحيط
بنا. أشتي أن أتعلم كيف أكون مجنونة في عينيك بدل أن أكون عاقلة في
عين الآخرين. منذ ماتم الزواج، جريت أن لا أتفكك، وأن أتفادك لأتمكن من
الهرب. ولكني لم أفلح ربما كان هناك شيء في أقوى حتى من قلبي نفسه.
كلما رأيتك، أشعر بك تتاديني كما كنت تفعل دائماً مريم... نعالتي. عندما
كلم بالانصراف تطلب مني البقاء قليلاً. لو لم تفعل ذلك لعنتك من كل قلبي
حبيبتي، هل نلتقي اليوم؟ كلمتك التي لا تموت أبداً ولا تتراجع ولا تستسلم.
حتى وأنت في أبعد المدن. لقد اختزلت كل المسافات بجنونك وهبلتك أي
سحر تحمله هذه الكلمات؟ الوجوه الضبابية لا تعنفنا من اللقاء والحب
الضبابيون كلما تأملوني غروني من لباسي. أتساءل إذا لم يكن الذين تكلموا
عندك وكروهوك، هم الذين يدفعونني باستمرار نحوك بشكل أعمى. من يكون
هذا الكائن الذي ألصقت به كل هذه التهم المتناقضة؟ كلما رفعت رأسي،
وأنتك تعبر الأمكنة بهدوء بابتسامتك الاستثنائية التي لا أفهمها إلا أنا. كل
سر السخرية هو في حركة شفئك كلما رأيتك تساءلت هل يفعل أن يكون
هذا الإنسان الطيب والودود، بكل هذا الجنون الذي يلصقونه به؟ مع الزمن،
أدركت أن الغيرة وحدها هي التي كانت تحرك البشر بمختلف أهوائهم. لا
شيء يفسر ردود أفعالهم سوى ذلك، إذا لم تكن المرأة هي أول من يدرك ما
خفي من السيرة، من تراه يكشف جوهر الأشياء؟ أراهم يربطون عند المداخل

لأننا نأصغر كل حركته، ومع الزمن صموني اليك اقرا في عيوسهم شيوانهم
 المتكسرة ولكنني حسا في خلوقهم حزينه فقط لاني احاط ان اتركك وحيدا
 ولكنني اعرف انك ستجد بحاسنك العذبة التي تليق بك تذكر حبيلتك
 التي ياعت كل شيء للشيطان مقابل أن تريح قلبك وأشواقك. كم من مره
 أقنعت نفسي وكذبت عليها بأنني متزوجة، وعلى أن أنساك، ولكن عبقا
 في هذا، كل النساء كاذبات لأننا لا نتوك رجلاً لأننا نريد ذلك، ولكن عندما
 نشتهي الذكورة والسكنة العظيمة نحمل كل خسارتنا ومع ذلك نظل له
 وحده حتى في أدق اللحظات حميمة. تصور، حتى عندما أنام معه. أحسني
 في الفراش معك ولست معه. قللتها وأكررها لأنها عقدتي القاتلة. أنت قدري
 ومن الصعب علي أن أحرب منك

سيني الغالي.

اليوم، لم يعد شيء يعنيني غيرك ويوتس، وهذه المصرة على تعذيمي
 لكي أحبها أكثر. الحب يحمل أحياناً في جوهرة بذرة الموت والنهاية
 ولهذا صممت أن أحبك حتى الموت مثلما كان يفعل العساقي الذين اسرونا
 بقصصهم لي اطلب منك الشيء الكثير، فكر في ألمي الخفي، قليلاً، فأنا لم
 أفعل شيئاً لا يوجد فيه نبض قلبك

شكراً لك لأنك أطلقت علي النار بحبك وكتابائك، ربما طوال معرفتي
 بك. وحط الرسالة الأولى في رأس تلك السنة التي استجيت بسرعة لم تكن
 أفعل شيئاً سوى استذراجك نحو هذه الصداقة التي اقنعت عليها اليوم. كنت
 أريدك أن تقول لي أحبك بالشكل الذي يشتهي قلبك بالشكل الذي يشتهي
 عفوا، يشبهنا

وهل هناك موت أجمل وأكثر هيباً، من موت سيبه روائية؟
 شوق مجنون وانتظار على الحافة الصعبة جداً.

وهران، ربيع ١٩٩٧

الفصل الثاني

مشيئة القلب

www.rewity.com

^RAYAHEEN^

يومين يزحف.

هذاة السكبينة تتضاهل شيئاً فشيئاً. اخترقها قبل لحظات، صوت يشبه
أذان الفجر، الذي أتى من بعيد واضحاً وتاعماً، قبل أن يعود الوضع إلى
حالته الأولى

منذ قليل قمت وبحثت عنها بشق الأنفس ولكني لم أعثر عليها. الذبابة
الزرقاء، لم أستطع أن أكنم غضبي. «بنت الكلب»، لا تشبه بقية الذباب، أنا
مناجدة من أن لها قدراً كبيراً من الذكاء، ليست كائنات حشرية عادياً، تحدث
بمنتهى المزيج، وعندما أبحث عنها تصمت وكأنها تترقبني من وراء شيء
خاص ومخالف. كنت أحمل في يدي حذائي القديم، كان أول شيء عثرت عليه
أمامي، وكنت مصممة على إلصاقها على الحائط إذا رأيته. بحثت عنها في
كل الزوايا الممكنة، لأخرجها من مطبخها، ولكني لم أفلح في إحداها عثرت
إلى الجلوس من جديد وترقبته أن يأتي الصوت لأحدد جهته مرة أخرى.
هناك طويلاً ولكني لم أسع شيئاً صممت وكأبها كانت نقرأ ما كان يعمل
في دماغي.

غيرت مساري كلياً. تذكرت بونس ومايا، فصعدت نحوهما في الطابق
الأول من البيت، كان بونس قد تعرى كلياً من غطائه. عندما اقتربت منه
لأضع البطانية على صدره، كأنه شم رائحتي أو أحس بوجودي، حتى قبل
أن ألمسه قال: «هذا شوية ماء...» نسيت أن أضع عند رأسه قنينة الماء
المعدنية، التي تعود عليها، قبلته على جبهته، غطيته للمرة الأخيرة، ثم
تهيأت للفرزول من جديد صوب السكريتوروم. عندما وصلت إلى العتبة، قال
مغمماً قليلاً

- بابا يجي اليوم؟

- لا أعرف حبيبتي أنت تعرف بابا، هو لا يقول متى يعود.

- رأيت كابوساً. رأيت الناس يمشون في جنازة بابا، يسبقهم الأذان



وقد جاء القرار، وشاس أكثر من دور السواد، كنوا على الغرباء

- أذان الفجر هو الذي أيقظك. ثم حبيبي. ثم عمري. ليس إلا التعب.

لم أسأله عن تفاصيل الكابوس. أطنأت الضوء، وذهمت لأطمئن مرة أخرى على مايا. لا تزال على هينتها الأولى، مثلما غطيتها لآخر مرة. ابتسامتها الملائكية لا تبرح محياها أبداً، تنير المكان قليلاً.

تشبه واسيني كثيراً. ملته، ترفض أن تعطي قدميها. تلقائياً تعريهما

لا صوت. نسيبت المسدس في مكانه، على المكتب، ولم أخذه معي حين انتقلت إلى الطابق الأول. مع أن رياض أوصاني بأخذه معي كلما تحركت نحو المكتب كما ينبغي. من يدرى! نحن في عالم لم يعد يحسن جرائده. منذ أن وضعت على الطاولة لم تنسب إلا قهوة حتى غصت بوفرة الأوراق والنقصان وأرسلت

جلست على كرسي وراء مكتبي المزدهم بالرسائل والوثائق الكثيرة التي لا أدري إذا ما كانت لا تزال تصلح لشيء. بدأت أتأمل حيطان الصخبا كأني أكتشفها للمرة الأولى. لا شيء فيها يثير الانتباه سوى الرزنامة اليابانية القديمة المعلقة، والتي لم أتحجراً على التخلص منها، لأنها كانت في شكل لوحة مختومة على أرضية من الحرير الاصطناعي. هدية واسيني عندما عاد من اليابان ورقة لا تزال عليها تواريخ غيبوبته مكتوبة بالأسود، على خلفية صفراء لأسكر من رديتها. لا أرى حيد ٢٧-٠٣-٢٠٠٨. ليس بعيداً عنها نزلت أرقام أخرى، كُتبت بالشكل نفسه 15h27mn07s - 04 كُتبتها يومها بأول قلم وجدته في طريقي وبشكل ألي. الأرقام الأولى كانت تشير إلى يوم دخوله في الغيبوبة المميتة، والثانية تشير إلى رقم اليوم وهو الخميس، اليوم الرابع في الأسبوع. وساعة الغيبوبة التي كانت تشير إلى الثالثة وسبع وعشرين دقيقة وسبع ثوان. كل هذا لكي لا أنسى شيئاً مما حدث للرجل الذي غير كل شيء فيّ، وهزمت غيبوبته يقيني، حيث كنت أظن أنه لن يموت أبداً. فجأة اكتشفت بأنه يمكنني أن أترمل في أية لحظة، وأصبح في مهبط الرياح

تبرءة عشرة سنة. ولماذا دخلت في اللعبة التي فادمتني إلى أسئلة لم أكن لأطرحها حتى على نفسي، لولا الذي حصل.

على الحائط لوحات كثيرة كانت تحتل من قبل، مكاناً واسعاً في صالون، على الرغم من أننا اشتريناها غالبية، أو هدايا من أصدقاء. تخلص منها رياض بعد أن حول الصالون، من صالون أوروبي إلى صالون شرقي، من ملحقاته من زرابي إيرانية، على الأرض والحيطان، وصوان وأوان نحاسية. حتى اللبنة التي كانت تقدي في وسط الصالون، كانت نحاسية، تحوي في داخلها لمبات عديدة تعطي ألواناً بحسب البوابات الزجاجية الصغيرة الموجودة بها. من أزرق وأصفر وأخضر وأبيض صاصي فل لي رياض يومها وهو يبرز هذا التغيير المفاجئ الذي لم يستشرني فيه أبداً. هذا اقرب إلى تقاضا استقون رجال أعمال يابانيين وفريسيين وأمريكيين، وأبرك والعار، وأنا بحاجة أكثر إلى صالون قريب من تقاضا وأبرك كل الرواد. أو ما كان يفقه كذلك، إلى الكيف وهو ما ساعدني على إعادة تشكيل مكان لم يكن يصلح لشيء، ليصبح فضائي المفضل. ولم يكن برزعتني وجود الفسالة به، فقد وجدت لها مكاناً معزولاً لا ترى فيه أبداً، مثلها مثل الزاوية الصغيرة التي يوجد بها الحمام. من بين ما تخلص منه رياض، العديد من اللوحات التي وزعتها بين غرف الأولاد والضيوف وغرفتنا. ما عدا بعضها، ومنها لوحة بايه. عصافير الجنة. ألوانها الجميلة وعالمها الطفولي الذي ينتمي إلى المدرسة الساذجة أو العفوية الذي يتبدى في كل لوحاتها. ليس غريباً أن يعجب بها قناتو عصرها العالميون. في ١٩٤٧ نظم لها معرض في باريس، في غاليري مايفت^{٥٨} وخصصت مجلة من وراء المرأة، غلافها لأحدى لوحاتها، وكان أندري بروتون هو من أنجز مقدمة كتيب العرض المصاحب لها حتى أن مجلة هوف^{٥٩} العريقة خصصت لها دورية. ولم يكن عمرها آنذاك يتجاوز ١٦ سنة، مع مقالة تمجد عملها، لادموند شارل رو وفي السنة التالية أشرت باتريك، مادروا معروضات على السيراسك وهناك تعرفت على بهكاسو والذي كان معها في الأنثيليبي نفسه. أستغرب أحياناً كيف منح الله تلك البلاد كومة من الصدف الجميلة، لم تستغل أية واحدة منها.

وكما من البشر الاستثنائيين، وجدت متعة استثنائية في تشريدهم، أو تلييم.
أو فتح بوابات المنفى في وجوههم. لقد تخلصت تلك البلاد من كل ما لم يكن
بروق لها. الجبل قاتل وقاس. ماتت بايا في العزلة التامة، ولم يعرف أهلها
قيمتها إلا عندما لم تعد موجودة. أتذكر جيداً أن التلفزيون الذي لم يحاورها
وهي حية، انتقل يومها إلى بيتها وجلس المنشط الشاب يحكي أي كلام، في
بهو بيتها الأندلسي، ويخصص لها أمسية فنية، ثم طوت البلاد ملفها نهائياً.
كما فعلت مع غيرها، وكأنها كانت تريد فقط أن تزيل عن نفسها بعض ثقل
تستعجز عنه التغيير. إلا بقي بعض من هذا التغيير أو ما يشبهه فيها

-٢-

استقبلت في فجأة حموضة المعدة، الثقيلة. زادت من ألمي الداخلي،
وقوت لدي حاسة الخوف من الأتي. لقد اغتال الورثة ألوان البلاد وتعبيراتنا
الخفية الجميلة، وسطحوها الذاكرة بحيث لم تعد تعني شيئاً.

وأنا أعدل لوحة باية، عصافير الجنة، التي كانت مائلة قليلاً، رأيت
تحتها بالضبط، فوق كومة الصحف القديمة التي جمعتها ولم أنظمها بعد.
وجه عمي البشير مختوماً على كتابه: العصف ٦٠، باللغة الفرنسية. تأملته
طويلاً شعرت بحدة الحيرة التي في بعدي ترواد انصافاً ظل طوال عمره
يغني أندلسه المتسامحة التي لم يسرقها الأسبان، ولكن الجيلة والأميين من
أهل البلاد..

كان عمي البشير لا يتوانى، بعد أذان كل فجر، عن ملء كفه بحفنة من نور
الصباح، وسحابة من عطر البحر وينفخ الجبل المقابل، الذي يصل حتى
البيت، وقطف الندى العالق على شجر مسك الليل الأشبيلي قطرة قطرة، ثم
رش البيت بكامله بكل ما تحمل كفه من فراح، لبيد النهار بفاتحة وحده كان
يعرف قوة سحرها. عندما زرته مع واسيني، قبل موته بشهور، لا شيء فيه
تغير، سوى ذاكرة متعبة أصبحت تخونه من حين لآخر. الصلاة نفسها، ثم
الهشاشة التي لا تخفيها نظاراته السمكتان. حتى انقلاب الورثاء الجدد في
٦ يونيو ١٩٦٥، والسجن، والتعذيب، لم يغيروا فيه الشيء الكثير سوى حركة
مشيته التي أصبحت صعبة قليلاً بسبب التعديبات المتكررة على جسده، في

السجن. يختفي عمي البشير في الزاوية الخلفية من صالون بيته الجميل،
الذي تؤثته الكتب والمصنفات الموسيقية والتاريخية الكثيرة والمتنوعة
باللغات المختلفة، العربية والفرنسية والإنجليزية والإسبانية. ظلال حركاته
تملاً الأمكنة. ينهض ويقوم بشكل دائم، ثم فجأة يختفي ولا يظهر إلا بعد
لحظات، حاملاً إبريق القهوة مصحوباً بأنيّة نحاسية مليئة بماء الزهر.

- «شفتوا واش دار فينا ورثة الانكشارية»! لم يتركوا مساحة واحدة من
جسدي لم يجربوا فيها ساديتهم. ومع ذلك، أغفر لهم، لا لأني مسبح طيب،
ولكن لأنه لا جدوى من ذلك. أتمنى فقط أن يدوقوا مرة واحدة في حياتهم،
ما معني أن مجلسوك على قنينة، ويضغطوا على كتفك بكل قوة! ثم تبدأ
في الترقب من تحت، وكلما تحسست جرحك شعرت بتمزقات عميقة يصعب
إصلاحها. يتركوك تترتاح لمدة يومين، ثم يعيدونك إلى الجلوس ثانية على
عنانين، من مختلف الأحجام، هل يدري الساديون قضاة الألم وهم مفتحرون.
مرات من جديد؟ أغفر لهم، ولكن قبل ذلك أتمنى أن يجربوا فقط أن
يساروا بعمق نفسه، على فوهة قنينة من حجم أصغر مما تعرضوا له، ربما
لأمر مهنة التعذيب الوسخة، هذه، إلى الأبد. لم يقتلوا الحلم، لكنهم أبادوا
كل من يخالفهم. الكلمات أيضاً تختفي بفعل الخوف، وتتحول إلى كومة
رماد، عندما يسرق منها حنينها الخفي. لقد قتل الورثة الجدد أشواقاً جميلة
أخطأتها عيون القنلة السابقين، فنبتت فينا في سرية كلية. كنا نضن قبل
هذا الزمن، أن الجراح طارئة وأن زمن الخوف عابر، ولكن الورثة جعلوا منه
قيادة دائمة. اعذروني على جلستي المعوجة التي لا تليق بالشعر، ولا بجلسة
مليئة بالفرشات والأنوار وحبات المطر الدافئة، وقوس قزح... اعذروني،
نداري الآلام أحياناً ولكننا فينا، متصلة بالأحجار السامة، فتفضحنا.

- لماذا لم تخرج يا عمي البشير! أرض الله واسعة، تترتاح قليلاً، تستعيد
جهدك، ثم تعود بعدما للحياة والكتابة.

قلناها في وقتنا واحد أنا وواسيني، وكأننا اتفقنا على ذلك قبل أن تدخل



- ليست في أرض أخرى غير الأرض التي اخترتها، ولا وطن لي سوى وطن الكتابة. تريدن الحقيقة المرة يا ليلي؟ أعتقد أننا خسرنا كثيراً عندما قتلنا الشعراء، واقتننا بالموت بدل الحياة. ومع ذلك ساموت متفائلاً، غارسا بصري في كل شيء به بصيص من نور الحياة. عذبنا الورثة، قتلوا غارسيا لوركا وكان طفلاً بريئاً، قطعوا رأس بشار بن برد، سجنوا حكمت، وقطعوا أصابع فكتور جارا... لكن، ماذا ربحوا؟ كما ترى، لا شيء. أغلب ورثة الدم ماتوا بالأمراض نفسها التي نموت بها اليوم، ولم ينقهم بطشهم وجبروتهم الكثير منهم قتلهم أصدقائهم في انقلابات مظلمة، أو في حوادث مشكوك في أمرها، أو ماتوا في المنافي أو العزلة المرة. من يذكر اليوم الشخص الذي أصدر حكمه ضدي وأمر بتعذيبه؟ أو حتى الشخص الذي عذبني؟ أو من سرق ذاكرتي؟ السيف الذي قطع رأس بشار؟ أو الفأس الذي أطلق النار على لوركا؟ في كل هذه الحرائق القاسية، الشعر وحده هو الباقي وهذا الصوت الشجي الذي يموت ويحيا، يختفي ويظهر، ينطفئ ويضيء، يخائل ويجاهر، ولكنه سيستمر طويلاً قبل أن ينسحب من على هذه الأرض.

قام عمي البشير طوال العشرين سنة التي أعقبت تعذيبه، قبل أن تستسلم ذاكرته المنهكة والمنتهكة، المليئة بالقنوب والجراحات، لسلطان محنة السط الألماني ^{٦٦} L'Epreuve du casque allemand. سنوات تعذيب الورثة، وأثارها المدمرة محت الذاكرة أو ما تبقى منها

تمتعت وأنا أأتمل كتاب العسل الذي وصف فيه محتته:

« هل يجزى اليوم قتل البشير، بعد صحوة ضمير فجائية متأخرة، أن يلقوا علينا ليالي البشير، وأحزانه، غير ما حكته لنا نشرات الأخبار الرسمية، ويلفوا لنا فقط ماذا ربحوا بمحو ذاكرته؟ وهل كانوا يدركون أنهم كانوا يصنعون صوراً قائمة ببلاد سيورثونها مشلولة، مقتولة ومفتنصة في ليلة عرسها، لشباب سيكفر بكل شيء، حتى بنفسه؟ »

-٣-

لا أدري ما الذي أيقظ حواسي دفعة واحدة؟

ليست الحكمة التي سمعتها من أمي وجدتي، هي التي قادتنى نحو هذه المخاطرة والتي تقول: بلا هوية، أقل من شوية. وماذا إذا كانت هذه الهوية قد أبهدت بقوة بحيث لم يعد لها وجود؟ ليس في نيتي أن أكون أكثر مما هو أنا في الجور، ليست هذه إلا البدايات التي تشتغل في داخلي؟ ربما كنت أؤذي نفسي إلى أقصى حد، ولكني لا أريد شيئاً أكثر من استرجاع هويتي وقتل مريم التي سرقت مني كل شيء، هي لا تختلف عن الدكتاتور الصغير الذي يريد كل شيء له، حتى أحلام الناس، ولكن هل يتحمل صده وجسده أحلام الملايين وانكساراتهم؟ ولهذا، فأنا لا أنزف في استعمال المسدس، والأجهزة

خوفاً من بعد الذي كتبوا ما الجسد

واسيني أراح نفسي بأن نام داخل غيبوبة طويلة، أو هكذا أردته، وأنا اشتعلت نار الخوف في، فجأة شعرت بنفسي أنني كنت لا شيء لولا هذا الكمان الذي أصبح الآن متفوقاً تحت ركام الأوراق، وربما هذا المسدس البارد الذي عاد إلى الظهور من جديد بعد أن سحبت بعض الأوراق التي تغطيها بشكل عياني. قبل قليل شعرت ببرودته عندما كنت أبحث عن رسالة انزلت بين الوثائق المرقمة التي أصبحت الآن تغطي جزءاً كبيراً من مكتبي.

« علي أن أعيد ترميم حياتي والتعود على العيش بدونك »

-٤-

ليعزرنى واسيني، «أحب موت» ولكني في حاجة إلى أن أكون بالقرب من نفسي، وربما للمرة الأولى في حياتي

سألته في مرة من المرات ونحن نتوغل في صفائنا الأكثر عمقا كنا متعجبين جداً، بعد سيرة جميلة كنا ضيفيها الوحيديين. لم أكن أقصد شيئاً سوى معرفة سر كان يكبر كل يوم أكثر في داخلي ويبعدني عن نفسي قبل أن يذهب عني

- هل الكتابة لا تقوم إلا على قتل الحقيقة؟

لم يقل: لم أفهم قصدك، في أول ردة فعل عفوية كما تعود أن يفعل، ولكنه

تأملني طويلاً في عيني كأنه كان يريد أن يقرأ ما يتخفي وراء السؤال.

عندما رد عليّ، كان يعرف جيداً، أو هكذا بدا له على الأقل، ما كنت أريده

منه

- لا، المطلوب من الكتابة فقط أن ترى الحقيقة بشكل مخالف. لا توجد في الدنيا حقيقة واحدة. الحقيقة مثل الأيقونة، عندما نكون جالسين قبالتها لا نرى إلا وجهاً واحداً من أوجيها المتعددة وتبقى أجزاءها الأخرى في الظل. نحن حقيقة اجتماعية موضوعية، ولكن مريم حقيقتنا المتخفية فينا. هي حقيقة أيضاً. ليلى، تعرفين جيداً أن ما يقوله البشر عنا مثلاً، ليس إلا حقيقتهم الخفية التي تشبههم في النهاية، أما نحن فنشيء آخر، وحدنا نعرف جيداً تفاصيل هذا الشيء الآخر في حدود ما ندركه لأن جزءاً كبيراً منا يظل بعيداً حتى عن إدراكنا.

من حيث لا يدري، كان قد أعطاني أجمل سلاح أجهزه به على مريم، ظلي الغاشق، وأقاوم به النعاس من لحظة وجيزة شرقت مني بسبب طيبة رائدة مني أو لقليل بسبب عياني ولقائي العمياء في الكائنات الوردية

- ومريم إذن؟

- مريم ليست أنت وليست أنا وليست من يشبهها ولكنها ذلك كله عندما في مكان واحد ألاك لو اكتفيت بالشيء فقط، فأنت لن تستطيعي تفسير الناس الذين يأتون نحو هذه الشخصية، ويشعرون بشبه كبير بينهم وبينها. ونحن لم نعرفهم أبداً هناك شيء غلبي هو الذي يصنع هذه القراءة السحرية التي يمكن تمييزها بسهولة إذا تعمقنا في العلاقات كل قاري عندما يقرأ يشاهي داخل النص، يتحول إلى ذرات تلتقي في رحلتهم مع أنفاس أخرى تشبهها في النص، فحدث الإحساس بالمشابهة والقراءة والمقاربات العملية ليست فقط لغوية ولكنها فيزيائية ومن هنا قوة الإحساس بها. ما كنت افعله مجرد لعبة أصبح حقيقة. تمتعت في أعماقي المعنوية والمتقدمة.

المشكلة أنني بدأت أعرف أيضاً، قتل الحقيقة الأدبية يوجب أولاً قتل أصحابها. لم أجد صعوبة في قتل واسيني، فقد افترضته استمر في الغيبوبة التي لم يستيقظ منها أبداً ما رلت أعين جداره لكن كيف يمكنني أن أقبل ظلاً تورد على كل شيء، حتى أصبح حقيقة أخرى يعرفها الناس أكثر مما يعرفونني أنا، وهذا صعب عليّ.

ليعذرني حببي، مرة أخرى. أغرقته في الغيبوبة، لأتخلص من ثنائيتي القاسية. هو يفهمني جيداً، وأن يحاسبني على حماقتي حينما يقرأها. أعرف أنه سيتحلمني. فأنا تحملت امرأة أخرى قتي، وبجانبني، وفي العديد من المرات اقتحمت حتى سريرتي مع واسيني، ونامت فيه عارية. رأيتها مراراً، تقوم مع الفجر. تتدحرج عند قدم السرير. تتملط، وكأن الليلة التي قضتها بيننا ألستها خمول العاشقة، أرى جسدها المصقول الذي لا توجد به أية تجاعيد. أرى ظلها باستقامته وهو يدخل إلى الحمام ولا أسمع إلا أغنيتهما التي تأتيني من بعيد خافتة ومليئة بالحنين الغريب، أغنيتي:

ورقة: الأصغر، شهر ايلول.

هفت السدابك

عندما يفتح واسيني عينيه، أراها وهي تنام فيهما براحة كبيرة كدراشة عارفة في بحر من الألوان لست قطعة حجر كل ذلك يشعل غيوتي ويوسخها

-5-

افتح باب القلب وأقرأ ما يوحج هذا الألم العففي

أسعر بالوعة المسجونة لكشف أسرار مريم ربما أسراري

لا أحد يعرف من ماضي مريم إلا ما تقول له الروايات ولكن ماضيها يلتبس بصياني ويسرقها. لقد أصبحت تاريخها مسمياً على اندفاع حقيقي لأعراة ظلت نسي ولا تزال، أن الحياة جميلة ونستحق أن نعيش وأنها كلما فتحت عينيها صباحاً، غمرتها السعادة بأنها لا تزال حية، وأن مريم ليست إلا ظلاً باهتاً لحياتها. لكن هذا الإحساس لا يأتي دائماً كما تشتتبه.

نراعيها، في وقت كانت فيه، في أمس الحاجة إلى ظله. إلى نفسه.

- « حتى واحد يا بنتي ما وجد الحياة كما أحبها... »

أحاول أن أغفر قلباً على الكرسي القصبى وأنسى للحظة، كل ما يحيط

www.rewity.com
^RAYAHEEN^

لا أدري لماذا يقودني سحر الماضي نحو بكل هذه القوة على الرغم من أنه لم يكن دائماً ماضياً جميلاً ومدهشاً. لكنني كنت سعيدة بالأمه وأشواقه وأحزانه التي كان لها طعم الملح أحياناً، وفي أحيان أخرى طعم المطر.

كلما لامست هذه الرسائل، أعرف أسرارها وحروفها واحدة واحدة ولا يوجد كائن آخر في الدنيا يدرك خفاياها مثلي. أعرف كيف كتبتها، وأعرف أيضاً كيف استعملتها واسيني في رواياتي، وكيف شذبت بعد أن نزع عنها كل ما يشير إلينا مباشرة، وكيف أهدر أحياناً نسفها الجميل فقط لبرأغ مرجعها الأصلي. ألم يكن واسيني، بفعله هذا، يقتل الحقيقة بطريقته الخاصة؟ يقتلها ويحولها إلى مجرد علامات خفية لتثبيت سرنا في رواياتي وقصصه. أراها مثل رموز الماسونية أو الصوفية، لا يدركها إلا من كان قريباً منها وفيها. كلما قرأت حرفاً واحداً منها، أدركت ما الذي يتخفى في أعماقها.

لا يمكن أن تكون قصتي هي حكاية مريم. لا أريد قلب الأدوار بأن يصبح إنسان من لحم ودم، مجرد ظل لشخص ورفي، لغيمة وحفنة من الإبهام، مهما كان جميلاً، فهو لا يعرف لذة القبلة، وسحر اللمس. ليست مريم في النهاية أكثر من لغة شبيهة بلغة الجنون. لكننا، على الرغم من ذلك، كانت لغة قاسية في حروف سرها. تمكنت من إزاحتي من طريقها وإلغاء وجودي كلياً لهذا. أريد أن أمنح فرصة، فرصة صغيرة لأكون أنا كما أشتهي، خارج نظام مريم، وأول يوم واحد فقط لأشعر به. فداش واسيني أني كائن يستحق أن يحيا حياة مستقلة. أدرك اليوم أن مريم الوردية، لا تقتل إلا بليلي الحقيقية.

لم أكن أتسلى، عندما قلت إنني اتخذت قراراً خطيراً.

« أن أكون أنا، بكل ما يمكن أن يلحق بي من دمار شامل وخراب... »

لقد بدأ العد العكسي للقبلة الموقوتة التي كانت في، ولا أدري إذا كنت قادرة على السيطرة على حواسي. أشعر كأن هناك قوة تتجاوزني، وتدفع بي نحو التيه. ليس كتيه المنفى الذي أصبح اليوم قدرنا المشترك، ولكنه تيه اللعنة التي لا أعرف مصدرها. والذي كان يجيني، وأمي لا تنام إلا على تذكيري بأنها تراني في أقراح وأحزان سي فاصر، الذي سرقه الموت من بين



سنة تمضي... وأخرى تأتي...

سيفي الغالي

واتدي عندما خرج. سحب وراء ظله ولم يترك لنا إلا حصرة قاسية.
ماذا فعلت أنت غير ذلك؟ أبحث عنك في كل الوجوه. فلا أرى إلا ظلالاً
مكسورة ووجوهاً أتبعها تبع الدوران والبحث عن الميم
كيف أجرك أبها الهارب من غيمته وجنونه؟
هكذا إذن. تفتلني بحبك وبسحمتك ويمسكك الذي بدأ بحيرة وانتهى
بحروف.

دعني أقول لك أولاً وأنت غاشب على هذا المساء في مكان لا أعلمه كل
عام وأنت بخير حبيبي تمت للفرح والسعادة. اعزني. أنا دائماً أصل
متأخرة عندما يتعلق الأمر بالمواعيد الجميلة لم أهدك شيئاً بمناسبة
حلول السنة الجديدة أحسبها على حسابي أن أهدك هذه جمرة قلبي للبي
فقط و أشواكي و حليني التي لا تموت

هل تكفي الكلمات نريد أن أضحك حرقاً أكثر دفناً ووصاءة. وربما أكثر
لا تعذب من السنوات التي تمر بسرعة مجرد التفتاة صغيرة للزمن الذي
لا يباه منا كثيراً

سنة تنسحب وأخرى تأتي. وأنت مازلت هنا. على حافة المنفى. تنظر
إلى الميم وتنظر عودة أمطار الطفولة كما كنت تقول لي. لتستطيع أن
تتم أغنيته التي بدأتها وتوقفت في منتصفها لم تنتها لأنك رأيت في ذلك
اليوم والدك وهو يعمش ميمته للمرة الأخيرة في حرب لم تكن متكافئة مع
برائة كل شئاء تنتظر أمطار الطفولة الأولى لتواصل نشيدك المكسور. فهدت
متأخرة جداً لعلنا كنت نكره التحلي من العطر. والمطريات أيضاً. كانت
تحرملك من منعة الماء و الغناء

«يا القو صفي. صفي.
ما تصنيش على
حتى يجي غوها حو.
و يغطي بالزريبة...»

تضحك مني! الضحك. لن أغضب. منك لأنني صممت أن أضيق جداً لصمتي
النتهي اليوم أن أكتب لك لأقول لك بكل بساطة أحمك - تحبك و تموت
عليك يا ديتك... وأنت لا تعرف شيئاً أو تتعاضى عن حرائقي ارفع رأسك
قليلاً وتاملني في وجهي مباشرة هل ترى شيئاً؟ كلمة ترفلص في عيني
منذ زمن بعيد. لم أعد اليوم قادرة على لحمها حتى أمام رياض الذي يجد
منعة غريبة في استدراحي تحرك عندما يجد لي بعض الوقت أحبك حروف
ليست كلمة الحروف وكأنها لمست من الأبجدية التي تتداولها يومياً آلاف
عمرات. لا أتحرك على قولها أمامك. ولا أدري إذا كنت أخاف ردة فعلك أم
الخافها! - تحبك ومن بعد واش راح بصبر... إذا شئت فاسمني هواجسي. وإذا
لم نشأ لقلبك حريته وراحته. ولعمري عزله وشططه وحزنه. والسلام

Basta, c'est Basta. Je suis très fatiguée.

منذ زمن وأنا أقاومك عبثاً. ولكن الشئاء يفتح شهيتي للحماقات كما
عاد. شعرت بنفسي مثقلة بك ولا أستطيع مقاومة شهوة الكلمات المررد.
الأمطر. الثلوج وإبلاعات والدي الحزينة على كمانه الذي ورثني خوفاً
مبهماً أني لك تلتشى بعد أن توفك نهائياً عن الحلم لو تدري كم أحيف
وكم تؤذيني عودة الشئاء لأنني أخاف فقدانك مثلما حدث في شئاء الموت
عندما شجعتك على الخروج والمفارقة وأنت تلمعت.

كنت أضحك بالمفارقة. وأنت تقاوم غواياتي بأنني ساذوك في باريس
حتى ولو وصعوا بني وبينك أبواباً من حديد. وكأنك لا تترتاح إلا باستدراج
الموت.

«كل كنت في عنك يومها»



صالتني وأنا أضيق لصعدي لأومع. سألني وأنت تضحك وتضحى رأسك
بين يديك كما تعودت أن تغلغ وأنت صغير ما رايتك لو أفنى هناك. بعدة
بعيداً عن هذا الموت اليومي ما ممتّ تصبر على خروجي لا أدري إذا
كنت تعني ما أقوله. ولكنني صدقت أن الفكرة الخسرت في ههنا لم أتوّن
في أجواب قلت لك سافر إذا كنت حقاً تحبني سافر. ولا تغدّ تحدث
عن الحماقات! مارسها ولكن احبني فقط ثم انظر في عينيك وأنا استخرج
ضحكتك الملعونة لتكشف لي عن أسرارها احذر. «شوف والله لو تدبرها
تأكله حق». تضحك أفضل أن اراك وافقاً ومبعداً. عسى أن لا أراك أبداً قلت
بحزن رأيتك يرتسم في عينك المتعمّنين يومها الغراق صعب. وأنا لست
مهيئاً لهذا المثلث إلى الأبد قلت لك سيكون عزائي الوحيد الله حي. والله
هناك. بعيد عن المخاطر المطاحلة يعزّ علي كثيراً رويتك وأنت تسير في
التوارع وتلتفت وراءك في كل مرة خوفاً من يد خاطئة يعزّ علي أن تحبني
داخل الظلمة وأنت مشغوب على النور والحياة يعزّ علي أن تموت في اليوم
لك مرة وأموت أنا معك ملجئون مرة يعزّ علي أن لا تفكر إلا في الموت
الذي يتصبدك في كل الزوايا المعنفة ولو كان يدبرها. إلا ندمين. قلت لي
لتختبر حديّة مقترحي ضحكك بمراة. يا سيدي مرها وسافر أرجل. أر
تعبد بعيد بين ما يثوبك حتى هذا نخال عليك من العبيّن والفساد
أرجل. وسأنتفرت العمر كله. وعذ وأنت تحمل لي كعادتك. باقة وردٍ حمراء
وأنا أراك يومياً نتعامل مع خوفك كغير مخنوم عنيك. وأنا أفرق لا أسمع
في قلبك إلا ما يوقظ فيك حاسة الجمال. وكتباً ملونة بالحنان والحب
تخرج في القلب إلا النداء والسفر أنت عودتي على مغاورة كل الأقدار التي
تعرض علينا أراك الآن تشبّاهي كالحائطة القديم سافر. ودعني أعيشك كعبدة
أحلم كل ليلة بلمسها. حتى ولو كنت بعيداً. لست مستعدة للفرقة بعد أن
الفتيت بك مرة أخرى كل ما أطلبه منك هو أن تكون سعيداً وممتلئاً بكل ما
يلهم إياك. وتدبّر دائماً أن هناك قلباً كبيراً يحبك. ولا يفسر إلا لأحلك
رغم النعيمون الهمجية ونفترات السحق والطوف والحسد أحياناً

في خلوتي. كنت سعيدة أنك استمعت إلى نداءي العاطفي الخطي وأنت
مهمّة بالحماسة لك. أعرف رأسك الفاسي عندما يفتش ولا يسمع إلا لعنادك

أسأل نفسي ماذا كان سيحصل لي لو فلتت وجهك. وسرقت الموت مني
حياتك حينئذني استغر في العيش. أعرف حتى للمرابا مقابل أن أعطي
لنفسني الإحساس بأنني ما زلت موجودة من أجلك وفي كل لحظة القول ربما
كانت هذه آخر التعمّات. آخر الرسائل. وأخر النضات. وربما آخر مرة أفنك
فيها باسمك وأقول لك صباح الخير حببي وأنت تستوقظ في ضلة أخرى
على نهر كان يعوضك فدان الشجر كلما حادتك في الموضوع. قلت بلا
تردد نهر السبن أيضاً شهم وبحسبي بأنني أعيش على حافة بحر أحضر.

صباح المطر يا عمري كل سنة وأنت باليك خير وترد أنت علي صباح
سعيدات التي لا حصر لها كل سنة وأنت راضة

هكذا نلتقي. وهكذا نفترق أرايت كيف يحتم الشتاء بأصابعه الباردة
من في الحيلة. هذه السنة لم تكن مثل السنة التي مضت. فقد
كنت سعيدة. سنة بالمفاجآت الكبيرة أرايت كيف تمر الأشياء الجميلة
سريّة. من صدق أن كل شيء بدأ بسؤال صغير. ثم بموسيقى
أمرنا. وسادور لا قوة توقفها عن عيها وتمادبها في العزف. ثم وريفة
حسنة حفظت بين يديك. ثم أوراق ورسائل وكتابات صار من الصعب على
مقاومة اندفاعها في. لأصبح مثلك في النهاية. مريضة بما يمكن أن تمنحه
لي التلمات من سعادة صغيرة حتى ولو كانت مؤقّتة. وفي أحيان كثيرة
غير كافية لقد صرت في. وأستطيع أن أشهد أنني أحبك أنا التي كانت نظن
أنها تبغ شهوة الرجال. ولا يهزأ رجل مهما كان فكل الرجال كانوا يبدون
لي أصغر من جنوني أراك باستمرار من وراء حزنني وقلبي. ووجودك وحده
يحميني فدا كعمر من البراحة ألم ثقل لك امرأة قلبي. المؤكدة أنك عرفت
التكررات إن وجودك وحده يبعث علي الراحة والاضطنان. لا تغل العنصر
صحيح أنني أمار من نسانتك. ولكنني لست مجنونة لدرجة أن أمتنع من
شيء ليس في مقدوري فعله حتى ولو أرتت التعريب. اشعر أحياناً وأنا أفرا
عشائرك. أن بعض جمك مهداة إلي مع أنك لم تغل لي ذلك أبداً رسالتك
وكتاباتك تؤنسني. وتبعث في القوة تكما وفنت أتعرف كم هو ممتع أن
نعتق امرأة غنائاً أو كائناً مهووساً بالحيال إنها مشقة كثير أنها مثل

تراك ونعاشرك، ينتقل بسرعة حيناً من شخصائك إليك هذه حقيقة وليست تخريفاً أنا أشتبه فقط أن الأول لك ما يملأ قلبي، لم أعد قادرة على تحمل شططي الذي أصبح قهراً جداً هل هناك فرصة أحمل من السنة الجديدة التي تفاجئنا بهزة نادرة ونحن في الماضي للزعل والغضب هل هناك أجمل من استحضارك حيناً بدل اليكاه عشي قبراً لو كنت تدري ما يفعل في عياله. نتركت كل شيء وراءك، ولزغت نحوي لمعش الغيبين، حالي العدمين

سنة أخرى تأتي وشاء الله بفقر أمامك، وكما أتمنى أن أراك تستقبل بمأمتك المديدة والياسك الأبيض الأنيق. أمطارك الطفولية التي تشبهها وتنهي الحنين التي بدأتها قبل عشرين سنة وألف أنا بجانب الحائط العنيق وإناملك، وأنت تنطق، وتكلم مع الأطفال وعلى رأسك الزريرة الحمراء التي تقوي شهية الأمطار

كم أريد أن أسمعك وأنت تغني أمطارك العلوة

ديا النور هني.

ما تصنيش عني.

حتى بجي حريا نحو.

سيفو، حمري

في فاتحة هذه السنة أرجو أن تهتم بصحة.

أرجوك لا تعذب نفسك كثيراً، لا شيء يستحق أمام ندرة الحياة. أرجوك لا تعذب قلبك إلا بالفكر الذي يجعلنا فريدين أكثر صحتك تهمني كثيراً. وأنا امرأة لا تفاق. أعرف قلبي جيداً ولكنني أحبك كم تريدني أن أفتكم، وكما أريد أن أصمت وأن أعيش في هذا الداخل الذي يضحك فناعراً، ولكن الحياة لم تمنحني حقلاً كبيراً، ماذا لأقول لقلبك الحزين، أحبك كلمة لا تقضي لكنني عذبة الغربة الشافة التي تملأني سعادة، لأنني هذه المرة سلكت المنعطف الذي كان يجب أن أسلكه لفتح لي انميا فرصة للقاء

ننسل الأصباح إلى الصدر ونحس القلب الذي لم يعد بأية كثيراً

الذي يريد أن يلقى الحب على غيمة، قدوم قريبة من يديه وتستحيل عليه كلما مد أصابعه نحوها أنت قريب مني، وفي بعض الأحيان أصبر مثل المرافقة. أخرج بحث عنك في المدينة، أو في الجامعة، أو في البارات التي تفتل فيها. لحظة القبول، مع أحضانك القريبين إلى قلبك، سينمانيين. مسجفين. كتاب وغيرهم أتمنى فقط أن أحبك أمامي متنوفاً كمنة عندما بمبيني الناس عندما أتعرف، أحلم أنني أفتح عيني وأراك مرة، عابراً مسلماً صعباً تعودت أن أراك فيه عندما أكون سعيدة وأظاها بتفانيك. وأتعمد عدم رؤيتك لأنك من حيث لي عندما أغضب منك لسبب نافع أو حدي لكلك. كلما التفتيت بي، أنسيتني قضبي منك. فأفكر لك حمالك الصغيرة بسرعة ألم أقل لك أنك ساحر وتملك ما يعطي للمرأة، التي معك، أطمئناناً كبيراً وراحة

Est ce qu'en t'a jamais dit ça? Avec toi on se sent en sécurité. Ce qui rend une femme plus confiante c'est aussi cela. Nos femmes sont en grand déficit d'amour, parce qu'elles ne savent pas rendre visible leur côté

الساعة الآن نخلت الثانية عشرة ليلاً، فاسحة الطريق نحو سنة جديدة تأتي من بعيد محملة بالآشياء التي لا نعرفها يسير بسرعة حنونة وبعضها الآخر يغيرنا ويقللنا ويعمق عزلتنا أحاول أن أستحضر وجهك لكي لا أنساك أبداً، وصوتك المتكسر للبلأ وبهاء الحنان الذي فيه

أين كنت مخبئنا عني كل هذا انزمن؟ كنت معي؟ لا كيف إذن كنت أراك ولم نخل قرائي؟

ستصحبك معي كثيراً إذ أبعد لك، بعد كل هذا الزمن، مراقة تحاول الفناء بفات قلبها خطوة خطوة ليكن، أنا منذ أن عرفتك لا أندم مطلقاً أنني مراقة وعاشقة ناذية اعنو رسالتي هذه كما تشتهي، صنفها مع الرسائل الصغيرة الملونة التي تحمل من حين لآخر من امرأة لا تعرفها ولكنها قرائك، وأحببت من حروفك، ومن شخصائك، حتى اختلط عليها الأمر هل هي تحب الكاتب أم ما يكتب، كل شيء معه ملتصق، نحب ما نكتب، لكننا عندما

بالموت. ياها ما أنت مازلت هنا كما تركتك في العرة الأخيرة مثل اللوحة
الصادرة لا شيء فبك تغير أبدا شعرت بشوقك وأنت تحضنتني ليالي بكاملها
وتحيرت بي من نزل إلى نزل وكان ياربك كلها لم تكن قادرة على احتضان
شوقنا الهارب أراك الآن، بقسمات وجهك الصبوح وجمالك النهار ونظرة
الصغير الضامخ، بعد أن هدأت كل العواصف التي حولت البلاد إلى وادي
من الدم سنوات مرت. ولا شيء تغير الوقت مسافة تموت، والذكريات حينئذ
بتفجر برهق لنفس ويرعى القلب ما هو الزمن الذي انتفرت به جيبه، ولكنك
لست هذا الغويك بالخروج قد عمت انتعلت الريح كشعارك المجنون راحوا
وغادرت السكان هل كان من الضروري أن تتركني في ذلك المنعطف المفرد
التم يكن بإمكانك أن تردني عن عبي وتسحبني في أولك ولا تلعني بأن لا
التفت وراحي

ما أقوى عقلك وما أبأس حبيته أحيانا

أنت تعرف أن والدي تركني وحيدة منذ أن خرج بصمت على رؤوس
أصابعه بعد أن وضع الكمان على ركبتيه ووزنتني أمزاته وأنيته ووزت
أمي حيرة لا تموت أبدا إلا إذا لحقت به أمة... وجهها يملأني كلما هرب
وحبك وتركني وحيدة أريد أن أتثبت ملامحها الموت أصبح يلعني. كم
في حرية مني وهي تالخي من يدي. لننملا مكانا صغيرا بجانب الولي
الأندلسي الصالح. سيدي عبد المؤمن بوقريش، وتذكرني بملئها قبل ولائي
بشهرين. لأنني سمعت حساباتها يا سيدي العالي. سأسموها باسم المرأة
التي نذرت عمرها لك، وخدمت ممالك حتى الموت لثة لعلني منذ سيدي
أحمد الزكري ولي الله الصالح كلما التمت بها الأثران واليأس تأملت وجهي
ملويلا ثم تتهنت لم أكن أعرف لا أنا ولا سي ناصر بلك ستنزلين ضيفة
على الحباة قبل شهرين من ميعادك المعنك كنت هشة وصغيرة إلى برهة
أن كل من رآك نأسف لموتك المؤكد كنت أقرأ ذلك كله في عيون الزولو لكن
الله وسيدي عبد المؤمن بوقريش شاه غير ذلك فجأة عندما كبرت، ونما
جسدك بسرعة، فوجدت أنك كنت مثل لفترة ماه مع سي ناصر أنت عزالي
في فقدانك ثم تكلمم صلاحها وتكفني على خلفها الأما

سنة أخرى تمضي وأنت مازلت معلقة في مدى الحيرة والتب

سنة ثاني وأنا مازلت هنا لم أمل من انتقلار عويثك الصعبة

وعبر آخر يركض بسرعة الخوف والهجبة

تبه أصبحت اليوم حبيبتي. مع سنة حديدة أراها الآن متشابها في عينيك بكم
منذ مدة لم نلتق كيف هو مخيانا الصغير الذي جمعنا آخر مرة في
ماريس في الحى اللاتيني الفاص بالدين كانوا يشبهونا في كل شيء هل
تحقق لي بدأت أضي أنيا. طالملة الروسية الممتولة التي حركت في كل
مدائن الغرة، كيف شوارعنا ودروينا الجميلة التي مشينا فيها ليلا بسكينة
غريبة لم أكن لأصدقها أنا القائمة من أرض الرواء والخصا يبدو أننا
ضعنا يا حبيبتي لا أعرف إلا ما كان علي أن أخضع عليك أم أهدت؟ طول
هذه السنوات لا أنا استطعت التخلص من وجهك ولا أنت استطعت أن تحسم
أمرك مع نفسك مايا حبيبتي. عندما تكلم سلخكي لها عن كل شيء كل
شيء حتى كونها أنجذرت في لحظة حب نحت لأجل سماء في الدنيا. وفي
عمق غابة أمثونية بطحجان كلغة وأرض قلبية. وجزيرة القديسات التلمية
ملاسرار. وستغفر لي حماقتي التي مارستها مع الرجل الوحيد في الدنيا
الذي هز كل يلحير في

ياها كم أنت غني. بعد كل ما كتبت لي تسألني أنت الوحيد من
يفهمني فهل يخلأ حتى ولو كانت حماقتي كبيرة فأنا لا أملك إلا أن أبحث
القلب الذي وسع الحب الكثير يسع الشغفان الكبير الحب مثل الموت مخلوق
هكذا أنا اليوم ماذا بقي لي أن أقول بعد حملك الكبيرة سأعيش عليها
وأعمل بما تستوبه. أنت الآن وسيلتي الوحيدة للحياة ما أنا في استيعادك
مثلا يستعد محزون غلته أستمع لجله. مريم. أمراي الهاربة من حلم
محزون. الفتى عينك على وسعها و لو لعة واحدة في حياتك وسترين
أن لادما جميلة وتستحق أن تعاش. جبري. فتن تخسري شيئا غير هبوه
السنوات التي تملكك في هدوء حبيبي فقط وسترين أنا ما زلت هنا. في
المكان الذي تركتني فيه في آخر مرة. عند المنعطف المؤدي إلى التلادوي
أو إلى الجنة لا أدري. أنتقلر بأمل كبير ويقتد انتظارك.

نلت. واث راء داير في أنت وعود النوار ديلك الذي كلما وضعته تحت

قد اكون في وضع لا أحسد عليه، بل قد أبوء لمن يراني وسط هذه الحالة من التردد أنني قد فقدت بعض توازني وأصبحت «دون كبحونه» من نوع جديد، غارقة في حزن خاسر ضد مؤاجبتها الهوائية، وربما حتى ضد نفسها، لكنني، في كل الأحوال لست محبونة.

لا أدري لماذا أشعر بالندفة القاسية

ربما لأنني خسرت حيلتي وعلى استرجاعها لم يخلني نيتي عندما كنت في حالة كارثة على الروح بالكمال موسيقيا، مريم كانت كذلك، لم تكن لها حظ شئ عشتها الورق بين لم تكن لغة، ولكنها كانت الروح فهي لليل وأنا أنامل سقف هذا القبر، بدا لي كأنني سمعت صوتها على سقف البيت الذي تركته قبل مدة، لغوته وكثافته رائحت على الحدس، ربما لا أصدق أنه قد أصبح، تحسنت كل شئ، تفحمت المكان، لم يكن لي دور في كل شئ، لكنني لم أكن لي دور في كل شئ، ربما هي ورائي، ليس لي دور، مريم بالتأكيد في مكان ما، حتى في أنفاس هذا الفضاء المطلق، في المساحة والأواني وكذا، أوستي الكلمة المصطفة في أمشي المربع، الحصى وكأنها لم تستعمل منذ أن وضعت في ذلك المكان، ربما هي ورائي، تخبر من جنوني وعيوني التي أصبحت أنك هي أنها تستطيع أن تقاوم حضورها المفع

أشعر في الكثير من الأحيان بأن روليتة تشبهني في كل شئ، روليتة كانت المسكنة التي ولدت منكسرة على حافة شاموت لم تعد فيه إلا حبة، وبقيت حبة ذهب مع صاحبه، بعدما سرق منها كائن باسبن مرها الخفي، وسلمه لحبة امرأة من ورق شفاف، غشت عليها، ووضعتها في المدفن قبل الأوان أنما أجس مما يغتله الكتاب بأقرب الناس إليهم كيف لامرأة رقيقة لا حياة فيها إلا روائح الطمائر الكيمائية، والحلقات المحفلة، والخبر الخفي، أن تلحن امرأة حقيقيّة من لحم ودم وفيهم من الأحاسيس، وثقتها حتى تحولها إلى لا شئ، هل كان كائن باسبن يعلم، وهو يجوب العالم مزهواً بنجمته، أنه كان كل يوم يلحن وراءه امرأة حبة، لم تطلب شيئاً سوى أن

علمت منك أنه ستسافر لمدة عشرة أيام إلى الصين بعيدة على عمري بعيدة جداً ومن الصعب تبرير هذا الغياب المجنون الذي تكاثر، ولا أريد أن أقهر شكوك رهاض المنهكة في شأنه الغامض مع الكارتيل الذي ناهيت عن بيع السيارات، أصبح يهرب كل شئ بما لي ذلك التبريد على الحدود الغربية والشرقية ثم إن أردت أن أتبعك نحو تلك البلاد المعبدة، ومع سورها الأخاذ الذي حدثني عنه كثيراً، علي أن أحمل على فيرا أولاً، وعلى أن أجيد مبرراً قوياً لأتمكن من مرافقتك إلى هناك صعب وربما مستحيل، الأهل وعد لي بالسلامة صانتيك دائماً أرحوك لا «تطول» كثيراً فوجودك وحده، حتى ولو كان ذلك من وراء المتوسط، يعطيني الاحساس بالطمأنينة والراحة

معدرة أيها الحبيب الغالي، أنا دائماً أخطئ حينما أريد أن أكون استثنائية في حين لك لا تفرغ مني تحمل حماقتي كما فعلت ذلك دائماً من حين لا أفل شيئاً مدهشاً ولكني أحاول وسط هذه العزلة أن أجعل الحياة ممكنة التحمل، وأن أجيل السنة الجديدة مائة ليلة ألف سنة وأبعثها لك مع الحجر الغامض، سأحمل لك منها فراشا وثيراً، وأعطيك بيداً على تتحول إلى فراشة تعبر المتوسط، وتواجهني في لحوتي، في فراش الحبيبة واللذة، وتفتح عيني المتفتتين عليك لا شئ إلا لرويتك

هيننا لك حبيبي بسفرته الجديدة لكل لفظ من خطاب الشراب، ومن أن تمرر لك صينية مني، من مدهلات وحارات مثل عود المزار، حتى إذا سمعت أنك انتقلت مع إحداهن، سأخفك بلا تردد، وحياتك، سأخفك بأطول قبلة في الدنيا، دمك لي عمراً جميلاً.

حسنت مرسلة المرسلة
وهران في ١٩٩٨-١٠-٠١

نفسه، وأن تعطف، وهي مستعدة أن ترمي وراءها كل غرائز الحياة الروحية التي منحها أولاداً عديدين، ولم تمنحها أية صاعدة؛ لقد خرجت نعمة من آلامها وانكساراتها شالكت زواجعة في عزائها للقاسية وممرت كالروح وكأنها لم تكن أبداً ولم توجد، وماتت باسماً بلوكيميا لم تمنح أي حظ للشفاء، واستفردت رحمة بكر شيء. حتى مبعوثات باسمن العظمى والحماشي أبة امرأة هذه، وأي ورق! لن أسبح لمريم بأن تفعل الشيء نفسه

أرايت أحياناً في عبق أسامتها فقد تواعطت مع من لم يتريد لحظة واحدة في قلبي بحثت لها عن كل أعمار المرأة، وكانت تفتن في كل وسائل المروية

مازال عني ليل من الليل، وأسامي متسع من ثوبت لأشهد أمام العاصيين عن عبق هذه العاصفة التي تلاوطني، لو استمرت، مباشرة نمو الجنون

لست ملاكاً حتى أترك كل شيء بعد أمام عيني وكأنه لم يكن أبداً لست مسحياً مستعداً عند الحاجة لأن يقدم هذه الأمور ليصنع، لست كما صورني واسمي، المروية جميلة موضوعة في كيسة تمسحها آلاف اللهبون يومياً ولا امرأة دافئة، لا صوت لها إلا حبيبها الخفي حماقاتي ربما كانت أصلاً في حياتي السرية التي تلودني دوماً نحو الإخفاق

واسمي لم يزل معي ماضى الدفين ولو أنه كان يؤلمه من حين لآخر مع الزمن تعلم أن يحترم جزئي الخفي، رفض من تلقاء نفسه أن يتحول إلى يقال بحاسبتني عن تفاصيل هو نفسه لم يمنح منها، كنت سعيدة لذلك، ولكن منزوعة أيضاً كنت أعرف عنه كل شيء، ولم يكن يعرف عني إلا تفاصيل قليلة كشفتها الصدف ربما لأنه كان منهيماً دائماً ولم يكن يريد أن يقل على نفسه وعلى أيضاً أو- أنه كان على يقين بحمي له، فلم تكن تهمة التفاصيل الأخرى الأسئلة ليست ولادة الصدفة أو الفضول المرضي، فهي تتكاثر عندما يهتز يقيننا بالأمر هو لم يكن في حاجة إلى ذلك لم أكن أحبه فقط، فقد نسيت نفسي فيه، ولم أعد أنا إلا من نفسه، وعطره، وشهواته السجونة، وأشواقه

عندما نكون متيقنين من الآخر، يستسلم لراحة غريبة ولا نسأل عن أي شيء تنهض المشكلات، عندما نشعر أن هناك من يراحمنا في حمنا ولاننا ولهذا كانت غورتي دائماً حارقة وحارقة، لي ولغيري

أحياناً أشتهي أن أصدق أن مريم ليست فقط سوى شخصية من ورق تشبهني كثيراً وتختلف عني لئلا ثم أقول في خدائي لابد أن تكون امرأة عبري أبحت في هذا السر الخفي عما يحرقني من قندما لكن من أين جاء واسيني بكل ذلك الكم من التفاصيل الغريبة والصادقة في الآن نفسه؟ ربما من امرأة أخرى ما يشغلني ليس أنه نام معها أو نامت معه، ولكن ما هو العنيد الذي تعلمه منها؟ أي شيء منها التصق به إلى الأبد؟ لا أتحدث عن شعرها، عطرها، رائحة عرقها وجسدها، ولكن عما يملئ فيه منها، وبراءة في عيني، في ابتسامتي، عندما يمتص الأجزاء الخفية من جسدي أحياناً أحس ذلك عندما يعود محبوباً، بعد لحظة طويلة، أشعر بكل شيء جديد فيه، وكأنني أواجه رجلاً آخر أنام معه للمرة الأولى، يخرج بسرعة من الرثابة اللطيفة أنساهل أحياناً إذا كان الشوق هو الذي فعل فيه ذلك كله؟ أم رغبته العميلة التي كان يكررها دائماً، لكي يستمر الحب، بما في ذلك الجنس، عليه أن يكون خللاً ومدمراً؟

- «ليلي» الحب ليس استكانة دائمة خلق وإساع متواصل عندما يدمنه متكراره، يموت ويصبح رديفاً ليلادة الزواج ولهذا من الصعب أن نحافظ على كل تلك الحواجز بدون الإسهال بها في كل لحظة، وتغليظها من «تكرار التعج» لكي لا يموت الحب عطيناً أن تحب ونظلل من الأسئلة والتهيم الحب ليس تهمة ولكنه رغبة إنسانية حرة، ولا سيموت كل شيء فيها

أنا على صدره أسمع إلى كلامه الجميل، وقلبي وهو يبعث بسرعة غير عادية. أتساءل: إلى متى سيظل هذا القلب راكضاً بهذه السرعة؟ وهل سيتحمل، بالقوة نفسها، الأعطاب القادمة؟ أشتهي أحياناً أن أسأله لأعرف سر الليل الذي يتخفى في بؤبؤ عينيه عندما تنكسر عليهما أشعة الشمس الرائعة، وتنعكس فيها أعراس الألوان المتفاصلة؟

في قبيلتك، حميمي، نعم جديد، لم أعهد من قبل؟ من أين تعلمت؟
المرأة التي منحك هذا الاكتشاف الجميل! أي جسد تلمس عليك ليلة كاملة
مثل الأنثى، ولم يتركك إلا حينما علمك كيف تقاوم صم التكرار».

لكني أرفض أن أنقص عليه أحاسيسه بالتراحة الجميلة وهو معي، أو وهو
نائم على صدري بعد متعة سمعتها إلى الأفاقي، وتبيننا أن نلذ فيها

أقول اليوم ما حدث في ذلك الصمت كله إذا كنت أحسه، لم أقله طبعاً في أية
رسالة من رسائلنا. وبقيت مثلاً اشتعاني، لكي لا أكره يقيفه الجميل

-٢-

عذتني مريم، أعادت ترتيب حياتي بالشكل الذي أرادته هي

ربما ما قاله واسيني عن مريم انطلق مني ومن هيلي وجموني معاً، بل
إني على يقين من ذلك لكنه يقيني أنا أيضاً نحوها، لأصبح مثلها، شبهتها
ولست حتى هي، ظلها المتماهي بالما تحت رحلها، أو مصاحبا لها، ملتصقا
بالحيطان في حشد جنات في حشر أسعيا منسجماً أن تسبقني ككوا النجوم
منها حشر نفسي، والحياء منسجماً في والخلول أن أنسى أنها هي وأني
أنا. وأنسى أننا كائناتين مختلفتين في كل شيء، حتى في طريقة التنفس في
المادة التي صنعنا منها. صنعت من مادة هشة، بلعقها الخراب والأذى ووميها،
وصنعت هي مثل الصني، من لبس الكلمات، وبور الأحرف، وحشر حشر
الروح المتسلط الأثير من هذا كله، إلى واسيني أصلي طويلاً ليلها صحت
ليست في أبداً وصورها كما اشتعاني أن أكون، حتى حولني مع الزمن إلى
لينة أحسنها بالشكل لم أكن أحتج أن أحتج إلى مبررات في مقلتها

هذا الصماء صمعت، وبلا رحمة، أن أصل هذه الأيقونة، أناملها للمرة
الأخيرة لكي لا أندم عليها أبداً. بعدتها أرميها بكل قواي على الأرض،
استمع بكسرهما، وأصرخ بأعنى صوتي مرياً!!!!!! أخرجي ولا تعودي،
أرهورووووك.. أله الأيقونة برجلي.. حتى تصبح مجرد فتات بقيق، ثم
أجمعها قطعة قطعة، وأدمعها مثلاً بدمع جسد نريده أن يفتني بسرعة لكي
تفادى رؤيته من جديد

الصدف في حياتي غريبة وكثيرة، وكلم أتمنى من الذين عرفوا مريم هي
صدفة الكتب والورق، أن يكسروا أيقونة مريم التي رقصت بين أيديهم هي
لحظات السكون والقفوة والخيبة، وكذبت عليهم مثلاً كذبت علي، ودمرت
حياتهم مثلاً خربت عني متعة الهدوء، واسيني كان سعيداً وهو يحكي عن
الذين رأوا لهم شيئاً مع مريم، لم تكون الغيرة هي السبب المحرك لكل هذا
الجنون الحيواني المستعجل أصلاً، ربما لكن قسداً لغيرة، ربما هي نفس
تفعل في ذلك كله رعبتي في الانتهاء من ظلي الذي يغذي هي الأساس
لا يمكنني أن أدير حياتين، واحدة سرية واحدة ورقية، بدون اعتبار الحياة
المعلنة، ولكن، إذا كانت الفئات فاسدة جداً، لن أندم

وأنا مستعد للأفاقي، بكل مستعديا الجديدة

-٣-

ما دمت في ثعبان الصراخة الصعبة، أكرر مرة أخرى، أن واسيني لم
يعرمني بالشكل الكافي أعجبتني فقط هذه الأوتار التي أسطت في دوار
طفولي لم يكن قادراً على مقاومتها كانت موافقتي على حبه، هي رهانه
الوحيد، لم يكن معنياً بلعبة التفاصيل، أنا أيضاً لي قصة حياتية معقدة
مفروشة بالأجفافات

قل واسيني، عشتني ابن عمي، شاب يدعى أيس، صديقاني كن يسميه
قيس بن الملوح، واسمه الحقيقي ليس وليد عيسى موح، ولم يكن ذلك يزعميني،
لأنني كنت أرى نفسي في رتبة ليله، صديق بشكل مجنون أي ليله التي عليها
أن تموت من أجله، يوم عادرته، اختار قبراً مهجوراً لامرأة ماتت منذ أكثر من
دهو اسمها ليلى أيضاً، أدركت نفسها لأن عشتلها تخلى عنها وتركها وراءه
حاملًا وظل يزيورها كل صباح إلى أن أنهى حياته على تربته وشوكه. عندما
أرادوا غسل جثته، لم يجدوا مساحة واحدة من جلده لم تخط عليها قصيدة
من قصائده بأوشام لا تمحى ولا تزول، غشالي الأموات كانوا كالمادة أغبياء
قال كبيرهم إن الله لا يستقبل جسداً غير نظيف، وأن الملائكة تهجر الصماء،
لو لم يكن كانوا يعلمون الخراب الذي تسببوا فيه، ولكنهم عني بكم لا يفقهون
أتوا بالحامض، ومزيل للطفحات والصبغ، وأدبوا كل الأشعار مع القشرة



شعوبانية، إلى اللغة، إلى السادية، انتهاء بالكلمة التي تختزل كل عزيمتهم الزائفة.

لم يكن ذلك مهماً، لأن مقدمهم في النهاية لم يكن إلا صورة مضمرة لما يعاينونه داخلها من إحباط متكرر. كنت كلما سئلتني مكانهم ووصلتني رياح مجالسهم الغاسية، ضحكمت بمرارة، وحزنت لأجلهم

جاء بعد الهائل، نارسيس نسيت اليوم وجهه واسمه الحقيقي كان معجباً بنفسه أكثر من إعجابه بي. كل صباح يتأنق، يهتمص وجهه في المرأة، ويبرز التعويضات التي على وجهه وداخل أنفه بملقط خاص. بقلم شعر حاجبيه وأظفاره، يهتمس لنفسه في المرايا التي وضعها في أمكنة متعددة من بيته. يتعطر بالعطور النسائية القوية التي تشم من بعيد، ثم يخرج كان يخطب كثيراً ولا أراه إلا بعد مدة طويلة، وبدل أن يعتذر، كان يعود دائماً إلى مرات

عند الحلات وفواصل عري كما في هذه المرة لم يعد لي الحق من أن أخطئ وضع هذه المرة في طريقي، مخلوقاً لم يكن يشبهني في أي شيء كنت أريد رجلاً أحس به ويحسني بأني امرأة كاملة، وأني معشوقة ولست إنساناً لا وجه له إلا نفسه

- «اسمع يا ولد الناس، ابحت عن غيري، نحن لا نصلح لبعض لك الحق في أن تشتهي نفسك وجسمك وأنت نفسك الخفية، ولك الحق في أن تجعل المرأة مأكلك النهائي والجسميل، ولكن ليس هذا ما أبحث عنه. أنا لا أفيدك في حياتك سوى أنني أخطئ عليك حياة سرية تعيشها علاقة من دون علاقة» الله يسهل عليك...

من يومها انطلقاً حتى من المدينة. أراح نفسه وأراحني معه

أوقف القائمة عند هذا الحد لوتصادمت سامنح أعدائي فرصة الحاق كل النهم الغريبة بي. في إرثي مجانبين ومنشعرون ورجال شوان، وحمقى، ولا يوجد ما يجعلني صالكا طاهراً، كما صورني واسيني، إلا اللغة التي أغرقتني

فيها حتى سحرت بها ومحت أن لا أعرف أنا من غيري لست أصلاً من طبيعة المور، ولا من عجنة الغيم التي يصف القمض عليها هذا كله أدب ولهم حقيقة أدبا امرأة أنا، صفة للحياة وممتلئة حتى القلب بكم لا أحسد عليه من الليل، قليلة موقوتة.

اللغة أخطر غواية لغة الشيطان وجواه، التي سلت الطريق نحو التعادي في الغواية والعصيان أيضاً. لغة جواه وهي تهذب وحشية آدم لغة هابيل وقابيل التي أدت إلى أول جريمة حب في الدنيا لغة الله لهباده التي وضعت سطرة العزور لغة العهد للهدم. من الالتصاق بشدي الأم إلى التثبيت بسند الحمية والتلاذذ بطيب الشهوة هي دائماً مثل قاروت، تنقف بشكل دائم وراءنا، ترحبنا نحو ما يجب أن نفعله لكي نوقف حواسنا المعينة ولا نتروك لها فسحة التأمل لغة واسيني جعلت مني أنا، ولست أنا. كانت رهاننا المشترك. إن نزل جوهرها صافياً كمرآة، ولم يمتصم أبداً لعصار الأبهام الصعبة لكنتي.

لغة حببي الأولى

كان واسيني يقول دائماً إننا بقيت لي فسحة التصق بها في الحياة، قبل الفرق، فهي اللغة. لا شيء أهد سوى اللغة، وحدها اللغة، لغة العصيان والمصروفات الحميمة، حتمتني من حماقات الموت وغواية الثلاثي

- «كان الموت عند الحافة. بل كان من أراه يعبر الأنابيب والأجهزة المتصلة بمصدري، وحتى بعيون الممرضات اللواتي قضين الليلة كلها معي في مراقبة ضربات قلبي المتواترة، وتنفسي ودرجة الحرارة، واستجابة جسدي لكل ما يحيط به. كنت في أعماقي أحس بانتشاء كبير لأنني كنت أنتصر شيئاً فشيئاً على خوف كان في. كنت أكتب وأنشئ لغة وأنتج مصوصاً سرية سقتل في متحفني الذهني، وإن قرى النور أبداً. ولكني مازلت أعتقد أن اللغة يمكنها أن تقتل وأن تنقذ صاحبها أيضاً»

استطيع حبيبي أن أقول اليوم بلا تردد، إن اللغة التي منحنتني الحياة بفنك، في جسد امرأة أخرى، هي نفسها التي سحبتني كثور الكوردا إلى ساحة الموت وكانت أن تجهز على لولا لفظتي في آخر لحظة، أي في المسة

الهادئة الفاصلة بين الحياة والموت، التي رأيت لها حياة حركت تغرب، قبل أن يشرب شعاع هارب إلى عينيك من صف زجاجي، وبرقائك من غفوتك اللقائفة، ويقتنع بأن الحياة مازالت مستمرة.

فلتكني مريم، ولم تمل عنى أبداً

حباتها وأنايتها تمر قل أي شيء أهر في هذا، لم تكن مريم شيئاً آخر غير مجرمة ذكية، تغفل ولا تترك وراءها أي أثر للحريصة الموصوفة، كان علي أن أقوم بكل شيء بنفسى، فأنت لم تكن هنا لم تستمع إلى الأذين الضعيف الذي كان يتكالب كالمعم في داخلي، فقد بدا لك كل شيء مجرد استيهامات هاربة في أفق كل الوانه كانت مغلوطة

لم تكن هنا أبداً كما اشتهيت

كنت غائبا داخل غيمائك المنفحمة، غارقا في تيه اللغة، مستمتعا بالضياح الحميل، بين الأحرف والعمل والبياضات المحددة بدقة كالنوتات الموسيقية، التي كنت تجمعها برعشة العاشق الولهان، لم ترمي بها على الرزق الأبيض فتمطط في حلقات متتالية من النور، مبعطة - متلاحمة - ملطما حدث لها أن تكون لا شيء بعضى على يدك حبيبي تفعل ما تشاء بها، فقد كنت مولاهما وسيدما الأكبر

وحدها مريم، كانت تعرف بالضبط سر ما كانت تفعله معي، وسعة فجوة الحراب التي خلفها حنونها في، ومساتك لي

- قل لي مريتا ألم تكن تدري أن تواطئ مع مريم كان يقتلني أيضاً، وجدت في صمتك عليها، طريقها الواسع الذي جرتني فيه من شعري ورمثني على الحواف مثل أي كيبس للقمامة:

أعرف إجاباتك الأنيفة، لا داعي لأن تقولها
مريم ليست أكثر من لغة، فكل لحنة هاربة ومستعصية.

من مريم إلى ياسين

أي قدر وضعك في طريقي؟

ياسين حبيبي

مهولي الزارع

حلمي الأكبر والأوحد في دنيا لا تمنحنا كثيراً من الحظ لنحلم. ولكننا كانت سخبية معي حين وضعك في طريقي

يا مهبول، لو كنت تدري أي مهولة أيضاً وضعت في طريقك، لثقلت مسالكك! لقد وضع الله في طريقي كثيراً من المحنات الذين انطلقوا بسرعة وحكم بليغ لا يبرح ولا التامل ولا تارسس. استطاعوا أن يجدوا ما كان يخفي من وراء خيط الروح، فبركة لم تستبهم جميعاً ففعل، ولكلك انستبني نفسي أيضاً

كنت أقرر أن محاسن الدنيا لم تجعلك عاقلاً، وتلقك فيك جنونك. وأنت ستأخذ بهزار محبته في أن تعبد رسم حباتك، وتلقبها، لكلك بليغ مجنوناً ولم يفلت منك شيئاً من هبك الحميل، والتقبل من العطر الذي بقي فيه وأنا سعيدة لذلك

ماذا أهول أمام دهشتك الجميلة، بخرب بيتك! لقد جردتني من كل أسحتي ولم تترك لي أية سطة لكرهك أو لنسيانك

اليوم أيضاً أنفطت شمعة أخرى لمأبى الثالثة إنها تكبر بسرعة، حاملة منك كل شيء حتى الخانة التي ترسم كبيرة على ظفرك، وميلان عينيك

الصور والصور

شكراً عنى ريك، وإجاباتك صدق أنني أفهم وأقدر كل ما تقول، وتكثما وضع ملاحظة، تحببت ريك وعرفت حدود هبوطك ورفضك لها هناك أمور قابلة للنقاش ولكن الخبرات تعود لك، ولا أحد بإمكانه أن يغير رسم



ثوبينة في نومه

عرف فيما بعد، أن النسر الذي زادت حدة ندرته قد بيع بأضعاف سعره وأن سفينة الكويي المرمية في عرض البحر، دخل سكرها على متن سفينة أخرى كانت تسير على بعد.

عندما سألت رياض

- لماذا فعلتم هذا كله في هذا الشاب المسكين؟ أتم تحرير الدولة التجارية

الغربية

في يوم

كده فموت لسبب أيا من فعلت ذلك القاتل حتى صاحب القاتل

وأنت ميت كنت تفعل

يا سيدي هذا ان لا تتدخل الطبقات في تحديد أسعار السلع

فترسل سلعك بكميات أو سعر ليس ما نحتاجه منه

- نعم كانوا سيفعلونه لم يفعلوا لأنهم عرفوا الصغيرة والكبيرة عنه في زيارته لكن احتمال فكه كان واردا حتى أن هناك من طالب بتصفية بحره الانتهاء من تغريب باخرة السكر. ولكن القاتلين كانوا ضرا لأنهم راوا في موت الشاب فعلا مجانياً

عرفت يومها أن رياض أصبح جزءاً من آلة جهنمية. ربما كان خلقها الأضعف. ولكنه كان جزءاً حيوياً منها ولا استبعد أن يكون ممن تحطوا غيبة الموت لبشرها تجاه تاجر المصفاة الشاب عندما استعدت الشريط بدقة. تذكرت أنني لم أر ليلتها مهندس ميكرو عوزي. في مكانه المعتاد. ولم بعد رياض إلا مع وجه التفرح

لا أدري لماذا أحدثك عن أشياء خطيرة كهذه. ولكني أشعر أن البلاد تعبرت كثيراً. وأن أشخاصاً غامضين، لا يتجاوزون أصابع اليد يديرونها بسرية كاملة

عالم. مشكلتي أنني أجدك، أشعر بقرب منك لا يترك لي مجالاً لأنتيه لشئ آخر لقد خسرت الشئ الكثير في رحلة الحياة القاسية ولكني لا أريد أن أخسر. رياض مسافر دائماً لقد دخل دواية كبيرة. ووسع خياراته بعد السيارات والذهب وغيره. انضم إلى كارتيل السكر نخليل ماذا فعلوا في المرة الماضية! بعد أزمة ذرة السكر جاءهم منافس من كويا مع شريك جزائري ورت مالاً كثيراً من والده لم يعرف أين يضعه نصحه أحد أصدقائه باستثماره في السكر وأشار عليه بالمستثمر الكويي كانوا متيقنين من أنهم سيفعلون السوق الوطنية بسكر من نوعية جيدة ويسعر أقل عندما وصلت السفينة التي كثروها ظلت راسية لمدة شهر في الميناء قبل أن يدخلها رجال مكافحة الغش. ومراجعة استيراد العواذ الغذائية ويكتفون تقريباً. بإيهاز من الكارتيل. بأن في السكر سوسة أمريكية لا تبيد مدمرة خلعت من كويا. وأن مرحلة الترموية جعلت من السكر غير قابل للاستهلاك في الليلة نفسها دخل خمس مسلحين على الشاب صاحب المال. في بيته وضعوه بين خبارين. وتركوا الثالث غامضاً. لم يكن في حاجة إلى ذكاء كبير لفهمه

- أنت رجل طيب ويرى، ولها ذكناً لك هذه الفرصة ولا تفعل بها معك شأن آخر نقترح عليك ما يلي بالترتيب إما أن تعهد السكر في كويا حالاً. أو تعيد لك خسارته بعد حسم تكلفة السفينة التي بقيت رابضة زمناً طويلاً في الميناء ومناصب رجال مكافحة الغش. ونستلمه نحن في عرض البحر. ولا نسأل عن الطريقة. أو-

- أو. فهمت شوف يا خويا، برحم والديك، أنا زوالي ولد باب الله وأريد أن أعيش لا علاقة لي بالتجارة كنت أفكر أن المسألة أبسط أفضل أن استرجع مالي إذا كان ذلك ممكناً. ما شفتوني ما شفتكم. كلامك جيد هاهي ثلوثك كنا نعرف أنك رجل عاقل..

ووضهوا في كفه نصف مبلغ الخسارة وخرجوا لم يسأل عن أي شئ آخر لم يحاول حتى أن يتناقش عن بلفة المبلغ فقد اعتبر نفسه ولد من حديد ظلت فوهات العوزي التي كانت تبرز من تحت ألبستهم تغلده شهوراً

هل تدري أي أصبحت أخاف عليك متى لأني مسارك نحو الموت إذا
أحب رياض بأي شيء أحمد الله أنك لم تعد هنا وأن مسافة المتوسط
تسعد في ماني سليم

حبيبي وروحي

حتى أخرج قلباً من هذا العالم القلبي

ثم أنتهي أن أكون مفك لحظة الكتابة، أحضر لك كتاباً وأصنع أجمل
موسيقى وأتسحب على أطراف أصابعي حين أراك غارقاً في نومك، ثم تأتي
منهكاً وسعيداً ومحملاً بالدهشة، تتلقي بقرني وتحكي لي عما تكتشفه
ليس بعيداً عن ذاكرتك، وقلبك أسمع إليك بحب أسمع على شعرك إلى أن
تنام كقطف، وحين استيقظ لا أجده أمامي أرى النور مضاه، فأعرف أنك عدت
إلى هلك من حديد وعرفت في الكتابة على الرغم من لصالحتي لك بالراحة
استمع من أعماقي لا فائدة من نومك مبهول، الله غالب ومبهولة تمرأه
التي تربط مصبرها وحياتها بقله محمونة تلك التي تفكر بانه بإمكانها أن
تعمل للحيلة، ثم تمضي لحباتها

حبيبي، شوقي إليك يعديني بلا هوادة لو كنت أستطيع المجيء إلى
باريس الآن لما انفلتت لحظة واحدة، ولأريته أنا أيضاً أي جنون يركبني
ولسحبك نحو ظلولتي التي تحلف منها وعنيها، وترسمت في قلبك، وعلى
جسدك كل أنوار قوس قزح، ولربحت بك في الشوارع حتى نلتعب ولعارسنا
كل الجنون الذي يمكن لعاشقين أن يمارسناه، ولأريتنا كل القوانين العشقية،
ولهدمنا كل اللعنات الوهمية

في قلبي كنت أستطاع المحرر

أفكر أن أرمي لك بعد تسعيني ولا على العالم فلي يصعد بنا وشي
أصبحنا أعمى

أرى في كل عمل العزاة وجه تدبر الصرفة المسكين، وأرى في الظلم
من الصلة المسكين، صغر الوجوه العتيقة إلى التارخيل

حدثني قيرل أبام عن رغبته في كتابة رواية محمونة باسم مستعار
لماذا تصر على ذلك، ألم يكتف ما فعلته بي أبها الشقي لماذا تريد اسماً
مستعاراً للرواية محمونة، رواية، لا أريد محمونة أبداً ولقد استعمر
لحوت منها بغير شعيرة حول أن أكتب من أكتب بكفك وأبني الشخصية
للذين لا يعرفونك يظنون أن اسمك مستعار ألا بكفك هذا أي هنون يدور
مراسك المضي أن أعرف طول المعركة لتعيش حياتك كما تشتهي وتكتب كما
تشتهي أحوالك وأشواق أولئك الذين لا لغة لهم أثق كثيراً في أنك ستعطي
طويلاً، تذكر ذلك، وأنسى أن أموت قبلك لتتحمل أنت حملاي، فأتت هامر
عليها أما أنا فلا أفكر بجنون فبك وأتكوم على نفسي كلما شعرت أن شوقه
صار أكبر من طاقتي كلها لتحمله، وأحرق ريشاً تعود، لا تمن لحيي، ولكن
أقبل بالأنبياء التي تأتي من عمقك ولو كانت قبلة واحدة، قبلة دافئة بلا
مدابة ولا نهاية ولا تحتاج للعد حينها، قبلة تعيد حرارة الجسد الذي برد
بالغاب أنا لا أحب البرد ولا أنت، ولذلك سيكون جميلاً أن نندفأ بأنفاسنا
مرء أخرى بما حل منك مبرر يمكن أن يقتل كل هذه الأشواق ويمسحها من
الحياتة أي امتحان يضعنا فيه الله وهو يعرف أننا اضلل من أن نواجه
أسماء للحميلة بعبون مفضلة، وأنت أجمل ما منحني في حياتي

أحمد عمري وشوقي، وأشكره لأنك فتحت قلبي وتبرزني هزات جميلة لا
أعرف كيف أعيشها وأنت بعيد عني كل يوم أحمك أكثر، وأفتش عن حلول
ممكنة لورطتي معك وهشاشتي نحوك التي لا أفل أنها ستشفى لوكن، أهبل
هذا القدر الجميل أن نمرض بإنسان هي، أجمل من أن نمرض بمفاهيم الأبدى

أنتهي أن أبقي هنا معلقة أمام عينيك، بكل هذا العري الداخلي الذي لا
أفضل منه مطلقاً وأؤمك أظن حتى تعود إلى سرور عذ أبها الأشد لك
أمرأه تستمر عودك مع كل ربح تجلب في كل فقرة صغر لتعزق على الاستمع
الفرحمة بعد ثم أهد فتارة على جسمك عذابت من النور خيرة ولا طماعة
سأسرقك كل صباح فقط وأعيدك مساء لا أحد ينهب عينا أشواقنا، وأشباهنا
الطويلة التي يرفقون أن تسرق منا ونحس عيشة حين تسرق منا الأناشي
كلنا يعيشنا المدا لود سعد لربك فيها

استغرب أنك لم تكتب لى طوال هذه الأيام! أتمنى لفظ ألا يكون لثقتك علاقة بالأمر وصلحتى رسالتك الجميلة منذ مدة وأشعرنى بومها أنى ملكة، وأن كل الدنيا لا تعادل إحساسى بك، ما أحمل صباحاتى التى تبدأ بك ومعك لا عليك، أرتج قليلاً، وأكتب لى حين بشئى الغلب ذلك أنا هنا فى هذه المدينة التى أصبحت كظلى، متعبة من الركض بين التونسرفلوات، ودار الأوبرا التى يسميها الناس هنا فى وهران، مسرحاً، وأشعر أن التسمية تخلص قليلاً من ثقلها ولو أن العلاقة بينهما حميمة ووشيجة لقد جعلنى حزنك أسعد مخلوقة فى الدنيا، ثم رحلت كما تعودت أن تفعل، ولا شيء تغير سوى أن شوقى نحوك صار أكثر من عناقات البشر الضعيفة الختر فبك وكلمنا نذكرت قلبك المسروقة، تحسست شفتى وابتممت واحسنت أنك لم تغادر لى مطلقاً فأنت هنا فى القلب لى نفسى، بين شفتى ابتسامة أو قصة حبيب

أشعر ببعض الطلق عليك من وضعك العسى، ولكنى متفائلة هذه المرة والقلب العاشق لا يمكن أن يخذلنا الآن ونحن بكل هذا الجنون اهتم كثيراً بنفسك من أكلنا معاً ومن أجل كل الناس الذين تصنع لى قلوبهم إحساساً حديداً بالحياة بفترض أن أكتب رأسك وتلفونك ورأس صاحبتك الخبيجات وفارناك الجريدات اللواتى يملن بالرسائل المحذونة، ولكنى سأولج لغيرتى هذه المرة لغيرة لا تنفع عن بعد ما ينفع لفظ هو مزيد من الحب لتحمل المسافات الفائلة والعزلة المفروضة علينا من كارتابل العواطف الذى حبر كل شيء لمصالحه وحساباته المعلقة والخفية

ما أخطر ما تفعل بى لو تدري، عليك أحس أن شيئاً كان ضائعاً بيننا ووجدناه، لا أريد من الدنيا سوى أن تمنعنى قفراً إضافياً من الجنون لأعيش حياة حرك كاملة وجميلة كما أشتئى لا تعرف ما الذى اخترته لك فى هذا الجسد الصغير، والمثله بالحياة، من جنون ورغبة بحيث يكون لدينا فى

كل لحظة إحساس حديد وصف لا أريد أبداً أن أفشل شعاع الأشياء وهشاشتها وإلا فالت حبي لك الدنيا بنت شب وضعتنى فى أسوأ الحيات

لا معنى لى الزواج إلا هروماً من طبع لا يحتمل حلاً لا أملك لغيره لأنحصر قليلاً الامومة شيء جميل، وأنا لم أكن أشتئى إلا مايا ليكمل إحساسى بك شتراً لملك المعادي بلا حساب، فلك منحني ما أشتئيت لى نفس الظروف وأصعبها أشتب منى أن أطلق رياض، أيها الأحقر، سأفعل حلاً ولا تردى ولست محبداً على الزواج منى أشتئى أن أغمض عينى وعندما أفتحهما أجده فى بكك أريد أن أكون لك، وبلا خوف، وألا أمنح جسدى لغيرك ما سمت أحبته شيء من الخوف بمنعنى، ولكنى متأكدة من أن ذلك سيحدث يوماً ما أشتئى لحظة عذبة لا أفكر فيها إلا بك ولا أحس إلا بك وأنت تفتح قلوباً من النور والشفقة فى جسدى ستكون أحمق لو ظننت أنى لست مثلك، عشقة وهلمة المزاج

أيها الأنا أتمنى أن تكون فى المنزل مرتاحاً وأن تقرأ رسالتى وأن أخرج كالمطر من ثماتى وأمتطيك وأست جالساً هناك أمام جهازك المصحب الذى أشتب بالمرأة التى تحمها والتى رملت عنها وهى غيبك بريق الحب والشهوة المتفجرة

أفليووووووووك، مجنون، وأطلق العنان لكل القلب المزلجة وكل القلب التى حتمها بها أقبل جسدى بقطة نقطة، وأتمسك مساحاته، لو فقرة أستطيع أن أتيك الآن لأريك من أكون! اردت أن تلعد على صومي أيها التبرير، طيب، هكذا سأفلس عليك نومك هذه الليلة لأنك لن تستطيع النوم بدونى أنتج فينت واحدة بواحدة، لنحس وقع تكماتك المجنونة فى مخرب مبته ما أعتقد وما أقتى غفك المخبوء

أيها العاتى الذى لم يرحر القلب ولا دهبقة منذ أن سرقته تلك الليلة هل تدري كم أحتج! هل تدري كارة النقدان الكبير! كم أشتاق لك حبيبى، وكما أتمنى أن نعيش هذا الإحساس الجميل بامتلاء فى الفراش وخارج الفراش لا تغلب منى أن أنسى شفتى، فأنت حزه منه،

رفعت رأسي للهباء بعد ما شعرت بظلمة على جسدي
 لا شيء سوى الوقت الذي يرحل كأنني عمياء الساعة الفارقة هي
 جديوت النكران، تجاوزت الآن الخامسة بدقيقة واحدة وسبع ثوان لا أرى
 إذا ما كان الوقت قيمة فيما أنا فيه، ولكنني أشعر به مثل قطرات الثعابين
 التي تأكل كل شيء في هدوء وسكينة، فنزلت على ذاكرة كسرتها الصدمة وكثير
 من المعاصير، لولا تلك اللعاعات المبرقعة على هامش حياة مكرورة، لكانت
 لغمت بلا تردد نحو مرقد حدي جسدي عند المؤمن بوقريين، في أعالي جبال
 الحجاز، كنت منه أن يستردني نحوه بسرعة، وصرخت في وحشة اللعنة
 الخفية يا حدي، لم أعد قادرة على تحمل جسدي، لقد تلفت روحي ونهاوت
 على حدائق الخريف، وماتت أنفواي وانسجبت مغفولتي هناك، على
 شاطئ البحر، أبات الانطفاء الكثيرة عندما أفتد على ارتفاع خمسمائة
 متر قبالة المنزلة الغريبي، وسط الضباب اللدن والجمل، أستحضر كل شيء
 ما في ذاكرتي من عذبات الحزن، بلا تردد، نحو الضياع

افترضت أن تكون أمداء حركة خارجية لقط ضائع، وبحث عن قليل من الدفء لكن الهدوء الذي أعقب الحركة، جعلني أغبر فكري، بل وحتى اسمي فكرة الحركة إذ لا تبدو أن تكون مجرد إحساس داخلية لا وجود فيزيقي لها. أو على الأقل هكذا أمنت نفسي

تراكتت ثومة الأوراق والرسائل المحيطة بي، وكان علي أن أرتبها وأخلق بعض المكان على المكتب الذي لم يعد قادراً على التحمل.

بدأت أشعر بقليل من التعب، فخاصته بسرعة كنت في سياق هذه الساعة. ولم يكن لدي خيار سوى أن أواصل لمصيتي عادلة. وعلي أن أوصليها إلى المنتهى.

تحسنت المكان من جديد شعرت برغبة باطنية للتقدم قليلاً على الكرسي القصصي، والعزف بلا توقف سحبت من عمق المكتب، ووضعت غلويها بين الكتف والرقن، شاماً كما كان يفعل والدي الذي مات منكناً على آله التي عملها بجدون لا أدري ما الذي ذكرني الآن بجون دومنيك بومي الذي خافه جسده وهو في عز عصفوانه. لم يكن لجون دومنيك بومي، حظ والذي في الموت الهادئ، فقد سجن في جسد ميت مدة طويلة، قتلته بمجرد انتهائه من كتابة سيرته الذاتية برمشات عينيه، وساعدة الممرضة التي تماطلت معه حتى انهارت ألسنته. أما أنا، فقد كنت أكتبه وهو ينادي بأعلى صوته: «يا جسد متهاك، ولكن تلك المرأة التي صهرت معه طويلاً، قبل أن تخرج من ألامه الضامة كتاباً، هي الأصحاء قبل أن يمنح المرضي قوة أخرى

لم تكن جلستي مريحة، ولكنها كانت كافية بأن تمنحني فرصة الأتنبن الذي كان في رأسي، والارتباط بك حد الهوس شيء ما أيقظ في أماريوس موزارت، ودفع بي نحو لهائيه الهادئة

وفقت مشيت قليلاً. أغمضت عيني قليلاً. شعرت بالفصاء واسمأ حداً. متخرباً من اللمعات ونبوبات من كل الأنوار الخافتة. لمث المكان من جديد، بشكل أشعري ببعض الراحة. كان علي أن أمكك القدرة على منح كل ما كان

يحيط بي. المكان لا يقبل إلا بالوضعيات المريحة ليتمكن من استدعاء كل الحواس الجبة. لم تتركني أنتخرج في أمد الليل، في عمق التمزق الذي احتل جسدي.

لم يدم الوقت طويلاً استعصرت بعض أناشيد الميلاد الحزينة، كانتو مول^{٦٥}. عزفتها براحة كبيرة عندما انتهيت، شعرت بإحساس غريب من القوة وكأنني لم أكن متعبة. استطلعت في لحظات مسروقة، أن أفسس بختان نادر، ابتسامة والذي سي ناصر الذي غاب ولم أسمع تنهيدته الأخيرة هل كان أنيني يصل إلى مصعب الذين بدؤوا يستيقظون قبل غيرهم؟ لا أدري لسر ومينوروم الذي أنا فيه مغلق من كل الجهات مثل المونكر^{٦٦}

-٢-

تفست مله رتتي وكأنني أرحمت ثقلأ رمادياً كان ما يزال يملأني وصعت المكان على المكتب من جديد. عدت إلى حركتي الاعتيادية المكان الآن ضاهر للعيان. تمام بجانبه قصته الجميلة، ليس بعيداً كثيراً عن المسدس الذي أصبحت فوهته مصوية نحو الحائط عندما دافقت. جيداً، كانت هذه المرة موجبة بالتبسيط نحو لوحة إتيان دهن^{٦٧}، التي جاء بها رياض من مزاد لا أعرفه أسير الحب ونور العينين^{٦٨}. لوحة العاشقين رجل وامرأة من بدو موسعادة يسحب نحو صدره شابة نابلية حميلة ومعتلة اغواء، بعينين عاشقتين ملتبشتين بالنور والنداءات المضمرة. تحاول بلسة الساحرة، أن تسكن غلبانه بإشارة من إبهامها. لكي يمنح لحظتهما الحميلة وقتاً صافياً تتناهني أحياناً وغبة اختار ألوان اللوحة بأحد عونة منها والذهب بها نحو مختص لمعرفة تاريخها على الأقل: أنا لا أعرف أين يوجد الأصل، هل اللوحة التي في القمو، التي يدور أن رياض قد أعملها قصداً في هذه الخطوة لمعطي لنفسه وقتاً آخر قبل أن يذهبها في مزاد من العراش السعيد لا يسترحح بأمر من التنازل السري، أم فلوحة قديمة، في متحف أوري^{٦٩}، في باريس، التي رأيتها في العديد من المرات عندما سألت يومها لم يبعيني بدقة، وفضل أن يفرق كل شيء في العموميات. كما تعود أن يفعل معي كلما تعلق الأمر بتجارته التي كبرت وقنوت مع

أعضاء الشارتيل السري. أعرف أنه يحضر بعض المظاهرات الوطنية والأوروبية والأمريكية وحتى الآسيوية المتعلقة بمبع اللوحات هناك من يقول أن بعض أعضاء الشارتيل ينفون أيضاً على رأس شبكات تهريب الآثار خارج البلاد. وانتهيت أيضاً إلى أن المسند كان موجهاً في الوقت نفسه، باتجاه كتاب - اسم اللوحة - لأمرقو إيگو الذي كان في الامتداد المستقيم للوحة علقتني بالمسند وشوهدا شيء من الاطمئنان والوفاء لا أدري لماذا ولازمني تكلمنا نزلت إلى السكريتوريوم لشعريته من الخوف في غيابه معي. لكن مروتته لا تريحني أبداً.

عدت إلى صورة والدي لأنسى المسند البار. كلما رأيت الكمان على هذه الوضعية الممتدة، رأيت سي ناصر في هدأة الأظهرة. في حالة صفاء كئي، على الرغم من حالة الحزن التي تشام بين ملامحه المتعبة. كنت في المدرسة. عندما مر على حال أبي الذي أباهه حالي، وسجنني من الكرسي، بعد أن وشوش في أذن الأستاذة ببعض الكلمات لم أتساءل، ولكني كنت أدرك بحاستي الباطنية، أن شيئاً خطيراً قد حدث. سألت حالي وأنا أتلعثم وأستعجل من طروختي القسيسة.

حالي مثل جد مشرب أو نائم

- لا. لا. ما تخافيش. لا شيء يريد فقط أن يتكلم... أن يتكلم.

رديها حالي مرتين. عرفت بسرعة ما كانت تبغته لهجته الطيبة. كان واضحاً أنه يلحن شيئاً خطيراً لا يريدني أن أعرفه عندما دخلت إلى البيت. كان سي ناصر مازال منكناً والكمان على صدره كما اشتهاه، وكما أوصي به قبل وفاته لم أسأل أحداً ولكني سألت والدي الذي تسمرت قبائلته عشا فثلث أصرخ وأبكي. بابا اعزف لي نشيد المارحة، فقد أحبيته لأنه يشبه شيئاً غريباً في حواسي لم أسمع إلا تمرلاني. احتضنتني أمي وحالها. مكبت طويلاً قبل أن أنسى تلك الصورة الصدية. فقد سرقت منه الذنوب الأظهرة الكثير من حواسه وحدت من حركته كان يتكئ على كمانه ويطلب مني أن اعزف له ما أشاء إلى أن يتم، أو يلفو.

كان الحزن كبيراً والفقراء دعوة بصمم وثقلا

واسيتي كان متعاطفاً جداً مع آلامي وأحزامي المصيبة. ولكنه لم يهين يوماً لماذا مكبت بعد أن رأينا فيلم السكافوندر والفراشة، عندما خرجنا من قاعة السينما. لم أقل له عن السبب لكني لا أحسره متعة المشاهدة إلا عندما راسلته ظل يكرر ليلى حبيبتي. أرحوك هو مجرد شريط حبيماني لا أكثر ولا أقل، قبل أن أرى السمعات ترسم في عيني عيني هو أيضاً وكأنه أحس فحاة

كذلك أيضاً

كان والدي قبلتي للوحيدة وسندي المعظم. لم يكن فقيراً، فقد ورث عن والديه مالا كثيراً وعقارات معتبرة. لم نعد في صباه سوى حمل محدودة.

الكمان لحبيبتي ليلى هي تعرف كيف تزدع فيه الحياة قبل أن تورد لا ننشأ البنات بعلق خاصة ضافية عن الأولاد خاصة التورث الجميل الثمالي لكم جميعاً. انتم أعرف الناس مثقبيهم وتوزيهم

القدان فخر وسلاح بطور إلى لطفيل ذكر الخواص الحرة في الامتداد يمكنني أن أعزف به لحناً راقصاً كما يفعل الفجر والإرلنديون. حواس الكمان رفيعة جداً. لا تتحمل الصخب. أعطت هذا من والدي وما زالت علي بأية

٢٣٥

لمعزوني واسيتي مرة أخرى هو كائنات. ويعرف هبلي جيداً

ثلاثون سنة وأنا امرأة الطل والصمت والورق لا أمشي إلا على الحواف. ولا مضاً لي إلا الورق. والظلال التي أتألم منها بحيث لا أهد براني. وأرى الجميع يتحدث الناس عني، قصدي من مريم. يشتهونني. يحبونني. يحسدونني. يكرهونني. الكثير من الرجال تمنونني في فراشهم، أو أماً صالحة لأولادهم الكثير منهم أيضاً تمنوا أن يوسوا للحرة التي يرحمونني بها بحثاً عن قبلة الحنة الكثير من النساء حسدنني في حريتي. والكثير مذهون أيضاً بأوا نورهن العائب والظن المتلاشي، في عيني الهاربتين

لكن، لا أحد منهم جميعاً سألني عن أكون حقيقة وسط هذا الكورس
الجنائزي العظيم الذي تسجي فيه أحلامنا المنكسرة.

لم أكن أعرف من نفسي ما كنت أفعل، هذه المرة بلغ
السليل الزين، وصممت أن أحتكي عن جزء صغير من قلبي الذي عشت مع
واسيني

منذ أن اعتننا مسالكتنا المقتلعة للزواج، صارت كل حياتنا مسروقة
وملونة بالمخاطر والخوف، أصبحت أفراحنا وأشواقنا تحسب بالثواني
والثقائق والساعات. لم يكن الحب سعادات متكررة، ولكنه كان ظلاً غاملاً
يصبى حمله ولا نتجاوز إلا عندما تسرقنا مدينة جميلة في آخر هذه الدنيا
الصاعدة

أحياناً، عندما تنقاسني الأحزان بقوة، أقول «ماشطاء من هذه الحياة
المرهقة، «ماشطاء من هذا الحب الذي جعل من العذاب لازمة وقيمة. الدنيا
مع واسيني لم تكن كما انتهيتها، ولكنها عاشتنا كما انتهت هي، وبمنطقها
المجنون، ولم تسأل أبداً عن أشواقنا وأهترائنا الخفية. فكما صممت أن
أتركه، زاد للتصالي به وكأنني أتخلي عن مصو حيوي من أعفائي، وصممت
كل شيء في وصايت إرادتي ونوابي. هذه المرة غبرت الاستراتيجيات فقد
التذنت قرارتي بتبصر كبير وتعقل وتفاديت الأحاسيس الطارئة، لأخرج
مهايناً من شرط سيدة الظل الذي وضع لي. صممت أن أقول كل حرائقي
الداعية لهذا، تحملت موت واسيني الاقتراضي في غيرة خيلت فيها
غارقاً بين حافتي الحياة والموت لكي أتمكن من استرداده عندما أنتهي من
تصفية كل حساباتي. لست ساذجة وخمسة، ولكن كان علي أن أفعل ذلك لكي
أخلص من كل هذا الزماد الذي بداخلي

ومع ذلك كله، ماأنا أعرف مسبقاً أنني لن أشفى من شهوتي للحياة وشغفي
بها وجموني. حتى هذا الموت الافتراضي كان عاجزاً عن تعطيل حواسي
الخفية التي كلما طنتها اندثرت. وجدتني فنيش بالحياة حتى وأنا على
الموائد المظلمة التي تشبه الموت ولا تريد أن تنطق باسمه.

كان واسيني بعيداً، وكنت أموت في العزلة والبرد، صممت لامرأة عانت
الخميرة والحلفاء، والورق ورائحة الصبر المنفسجي وطفولة الأجدية، ولمسة
العاشق الطيب الذي خطها ذات يوم من شعاع ظل متقدماً في عينيه
هل بقي لمريم شيء تقوله بعد هذا الخراب كله؟

www.rewity.com
^RAYAHEEN^

حاجتنا جميعاً ، لا لنهضة

هديمي

سبحي لعللي

أبو يونس أديب هذه الساحة البحرية لا أحد

استقلت إليك، فجلست مع عائشة من وهران إلى العاصمة، إلى بيتنا على الحافة البحرية، فقط لأشعر راحتك وأتكمس مسامات حسنة المتعب والخلق كل جراحاته المفتوحة أشتي اليوم أن أكتب لك رسالة خطية بالبحر الذي نشتهى بنفسجي عطره بملأى الآن، ووجهه بجناحتي وأشواقه تغمرني لا أكتب على الكمبيوتر هذه المرة في حظي البدوي شيء مني، وفي تحريف حمري الكثير من مزاجي

لقد هيأت كل شيء للقاء بك هذا المساء

هل أتركك بما يريدنا، لكي لا تسمى أمراً

أرجوك أهيئني بدل أن تهاكمي 'أنا أيضاً أشتي أن تكون كل لحظات العمر تأتي متقاسماً، جميلة، بما مبهول هل تدري أنك قللتني بذلك الفيلم الذي لم يترك في شيئاً كان يمتلك أن تختار شيئاً آخر فقد رأيت والذي وهو يموت أمامي لم أكن أشاهد الفيلم، ولكني كنت أعيش حداً قاسياً لم يتم أبداً وأعيش موت والذي الذي لم أراه إلا منكفئاً على كرسيه قبل أن يسكن على الرغم من أمي قلت لامي في تلك الصباح، إني متعبة، ولا أريد أن أذهب إلى المدرسة ولكنها الحث علي أن أذهب وأن وأدي بين يدي الله وبمن دعائها الطيبة

كان وجهه كافيًا ومنكسراً ولا أدري القوة الباطنية التي نلهمتي إلى أنها المرة الأخيرة التي أرى فيها والذي ولهذا أصبرت على أن اسمع أنيته

كنت أنظر نحوك من حين لآخر، ونحن نشاهد الفيلم واستغيت به ولتلك أنت أيضاً كنت تضع وجهك بين يديك كالطفل الحائر أنتي غلبت راسي وشعري لكي أخرج من الإسقاطات التي لا مناص منها تقبل راسي وننكر سخاها على قلبي، ثم تواصل المشاهدة بحيث لا أراك ولا تترني مشكلة الخوف أنها عندما تتوغل في الأعماق، تلغي كل المسافات الفاصلة بين الخيال والحقبة كل شيء يصبح هنا أنتظر كل كلمة قلها لي وتصل شخصاً من الحدود برفقتك من الأسماء ليس الخيال في النهاية لا أكتبك لعل لعللي منطقة صارت في مقال آخر وسعدي أن تحدث بنا

طوال الفيلم لم أر إلا والذي وهو يتعرب في صمت قاس

أفعل وأحاول أن أنسى كل شيء لكي لا أبتكي أحاول أن أضغط من حنايا الحفرة كنا في فراشنا الممروق من حماة زوجة بالية ومكروية ومهنة قلت لي يوماً بالكثير من الهبل والحنون وأنت لا تدري ما كنت نفعته في ليلى الجديدة.

- لو كان ليس المحنون يعلم ما سيحصل بعده، وأني ساسرفك منه في غيابي لأنشعر بين يدي الله الذي صنع نحوه قبل الألوان أحياناً أشتكر الله لأنه فعل ذلك لي وقت مبكر ومنحني بعض الحياة مزوجة بقدر كبير من اللجل

- قيس' أحرز كثيراً لمونه غير العادل أضرر دائماً بنظم سطع على عايش قدر نفسه أنه استمرارية حبة لأهزان ليس كان يفتش أشعاره السرية على جسمه بإبرة صغيرة، قبل أن يفسد بمحلول سلق جلده يوم موته أشتي أن يمنحني الله عمراً آخر لكي أتمسك من حبه أكثر فقط لندرك أن امرأة مجنونة وضعت حبايتها كلها في كل رجل هو في الأصل ليس لها وحدها لن أنزوجك لأنني أدرك اليوم، وأكثر من أي زمن مضى، أنني إذا فعلت ذلك سأفقدك أو ألتصق بكفني أنني سرحت منك أحمل هدية مايا الباقي لم بعد بيهوني أبداً ربما كان ذلك هو شرعبتنا الوحيدة في هذه الدنيا

لأن أفعالك حميمي بفواجر المعاصي فهي ثلولة من الجهتين
مما فعلت بك ومما فعلت بي أيها المحنون

أيها الثاني الغريب أما أن لك أن تتراح وترحني معك؟ كنت أريد أن
أنسك لفعة واحدة فوجدتني أخرجك فطرة فطرة بعد هذا العمر كله بعد
ثلاثين سنة من الخوف، ما زلت حارة كهذه الأرض، هل تريد أن أذكرك بما
فعلته لي يوماً ونحن في مدينة لم يسرق العاصرون أبداً بهاها

- أحبك ولا شهوة لي إلا الموت بين ذراعيك، وتحت ظلال عينيك

أيها المحنون ما أخطر ما كنت تقول به مسامحة

سعيدة أن للهروب الأبدى، أعادت إلي من جديد حياً وكاملاً كنت أظن أن
التيها سرفت مني وأن المعاصي صنعت لك اعتسافاً جملة في مدن أخرى لم
أعد قادرة على الوصول إليها. لكنني كل يوم أكتشف أن قلبي مازال لي

لقد نزل المعطر هذا الصباح على حافتنا البعيدة، وأرى السحب من هنا
وهي تحاول أن تتنازل قليلاً وتلمس هذه الأرض التي تغطس بسرعة وأحر
برغبة في لمس غيمة بتطسية كانت معزولة عن الغيمة وقريبة مني
أشتهي سحبتها محوي ووضعها على رأسي، واعتصار كل المعطر الذي يسكنها
في العمق ربما لأنني أشعر بالمعطر أنا أيضاً، مثل الأرض التي أنتمي إليها
والتي نسيت حميمي أنك اليوم خرجت من مغارة القصر، وأصبحت تتجول
في الحديقة وترى الفراشات وأنوار الله أعرف أنك كنت ستخلق في الحديقة
التي تشعر فيها أن جرحك سلبت منك شهوة العين قبل الموت نفسه تسببت
لفظ حميمي في العرة الأخيرة، حينما احتضنتني، أن تمنحني قلباً من
التيصير يجعل الأقدام أقل قسوة على هشاشتي

سعيدة لأنك بطير وحزينة للحد لأنني ما عشت أملك إمكانات كثيرة
لمقاومة غيابك، حتى رسائلك صارت تشبه البرقيات القديمة التي لا تحب
عن سؤال إلا لتتركنا مغليين داخل آف سؤال آخر واتساع الآن إذا بقي لك
شيء تقول لي. ومكان ثاوي إليه لعنت التي أحب ربما أتعبدك الدنيا ظم

بعد قلبها شيء يتغير شهوتك، بما في ذلك أنا، ربما لن اعترض، لسبب بسيط
هو أن رهائتي مع الله كانت قاسية، لقد طلبت منه لفعة أن يفلتني من موت
رأيت برعني تحرك بالقوى سرعة، وبعبدا سأتحمل كل شيء، حتى فراقه
ظننت أن يفلتني فقط، ولم أطلب شيئا آخر، ولا حتى أن تحبني كما كنا نفضل
في ليالي القدر، عندما كنا ننتظر أبواب السماء لكي تفتح علينا ونطلب من
الله أن يصير حياتنا حبيبة، وسرنا تسكنني أي مكان، في أية قرية
لنكنا لم أقول لها طول الصحة والعمر يا بما لك ولكل عائلتي، وحظ والدي
من أي مكروه، والتمناح في امتحاناتي وحباتي وأصبح عازلة كبيرة مثل
والدي تقول لي وهي منجعة في ترويض شؤون البيت حسناً فعلت يا ابنتي
والتي كان بقراً كل شيء في عيني، ولهذا لم يكن بكلف نفسه مساوئي، ولكنه
كان يقول وهو يحث على رأسي لا تفكري على الله من العظائم والأسمعبرك
شاعة كبيرة فتتزلق الإجابة على لساني لم أطلب إلا طيباً واحداً يوضح
ولا يسألني لا عن ظني ولا عن تفاصيلتي الطفولية التي أشعر بها بعد
فوات الأوان، لم ينقضي على كماله وهو يمتد اسمي هذه يا مابا، هي
على إيلغتك ومبرارك رمل المابه ويتعفن في إيلاعات مريبة بالعنبر

اشفاق إليك كثيراً، أكثر حتى مما تمنيه لحظة مسروقة احتاج إلى أن
أراك وأسمع صوتك وأسمع من إنسانك، واستمع إلى حكاياتك التي تروي
دائماً شوقاً معيداً أو لحظة منكسرة بدون أن تخسر وجهها نحو سعادة
محتملة أحد أن أصلي إليك وأنت تتحدث عن صفة الخطيئة عن موت كان
أكبراً ولكنه سكرت منه فهدراً احتاج إلى أن أصع أناهي المبرعنة على
تفاصيل وجهك لأصدق أنك ملائت هنا وأنت لم ترتكب أية حماقة في حلي
وهي حق نفسك

سعد حميمي في الخلق طولاً إلى أن القصر في حشوة رأسه، أي
يسمع لا لستريته من شيء لا يسخر منه أعرف أنك ملائت تسهر وتشرم
كما هي الساقط على الرغم من مصاح الطبيب وتعب الكتابة بجنون كمن
يلتحق بالمستحيل، لقد صرت فيها وصارت فيه، ألم تفكر يوماً أن الكتابة
أيضا يمكن أن تتحلى عنك، ونسني أنك أصبحت مهرداً مني، أكبر منها، طبعاً

سینٹی اٹھائی

الآن ملقاً الشبهت لشبهه عاب غصني منذ بدأت انظر إلى الساعة.

ثمما رفعه رأسي وجدت رقم صبعة مرتصفاً في مكان ما، في الساعات،
أو الدقائق، أو الثواني! هل هو رقم الثوم؟ العراة؟ الخوف للمبطن؟ المغموض؟
رقم الصلابة الذي لا معنى له؟

لا شيء، وليلد الصدفة، ولكن على أن اعترف بأن المهمة نحننا إلى تركيز أكثر بحسب أن لا اهتم بهذه التفاصيل لدرجة الإغراق والهوس، وأركز أكثر على ما لنا من أجله هنا فأنا في النهاية اخترت هذا المسلك لعدم شيء بخبرني من الباهل قد شيء جاء عن سبق إصرار وتقصص. وأدرك جيداً شعاع ذلك، القانونية والأخلاقية والحياتية

أريد أن أصرخ بأعلى صوتي. ملء قلبي ولاكرسي يا رب! لقد شعبت
من الظلم القاسي الذي يتمدد كل يوم قليلاً في. حتى ابتلعني وماتت أختني
مه.

فل ما أبا بعدد فعله، جنون؟ ألهمت رسائلني أوصاء؟

بعد الذي حدث، مستعدة لتحمل النتائج الوخيمة المترتبة على فعلتي. ففعلتي رسائل حميمة بكل أسرارها، وحماتها، وهواشئها بطلاها في النهاية شخصان من لحم ودم وهواجس وكوابيس، وهما مجرد لغة منزلة كشفاً شخصي، فكما حاولنا انقبض عليه، هرب منا أنا وأهني. الوسائل دليل قاصي على أن ما حدث لم يكن لعبة لغوية عفوية ولكنه حقيقة مرة ولادة

سيت أن تقول: إن ما يخفف من حومي ومزوني، هو أن بعض هذه التواريخ ستل أن حيرة والسعي في زوالها بعد أن حيرة والتمسك بالظن أن ما شاء الله تعالى من أجل طاعة وجهه بعد أن أوفى وسأل على ما أعطاه من التوفيق والبركة والهداية والهداية والهداية.

لا يهزج نفس أرجونه فكر فقط بالساعات القادمة اهتتم كثيرا بنفسي.
وبغضك، وباشواقك الحميلة، من أجلي وهران لم تغيب كثيرا، وبحزن على
تحافة ما زال كما في مده الرحلة، عقوباً ومدهشاً عندما تلقاني في الأيام
القادمة، فتتظن مهمة خطيرة وثقيلة، هي إسماعي عليك أن تكون صفة
جيدة، حتى تنجح في ذلك - ويس تروح مني يا بنتك - فلا رطبك إلى
سحر لا يفك استسلم. فلا حل لك في الدنيا سوى أن أراك صغيداً مع لك
يرتاح قليلاً متفكك ليس إلا صرخة ضمنية لتحافظ على نفسك. علمت أن
تصلي لها بقليل من الحكمة، ولو أنني أعرف سلفاً أنك تفراني وانت تقول
في خاطرك أية امرأة هذه كيف أصبحت هذه المحنونة عاقلة حقاً؟ أصبح
عاقلة من أهل الحفاقة عليك إدامة حبنا إلى الأفاقي، ولو كان ذلك على
مهاوي الحافة أنا سعيدة بذلك المهم أن تغل حياً وكما حزنات وشعرت
بقهر أثنين سافرت باتجاهك أو قلت منك أن تأتي، لا لشيء، فقط لأستد
رأسي على صدرك الواسع على الحبة الأكثر هشاشة وإحساساً الجسري.
واعود في اليوم التالي إلى موتى المتواتر هل يكفي هذا لأفناك منك تعني
لي الكثير، حياتك حياتي،

ملاحظة لقد قضيت الليلة في بيتنا في الحافة اتبحر جميل ومدفئ
يسكونه غير اتعادي في مثل هذا الفصل أنا أجلس بجوار المدفأة القديمة
في الزاوية التي تسميها زاوية الغضب. لأنها الأكثر دفئا دخلت من الخارج
مبللة من راسي حتى قدمي. على الأقل هناك سماء رحيمة فوق رؤوسنا
استقيمت أن ابعد لك برصاة جميلة، مبللة بقطرات الحافة وملح البحر
من حين لآخر يستهي أن نكتب بالتفاد، وبالخير المنفسي ونشم رائحته
المدفئة. فهو يحسننا بوجوده غريب على العكس من لوان الكمبيوتر. فهي
سبيلة والقدرا حزين غامر ولا راحة

المعروف بـ "مجلس القضاء" في القاهرة، وهو المجلس الذي كان يترأسه الرئيس.

— 124 —

الجزائر العاصمة على الحافة البحرية. شتاء ١٠٠٠

لست أكثر من امرأة عادية تحاول يومياً رفع الرجل الثقيلة التي وضعت على ظهرها وأجبرت على حملها مريم

لست امرأة من ماء وصمغ وحمير وهيميرة معجونة حولت إلى ورق

لست هواء متسرباً من فجوات التفتق الموصدة لست عطراً أتبع من عجم وروائح ورائحة خيطاً من التهوراميين. لست لمة فجيرة، ولا فمة طير ناز. في صاء وردية. لست ملاكاً، كلما أحس بالألم نام على حفاحيه لا شيء سوى امرأة من جنون وفنائل القنابل الموقوتة، هشة مثل غيمة، تحب الجنون، تكسر بلا ضم كل من يسرق طفولتها، تشتعل غيرة كلما فضل عليها حبيب امرأة غيرها

تلاذذ حنة ونحن نذهب من الحماة حلماً في العيش سرا. وتسرق منا الصدف القاسية نفسها الجميل دخلنا في الفراش بنفسه مئات المرات في كل مرة كانت اللذة استثنائية، لأنها كانت مفهومة ولم تكن مسهلة. كان الموت يتهدينا بلا رحمة في الحافات المختلفة كان يمكن أن تسرق من الحياة القاسية عرشاً من الأطفال أدعنا في كل الحماقات وأعتقد أن التمتع الفزائوي بكل خياله الواسع، والسرطي ماغلقة اللقحية وسراحتة، والتيفاشي مهله، وغيرهم، كانوا تلاميذ صفراء أمام جنونا الذي لم يكن له حد يولفه حارياً صدام الحضارات متفريق شقة الجمون الغروي والشرقي وابتدعنا صيفنا الخاصة الكثير منها غير معروف، يحمل حتمنا السري الذي لن نغشيه لأي عاشق. مازكة مسجلة ابتدعتها مخيلتنا، وسأخذها معنا نحو القبر. أناثانية هي كذلك ليعن

- ٢٠ -

اكتشفت في نفسي مواهب غريبة لم تكن لدي من قبل، أو على الأقل لم أشعر بها قبل أن نغمرها في بعضنا كالأفلام اللذيذة والمثالية لم تكن حياتنا المشتركة حصاراً دائمة على الرغم من سطوته القاسي لم تكن رسائلنا قاسية بلدور ما كانت تعيدني من حين لآخر إلى حالة عريضة من الصفاء المعدل الذي كنت أفتقده

سافرنا عبر العالم، ولم نسأل عما يمكن أن يحدث لي غداً، ورجعنا، يسأل لاشغال مايعودين من دهشة ما عساه، هل كان حلماً أم حقيقة، وربما مدناً كثيرة، ومُشاهد لا تحصى وكنتنا بصحبة مشتركة لم ينشأ أي منها بل إننا وجدنا لفتنا التي تحمينا من سلطان العيون الهادمة كل شيء مارسنا وبدل في قمة الرغبة المحصورة للتكرار، ولم نشع يوماً من بعضنا البعض، كلما التقينا، شعرنا بأن الجوع الذي فينا أكثر من أية قوة بشرية لدرجة، لني كنت أشعر بمزاجيات كغير عندما كان واسيني يُحال في اللذوات والمتنقيات من هي مريم فتى تتكرر في كل أعمالك من ابن حاتم، ما سرها، هل هي انسان حقيقي أم مخلد شخصية ورفقة، فنجيب للصحفيين باستمارة إجابة فلديهم "الطفولة، عندما سأل عن مادام بوماري، فقال تمام بوماري هي أنا، مرتكزا على ما قاله قبله لويس الرابع عشر، مثك فرنسا عندما كان فرنسا هي أنا كان واسيني يشتم بإشراق قبل أن يجيب مريم هي أنا حبيبك على أي أسعد في بدء حكاية حبيبك

هنا أسعد امرأة من الدنيا بأني شد أفردت إلى حبيبك على حبي زكريا لثقتك الطفولية كانت تضمكني أكثر مما تونيني، قبل أن تسطو مريم على كل شيء جميل من وده أيتها، ربما كانت تلك أحمل صورة أحسنتي بأني أصبحت شيئاً آخر غير ليلي الممتلئة التي كانت تعيش داخل فتلها العاطفي المتكرر

لكن أحمل الغيوم وأحلاها، لم تكون احبائنا فارغة وجافة، إصراري على الحياة منحني حقي في الجنون، ميراثي الوحيد من حياة كانت مليئة بالعواصف والانكسارات والأحلام التي ضلت مغلفة في الفراغ كانت المدن الجميلة ملحننا الرابع، وهي التي أصابتنا بمدوى الأسفار سافرنا بلا هداية على الرغم من عيون العيس كنت أناطاف عيون الكارتيل للمثوقة في كل الدنيا، ارتدنا مسارح المدن الأنثقة، والمسارح الذهبية الجميلة التي أغرقتنا أنوارها، ذهبنا إلى الأوبرا التي قادسي هوس واسيني وجنون واسيني الرابع، نحوها، لأصاب برصهما نفسه لا أمارس محباً، ولا تستيقظ شهوة جنوني إلا على الموسيقى السيمفونية عوراسي على الهول ثم ألقيا بي في فراع التربة



شاهدنا الكثير مما أنتجته فتناوذه الأرواح الطيبة وهم في قمة العزيم
الموسيقى غطاء استثنائي. نفس الألفة في لحظة توحدها مع مخلوقاته
من حلاق ألبانيا لروماني في روما ذات شتاء جميل وساحر. ونعمو
الشار، لسترا فانسكي، بالمدينة نفسها كانت سبينة على الرغم من أني
شعرت كثيرة في القلب، وبأسئلة لم أكن قادرة على فهمها ولا فهمها. له
يقعني واسيني ومها بعلافتها بالشابة الروسية أنيا التي شكلت تعلقها
كلامه عن أنيا كان عاجزاً عن أن يحسن سراً أبهى. الثاني المسحور لومزا
في فيها التي كان دفقها لا يضاهي طوسكا لوتشيني في السروح الحلق
باستوكهلم. ثريستان وايزولد لريشارد فاغنر، في أوربا باروت، بالعماء
التي حلفتني وبكرتي بصداقة خيالة التي لم يمتد إلا بمرحلة كالأوهام
وقداسة فاجنر العالقة. وكلمن لبيزبه، في أوربا غارنبيه مياريس ولا
أعتقد أن إنساناً أصيب بها مثلاً أصبت بها بقوة وحضور غابدة له في
في الأهرامات بالقاهرة، لارتباطها في لاسكالا بميلانو بحجرة السبع
لسترا فانسكي، في أوربا فينيسيا، البؤساء في برودي نوبيرت. حبيبته
في أوربا سان فرانسيسكو، القصص الأربعة لفيفالدي التي رأيناها في أوربا
كوتشيتا البنية على حافة الماء وبضوء لوسكي كوكسكو في
موسكو، في مسرح البولشوي الأحمر

-3-

أذكر الآن، وكأن اللعنة هي التي استرجعتني بكل قوتها وأبى عنها
كنا في روما، مازالت تحت وقع سيرة عصفور القلب لسترا فانسكي في
أدراج فيها طريقته الخاصة في استعمال الكمان، أو ما كان يحفيه في
ناصر، بالانزلاق الهارموني Glissando harmonique، التي كانت تقفني
اتزلاق الأصبع على التوتر بدون ضغط الأصبع بلامس قليلاً الهارمونية
الطوبعية للوتر فقط استعمله سترا فانسكي لتقليد صوت العصافير، وقد
نح في ذلك، إذ أعطى الانطباع بأن الأصوات المتناغمة كانت حلقية، ولم
يلجأ أبداً إلى المؤثرات الصوتية الخارجة عن الموسيقى الأوبرا صلات ليلتها
هوائاً وحزناً دخلنا بسرعة في سحرها. كانت حزينة ومذهولة في المزاج
الحفي على الكمان لشعر أحياناً أن في صوت الكمان شيء مقدس وحزين

كنا ارشاعاً بالفقدان، لا أعرف مصدره ولكنني أحسه بقوة. كنت أرى نفسي
في السجدة في عذوبة الكثير من السجدة حيث أحسها من غير قصد
أن قادراً على الانفصال عن والدي، في ناصري الذي كان يلمس على راسي
وأصابعي الرطبة والناعمة، ويحس في راسي حركات يديه العنيفة
على ترتب الأصوات والأوتار في الكمان. ويحزني من الضرع الذي يفلل
الإفراح لأنه لا يعطي للثوة حلقها الطبيعي

- هكذا عمري بهدوء هذا هو نظام الأوتار

الذي حلق اللغة التي تلتصق في اللحظة نفسها بالقلب

سواء لم يحن في الخروج، تخرجني ليس فقط الحيوط، ولكن الثوة
التي تلتصق بالأصابع هما الأساس في الكمان

كل الأمر يدور لي مستعصياً في البداية، ولكن مع الزمن، وبعد
الاستماع في خصائص والدي، أصبحت الأمور أكثر دقة ووضوحاً كنت أريد
في كل خروج الثوة وضعها، بمجرد تمرير القصبة عليها

أنا أبدأ روما بتدليل على الرغم من أني لم أستطع أن ألتصق - الكثير
من الأشباه امتزجت كانت مشتتة له كثيراً ولم أكن مستعدة للعمل أي شخص
بعك صفونا من أجل عيش حنوننا، ففرت فوق كل المواجهات العظيمة. فقلت
لأكون معه وله وحده، في تلك الليلة لم يكن قادراً على استيعاب ذلك، لأنه
كان يتحرك بحرية أكثر، ولم يكن بمقدوره أن يدخل في جلد امرأة متزوجة
حتت من أجله بعد أن تركت ورائي كل شيء. في الأصل، كنت في برلين مع
الفرقة الدراما الروسية الوطنية من هناك اصطفت فرصة الهرب نحوه لأسهر
معه ليلة في أوربا روما، ثم أعود في اليوم التالي المساءات في أوربا
جماعة أكثر منها حليفة. كل شيء مني لم يمتصلاً وقريباً. استغللت الفرصة
لأسأله عن أنيا، طالمة الروسية التي تحضر معه دكتوراه وتساعد في عمله
في الجامعة التصلت به كظله، منذ تلك الأيام الصعبة شجرات على فعل
ذلك، لأنني رأيت ليلتها في عينيها برغماً من العشق لم تستطع إغفائه عنى لم



ليلتها لم يكن واسيني كما أشقيته في عصفور النار، حبباً شبيهاً للآس.
إيفان تزاريفيتش، ولم أكن حبيته زاريفنا zarevna، التي أثارته شجرة
فرغص وراهما ليلاً، في غابة مسحورة، وكاد أن يتحول إلى تمثال، مثل من
سبغوه، يؤث قصير الشرير كاشيتشي Kachichei. لولا تدخل عصفور النار
ذي الأجنحة الأجمرية الواسعة، فقد خلط وجود أنها كل شيء، وفقد اسمه
بيني وبينه حتى في الفراش. رأيتها ناعقة وتقبله، لأول مرة أخاف من
وجودها بجانب واسيني. كانت جميلة وساحرة مثل حبات ستر مسكي
تعرف كيف تقوم معشوقها للإجهاز عليه نهائياً، تملك أداة الغواية
لغض برقع كل ذي سلطان.

كانت تحبه، ولم يكن قادراً على إقناعي بغير ذلك.

واسيني لم يمدني ليلتها عن مالي عصفور النار الذي امتلأنا به طوال
فترة المشاهدة، ولم يجبني عن جوهر سؤالي عن أنها، ولكنه دخل في كابة
وعزلة لم أعدهما فيه من قبل.

كانت سطوة الطبيعة والحبرة كبيرة

سمعت تمتعة تأتي في آخر الليل، من تلق بعيد، من قلبه المنكسر

- متعب، أريد أن أنام

وكان علي تغيير نظام الليلة كله لم أكن أشتهي العودة إلى برلين بشبح
آخر في حبيبتي اسمه أنها. لم أكن قادرة على ذلك أبداً. دخلت روما مبتلة
بواسيني، وكان علي أن أخرج منها بهذا الإحساس وإلا سأموت

سألته وأنا أنفوس ملامحه وأعبرها برووس أصابعي وكأنها أجنحة
فراشة هشة، كنت خائفة من تغيبتها وبعثرتها

- انش ما قلت لك حبيبي - لا أريد شبيهاً سوى سماح قلبك وهو يدق ولا
يتوقف عند التفاحيل العابرة ليلتنا أكرم من كل هذا القلق الشقي. احك لي
عن حبيبي الذي بهت كل شيء من أجل أن أرمعه عن واسيني العنيد الذي

فجأة أن الصدفة مثل القدر، تصنع مصاراتها خارج شهورنا. احك
لي عن حبيبي الذي يرفض أن يكرر ويصر أن يظل لزعر الحمصي الذي يفرج
إلى صباح وهو ينظر إلى الشمس بعينين مفتوحتين، فقط ليمت لها أنه قادر
على النظر فيها بعينين مفتوحتين حتى ولو جرحتهما الأشعة احك حبيبي -
حبيبي - لا تتحدث أبداً. لهم قلبان قبل أن يسقط من حباتي مني
أبداً لا صبرة لغيرك الحبيب التي يمشي في واسيني من أجل...
يحب... ما فعل شياؤني كل صباح عندما أفتح عيني لأبصر الشمس...
في الحمصي، ولكن أسجد عند قدمي الصدفة، أقبل رجليها ويديها، أطلتها
حتى الطويل ضد العرود والشمس القاسية، وأشكرها فقط لأنها وضعتنا
في المسالك نفسها. احك يا لزعر الحمصي... احك حبيبي... طفولتك أكثر
حكمة من حماماتي وعبرتي

أول مرة، أرى انشامة حزينة ترسم، تتشقق بلون اللبنة الخافتة،
وبأنوار الشارع الفارجية التي انكسرت قبلها على شفتيه

وقتها - وقتها فقط شعرت بأنني كنت مصدر الانتصار على الصمت

٢٥٤

من سين اتي ليلى

هذا أنا، وهذه ذاكرتي المشتعلة

ليلى

كثرت في كتمانك العذبة، وفي ليلته روما، كثيرا

ماذا حدث لك؟ هل كان من الضروري أن تفتوق في كسر عميق؟ ألم
تكتفينا القصائد القديمة التي تؤثث ذاكرتنا المتعبة؟

بعد كل هذا العمر من الشجن والتماني تسانيني من أكون؟

لم تكن أنيا أو انجنية للمسحورة كما تسميها، إلا مطعنا لاعاد
اكتشاف أنفسنا المرفقة والبحث عن شلالنا المفلوذة لم تكن أنيا لوجدنا
ولم تأت من أجلي، ولا حتى من أجل أوليغ ليس صعبا عليك ابتها العائنة
أن تتخيلي أنه يمكن لامرأة مجنونة أن تترك كل شيء وراءها، بما في ذلك
عملها من أهل صاعتين من المشاهدة امرأة خارج منطق الأشياء لو لم تر
أوبرا عصفور النار، في طبعها الجديد، لا تتحرت قد أبالغ، ولكنني لست
سكتة

ليلى الحسنة

- 'توريم الصراحة. لم أعد أعرفك عمري' من تكون؟ أصبحت غامضا
في آخر الحضور

هل تدوين ولع ما تخولبته؟ لماذا لم تطرحي علي هذه الأسئلة في وقتها،
يوم التلقينا لأول مرة؟ ربما كانت الإجابة أهون وأقشر امتلاء كنت ممثلا به
وأنا استغفلك في المطار وأنت فائمة من برلين كنت في داخلي غير مصدق:
هل سأرى الليلة ليلتي؟ كنت حائطا من الموت من دهشة رويتك واللقاء بك

لست أكثر من الطفل الذي تعلق بك هجاء. لم وضع بين أنامك الناعم

سنة محرو أخرف مبهمة، ثم هرب خوفا من مواجهة رفضك

نريد أن نعرفي كيف يدق القلب من اهلك؟ من أين جاء ذلك الطفل
المجنون الذي وضع حياته كلها بين يديك؟ أي عطر يحمل في كفه، يزيحه
علي جسدي كلما التقى بشد ليدخلك في دواره المستمر؟

ليكن عمري، ها أنا ذا أنصاع لسؤالك قبل أن أنسحب من عينيك كما
لعلت الانوار والألوان والأحلام والمصافير من قلبي أشتي اليوم أن أضع
بين يديك ذاكرتي المشتعلة التي ترفق أن تذبل وأن تروضها الاقدار
لاطفانها نهائيا. ربما وجدنا صبيلا جديدا لإبادةها وإيقاظها من سبورها
ومسانها للمزمنين

قلت لي في آخر قليل في روما، وأنت تمحطين عن كتمانك الهاربة، أن
اعيد علي صممك حيفتي المسروق وشدوي بعدما سكنت، قلت لي مثل
الطفلة الصغرة، اهك لي قليلا عن نفسك قبل أن يأتي غبرك ويسرق تلك
وعثوانك الحميل ويروضه كما يشتي قلت لك من أين بدأ هذا الخوف الذي
في؟ قلت، من حيث تكون قريبا من انقاسي فقط قلت أنا الآن صرت قريبا
منك، قلت ليس بالتشكل الذي يجعلك في

همنز نك وضعتي دور شعلتين عارفين سر السحر بينك والآخر
ماتحيلة، ونار الخوف عليك من جنونك التي كانت تزاد كل يوم اتساعا

المطر الليلية، في التبريات لأر غلظتها ليلي الأنسطة التي تخدمها بالدار
لا أعرف بالضبط من أين أبدأ وكيف أعرف كل مسروقاتي وهدفي الجمينة؟

أنا بالفعل ابن الصدف

ضحكت وأنت تدبين رأسك إلى صدري

- اهك عمري بجلد. ربما قريتنا الحكايات أكثر من معانينا الفاسي
نتراجم الآن في ذهني كل الأشياء دفعة واحدة كما في لحظة الموت
الأخيرة

هكذا ينتهي كل شيء في رشة عبر نصيب مجرة تقار في الذائفة
كانت المقبرة ضيقة كوطن. والربيع لم يكن ربيعاً
ضحت عيني عن أحدهما. لكن اشبع من الألوان ولكي لا اظن شيئا يوم
اموت

أول مرة مبتاهني هذا الشعور وأنا ألق أمام الموت الذي أصبح له حبه
وقضاء واضح شيء غامض كان يشتعل في داخلي كالحرائق الخفية لم
أكن قادراً على مقاومته لأنني كنت عاجزاً عن ملهم أسرار

هكذا يائسون - ويصمتون يذوقون - ثم لا شيء لا أحد يسأل عنهم. كأنهم
لم يكونوا يوماً ما إن الموت ليس قهراً فقط. ولكنه آلة محو فاسدة -

لست أدري كيف جاءني هذه الحجة وأنا ألق مع حفنة من الأصدقاء
على قبر الكاتب الكبير محمد ديب. استأناني في الحكاية ومعلمي في
التفاصيل فقد ملأ الدنيا محبة وغداً أحباباً متعاقبة دفنا في مقبرة
مسيحية صغيرة على أطراف باريس لم تجد له زوجته الفرنسية مكاناً
ولا في مزرع غامضة التي كانت قبل هذا تسمى عيسى لم يجد في المقبرة
إلا كلمة أيت التي تعني في اللغة الأمازيغية آل لقد كان ديب أباً مؤسماً
للأدب الوطني المكتوب باللغة الفرنسية. ومناضلاً من أجل وطن خالده
وإنسان عظيم وعبد لله والوطنية أيضاً لم تسلم أمة على حبه وفكره على حثي
بعد ذلك بسنوات إذ نشر آخر موصوفه عزاً^{١٢} بعد وفاته

على قبره ما بقي من عزة. ثم لقيت فيها أمة مصر في
ولا طعم. إلا الإحساس العميق بالخوف من موت غريب على لغة الحب
والعزلة وإشارة منكسرة هكذا نطقني جميعاً داخل دائرة كل يوم تزداد
فصلاً كان يمكن أن يتحول موت الكاتب الكبير. إلى تطاهرة وطنية لو دلف
في وعته. هو الذي قضى العمر غريباً في لغة غريبة. يبالغ عن وطن يفدو
في النهاية أنه هو أيضاً غريب كان يلق في لحظات خلوته لم يعد لي
من وطن إلا لغتي الهاربة مني وطن الكتابة وحده سيجز. وسيفقدني بين
أحرفه وسيفقدني بكل المعاني الجميلة بلادنا البعيدة. المتوارية خلف

المتوسط والجبال الفاصلة ومحيط من التكرار لا تعرف أبداً أن الكاتب
حظ للأرض التي يولد ويترى فيها لأنه عينها وفننها وملحها كان ديب
محلقاً بالأوطان تنقلت باستمرار صوب التيفاز والتفرغ لكي لا تروى جرابها
في عيون الغائبين والكتاب المغلفة قبل التوفات الجرح الذي صر الكاتب
كان صبراً وعظيماً ولم يكن بإمكانه إلا أن يموت وحيداً بعد أن عاش أكثر
من خمسين سنة منفياً في عزلة لا شيء يملأها إلا الكتابة والتكتابة فلهذا.
ورائحة غامضة تشبه إلى حد بعيد رائحة الأرض الأولى

أول مرة كنت الذي كان يدور بصمت في رأس الحفنة التي وقعت
على قبره على كل موت جميعاً هكذا. في صلب هذا الربيع الذي غابت
تسلياً. حتى مساحة قبري في أوطاننا. ويبدو أن فراجيديا المتقي
لا تلبث أن لا تترك أي وقت لتضيقها للتفكير. فتداهيها برسائلها
تتبعها تسلياً

أول مرة كنت الذي كان يدور بصمت في رأس الحفنة التي وقعت
على قبره على كل موت جميعاً هكذا. في صلب هذا الربيع الذي غابت
تسلياً. حتى مساحة قبري في أوطاننا. ويبدو أن فراجيديا المتقي
لا تلبث أن لا تترك أي وقت لتضيقها للتفكير. فتداهيها برسائلها
تتبعها تسلياً

اليوم عندما تنفث نحو. أجدي ضابعا داخل المسافات العريضة
التي لا تنتهي امتدادها يمدو لي أن حياة الترحال أصبحت لداً سبباً فيها
فاسياً فقد ورثتني عن حدي ومضان الموريسكي. الذي عندما انفلتت عنه
سبل الحب في فرناندا القرن السادس عشر. التفت نحو العروة الأخرى
ثم عوى بأعلى صراخه كالذئب المحجوج أعتكلاً تكون الأوطان ذاكرتها

ويسرق الحنين على مرأى من ضاعه لم لم قته. أو ما بقي منها بعد رماء المحرقة التي أكلت كل شيء. وولى وجهه شطر مدينة الماروة^{٦١} التي حملته سفنها وأقامت به شحوا أرض لم يكن يعرفها ولكنه كان يحس بأنفسها قبل له يومها أحذر لا تذهب نحو تربة جافة لن تمتدح إلا الموت سبيلك أهلك غشاه فلا أحد يعرفه قال وهذه الأرض التي شيدت عليها عصرأ لهما لم تعد لي. ولم أعد لها لقد عرفنا بعضنا البعض. ولم يعد لنا رغبة لاقتسام فتحة الفرائس المشتركة لن أبقي بين أناس لذتهم الكثير في حرق الكتبة من بحرق حرفاً واحداً كأنما أحرق القلوب جميعاً. ومن أحرق ورقة واحدة بها لغة الحنين والوحشة. كأنما عزى الناس جميعاً ساهيم على وجهي ولينحنني الله بعض القوة للوصول إلى هناك فقط. ولا تأكلني بحار الخيالات المستنيرة قبل له يومها أذهب ما دمت تريد ذلك ولكنه ستعود الظلي دائماً شيء مؤقت. يبدأ بكلمة غابرة و ينتهي بسؤال محدد قال وهو يضحك بمرارة متذكراً الطرون الثمانية التي فضاها على التربة التي فتح عينيها عليها. ويأتى مدتها بماء الذهب. ولها بمسحوق المحار والجوهر عندما نخط الرحال في مكان ما ونستقر فيه. لا وجود للموت بعدها المنقى ليس لعبة مؤقتة نفككها ونرميها كما نشاء. حلقة مرة. تنام في عمق كل الأشياء الحساسة تأكلنا الحياة. ولعز عندما يطل علينا الموت من شقوق النوافذ تفتق في أذهاننا أرضنا الأولى. حينما الأول. ونربنا الأولى. وحتى حملاتنا الأولى المعض عيني. ثم ضلعت عليهما بقوة لكي لا يرى شيئاً أبداً. وسافر ليستقر على حافة بحر امسيرا^{٦٢} في أقاصي بلاد كانت واسعة كفارة قبل أن تلتد على أعناق ذويها كلغنى الحر والأحجار إلى اليوم. عندما يكون الجو جميلاً وصافياً من كل الضباب التي كثيرا ما تغلف الضباب والغابات والبحر. تبدو جمال إسمائها واضحة وهي تخرج من عمق البحر. في شكل جزر صغيرة أعنف أن جدي. في لحظات الألم والغين والتعب والصفاء الأذهن كان يصعد إلى أعلى قمة من قمم جبال امسيرا. التي تملوك منطقنا. ويرمي بصره بعيداً مخترباً كل الحواجز الطليعة ليستعيد أندلساً صارت اليوم نثار حلم مستحيل ومحدد صور في الأذهان وفي البطاقات البريدية القديمة

نعلني عمري وشوقي الهشة

هل تدريس لشي عندما حدثت حطائي للمرة الأولى في ذلك الشتاء فصار لم أذكر الشيء الكثير من حياتي المبسطة واليومية. ولا حتى وجه طفولتي الأولى التي رفضت أن تتخلني غنى وفلت تمنعني وتنتسب بي وتزلق من خللي كالقطار الهارب. فقد صار كل شيء أمامي أبيض وأما وبها ليون ولكني لم أستطع أن أتغاضى فقرة حدي رمضان المورسكي الساخرة من الحياة وهو برحل بمتبه رايته يومها وهو يطارح النفس الشستاني المصيح بالرمح والسيوف الحادة والشود الثقيلة. محاولاً بكل ما أوتي من قوة. أن يحمي كتبه أو جزءها الأهم. من حوافر صحاكه التلفزيوني المراسي. متخيلة الأمحة ولبعة التبريد المتشعبة

المصنعة يوزي ويوم حدي الأندلسي كانت كميوت أكثر من أربعة فروع ومع ذلك. وأما أحمل حطائي بمنقطة ونفس مقفول. رايته أمامي. بنظر الي مسرر لم بلغت نحو جباله الأولى التي لا يراني أرحل بمتهم وهو لا يدري انه كان يعيش إنما معزلاً لثمانية فروع ونيف. وعدت في الغاية كالمسحاة الفارغة هل كنت مجرب معمر صغير يحدث عن احترام له وعن مغامرة تغلف به إلى التواجبه إلا يوجد شيء أكثر رحمة من المناهي القسوة سلب على عاشق لمدينة شيد حننه فيها فله خارجها لا توجد المناهي المولفة يا واسيني يا ابني إلا في أذهاننا المتعبة. كما لا يوجد موت مؤقت محي عندما يموت يموت إلى الأبد هل تروي فلاحه الأهدار ولا دراية ولا عضدنة مسلفة. كنت اليوم بما فعله جدي وكان الزمن لم يعمل إلا على تأكيد لراحديا جمعائر هذه المرة كنت مظهرها من بشر من لحمي ودمي وتراشي شبيووني في كل شيء إلا في البين الحاتل كل ما كان قى كاز حشا ومزقاً ومهزأ. وكانوا على دراية حتى بالباس الله يفيين الوحيد كان هو الحرية في أن أكون أنا كما اشتقي لا كما يشتهون. قدر ما أستطيع الحرية فقط لم يكن العطب ضعفا ولكنه كان مستحيل التحمل بالنسبة لليليين. بينما هم سنة الدنيا التي شبروها على كلمة ونلخوا فيها من روحهم حينئذ أرادوا كل شيء على صورتهم. مجرد عصابة قامت بالخلاب

سجدة ط

في انظاره الشئوية التي سمعته في باريس في ١٦ ديسمبر من سنة ١٩٩٢، تساءلت وأنا معلق في الفراغ، بين مثير كان يسقط من تحتي وفراغ بلون السماء بالترققة هل هكذا يبدأ المنطق، بلغة لفظية لا تفرد مرادفها ومعانيها، ثم بتلعة مهممة تظل معلقة في الذاكرة حتى عندما ينتهي مفعولها ثم يسأل مرثي يظل يدور في مكانه بحثاً عن إجابة مستحتمة سمع الحبرة أكثر مما يملكها، أدركت يومها ان ما كان يبدو بعيداً وبتلاذ كلما قرأناه لأن شجاعة الكتاب تبهرنا، لا يحدث الآخرين لفظ على هذه الأرض الواسعة لم تكن أعرف وأنا أقرأ عن عشرات الكتاب الذين اضطررتهم انه اتصحو إلى المغامرة، ان المسألة ليست مجرد قسم من متعة، ولكن مصائر مخلوقات أرضية، تتألم وترتعب، وتفلز من نومها حزناً وخيفاً، وقد تمتعت انتحاراً، بالسكينة الظلمية أو بالاضباع في بحر الحياة الذي لا يرحم أي صراخ يغلي عليه مريضانات موجه

في الدنيا، يمكن للمنطق ان يمسنا نحن أيضاً الذين نعود في لهذا اليوم وننسى ان مرض المنطق يمكن ان يصيبنا كأي داء آخر، ويجرفنا بلا

سند في حد فاصل الحسد عن حبه

حسي الحسية

لست لحاسباً عليك ولكن امتحيني فقط بعض الزمن لكي اخرج ما في نفسي واثرتي من شجن، لتعرفي فقط ان الولد العاق الذي يحبك بريد ان يتوار حديقاً بك فهو لا يحمل من الأسرار شيئاً آخر سوى ما يقوله لسانه تحضيني لوقت ثم انسحبي ان شئت بعد ذلك

هذا أنا إذا أبخلك في مشاحنة قلقي أنت من استقرت سري ونفسي المنطقي نفسي أو تغفل أن ذلك لا يحدث إلا للآخرين وأنا في مملأ عن كل ما يمكن ان يربك راحة الآخرين قد يبدو المنطق مجرد كلمة صغيرة ولكنها مثل النار تحسني وراءها إرثاً قلباً ومرا، مخترعاً ما لا يتوافق والفقار ومولداً بالسعادات البهية، الممزقة من بين الأصابع عشائر الزلزل فكلما سمعت كلمة منطقي، يتحاشى إحصاس غريب ما بالباطن، وهذا السؤال المرفق والنهش ما معنى المنطق بالنسبة لقلبي مدفاً الأول هو عقاده ولغته التي

متأهب بها كما يقول رولان بارت^{٥٧} هو منطقي أصلاً من حيث هو كاتباً فلفظاً يصنع علماً بوجاهة، يصح انك تسعد الحسية التي تحسني الحسية الحسية، ولكننا لا ننسى في نهاية المطاف إلا إلى اللغة ونظامها الصارم وأذن أبرز بتخلي هذا المعنى العميق الذي تشتمله هذه الظلمة المولدة للحول وتختلف الاهتزازات الداخلية، هل المنطق هو افتقاء الأرض التي شيد عليها الفنان ذكركه و أشواقه، فقد من أرض يملك الكاتب إذن، أرض الطفولة التي بقدرها في من مبركة ولا تستعبدنا إلا الكتابة منبهاؤها المختلفة وخيالها الذي يهزنا بمتعة كلما نولنا فيه، أليس فعل الكتابة عن المكان هو اعتراف ضمنى بالفقران، هل هي أرض الشباب، التي سرعان ما تغلف داخل مجتمعات مختلفة تعاسد في حيك وفي تفلسد لأنه لا يشبه نفسه الآخرين إذ يخرج عن نظام المجموعة الذي يجب ان لا يخرق فليس لك، في نظام الحياة أن نجح، ان تتحرك كما تشتهي، أي أن لا تكون أنت ولستك تكون الآخر الذي يشتهي ان يرى صورته امطهورة هيك مما حضركه إلى برد أرضه والذهاب بعيداً نحو أرض أخرى وربما كانت الكتابة واللحن هما وضعت الموازي، هل المنطق إذن هو الارتحال عن أرضه حتى ليست هي أرضه الأولى، بانحاء أرض أخرى يفترض أن تحبك الأمان والمحبة ومعضا من الراحة والحرية خصوصاً فالتنقل لو احتل بالرفقة في تعيش واستمرار النوع، بلقد معانبه بعميقة والحببة المشككة إذن ليست في الحفاظ على النوع لأنه ايل إلى انزوال ويحمل موته ضمن رصيده التحسني الثابت، هن أي شيء يبحث الكاتب إذن وهو يغسل يديه من وطن وروثه له اشقية وهطامات الاكل والساسة المحنثون، عن وطن الحياة الكريمة، عن وطن التعيش الحر حيث يعيش ولا يلفقت وراءه كلما سمع ولها خلسنا لأحذية لم يعود على سماعها، عن وطن القنابة الذي يغشى فيه كل حياته العوازية الجميلة، وإن ما هي الخسائر اللاهقة المولدة، عن هذا الترحيل القسري من أرضه الصغيرة التي بنت في حداثها كاية زهرة بانحاء تطوين ليس دائماً فعلاً هيئاً وماذا يمنع له هذا النفل عن اكتشافات جديدة بحافض بها على الاستمرارية بمعناها الوجودي وليس البيولوجي فقط.

ليلي الحبيبة أي الاسئلة أخشار للأجابة عنها وسط هذه الغابة من

المسلم وأما أشهر منغسي معنفاً منها كلها؛ معنفاً بقوة، لأن بها كلها راحة ما من حياتي الصغيرة التي لا أراي بدولتها اتنفلي كالمطر، لا ياتي دفعة واحدة بغمر في الأعماق إلى أن يصبح قبلة موفوته نغمر حين نشاء وفي المكان الذي تريد

بماذا أجيبك أيتها المحنونة التي لم شكر تعرف أبداً أنها بكها في اسرار عيني العلونتين كما كانت تستعتهما دائماً، رعت الغطاء من كل مداهني دفعة واحدة، ولم تمنحني حتى فرصة شرب شوقي المربكة لا تمكن على الأقل من الإستقامة وصبط حروفي وجعلني ماذا أقول لك غير الذي ينحت القلب كل يوم قليلاً حتى يمحوه نهائياً

فل تسمع من صوتي الآن؟ اعرف أن به صفة كنت تشبهين سماعها ولكننا الآن تحولت إلى صفة فائلة عصرية، المعاني كثيرة ولا تشابه أبداً

خسرت فربني التي بنيت فيها الذاكرة الأولى وشيدتها على فقدان الوالد في الحرب التحريرية، في صيف ١٩٥٩، ولم أحفظ في ذاكرتي إلا يومين العيب وهو يعود من مفاء الاختباري كعالم مهاجر في فرنسا، وفي صيف ١٩٦٠ وجلس صباها ثم وضع على رأسي المنشفة الكبيرة وهو يصحك بلهجة الآن يا وائيني، وأتذكر أنني كنت لأول له أراك وأحاول أن أجمع ما سمعته من وراء المنشفة، تشبهه، وأحياناً أحمل. ولما ذهبت إلى فرنسا ما تركت أمي وحدها أفضل دائماً أن اسأله تحت ظلام المنشفة لكي أنجز ما كنت أريد أن أفعله، لا أستطيع أن أقول أنني كنت أحبها جداً بل كنت أحبها الشيء الكثير للعبش، وتضطر للظروح فقراً ونبيس كجباراً بلاء فرنسا، كان يسميها وهي ترجمة حرفية لكلمة فرنسية كان بلولها المفتريون (Pays de la France) متعة، لأننا نعمل بمنشفة ليها ونحمل الأسماء الثلاثة على ظهورنا وبين أقدامنا، ولا نستطيع، لأننا إذا فعلنا ذلك نظروا الكثير منا يموتون بفعل الشعب أو الحوادث المروعة، يسقطون من أعالي المنشآت أو تسقط على رؤوسهم الكتل الثلاثة أعواد السؤال وأنت ألا تخاف من ذلك كله أحياناً، ولكن ماذا بإمكاننا أن أفعل؟ بجيبني بعد صمت طويل لكن في فرنسا حديق وأقنعة للراحة ومدن تلبقة كذلك، نتعلم فيها كيف نلوا

ونكتب أسأله من جديد وأنا مستمتع بظلام المنشفة التي تمنحني حرية الكلام، بحيث أحسه وراء ما أشتي ولا يراني هل تعلمت القراءة والكتابة هناك؟ جيب وهو لا يحسن إتمامه التي أحسن بها ترسم على شفطي الرقيقين، والتي تزيد من بلقيته تعلمت سيدة طيبة تعمل معي، علمني تريد معرفة اسمها؟ نعم أجيب بفضول من استمرت حواسه الدفينة، بحملي بلا تردد فيوليتا، فيوليتا، عاملة ملققة حراً ونقابية امرأة جميلة وطيبة جداً مثل أخت ألسا، ولا أطرح السؤال امرأة تعلم والدي؟ جميلة طيبة مثل أمي، لماذا أمي تحديد؟ هذا الأمر لا يوجد عندي بتلاع مفهوم وحيث أنني أظن والدي في المصيف لابد أن تكون هي نفسها المرأة التي كنت أعلمها كل مساء العائنة، عمتي وخالاتي وحتى جدتي العظيمة التي سرت والدي من أمي هناك من ينام في خيمته ويقول إن نه من هنا أمي؟ تصوق أو تحاول أن تتفاهر بذلك أسأله مرة أخرى بلغة فرنسية، لماذا لا تأخذ أمي معك وترتاحان هناك بده ولا أشعر لمواي هي هذا في بيتها وأرجو تشير على الجميع وتوهمهم وحناها وأنا هناك أحاول أن أحفظ عليكم منشفة الحياة أكاد أسأله بابا هل هي الرومية؟ التي يتحشون عنها، مثلما سمعت في حوارات خدشي وأمي وخالاتي على الهاتف، عندما استيق السمع منك أو طفل شقي كمر بسرعة ولم ينفذ لسه الآخرين، هناك ينزع المنشفة من على رأسي وينفض الثوب، فأتوقف عن استني في مائة الدار وأجلس في حجره أما وحس لي، منبر القوة الصامحة يقول وهو يضحك ولا أدري عمق ما كان يؤوله سيدنا علي كرم الله وجهه، فكما كان يفعل يضع الحس على تبسار والحسين على اليمين لو كنت هنا في ولادته لسميت الحسين بدل وأصبني أعض على شفطي وأحمد الله أن والدي كان يومها غامدا بحمل على ليله ككفة حذرية أكثر من وزنه، أو في أحضان فيوليتا لا به

والذي الذي أدخلني إلى المدرسة الفرنسية والجامع؟ استشهد حتى قبل أن أطرح عليه كل أسئلتني التي ما رالت إلى اليوم مختلفة في الذاكرة كآية أنبة تحلل سرها في هاضمتها أمي صارت على شدي وصفت

التي تركها وراءه فبين أن ثأله حيطان كثرة سوانى العسكرية وبموت تحت التعذيب الهمجى في صيف ١٩٥٩. تسالني أمي من حين لآخر عن أحوالي في الجامع فأرد مجامس انتهت من حفظ الربع الأول من القرآن الكريم وزوحت لوجتى العديد من المرات. وبدأت أجلس في الأماكن الخلفية للجامع الأماكن الخلفية تعني أنه أصبح بإمكانني أن أخذ نسخة من النسخ العشرة من القرآن وأنفحصها وأسال الطلبة عند الضرورة. أحرص أحياناً لأن والدي ذهب قبل أن أحرم بقصة نسخة القرآن في الأماكن الخلفية استشهد وهو لا يعرف أنني تعلمت عما كان يشتبه. وأصبحت أقرأ وأكتب لتكني لم أحد له عن نسخة القرآن العجيبة التي عثرت عليها في رف المكتبة. في نهاية الحجرة الضيقة التي كنا نجلس فيها كانت النسخة تحمل الغلاف الأحمر نفسه لم تكن تشبه النسخ الأخرى في محتواها مطلقاً. ولا حتى في خطها الذي كان أكثر رقة من الخط القرآني فليتها مؤلفاً بسيرة كبيرة وبعبارة عن الفقرات المعلومة للأطفال الذين في سنّي لم أفهم من أين كان يأتي سحرها ولا تلك الرغبة التي انتابتني حياة لأخراجها من المكان. أو بلفظ أبسط لم أكن قادراً على التخلص من انتمائها هي لقد همتها بسهولة كبيرة لأر كلامها لم يكن كالقرآن الذي تعودت عليه. بسيطة وسلسة ومفيدة فكنز أن أسأل سيدي الفقيه (المعلم في الكتاب) ولكني لم أفعل أبداً عاودت التهجّي ومحاولة الفهم القريب أنني لم أكن أجد أية صعوبة في القراءة كل شيء كان واضحاً كالعلماء. بل إن شهوتي كانت تستبعل كلما تولّعت في شأها النص كنت كلما أنشيت من القراءة. أجبني تسألني من وراء النسخ الأخرى حتى لا تأخذها يد مجري. ربما كانت أنانيتي هي مشارتي للوحدة في ذلك المكان الضيق. أو ربما كان خوفاً من أن تسرق مني لحاة صرت أحلم بها وبما قرأت ليلاً. عندما أستعد للامتحان أرى كل ما فيها يرفرف حول رأسي و يتحول إلى شأه جميلات وعفريت وحبوات خرافية ولما بات لا حدود لها ونداب كثيرة كنت أشعر بالخل من النساء اللواتي كن يتعيرن أمامي ملا حياء ولكن هذا كله لم ينهني من حمي لهذه النسخة كان الكتاب. لم أعني كثيراً والدروس في المدرسة الفرنسية كانت تسرق من وقتي ومن لذتي في إحدى المرات وأنا في الخلفية أفكر فيما يمكن فعله مدان أعني

نفسني كل ميولات الدنيا لإخراج النسخة من الجامع قرآن لا يشبه القرآن مكتوب بخط غير خطه فيه حديث غريب عن الحب والنساء والسلاطين والتعفريت فيه حتى الخرافات التي تشبه ما كانت ترويه لنا جدتي! هل يعلم أن بطلاً للكتاب في الجامع وهو مكان مقدس! يجب تظهير المكان من شيء لم يكن كالأشياء الأخرى. كانت هذه هي خلاصة تساؤلاتي القاذبة وانتيت إلى تحريم بقاء النص في الرف الخلفي. في ذلك الفجر البارد كنت أول من دخل إلى الجامع صحبت على سيدي الفقيه. سيدي سعيد غافله وضعت النسخة في صدي لم يرني أحد ولا حتى الذين يتصمبون الأنفاس من الأطفال لاسترضاء سيدي المختبر من الفقيه. ولقد له إتني متعب وخرجت عند الباب أولفني لم أستطع أن أرفع رأسي مخافة أن يرى كل شيء في عيني. تذكرت منشطة والدي. كم كانت جميلة إذ كان بإمكانني أن أكون ما أشاء بدون خوف من أن يرى أحد من العائلة ما يتراءى لي عيني من كتب جميل فحاة شعرت بالكتاب لثقل في صدي. فكرت في أن أتركه وأخبر قال لي سيدي سعيد ما بك يا ابني! وتلمس رأسي ثم أردد لا بأس مجرد حرارة زائلة مارلت أسمع صوته وأنا أخطى عتبة احتامع بعد شجرة الخروب التي ظلت واقفة على الرغم من مصاعب الزمن وحرائره أسمع يا ولدي أميذا. قل لأمك تضع لك شوية زعفران في كأس حليب. والسيور الليمون وقطرة من عسل النحل. غسل النحل الطناني. مش. العانسو. ٧٩. أسمعته وإلا لا فحاة صرت خفيفاً وحار الكتاب لا بين شينا تذكرت ما تعلمته فأما من خفت موازينه. عندما وصلت إلى البيت كنت محموماً بالتفعل ولكن من شدة الخوف قلت لأمي دشريني يا بما دشريني ونعت محشناً قرائني لم أحلم بومها. ولم أراي كايوس. ولكني كنت داخل غيمة بنفسجية جميلة بعد أيام. خاطلت له جدتي كبساً خاصاً وهي تقول هذه كلام الله ويجب أن يوضع في مكانه اللائق به كنت أضع الكتاب داخله كلما انتهيت من القراءة كانت جدتي كلما مدت في باحة البيت بعصافها وسطل مائها للوضوء. ورائتي متكبياً على القراءة. انهمست من فرط السعادة لا تخين فكرها أمام خالائي والسيني. وليدي. هو الوحيد من أيمانتي الذي تعلم لغة أجداده ولغزهم حدثي مثلها مثل أمي مثل هبة المراد العائلة

الكبار صعد لا يعرفون القراءة ولا الكتابة يعرفون الطران من خلفه الآخر ومن ورقة الخطيب المائل نحو صخرة ما ومن راحته المثانة من صدره
 أروى وحبر الخطيب الخطيب أحييت تحت اليد في جني الحطب سبي
 سعيد. راحة التران محروجة راحة الطران عندما نبدأ في اقتفاء شعرها
 عندما كانت فليحة. اكتشفت أن محي الذي هربته زمناً طويلاً خوفاً عليه
 من السرقة والتلف. لم يكن قرأاً ولكنه كان كتاب الف ليلة و ليلة. في
 حيزه الأول. طمعة بولاق القديمة، بأوراق وحروف وراحة لم تكن بعيدة
 عن راحة التران. وربما كانت راحة التران نفسه إلى اليوم ما زلت أنطاد
 نحو راحة القتب قبل أن أكتشف مغاويرها لا أعرف طعنا اليد التي وضعت
 قرأتها هناك في ذلك الرب الصغير. ولا أعلم أبداً ما كان عني أن أشكرها
 وأقبلها بحوارقة. أو أرفضها لأن كل ما حدث لي فيما بعد مرتبط عن تلك
 للحظة التي وقعت فيها خطا كتاب ألف ليلة وليلة تلك اللحظة لموت نظام
 حباتي وأحاسيسي نحو الأشياء وأخطائي في عمل التحرية وقد لفتني داخل
 عالم لم أكن مهياً له. إذ كان يمش في أحسن الظروف أن أنحول إلى عليه
 بدرس التران في الحرية ومع بعض الخطأ إلى مظهر صغير لنفكنا والخصر
 والخواكة. على الحدود الطربية الجزائرية لهذا. كلما صلوات إلى نفسي
 المول طوبى لتلك اليد التي لموت مستقي. وأعتذر منها لأنني سرقت مشعلها
 فقد وضعت في معابري التنهية أجمل نص قرأني من الخيال والكتابة
 والقدرة. وأعدوني عن مهالك الليل

ليلى صرحني المستومة

ليلى اضبط السرى الكثر إلى ما تعرفه إذا قلت لك أن تلك أرضي ووطني
 الأول الذي فقدته وتحول ليوم إلى عالم من الترمول المسهمة. لا وجود له إلا
 داخل اللغة والأحاسيس العميقة وذلك مبالغ. إذ كلما تذكرته تمنيت أن أراه
 ثانية لمع لا تقول ما ضمانه حبسها وأفع ما لم استلغ فعله وقتها. تقبل
 تلك اليد العاصنة التي منحتني فرصة لا تعوض للحنون والتسوية من
 وهم البلقن المبتلى

لا أعرف العذبة إلا مغروجة في ماء الخلود كنت صغيراً عندما

دخلت للمرة الأولى تكسان. مدينة أجداني الأندلسيين والصوفي سيدي
 يومين لميت كان بيتي وبها شيء من حبرون المدن الكبيرة له أين
 معاً في المدينة. عالة وه كذلك حتى في الطرية سبع سنوات فحسبنا في
 النقلة الدخلى. في ثانوية تحكيم بر زوجه نفسه الانضمام المستور هي
 كل شيء. في الدراسة. والأكل والشرب والمكس واحساناً حتى في التفكير
 وردود الفعل يصحح الإنسان مولفنا مثل الساعة صانعة القديمة لم يكن
 مألوف مخططاً في نظريته كان يمكن أن تشكل نموذجاً الذي لا يخون
 نظريته كما تتحرك وفق شرطية انعكاسية محددة سلفاً تستقبل الساعة
 الساعة تلقائياً نعتسل ثم نزل إلى ساعات العمل في الساعة السابعة
 صباحاً. تستقبلنا فيها حواس الجوع تشرب قهوتنا ثم نركض نحو فاعات
 الترسر مغور الجوه بدأ عندما يوز جرس الساعة عشرة إلا ربعاً نكون
 قد استقبلنا في حشد مستقيم. على طول المتلعب نأكل ثم نعود إلى الدروس
 الخامسة مساءً تدخل إلى فاعات العمل من جديد. قبل أن نحل الساعة
 السابعة حيث تبدأ الأمعاء في نداءها الحلقة نخرج نأكل ثم نعود إلى
 فاعات العمل تبدأ العينا في الانكسار الكثيف منا ينأى على العفولة الساعة
 التاسعة نكون قد انغمسنا في نوم عميق في أسيوا كل يوم وبها أهاه

ليلى الحبيبة

كل شيء بدأ بصدف جميلة ليست بعيدة عن صدفة كتاب ألف ليلة
 وليلة عندما خرجت الحرة في ذلك الصباح. من صيف سنة ١٩٦٧. كنت
 حينها بحث أشر من مائة مرة عن اسمي ضمن قائمة المناحير في
 امتحانات الميراث المتروكة في استقامة ووضوح. لم أعثر عليه محقت
 من بين الأسطر والأسماء المبهمة. لم أرب شيئاً يشبه مع أنني ظننت أقرر
 كالمتحور أماء أصدفاني الذين نحدوا كنت الوحيد من أبناء الحرية الذي
 فك العملية الحساسة بشكل صحيح وجد النتيجة المأهبة ٤٧ التي اعلى
 عنها مرفق الامتحانات كتبت اختطام كيف محبته وأخطت أنا. عمداً بحيث
 إذ لم يسمى أحد ما عداً لي وجدت مع الأيام بدأت أدمي نفسي لمحاربة
 صعوبات الحياة. الفلاحة والتدريب لم يكن امتحان السبزيام* الذي يموت
 عذبه أحلاماً كثيرة هذه المرة من حظي مكتبت وهرنت ليس فقط لأنني

الأهلية الاسبانية والحرب العالمية الثانية وغيرهم من الذين سجنهم
الطاحونة الغرائكوية^{٤٩} أو الذين اضطرتهم المهلكة النازية إلى الخروج
ومن الخراب الذي أحدثته الماكارية في الفنانين والمثقفين الأميركيين
وغيرهم وضنت جازما في أعمالها العظيمة، أن ذلك لا يحدث إلا لأخزير
والتي ليست معنيا بهذه التفاصيل التي تسرق من تحت رجلتي إنسان أرضه
وحديقته وأشواقه. وحتى مواعيلته إذا توفرت كفت أطلني بعيداً عن رياح
هولاء الناس العظام الذين سبب فكرة صغيرة اسمها الحرية، تركوا كل
شيء ولفقوا أوهاء لكلماتهم وفيهم لم أكن أعلم أنني سأحد نفسي ذات
شقاء بارد أبحت عز مسك المنفى القاسي بعد أن تركت كل شيء ورائي
ولم أتفكر لكي لا أصاب برغبة العودة والرجوع ثم أكن أحمل إلا حنا
القاسي ووجع الحزين. وأبني باسم وريها وحديقة صغيرة لها كتاب
الف ليلة وليلة في بيعة هولالية وبعض دمي ريم التي تركت المالقي
في البيت، لأنني كدنت عليهما وفكرت بأنها مجرد عظمة تهر وسود ريم
وباسم تلك صامتتين كالنا بهارسان معي ما كنت أفعله وأنا صغير مع أمي
وحديثي وأبني بعرفار الحقيقية وضمائنها لكي لا أحزن حاداً بلي اليوم من
تلك الحفلة، لا شيء. سوى روايات وحياة موازية تشهد أن الألم يومها كان
كبيراً ولكني كنت أخففه بالقول مؤلفاً متى كان للمنفى لهذا مؤلفاً حدي
المويسكي لم يكن محظاً. فقد عرف ذلك في وقت مسر لحباب لينة صار
قبة خمس سنوات. ثم عشر سنوات لمحت بسرعة عجبة. ثم خمس عشرة
سنة موت كالريح تاركة أثرها على القلب والجسد. لا سنة شب احتها
أبداً حياة تكتشف، وأنت أمام المرأة العظيمة التي تحتل وسط الخزانة
تصطف ما تبقى من شعرك أو تعلق وجهك المتعب أن كل شيء تغير أفت
نفسك لم تعد أنت حياة تكتشف في المرأة. أن شعرك صار أبيض سرعة.
لم يشعر بسيف كاويان حربله ماتت فعل المرأة تقترب من المرأة أكثر.
يعطيها صغار تنفسك. ترى ورائك ابتعد ريم التي خافت صغيرة وهي لا
تعرف سوى اللغة العربية قد تعطلت لعنها قليلاً وتعرفت على لغات عدة
والطفلة التي كانت تعلق الدمى والتي ما زالت في راسك. تركتها ورائك
يوم خرجت من أرضك ترى ملايحها الخلية وهي لترسد آخر وجه أو وهي

د الكاميرا لتفتي من تركهم شريعتها عن أطفال الضواحي الباصية
تخرج ولكنت طول في أعمالك هل هذه هي ريم التي اشئت أن تكون
ممرضة للمساعد المتعبين تتعقد وراك في المرأة قترى من وراء الضباب
ببار. باسم... ابتك أكثر. الذي نخل باريس وهو يحسب الأيام التي
تضي لكي يعود بسرعة إلى مدرسته وأصدقائه في الجزائر. وقد أصبح
أيوم منشغلاً بالدكتوراه التي نائل كل وقته وبحثه المستدم في العلاقات
بدولية متساو وأنت تعرف صفاً بأنك لن تحصل على أية إجابة مفعلة
ماذا كان يمكن أن يحصل لو بغيا هنالك ما تمن تلك الكذبة المهدنة التي
ضمانتها بها ستعود بعد العطلة وأنت تعرف أنه لا وجود لأي منفي مؤقت
في الدنيا عطلة بدأت اليوم ترهب نحو العظمى أتم تكسر حباتها العميقة
بعد أن هضمت عليهما منفي لم يكونا متبیین له

أي ألم أينما الغالية تشعر به ونحن نحس حياة. وبلا مدمات مهدنة.
حياة بكاملها متينا عليها كل أحلامنا وأشواقنا. ونفتح أبوابا جديدة من
لصوب. لا نعرف أبدا ما تحتل ورائها من مراث خفية وأسرار لن نفضل
وقتها يوم

لبلى طحبية

سأنتس عن شطلي. وعلك أن تجعله حتى النهاية لا نسعي
يوحيت صوب بياض السانز. لكي تمكي بعيداً عنى أرجود أريدك في
فركك والتهيك أبدا في حرك استمعي حتى النهاية لم يبق أكثر لأفك
غلبت وبعدها نامي إذا شئت. فلي أعجب منك

من حديد أحاول أن أعجو الصباب الذي غلى المرأة. فأرى وجهي
لنفس يبدو لي المنفى مجموعة لا تحصى من الحسارات المتتالية أشرح.
شبهه وخوف. في عملية الدم مثمنا كان بفعل شيطون Tchekov وهو
بعد ميراث الثانية في لست الصغيرة كما أستطيع اليوم. وبعد قرابة
الخمسين سنة في العمر. وأكثر ربع قرن من ممارسة جمون عظيم اسمه
القنابة. أن القول أن رهان المنفى مثل رهان القنابة. خاسر في كل شيء إلا
في جوهره الأعيق الحربة

التي بقيت حالة من التكاية والصمت

- مالا يعني هذا السلام

- يجب أن تحذر، أو ربما أحضروا فيك من بدوي

القائمة كتبها باسم بانتظام. هكذا تعود أن يفعل هو وربما منذ أن وضعنا رقما في القائمة الحمراء، ولا يملكه إلا الأصقاء المقربون الاسم الثاني صديق مسرحي مقفي. يلعب في مدينة الغنوب بعد أن ارتبط بعقد سنوي جيد. مع مسرحها مخرج كان أهم مسرحي جزائري كنت له بدأت لهم ما حدث

- كما ترى، عمي انطوي بالي

- بمراعاة لم الجهم. رجل يد رجليه إلى أقصى الحدود بين صفتين استغر يا أخي في مكان حتى تعرف أين تقيم وحكاية القنلة هذه، أبيت نفسي أني حلمت دائما أن أخرج إحدى رواياتك للمسرح ولكني لم أفعل للأسف. وشعرت كم كنت قاهلا أننا لم نلتق ولم نتحدث عن الفن طاحونة قاسية وفائلة حمر فقلت أذهب على كبريات القنوات الأنانية وعليلة أن ننهي من بوهيميتك في لحظة من اللحظات صدقته لأنني قلت في خابري هذا المحذور بعلمها وإن يترددوا في قلته إذا ضايقوه

كنت صوب باسم وربما كانا مبهمين في عملهما عادة يشمان من المساعدة. في تلك اليوم تركاني مع التليفون فقط الثالث في القائمة كانت ريجانة، والدة العالي الرابعة الوحيدة التي ضمنني من الحزائيل بعدد عندما لمستني شوق. حتى عافين

- والله لو كنت زوجتك لقلتك معلول. شفي نفسك هناك وتسي أن هناك مخلوقات تعجب على وقتك. وتتعاضد مع الموت اليومي وتنتظر صوتك أعييل على صوتك فقط يمنحني بعض القدرة على الحياة بعدما خسرتا كل شيء. تدار والدوار

- واش نسمي يا ريجانة الدنيا بيت كتب.

- ما أسوأ عنك لعنك آلاف المرات ولكنني سمعت عندما عرفت أنه ما زالت حيا قد نرى ما يعني أن نجلس الساعة أن نلتهم صحت رجل من بعيد وأنت شعرك أنه في يدي عرا العسة. ولقد استلمت على الأثر أنه لا يزال حيا ووجوده يفتح بعض القدرة على الاستمرار هذه المرة شعرت بذب عميق وبرغبة للحطوب بفريت مثلما كنا فعل في الضائقات المسجلة في بيتك. نسمع الموسيقى. تحضني من الهواء أحسن بك عميلا تشعرني بوجودي وأمي امرأة لا تزال مستهارة عندما تتوقد الشهوة. تنهني الليخوخة لم تسألني يوما عن زوجي ولم أسألك يوما عن زوجتك لم يكن ذلك شاك ولا شأني ونمتني بعض حكايات الدنيا، وقصتي التمتنسة مع زوجي الذي لم يتحمل أن يعيش مع ليوة وليس امرأة كما كان يقول دائما قال أنا أريد ريجانة لي. تبيع بعلمها على وحدي. وليس للأوبرا الوطنية كبريت حياتي وأنا أجوب الأسواق والمجلات وهم يرددون شلت شوارع ريجانة. كانت مذهلة ريجانة ربي أغطاها الزين والحسد الفخر. كانت طيرة في السماء كعميلور الحنة ربي يحفظها من العير. قلت له يفترض أن يتبرهض بدل انكساره قال زوجتي في البيت وليس على المسنة الناس في الشوارع. عند التي يسوي والتي ما يسواش. قلت له ببرودة. اعتقد أننا لخطانا ممضيا بعضا في ليلة كان مسود الوجه. بعدما عاد من صلالة المعروف ممتنا بالتحفينة لم أفهم تمنياته قال بدءا من بعد توقفين حكاية المالبه والرقص حاولت أن أفتحه أن الأوبرا في حياتي وأن انفصلي عنها معناه موتي التوفيق لم يفهم شيئا قلت بعزيمة ٧ أربي ماذا حدث صبرني حتى سقطت أرضا. وشعرت في لحظة من التخطات. برأسي بفعل عز حسدي لأول مرة أرى الموت في وجه زوجي مثل الخرافة الليالية وماهي على السرير وهو يصرخ بشكل صندري سترين اليوم من الحون يا هاجرة المسرح ومخاطبة للمسك شعرت به وهو بمقنصيني بكل ما أوتي من عنف. بدأ أحكي موت شيئا قريبا حتى أنني لم أعد أحس ما شيء بعد لحظاتي. ثم أدر كم دامت رابت وجهه من وراء كومة الضباب بيتي ويصرخ ما على صوتي يا ربي سيدي ماذا فعلت في حق زوجتي. ولش يرت الله الشيطان ولم التحريم. كنت غارله في دمي وهو بمنذر وبسلم على رجلي تمت

عنى بياضه. ولم أفلح إلا في اليوم التالي فمت بصعوبة المتسلل من من شيه حتى من تفراته التي نكت ثرثني أراه أن يعذر مرة أخرى لم أقل شيئاً خرجت لم اخذ أي شيه ولم أعد له أبداً حتى فكتا اللغاة

- يا الله خسرت فهدا وبعثت حياك

- التوحدة قاسية. ولكني مسؤولة ومسجدة لما فعلت به أرجو حافظة على نفس الفتنة بمحذور عن أية روح حية أنا نفسي عادت بيتي والجميع عند أختي

كان نوع من المهاجر بلغ ذاكرتي شعرت كماي كنت أمارس لعبة بها راحة تشبه إلى حد كبير راحة الموت ربما ويسلم تركا العمل قتيلا وأنهمنا في متابعة فيلم مغامرات. كانا داخل عالم تبهناه مسرعة. أكثر مني

- وحق رمي فثلث لك فثلث سمعت الخبر في إذاعة عمري اتولبة سحبت نفسي وذهمت عند أخيك عزيز وأخبرته بما سمعته فلما نلتني قليلا أبل في باريس ولكنه هو كذلك انمايته شكوك كثيرة لأنه يواك دائما شعرك بين ضفتين ذهينا عند حسان. أخيك التكبير لثري كيف لحمر الوالدة من خطا أنه على قد نكتة ومعها القصة

- يبدو أن الله سيجعلنا عمرا آخر شكرا عند الله

- يا حوبا طول العمر تبتلا في روحك والسلامة في الرأس.

عند الله امر عمي قروي طبيب شعبان من الدنيا. وهو لا يملك موت يومه كان مرفقا ولم يكن يريد أن يشغل عني بالحديث

وأصغر عبيدنا في القلعة. وسكت عن نفسها باسم وضع رفقها على السجدة

- حوفيا. عاتر من صمغ صوتك

معدأة أجهنت بالبكاء إذ وجدت صعوبة كبيرة في الحديث البها

- يا ميهول. ليس من حلك أن ترمي بنفسك إلى التهلكة. وحياتك صرت معللة على نشرات الأخبار منذ أن بدؤوا حملة الإبادة نسبت قتلهم لأساندة باللغة الفرنسية والقاربع والشعر والرواية. وبدأت أعيش على وقعا في سبابة قلت هي خاطري. هذا الرجل تركنا وخروج في ظروف كفا في حاجة سبابة ولم يخبر أحدا من محيطه يجب أن لا أسأل عليه وإن أخرجه منها من ذاكرتي وذاكره أصدقائنا وأخرجت من ذاكرتي وأنهمكت في صلي الزوجية. عني وبتاني الثلاث إلى أن فخر في لغم لمالك إحساسا دائما قلت أفذه مات وانتهي. لا أدري إذا كان الموت يتكر الأشياء في سبابة ولكني شعرت أسي فطرت عينا كنت أرى من خلالها نفسي كما كنت الدنيا على الأعرب من ذلك كله. عندما سألني زوهي عما أصابني بعينه فعمروا. ربما سبابة دابة الخمر على أبناء يقتلون بطق. أكثر من الخمر. ريت السبابة على الخمر من أي طبيعة منذ جاء حيا صمما في القصر. لا من نصب طقت من ليك رقت الخمر التي مريست أمامه كثيرا. العديد من المرات عندما كانت تقسم الدنيا في عيني لم قلت لكن. ولكني لم أسمع إلا صوت ابنتك الذي يمشك كنت أجلس بالمكاه لولا أنه يمشي أنه ابنتك وأنت في إيطاليا وأنت بخير

- يا الله لنقل إنها ضربة جاءت في الفراغ

- اتحد لله على ملامك لا تسأل لك وراء المتوسط من يملك ولو أن ليلى الوهرانية أخطتة منا شهادة

ضحتت غرقت بسرعة مرامها

- ليلى الوهرانية

- تحضك طبعاً الضحك يا حوبا فكتك مارد

- لا. نكرتني كلمة ليلى الوهرانية بأسماء الضيقات. حميدة العساسية الرحيمى الطبرانية. المعنية السعيدة.

- الحمد لله أنه مازلت صامدا على الضحك والتمكيت في بلد كذا نفسي فيه أن الدنيا لا ترحم غائمة. وأر الحياتي لا يزال قادرا على الحب والضحك

لم أعظم بالساعة إلا عندما شعرت بحرارة ربما وهي تمليح على حبيبي

فلنقلها المعقادة كما شعوت أن تفعل قبل أن تنام. وباسم يعقوبني طرد
الساخن ووجهه المحمر، قبل أن ينسحب نحو فراشه بكتابه الذي لا ينام إلا
به أمير الخواتم. لعلوليكين^{٢٧} انتهى من قراءة حوته الأول جماعة الخاتم
لظفنان. وهو بعده الانتهاء من عودة الملك

- تصبح على خير بابا
- تصبحون على الل خير

كانت سعيداً أن التفتي إليه بكافرسني آخر حتى يفرغوني إلى في
البحر لا أصل له فصفية إلى السحر لا يكون من طعن قائمة من سكر
عني قد لا أحب بعضهم ولكنني لا أكرهم. ولا أتعنى لهم أي مكروه. فأنا لا
أستعطفية الطلبة لذلك لا أتعنى سكر حتى تطفوني سكر حتى
جهد تكبير رأيي فيه

كانت سعيدة تتعزى إلى رفا الحق فحسبوا أن السيلون على أحد الأصناف
المستعير من أسرار غامضة فيما بعد إلى لا يظن بعد أن قد است
عند باب المدرسة لأنها أستاذة رسم وفنانة لا أدري في أي شيء كان يكتف
قائلاً: وهو كان يفتي أيضاً سلاً غلبت على أنها جعنا سكر حتى
وجب نفعه في جيوينا وركض به كالأطفال من بيت لبيت. وأما في
أنا أصبحنا بقوة قادر سحرة وبما كاننا أن نحمل الألوان وهيمناه وأهم
في جيوينا أو في أفك أيدينا وعندما تلتقنا الألوان تصبحها في أيد
وتركض على السحر

- أتعنى أن لا أكون قد أزعجت أخى والبنى (واسيني)
عزفه من عضة لسانه عندما ينفق حرك السيز. مالك
- لا أبدأ يا مالك من أين تلتفن
- من فستطمة

- كنت أفكر في أن أصل بك غدا كييف جريمة العصر كيف حالكم مع
الطافم الجديد أحر من الفتنة دمويون وإن يرحموا أحر
- يوفد أصبحنا قهرمين كنت أريد فقط أن أعتز مث حاولت الانهال

بمثل الوسائل وتكتفي ثم أفتح الصحافة حقلها أحياء لكن الفتنة
سرا منا علولنا وأصبح المستحيل ممكناً اعتذر أخى العزيز وأرعدت أن
أكون خاسر

- لم أفهم جيداً

- على كل حال الفتنة كانت طيبة. وهي تطفلية موت صديق عزيز قضي
الحره يفاضل من أجل حادثة يمدو أنها مستحيلة في هذه البلاد المارحة
سعيداً دانست على الصفحة الأولى شخص الميثالك وصلنا الضمر عن طريق
ولغة الأسرار مرة صيفته أقرأها عني حتى تعرف كل شيء مني. قبل أن
سعدني أنني المثل صباح اليوم الكاتب الروائي واسيني الأخرج وهو
في رة إلى عيلة وكان واسيني إضافة إلى كونه أستاذاً في الجامعة
كان مؤلفاً في إحدى مؤسسات منظمة الأمم المتحدة

ولكن العزى كانت لا علاقة لي بحقيقة الأمر المستند على عيسى
فقط. كان صورة ابن أحر العالدين بها أحر

- أحر مارال العلام (القيام)، قالها بلهجته الصحفية

- كنت عند صلحة كاملة اشتد فيها عن طريق القديسون كل من
يحبك ويحب شجاعتك وكتاباته. اخترت للصفحة الأولى صورة لك وأنت
تلك محاضرة في قاعة النطق الجامعي. ومانشيت بعنوان الميثال الرواسي
واسيني أن يظهر الفتنة صورة العزى ثم صورة قائمة لك في نظير أحر
المبعض موهزان يوم دفن الفنان عبد القادر غولة. وأنت تلتفت صوب جبل
وهزان وسائنا كروت

كان يتحدث كمن يصف مشهداً سينمائياً لم أصدق. كيف تزداد أهمية
الإنسان مبنا أكثر منه حباً ولهدا. علينا أن نموت جميعاً لكي نحصل على
الأروسة والفكريمات لم أزد أن أؤذيه واحتفظت بردي في داخلي وأخفته إلى
بطني الصغير. في داخلي والذي أسميه بيت الأسرار

لا أدري كم كانت المأساة. ولكن كل شيء كان صاعداً، حتى حركة الشماخ
الذين تعودوا أن يلعبوا لعبة القط والفار مع الشرطة، في هذا الحى الماريسي
العمالي المكتظ بالناس. كلما كلمت شخصاً لاعتذر له أنني ما زلت على
قيد الحياة، كانت القائمة تطول أكثر فأكثر حياة أدركت أن المنفى على
الرغم من مرارته، لم يكن فقط خسارات متتالية

ما هو عمر آخر يخاف بسطه إلى البحر المصروع، إذ كان يفترض أن
موت قبل هذه الفترة بكثير. وأكثر الإصداء ظواولاً لم يكن يعطيني أكثر من
عمر حشيرة ماموسة أو ضارئة من شهر إلى سنة، في سنوات الفلاح الأولى
وما هو العمر يطول ليخطي كل الحسابات والفرضيات أي خط هذا؟ وأني
عمر صميل يمكن أن يغلق خارج أسفلات التراسات، وحظيف مساكين وهي
ذهب ونحي - هي حركة دائمة وصعبة

كثيراً ما نكره الصدق. لكن بعضها استثنائي كالذي بلاهنا امرأة نعيد
صداقة حياتنا، أو كما حدث لي ودفع ماضياتي في كل مكان إلى الإجمال
بي فقط ليتأكدوا من أن ما سمعوه لم يكن صحيحاً

ليلي الحبيبة صدقتي المرحلة

أنا ابن الصدف وعلى أن أشهد لها تعثلاً عظيماً في قلبي هذه المرأة
أيضاً أنقذتني من موت مؤبد لجبرت مسارات الضمير نحو مسالك أخرى غريبة
أن يقرأ الإنسان خبر موته في إحدى الجرائد الوطنية، ويسمع في إذاعة
مبنى الدولة المغربية الفرنسية، وباريس - انفو الفرنسية، تذكرت يومها
صديقي الشهيد، الكاتب على لواء، الفلسطيني الطيب الذي قرأ خبر موته
وهو في أحد مستشفيات بيروت في احتفال ١٩٨٩ الإسرائيلي فأوم باستماتة
الاحتفال الإسرائيلي ووزع جريدة المعركة التي كان يحضرها محمود درويش
كأي مناضل ملتزم بتجارته

استخرج ذهباً الماشيت التي قرأها علي صديقي مائة، في جريمة
النصر الغتبال الروائي واسيني، لم يلبث الطفلة صوته الكبير أشعر بشيء
من الزهو الحبيب والافتتار وكان موتي الافتراضي زاء من قلبي قليلاً في

مستعجب لا يعرفه بعد إلا أنا فقط، لا يستطيع ماؤه حسو، أول شيء قد
به لم أعمل شيء، شيء شخصياً ولا تعرفه الطير، وشمالاً على الاستقاء الذين
نصوا يعرفون مثلاً يعني

لي أعماقي أضرب بعقدة ذنب لا أستطيع مقاومتها أبداً لابد أن يكون قد
خطأ ما في لحظة ما الفتلة يخطلون أيضاً أشعر دائماً بأن هناك
شيء حقيقي يصير نفسي في أحد الزوايا وأنا حين لا يعرفه من الله
يبري ثامناً مثل بالضيعة، التوكل الذي مثل، كان موقفاً بسيطاً في الأمم
المتحدة، يوم كل صباح بالقرب من الجامعة، يشرب قهوته في لابران
الجامعة، هذا المقابل للجامعة بتبادل أطراف الحديث مع أصدقائه من
الجامعة، ثم يتوجه إلى عمله في منظمة الأمم المتحدة لم يكن بين اسمي
والاسم إلا بعض القلب من مدينتي الأصلية نفسها كان اسمه واسمى
الأحرش جرفان كشفه رصاصة في الرأس لم تمهله ثانية واحدة لكي يظهر
عن الخطأ وأنه ليس هو المنفى لم يكن يعرف وهو يخرج في ذلك الصباح
أنا سكر في قلبه يعرف أنه لم يره إلا كصفتة في نظري الجامعة فتدور
صبح باسمه واسمى اندمش حال وهو يضحك

- لابد أن تكون من ولاية تلمسان هذا الاسم ليس وطنياً

قلت له نعم

- كنت أعرف ذلك معرفة طير أنا أيضاً اسمي واسمى، وأعمل بالولايات
المتحدة

دع لي ثمن الطهارة وخرج، منذ ذلك اليوم لم أسمع به إلا عندما عرفت
أنه مثل في مكاني كان على العكس مني، نادماً وزوجاً صالحاً وعملاً
مواثقاً على عمله، ولا يحشر أبداً في السياسة صراعي مع الفتلة كان
صراعاً يتعلق بعزيرة المفاء ثم انتهى أن يمنحني الله بعض العمر فقط
أفكر على قلبه لفتلاً وأشعر مقه، لأن الأقدار التي وضعت أمامي لبقي
صدي من التواضع الغائز، لم تسأله في ذلك الصباح الماكر عن رأيه ولم
تدقق أبداً في هويته ولا حتى في وجهه الطيب

نن أضيق إلى ما تعرفه عن شيئا جديداً إذا قلت لك إن المنفى صبح

وإذا بسدت العامة حياءاً لها وفردت فساداً فبدا خوفها العسير العسير
وتسبح العسير الأعلى من فناء العسير

سبح اسم العبد المرحي العسير من زوايا الكتاب حيث وجدته
لعله جوالي في الحسنة العبد المرحي العسير من زوايا الكتاب حيث وجدته
ممن فارح كانت قوة رافضة تشعت مسارها حتى النهاية شعرت بالنتعاش
فبسط العبد العسير تحتها العبد المرحي العسير من زوايا الكتاب حيث وجدته
شأناً لشيء

فإذا بسدت العامة حياءاً لها وفردت فساداً فبدا خوفها العسير العسير

فإذا بسدت العامة حياءاً لها وفردت فساداً فبدا خوفها العسير العسير
فإذا بسدت العامة حياءاً لها وفردت فساداً فبدا خوفها العسير العسير
فإذا بسدت العامة حياءاً لها وفردت فساداً فبدا خوفها العسير العسير

فإذا بسدت العامة حياءاً لها وفردت فساداً فبدا خوفها العسير العسير

فإذا بسدت العامة حياءاً لها وفردت فساداً فبدا خوفها العسير العسير
فإذا بسدت العامة حياءاً لها وفردت فساداً فبدا خوفها العسير العسير
فإذا بسدت العامة حياءاً لها وفردت فساداً فبدا خوفها العسير العسير
فإذا بسدت العامة حياءاً لها وفردت فساداً فبدا خوفها العسير العسير

فإذا بسدت العامة حياءاً لها وفردت فساداً فبدا خوفها العسير العسير
فإذا بسدت العامة حياءاً لها وفردت فساداً فبدا خوفها العسير العسير
فإذا بسدت العامة حياءاً لها وفردت فساداً فبدا خوفها العسير العسير
فإذا بسدت العامة حياءاً لها وفردت فساداً فبدا خوفها العسير العسير

في أن أرى مدناً صنعتها الحياة والكتابة، وأن أحتم منات الأحلام التي لم
تكن التواضع من الأمل والكتابة العسير العسير العسير العسير العسير
العسير العسير العسير العسير العسير العسير العسير العسير العسير العسير
العسير العسير العسير العسير العسير العسير العسير العسير العسير العسير
العسير العسير العسير العسير العسير العسير العسير العسير العسير العسير
العسير العسير العسير العسير العسير العسير العسير العسير العسير العسير
العسير العسير العسير العسير العسير العسير العسير العسير العسير العسير
العسير العسير العسير العسير العسير العسير العسير العسير العسير العسير

صحيح أني خست أرضاً خربت لكركتي ولكي رحت ولذا صحت
هو ومن الكتابة الوحيدة والنهاية وحدها الأصدق وحدها الأبقى
عندما يتحرك الآخرون وبخروجك من ذاكهم

صحيح أن أفس ما في المنافي هو أن تعرف بأنك ستفوت وحدها في
العلة، خارج وفنك وخارج أرضك ولكن الصحيح أيضاً أن المنافي يمتد
حياة لم تخطبها ووطناً تشنه مسهر وانفارك وحوقه لا ينه الأوطان
كلها، لأنه منك وحدها ومن الكتابة لن تخطي عنه مهما كان الزمن غالياً
وعسيرا نزل نصر ونفائل من أجل أن تظل شوارع، وانفاني، ودروب هذا الجدار
مضادة ومنازة، ليلاً ونهاراً مهما كانت الظروف كثيرة وشروط الحياة قاسية
في العسير العسير العسير العسير العسير العسير العسير العسير العسير

لبي عيري

حببيتي وعناني الجميل

أسأل اليوم وأنا في علة صحت العسير العسير العسير العسير العسير
فأدع، هل خسرت وطناً حقاً عندما خروحت في هذه اليوم العسير العسير
منسجيباً لرغبة عميقة فيك ولم التفت ورأيي لكي لا أتراحي، لكي لا أرى
لكي لا أسمع ولا أرى

ربما كنت أصلاً لا أريد أن أعلم

أحمد وأحمد العسير العسير العسير العسير العسير
ياسين، الدوحة، ربيع ٢٠٠٦

لصمت. ربما كنت الوحيدة في الدنيا التي تستطيع أن تقول ما أقوله. لا عبرة من الداخل واكتشفت كل مبالغة المصداق بنور الحياة

أحاول أن أسترح بعض أساسيات المصانعة وسط هذه العزلة التي من حولي لتضع علي بقرة. ككبيرة

يبدو أن الانفصال بيني وبين مريم أصبح كاملاً والعداوة أصبحت مهالياً. لأول مرة أشعر بقوة. وماذا أدري ندم. أنني لم أكن مريم. وأني عبد أيضاً بعيداً عن ليلى المسبوقة. المهذولة. ذات العينين الطوليتين الملتفتين بالغيرة عندما تداس أرضها. والقادرة على ارتكاب كل الحماقات حتى في حق نفسها

لست امرأة مثالية لست قديسة. وأرفض أن أكونها

طيفر للشبابية الزرقاء يمنحني من الترحيل. لكنه لا يصغى من الكتابة والقراءة. انشغيت فجأة. وسط فوضى المكتب. إلى أن المصمم كان مصوباً هذه العرة باتجاه اللاشيء وربما باتجاه كل شيء

انقضت عيني وحاولت أن أفعل وجوده لكي أتمسك من التلطم تحسبه بورشني بعض الاضطرابات. لكنه في الوقت نفسه. يحقني لا أدري لماذا

أغمضت عيني وحاولت أن أنسى وجودي قليلاً داخل السكر بتهديم

ثم أفكر أبداً وإسبني. ولا لحظة واحدة في الزواج إلا عندما أغمضت حول مبدائه طبعاً. وإسبني. كعادته في كتاباته. لم يقل الحقيقة في وقع الأحذية الخشنة. أو على الأقل لم يقل حيلتها. ولا حتى في طوق الياسمين. التي كتبها بعد عشرين سنة من الأولى. وانتظرت أن يقول العنوان الذي كان في قلبي

أقول اليوم بصراحة. بعدما مرهه ليلي. لم يصغى وإسبني أبداً كان دائماً علي. فأنا لم أتزوج لأنني كنت أربح في الزواج. أو لأن العمر ماذا

إسبني. عندما حدث ذلك كنت ما أزال شهيدة مكشوفة. وشامة طيبة بالأشواق والرجوة في اكتشاف الحياة وتضمها وعدم الاكتفاء بهوائها. كنت مثله صامداً أعرف أن الزواج في صورته المهيمنة. مؤسدة قاتلة. واختيار خاسر. المفضل فاسد للحواس. وحائمة لرعدة قوية تريد ما عبثاً أن تظل في القوم

أفكر أني سألتها. ومهما سألنا طفولها. ربما لم يكن لدينا

- واسبي. هل تمنحني؟

- وهل في الله شك؟

قلها بسمريته المعهودة

- لا أريد هذه الإحابة الخفضافة. هل تمنحني؟

- نعم. أنا أحبك حباً حماً. وإن أنا موجود يا صديقي وما أحييتي.

- لسانا في منسة. وكن جادا لمرّة واحدة في هناك.

- نعم يا ليلى. أحبك أحبك أحبك

- وتريه أن نحب مايا؟

- طبعاً. يبدو أن العمالة أكثر جدية مما تصورت؟

- طبعاً. قل لي فقط كيف سفلت نورسي. وأنا أم أبدأهم شيئاً تعيش

في ملاك متخلفة. شرط إحياء الأطفال فيها مربوط بوثيقة؟

- مثلاً فعل الله مع مريم نفع فيها شيئاً من روحه. وأما أفعال ذلك

يومنا هل المسألة صعبة إلى هذا الحد؟

- عندما أتى الصديقي؟ يبدو أنك تهرب من أسئلتي

- ليلى. عمري غداً أريد فقط أن نخرج من هنا نحو المستوح. فهاهنا

جيداً ولكنني لست مؤهلة للزواج لم أر شيئاً من الحياة. لو تزوجت

الآن. سأحزنك غداً أنا جاد ولا أرحم أحبك. وأريدك أنت مالتات أن

تظلي معي طوال عمري لا أعرف إذا كان الحظ سبحانه يلائق

بامرأة مثلك

- كيف تجول من الحلم حقيقة. كما جعلنا من الرعدة وجدانا لا يموت؟

انكسرت حينها حسنت طويلاً وكأنه أدرك فعلاً أن انمسالة جدية. وأن ما

حيث حدثت سجوناً جديداً وقاموا بها. شعرت من حينها. كأن لكل العالم كله نزل
على صدره. وضاق نفسه بشكل ملحوظ. رأته بنفسه بصورة كبيرة

ثم قال

- أهلي جويته. طويقتنا منذ البداية كان واضحاً وصريحاً اختراقاً مستمراً
حبيلاً ولكنه صعب. إما أن نواصل فيه وإما

ثم حكيت من جديد ساعدته على إتمام حوائله كنت مجروحة في
الصميم

- وإما. قلها «ما تخافين». وإلا فمتروك هكذا إذن أقول عليك إلى هذا
الحداً واسميني. هل جربت أن تكون امرأة في عالم ذكوري ممتوم. يجرك كل
صباح بمطوية جديدة نحو العصر المجري حتى لا أقول القمر. ويسحب نحو
فرائض المومس. ويقتل شهوتك في اللحظة التي يلمسك فيها؟ هل جربت أن
تحبني وأسلك فقط لأنك لا تعرف كيف تلمس حبك أمام الآخرين الذين يعرفون
خفيقتك؟ هل جربت مثلاً. أن تكون ليوم واحد فقط امرأة في مجتمع قام
بعيش على كذبة كبيرة اسمها العفة. مستعدة أن أوادع كل دهايات العالم
ولنأمله الذرية. مقابل لحظة واحدة أميتها منك بحرية. ولي أضطر في كل
لحظة. إلى تبرير وضعي. هل فكرت في ذلك قبلها؟ فيها لا. أعرف أنت مرشح
في عالمك الرائع الذي لا يكتم شيئاً كبيراً للأسف. لا تنفرد في هذا عن بقية
الرجال

شعرت بأني كسرت شيئاً عميقاً فيه

هذه المرة كذلك لم يرد توغل في صمته كمن يدخل نفقاً لانهائية له
سحب سيجارة. بدون أن يتكلم سيجارين ثم ذلات سيجارات عشر
امتلات الغرفة بالديمان انتفضته طويلاً حتى ضمنت أنه نسي أني كنت معه
إلى أن ملق يهدوه ويقعن وصفاء وولم. لبته صمت

- عمري أحدث كل شيء في الدنيا بلقودي نحوول ولا اعلم ان الأقدار
تلاقي من هو بعد سماعتك وغناك الداخلي وأنتك وزهاقتك سافقتك

لم يتكرر أبداً ولكن يبدو لي أني لست مؤهلاً لأن أكون زوجاً جيداً ثم.
أفضل مني بشئ لا أصلح مستغلاً لا شيء يفيدك هي من حلك أن تدهمي
حياتك وتخلصك. أمث الآن حررة الفعلي ما تسامحين.

البيت للحظة خارج أي شيء كان يحيط بي شعرت بلجوة في دماغي
مسرعة. كل شيء أصبح رخااً تحت قدمي كنت أقف بصعوبة كبيرة
على جافة لا حدود لأخودها. حافة النار وحافة الحميم. أصبحت بشيء
لم أقمه جيداً. كيف يمكن للأسفني أن يتخلص مني بهذه السهولة.
بعض هل يميل أن يقذف بي هكذا. بين ذراعي شخص آخر. لا يحبه كثيراً
تتحرك فيه حتى حاسة الفيرة لا يد أن يكون قد جن! حاولت أن أتناصك

واسميني لم يجن. ولكنه كان في عالم وحده كان يعرف قصوته كان
سره السفين وأشواقه وقدراته على تحمل غيابه

كان ينزف داخل صمته وحيون قراره وهزته

الكلمات الأبدية التي شدد عليها كانت قاسية وكأنه فتح فجأة أمامي
كل أبواب جهنم دفعة واحدة أدركت أن أصعب ما أنصبي الي. ولكنني في آخر
لحظة أحسنت لكي لا أصره نهائياً كنت أدرك أنه كان يداري جينا بخلاف
من سألته كان واسميني ضحية أرنائك داخلي لم يكن قادراً على مقاومتها

-3-

ليتلها لم أتم

لم أسأله كثيراً عن أشياء ودبت لو يسمعها مني ولكنني لم أستطع لم
أبك لم أتكلم. عندما خرجت. ذهبت نحو أقرب قاعة سينما. سينما الكوليزي
الأنيقة والواسعة. واندفعت فيها طويلاً مكنت مدة ساعتين في الظلمة. ثم
خرجت مرتجئة من ثقل كبير. وبصفا ذهني هزيل. عندما سألتني عاندة
بصوت عذو

- مارياك في التيلم؟

الذمت نحوها ولم أستطع كتم ضحكتي الخفية بالدموع

- الله يدرب مبتدئ هذا حالة واحدة رأت فيلماً -

- أريدك أن تخرجني من حالة الحزن واحضني بحضن مستقيم الأمور، أنا

حالة من ذلك ولكن

- حاداً ولكن -

- لم تقوأي لي رأيتك في الفيلم

التفت نحو عانسة مرة أخرى رأيت عينيها اللتين تشبهان عيني عصفور
صانع عدت إلى الضمت مرة أخرى بشكل يكاد يكون هستورياً

- توقفني يا عانسة - أرحوك أنت راح تبهليني بأسنانك

في الطريق، تأكد لي أنه لكي محزن لا يحتاج إلا إلى هزة غير منتظرة.
ولكني شخصك، نحتاج حقاً إلى نظرات عانسة التي لا تستطيع أن تبين
سخريةها البسيطة من الحياة ضحكك مثلاً لم أحبك أبداً في حياتي

عندما وصلت إلى البيت، كنت قد استوعبت داخلها فكرة إمكانية معارضة
واحني. لم أكن أسمع لعانسة وهي تحاول أن تخفف من ثقل ما حدث بعيني
وبهذه وتعبيره مجرد حالة طارئة، ولكنني كنت غارقة في مناهات بعيدة
كانت تسميني نحو عقل افتقته في كل الزمن الذي مضى أو على الأقل
هكذا تصورت

الأيام التي جئت اليك لي سألني عنك، فوجدتني، وأريدت لي
التي ظننت زمناً طويلاً تنتظر إجابتي، ماضي سأفعل الزواج من ابن عمي
ربما من الذي لم يتوقف عن الصبر والذهاب إلى الدار، حاملاً الهدايا والعمود
التي كنت أنت وزوجتي نرى، فوجدتني، فوجدتني، فوجدتني

- سي ناصر سيكون أسعد موت في الدنيا

كنت أعرف أن والدي كان أكثر حزناً مني كان منكسراً لحزني رأيت
وجهه لحظة واحدة وقد علمته مسرة طائفة غبرت كل ملامحه أدرك جيداً أنه لو

له عمر آخر، وتعرفت وأسيني لأحبه بعمق

أبي المسكينة، قصة أخرى لم تكن تعرف أنها كانت تولد لجنازتي

عندما أسرت وأسيني بهراري، لم يقل شيئاً انتظرت لحظات طويلة أن
يطلب مني منه دليلاً، ساعة، يوماً، شهراً، سنة، قرناً للتفكير، لكنه لم يفعل.
لم يكن سعيداً وهو يعني عينيها المنكسرين نحو الأرض، لكني لا يراني وأنا
أبته للمرة الأخيرة، قاركة وراني كثر شيء، كنتي، وقومتي. حقاقت
الشيء الداهية وأصداء قصة ماتت على عتبة موت كان بارداً جداً
في ذلك الصباح

رسالة وأسيني بهت لي أنه كان في عز انكساره جبروت اللحظة وضعه
استحالة لم يصعبها. ربما لم يفهمها أصلاً لأن فدايتها كانت كبيرة

www.rewity.com
^ RAYAHEEN ^



من سير لمريم

أذهب، ما دام هذا خيارك...

سبحي المصنوعة

مريم المصنوعة

من أين أتت هذا الطوق

من أين أتت هذه الحجاب والجلود البالية والقميص المصنوع

شروق في قاعة الأور والي بامبا ولسان

عندما خرجت في آخر مرة باتجاه غامض، سحبت وراءك كل شيء، حتى احتمالات العودة لم تلتفتني أبداً، فقد كان حريقك قاسياً تركت وراءك شوارع مشتعلة، وحكومة وطنية جدا، لم تخرج أسلحتك بعد الاستقلال إلا لقتل الانقلابات أو لقتل اطفال الأحياء الشعبية إنه حريق الحزن أيتها العالمة كل شيء بسطط الأرواق، الأخلاق، العشاق، والهاربون من تاريخ، يدل أن بحرهم، فتكهم في غفلة منهم

الساعة الآن تزحف نحو وقتها المعتاد لا أرى شيئا من وراء هذه النافذة المنزوعة بانساع إلا هذه الشجرات العملاقة المصنفة مثل جنود منكسرين. تتمايل أشعر بأوراقها وهي تغارها لتعزى داخل هذا ثقور التي ينسج مدينة أول مرة أمشي هذه الفصول غاريا منك من العنق من ضحكك من خوفك تفرطين أن حوا مثل هذا وقصا مثل هذا، يرميني بعيدا نحو غلغولي الأولى وأنا أركض في تلك المدينة المعبدة التي علمتني التهور والدفقة أشكر أسنان الرسم وكلماته الجميلة من يعرف رسم ورقة الملاط - أهدو عليه بهدائي وأصابعي معلم أنا معلم أنا ثم أخطأ بقل تقاصيلها الترفقة والولتها وانتصاراتها الحانسة

ها أنا ذا في هذا المصباح الحزين، أراها وهي تهتز لرياح الشوارع التي

سبحي مهنساتها داخل هذه القاعة الدافئة ولا حقوق لي إلا رسم وجهه واستعادة ملاصقه. وربما بعدها ثاني استعادة تفاصيل الورقة أنت هناك بعيدة

وأنا هنا في هذا المكان، أكثر معاً وانتفاء

الساعة تزحف نحو ذا لا أرى في تلك لحظة قوة الرياح في الخارج يوم حصد القليل العفراء ومع ذلك سامني مهنسات شعرة الساعات المصنوعة لا بد أن تكون قصير، هذه الساعة بادية الشعر يوزن داخلني ثم أكون أشكر الرسم صعب للشرح معاً وانتصارات كل من الشعر واليدوس مرفوعة ولو قليلاً

هذا اليوم الطويل، بعلمني ولغة قصوى للتحويل داخل المدينة، لتعمارة داخل شرايينها، لكلك بعيدة ثم القول في خاطري ليكن، سأخذنك وسأعطيك أندرج معك داخل كل التفاصيل المنوعة، لكن خوفاً بخروسي قساة، فمنذني برودة لا أشري من أين كانت تأتي

نصوري يا مريم، أنا المحي لك ولهذه المدينة، وللحياة، لم تعد أفرقة تعذبني كثيراً لقد أصبحت تأكل معي في الإضاء بفسه، وتشر في الكأس التي أشرب فيها أراها وتراني، أعتها، وتلعغني أسخر منها، تكز على أسنانها وتلعغني ثم في الأخير تنصالح

التحجر العملاقة المواجهة للنافذة، لإشراق من حين لأحر شفق الزحاج تهتز، تنساق، تريد أن تدخل إلى هذه القاعة افتح النافذة التي أغلقتها قبل الليل تدخل راحة الورق دفعة واحدة، والأثيرة وانعطر

يا الله للمطر راحة في هذه البلاد مثل تلك البلاد التي صارت بعيدة عندما كنا نغزل إلى ساحاتها، تحت المسننا من لوزرة الأمطار وسبحي يا سبي صويتنا وسبحي معاً، يا الله التي حسنا بلقاء غير نشطة كعلمة

وبها الموصني



ما سمعته من
حتى يحيي خوفاً حمواً
بسمتي يا حبيبتي

ما أجمل مدنتنا وقرانا حتى في لحظات فطرها وتصحرها ما أحمل
سائناً ونواذب ميوئناً العتيفة ما أحمل شوارعنا وروائح الأثرية التي
بعضها المثلر لقد ربهنا على الأفراح الصغيرة والعتات التي لا نتركها
حتى لحظة الشهادة الأخيرة

كيف أنت اليوم؟ كيف ستواجهين الصباح لا بد أن يكون خلوك أكثر من
خوفي. فانا أعيش هذا الخوف في التفاصيل وأنت تمسحينه داخل نضرات
الأخضر والصحف اليومية التي تضحك استشهاداتها اليومية المبسطة وموتنا
المتكرر هل تتذكرين ما نذكره هل تعرفين أننا مجبرون على إيمان أقارب
الأمل حتى لا نموت بالشيقة الفائلة. وحتى عندما يبحول الأمل محترق حله
نتثبت به في الفراغ

اسمع صوتك داخل نقرات هذا المحل أحزن أشعر بغربة كبيرة أصرخ
بحسرة يا الله لماذا ضيعتنا الأسلة وثبنا داخل الإحوية المستحيلة لماذا
لم نأخذ الحياة من وقتها كما تسلمناها منذ أول لحظة. ونخلطها معنا في
فرائشنا. ونذيقها خلوتنا وفراغنا وخوفنا بدل أن ندخل معها في عزاء لا
يفضي إلا إلى موت مؤكد. أتساءل وأنا أستحضر داخل هذه الحمة التي لا
أدري إن كانت حزناً أم شيباً يشبهه

ماذا تقرنين أيتها الحبيبة التي لا تغادر الكلد إلا لمسكن الروح؟

أو بكل بساطة. ماذا تفعلين الآن؟

لنا سعيد بهذه الحبة المؤذبة أحب الأوراق والمسر والافلام. والاندوان
التفسيحية بكل تدرجتها أحلم ببأس أن أقبض على هذه اللحظة وأنت
معي لا أستطيع أن أستحضر وأنا أعبّر دروب الخوف وزعشة الموت ماذا
سجدت بعد قليل؟ هل سيسعني الحظ لأضع الرسالة في صندوق البريد؟

أ. سمعته رصاصة بمانشة حتى هذه اللحظة لا أعرف ما سجدت بعد
كلمة التي الوحيد المؤكد. أنني سأخرج من هنا باتجاه مسالك المدينة
وبعابرها الصغيرة عندي أمر يسو أن أقرر أي انتماء مشاريع كثيرة.
ولكني معطوب الحنن لا شيء أمامي إلا وجهك الذي يمتد في الفراغات
مستقاً ويرتجاً قبل أن يعود بكل امتلاءه المعهودة بذاكرتي بجمائنا
المسروقة. ماذا يساوي الحلم في غيابك ومع ذلك لا أمك داخل هذا الموت
الآن أحلم. وأحلم مستمرار حتى لا أغريض مثل حيوان حرالي تصوري
أخائي وبناصوراً كان يفترض أن يفترض ولكنه عن طريق تصدفة بقي حياً
حتى إشعار آخر فصيلتي تفترض بهدوء وبصمت الجميع أصدقائي بموتوني
مواحد بعد الآخر وأنا أبحث عناً عما يمكن أن يعطين استمراراً لحياتي في
الكتابة البحث عند. معلمي الأخير. ضد رياح الخوف ولكنني كنت كل يوم
أحسرك قلباً. حتى أفتلك نهائياً أحوال عناً أن أنسى ما حدث لنا لكي
استطيع أن أعيش واستمر في التفكير فبد

مريم الحبيبة

فرحتي. وبعض شقائي. وما تبقى من حلمي

في تلك اشياء كثيرة أريد أن أقولها قبل لحظة الأمل. لكنها تستعصي
عني الخروج

أما حتى بل سيطرت على نفسي انتماء فامر سرور في ذرة
الأرض التي صارت بعيداً هل سيعطين الزمن الطاسي مهلة لتتفرق ونفراً
يعبرون الأبطال أوشام أحساننا هل سيكتب لي مرة أخرى أن أسمع إلى
تطلعات تنهياتك وهي تنمق على صردي وتضيق بجنون على أهل لحظة
مشعة في أعمالنا هل سيمكنني بعد اليوم أن أمد يدي إليك وأخلك دعوة
واحدة في ظمي وذاكرتي هل سأشعل من جديد سيجارتك وأقتر كاسك
وأنا أصحك بأعنى صوتي. هاه نقابة في أولاد الكلد لتضرب حتى
تهلكة الفرح بدون قدم أو تدب هل ستقطع معاً معابر هذه المدينة وطريق
الساحل ونحن في السيارة. نطش للحكايات ونضحك ونتمتع بالأمل؟ هل
سألفض على يدك وتغير أطول شارع في هذه عمومية بلدة استثنائية؟



هل ميسعني الموت لأراك ثانية مثلما اشتقي؟ وهل مستقبلين العودة
إلى قلبي الذي خرجت ولم يرحم صمته وشوقه؟ أسألك مياسا وخوف. أي
حرف أكتب؟ أي لغة ألمس قلبك وتعرفين أنني أحبك. وأنى وحيد مثل
الغصاة في بحر خسر كل ألوانه.

تندفع في أعماقي حجارة قرويتي البيضاء المتناظرة في ظل حمل يطل
عليها من فوق. وصوت الفطارات الخشبية التي كلما سمعت صغيرها. الخشمان
وراء الصخور خوفاً من أن تسحبني في الرها. ووجه المدينة الساحلية
المعلقة كتساع لا يموت في عمق ذاكرة ترتعش كلما لامستها موجة هاربة
أو لحظة زهول.

ماذا أقول؟ نقولين نكتن. فأنا أتلدأ بالاستماع إلى أسجدهاتك الخائفة
عندما ذا أقول هل أستطيع تخيل لحظات الفاجعة في غيابك؟ إنني أشعر
بحريقك أنت التي تعبتني للثق عظيم اسم الخيمة. بمنزلق بين الرعشة
والرعشة. والخوف والخوف. والذهشة والذهشة تفتحين انتفاضة لتتسنى
السطح الصاعدة القاسية. ليس لك الصمت عذراء في قولها ومثلها. لا
للمعجب فضاء هذا الجول. الصمت على سطح الحرق والحدوث بدل السجا
الجميل حجم الترافيل التي تسحب في نسمة التي خلفت. الإحراق في سماء
رجل اعتله وهو مستعجل. لا ألغاه حتى في الحلم بحرية ويوم القدر
ترابيل من يسي كالنمل القهقري أريد أن أقول في هذه المصيبة. يا ميسر
مكوكس.

مريم من أين يأتي صوت هذه الرعوب؟ ما هذه الأمطار العاصفة التي
تنفر الزحاج بلوق؟ إنها اللحظة تماماً. التي أتأمل فيها بهوده وصمت اعتق
هذه الحالة لكنني عاجز عن تحمل هذا الجمال الموحش كله وحدي. أنا هكذا
مثلما كنت نقولين عني دائماً بابتسامة مأكرة.

- Grand comme un peuplier, fragile comme les ailes d'un pa-

أصحك معك ببلاده ولا أسألك وكم أتعنى الآن أن لا أسألك مضيقاً وإن

الربيع على أسوار برصعة ممتدة. لا بد لي من تصاميم البحر. فلهذا سمعت
قطعة موسيقية شائعة. أو غرقت في لوز بنفسجي. أو صاغت في الطيران
بورسا هاربا من منديله مباد أعني. كان يتأمل البحر من صماء كتفا عمره
شعر بمعلمها واتساع فراغها.

حبيبتي وفداني الكبر
في هذه البلاد. أشعر كأن لا شيء تغتني مطلقاً ما زلت على هذه الحافة
المؤدية إلى الفراغ فراغ يشبه شاطئاً أو بحراً ميسر أرسم أوجهاً وعلامات
تسلسلها داخل الخيمة التي نقرت من فضائها أحياناً أقول. هذه اللغة
ما أجدت من الحافة. لا حدود للأنها. من ٢٨ حرفاً فقط أصنعك أحبك
عيني. أنت كمن كنت. ولحظة لحظة أتخطك الذائرة وأخرجك من ٢٨
في هذا البحر. روايات عك وعن حزنك. أضعت أدوات العبادة والعبادة
والخوف وحلق الطير. من ٢٨ حرفاً أنشئت الدنيا. افككتها مثل اللعبة. أبعثر
أجزاءها ثم أعيد تجميعها بهذه تلوق آية لذة أخرى هي ذي لغة الغاسية
تسلسلها. وأخزها. تموت لغة لا تفرغني بقسوة شوحدة ويرويتها.
تسلسلها. أبعثرها. أضعت أدوات العبادة. تساقطت في النار أو تروم حجة هي ذي
عيني. لا تاتيني مرتعشة مثل بحر يدموني دفعة واحدة مززلة مريه
سبح رعنيتها ودمدماتها. تتسلسل إلى فراشي. تتمثلها قملاً أذني حبيبي.
مثلك أشعر بلحوسة العود والخوف صموني إليك حبيبي لا تفرغني أموت في
صمت الخوف بهلوك بملاني ضعتي داخل صورك وتركتني أنتهي هناك
داخل نورك وخوفك. وأحرائك أمة يدي إلى خفتها مريم نتاوه أتما وحبيماً
لما لا تركتني كل هذا الزمن؟ أهول يهوده. أنتشت. . . يجب أن نسكت أمام
الألوار القاسية لكي لا نستعزها أكثر انساب مثل الماء الدافئ الغاليل من
اليوبيل الموحشة. إنني أقرأ في عينيك كل حبيبتك وجهرتي من زمن صنعه
غيرنا وخذلنا في النهاية. كنا نعلم بملاء بعني فيها على الورد ونستقبل
كل صباح نور شمسه سحبت من الأولاد المفتوحين على المستقبل. الفتحة
أعيناها على محاسبة الورقة الذي باعوا كل شيء. لأجيم المال حتى تاريخهم
وتاريخ الذين ماتوا بين أيديهم مقربين بدهانهم لا أريد أن أعرف من أين
جاءوا وأي زمن مجنون صنعهم. بكفني أن أكتب الذي غادرك ذات خوف

لا يعمى إلا على وقعك وفلبي الحاصد من فلالته والمفتون بك، لا يدق إلا
لأناسيك الخفية التي كلما مستها الصراخ، تذكرت أن الشمس تزعج كل
صباح.

مرم أضع يدي على قلبي أحاول أن أقرأ تفاصيلك لحظة، لحظة غفلة،
لحظة شوق، شوقاً، أخاف عليك جداً من قلبي. عندما يتعلق يصبح حزيناً
وتألباً عندما يحب يفلت ورائته ويتحول إلى ضل

عندما يكتب شعراً يصير حزيناً

عندما يتوكل هو، يصير حزيناً

عندما ينشئ بلد يصير حزيناً

عندما يلقي دوي مرء الحيلة المسروقة ويطلقه يصير حزيناً

عندما يعرف أنه مستغنى ساراً عن حيلته هذا الطوف وهذا التوهمه التي

تفقد كل صلاحها وتسرت كل علاماتها، يصير حزيناً

عندما يقتله النقص لحظة بل لحظة يسيراً يصير حزيناً

وعندما يرفع كاسك ولا يجنك بحانته يصير حزيناً

هل قلت لك ما كنت أنوي قوله

وهل عندما جلست على الطاولة، كنت أعرف ماذا سأقول وإذا أفتح الشفافة
على شارع المدينة وعلى شجرات المظلال العملاقة، منذ أن ذهبت، أصبحت
هذه المدينة كل يوم تسرق مني شيئاً، ولجبابك جعلتها معشوقة مستحيلة
الفر أحباً من نومي مذعوراً، بعد كابوس خرافي أبحت عليك أنسأهل داخل
حبرتي وقلبي قبل قليل كنت بهناً، أبي أنت الآن! أين تختفين؟ حتى
مكثت في الفراش لأبزال داغدا ثم استعيد هدوني شيئاً فشيئاً مع مرور
حالة الهذيان والسكر أنت بعيدة ولكنك هاهنا، داخل القلب المرتق مثل
خرقة مبلطة ترفض أن تموت لم تصنع لهذا القدر فهو ليس لنا

مرم حرقه هذه الخسارة الفادحة، وخيلها الضائع المجنون

ماذا تفعلين الآن؟ كيف تعيين هذه البرودة والتعبات المثلثة، أنت

عندما المنح والتمسك، كيف تخرجين وكيف تدخلين؟ هل تواجهين الموت
بقلبي حالي كل صباح العجيباً عندما تنسى نفسك الطافية تحت ريش
سما لم تصنع لهذا التحول تصوري في أي شيء تفكرين الآن؟ في هذا
المرء الذي أعيشه معزوجة بلقاء لا يعرض أبداً أو في مدينة تسحب
خطوة نحو مضايها وسحرها، أما زال في قلبك ذلك الرجل الذي عبر ذات
يوم بينهم بسلامها كالكيمياء المحروق، ليصل إليك وهو لا يحمل شيئاً قبل
أن يدخل أعلام الطفولية ويقتل أمومتك، عندما تلقني في حضننا، تحرقه
بالسنة عن الماضي وعندما يصير الحاضر ماضياً منكسراً، نقشوق
الأسير لتعلقاته هل هو قدر العاشق، لم قدر الكتابة ذاتها أثبتت علينا
لماذا الأسفل على تار العنكبوت والصور والصبر، لماذا أقول، حسي حسي
الجنون وهذا داخل كل شخصي التي لنفسها سواها هذا الأسماء بعير
من اليأس والتسلي، أريد الصبر التي حسي الرحمة من لحظة السوء، لم أوقع
شروها مثلاً

النسر أو أحاول أن انسي الأسعد للحظة وحتى لا أخسر توازني نهائياً
لكنني كلما حاولت فتح عيني عن الخرافة بعد سكرة محزنة انفس حول
تفاجئة هل تعرف هذه البلاد التي تعودت على الموت، أن ما يحدث بها
كارثة، لقد تساقط الكثير من العشاق في غز العفة والدهشة الأرضية
التي كانت تحمي خفافهم من الموت صمعت المقاهي التي شربوا فيها
ليوتهم المظلمة، اندثرت أو سكوت ليوابها المسافات التي كانوا يلطفونها
بومها داخل شرايين المدينة القبيمة، تلعقت وصارت مريعا ضيقا عاجزا
عن حمايتها مع ذلك، كلما عذمت على اختراق الدروب الضيقة، شعرت
باصواته التي لا تموت في كل مكان ها هنا تضاحكوا طويلاً على نقنة
ارتفعت من أكثرهم صمناً وها هنا شربوا شايبهم ولقوتهم ثم انسموا نحو
أرب بار بكاية في التوت الذي يتربص بهم في كل مكان ثم ها هنا
في هذه التزاوية صمم التتبرون صرخاتهم الممزوجة برشقات الرصاص
خاضلوا نوافذهم تأملوا المشهد من وراء عذوات الأخشاب ويلومهم الأصداة
تبعيون على هلمهم المجنون في حاجة ماسة إلى أن يصدق نفسه من
حس لأشرب بأنه اعقل الناس حتى يستطيع الخروج في حاجة كذلك إلى أن

بحسبك من سداجة الآخرين ومن صفواتهم وهم يبعثون عن حفاظهم الضائعة
ومن خوف الوحدة ورغبتها

مريم الحبيبة انكسرتي

لو تعرفين الآن ضخامة الشغلة التي تسكنني في غيابك

بي شوق كبير إلى كل الدنيا التي غادرتها وغادرتني بي شوق لصوتك
ولعميقك ولجسدتك لحزبك لعزلك لعزلةنا لصميمنا الصغيرة ولخوفك عني
نسبة كل المأساة التي تحملينها على قلبك بي حزن لا يحد من هذه الدنيا
أنتي تغتلك بمسدي كلما لمستها أو اقتربت منها إنها طافية ببعض الشيء
وندهشي ألوانها وإشاراتنا الخجولة التي تسكنني أحيانا سناحتها ثم
أقول في خاطري إذ أتذكرتك بقسوة ما أوحش هذه الوحدة ما لا لو كنت
هنا أبست فرصة جميلة للحدث والسحرية هذه المدينة تأسرني بذكائها
وحيلها بسحرها المعشوق وحبها الهومي وحتى بعنفها

أحزن عندما أكتشف نفسي معترسا داخل زاوية لا أعرفها ولا أتعرف
أني عبرتها ذات يوم أحزن لأن بلاي التي في قلبي ومراقباتي الأولى
تندلج عني دفعة واحدة المدينة التي تعارفنا فيها لأول مرة تنسانا بعنف
بصعب علينا تحفة

أشكرك من أهدافي ماتوا أعرف أنك حزنت وأنت تعرفين أحبابهم
وتستعدين صورهم لمست وجوههم التي صارت فجأة رمادية لمست
عيونهم المغلفة التي لم تفتح أبدا وجراحاتهم ويقاب الدم المتجمد بين
شظائهم

كم تمنيت أن أرجع إلى الوفاء ولا أرى ذلك وأن أحفظ باحر مرور
المشاة والجنون التي أعرفها عنهم است أدري لماذا نقتلهم موتهم أو
فقدانهم لتذكر كم كنا مخطئين ألم يكن من الأفضل أن نعيشهم بعين قلب
أذناهم كالحكاية الجميلة

كلما تذكرتك داخل هذه المدينة المتهالكة يوميا ودخل جنوني

بجسدي وأشواقني أقول في خاطري هل تمتلكين بعد كل هذا اليأس
قدرة على مقاومة خوف المدن البعيدة والرب القاتل وهل تستصيرين
في انشواء وتنشئة ولون البحر في مدينتنا التي ضفت كل أحزاننا وأفراحنا
صغيرة

قلت لك ذات مرة ببأس تصورتي منذ أن افتراقنا خسرت الحلم بالألوان
أعد أرى إلا الأبيض والأسود ضحكنت ملوية قلت أما أنا فلم أعد أرى
شيئا وعندما أرى لا أعرف مطلقا ما رأيته بدم أرى أميس بتوليت الخوف
العصاة صفت برحمة أصبت بملوحة راحة ضابطة القلب صدمت
أناومها كلما شعرت بعبرة انتود لأشد ما أخشى أن أموت نائمة أعيش
معك بتوليت كل المعاصب والانفعالات ولكني اليوم حتى آخر شغلة من
حياتي لقد تركتني أموت وحدي
ما العمل أنا

لا شيء كل الأعمدة انكسرت لم يبق سوى التفكير أحيانا يحمون كبير
يتعبد إلى الحرب مطار والسفر في أول مغارة إلى جهة مجهولة الظروف
من هذه المدينة بالقسوة لم أعد قادرا على تحمل ضياعك أمامي
لم أقول في خاطري أنها مخاطرة المراهقين وأفكر حديا في الذهاب إلى
العاصمة لا أحبها كثيرا ولكنها تمنحني فرصة راحة المعد عندك والأفرا
يهول الكارثة

هل تدبر يا مريم أنك التحاري السعيد

في حاجة إلى حاحة مجنونة إلى صمتك إلى صراخك إلى قلبك مني
وحولك عني إلى شنائك إلى غيبتك إلى تقطعات أفلاكك على صوري
إلى كلمتك التي تنزلق داخل الكف تحمات الزمل الساحقة كالحجرات التي
لا يموت أنفادها إلى غضبك وأنت تهربين بعينيك صوب البحر تصطحين
غفري بزخم والديك نعمت منك خلطني في حاني عندما نلتقي ثانية بعد
فراق يوم حزين أقص عليك آخر نكتة سمعتها في مدينة لا نعرف التذكير
تكتلمين الشجاعة تضامني في كشف ضحايا النكتة تصطنعين صرامة غير
مفظة ثم سرعان ما تنكسرين وتنسين أننا كنا مناضحين مثل صبيبين
نلقه نموت ضحكا ثم نلبي عندما نتقاع بيننا الضحكات وأحبابنا

لو عرفوها لما قننوا الأطفال الثمانين في شوارع لم تعد تعني لهم الشيء
الشيء. كثير القوم من أبناء مدينتنا يتكلمون بلسانهم
عجائنا عندما يسمعون حكاياتنا. ولكننا نحن كذلك سنخضع، وربما نموت
من ضحكهم علينا

لو فقط يعرفون. ولكنهم. بكل تأكيد لا يعرفون

حسنت مفعلاً. كلتي في قبالة السور
وهذان خريف ١٩٨٨

الزمن الشئوي كان هنا

مريم. أحس بها في كل مكان. ولكني لا أراها.

هذا لا يهتني مطلقاً. ولا يعير شيئاً من خزيي. كلما تصيرت الخواشي
والخوف وحش الساعات. زاء. يقيني بأن أوقات مريم أصبحت معدومة. وأن
سورةها التي تارة تلمع بالكتابة من قسهم والظروف الضيقة التي

تراقصت الأوراق والرسائل بين يدي

عاد أمين موزان لودينغ ملتبساً بالنور المتسرب من النكوة الصغيرة.
التي خلف حذاءه سطح أنثائي الناعمة. كان يحضر عبقاً في أحود الذاكرة.
مزياد جرحي اتساعاً وعمقاً. كنت أتخس برؤوس أصابعي المرتعشة، هوئ
التي التي كان يلغني لم يكن أبداً فراغاً ملاً رائحة

حياة. عرفت سر الوجبة الحادة التي انتابني من راسي حتى أحصص
قمتي. قبل قليل انتهت إلى أن فتحة النكوة الظلمة، الصغيرة، كانت قد
توسعت قليلاً، وأصبح هواء الفجر يتسرب نحو ظهري بسهولة كبيرة. كان
بارداً مثل محيط مستقيم، حيث حتى بالأوراق المتراكمة، وبكل ما كان يلغني
المكتب. فتعوى العسس البارد من كل شيء كان يعطيه، لم يتحول في شكله.
في حين لمية فوهة. السريكة التي استندت لأن جوهرة نحوي لفتت من
حسرت ليست العسية.

- ٢ -

تلكسة الخيمة التي لمحت نصفاً على يسرها. أحياناً في تلك
الوقت بعد كانت في ألية الألم والحرارة. لم تعطي حركات جوفها
وانضمامها الغريب. حتى مهلة معدومة للتفكير والتأمل وإمكانية الفهم كم
أنهت على هذا الانهزام الذي بدأ يهتني بسرعة.

ما تصورته مجرد لحظة حسنت في وقتها، وتحملت تبعاتها التي كنت

لو عرفوها لما قننوا الأطفال الثمانين في شوارع لم تعد تعني لهم الشيء
الشيء. كثير القوم من أبناء مدينتنا يتكلمون بلسانهم
عجائنا عندما يسمعون حكاياتنا. ولكننا نحن كذلك سنخضع، وربما نموت
من ضحكهم علينا

لو فقط يعرفون. ولكنهم. بكل تأكيد لا يعرفون

حسنت. مفضلاً. كلتي في قبالة الضحك
وهذان خريف ١٩٨٨

الزمن الشئوي كان هنا

مريم. أحس بها في كل مكان. ولكني لا أراها.

هذا لا يهتني مطلقاً. ولا يعير شيئاً من عزيقتي. كلما تصرفت الخواشي
والخفاف وحش الساعات. زاء. يقيني بأن أوقات مريم أصبحت معدومة. وأن
سورةها التي تارة تلمع بالكتابة من قسهم والظروف الضيقة التي

تراقصت الأوراق والرسائل بين يدي

عاد أمين موزان لودينغ ملتبساً بالنور المتسرب من النكوة الصغيرة.
التي خلف حذاءه سطح أنثائي الناعمة. كان يحضر عبقاً في أحود الذاكرة.
مزياد جرحي اتساعاً وعمقاً. كنت أتخس برؤوس أصابعي المرتعشة. هو
الذي كان يلغني لم يكن أبداً فراغاً ملاً رائحة

حياة. عرفت سر الوجبة الحادة التي انتابني من راسي حتى أحصص
قمتي. قبل قليل انتهت إلى أن فتحة النكوة الظلمة. الصغيرة. كانت قد
توسعت قليلاً. وأصبح هواء الفجر يتسرب نحو ظهري بسهولة كبيرة. كان
بارداً مثل محيط مستقيم. عمت حتى بالأوراق المتراكمة. وبكل ما كان يلغني
المكتب. فتعوى العنبر البارد من كل شيء كان يعطيه. لم يتحول في شكله.
في حين لم يزل يرمقه. السرير الذي استند الآن جوهراً نحوي لم يزل
يحتضن ليحتضن القصة.

- ٢ -

تلكسة القميص التي لم تكن تلمع على يديها. أحياناً في
الليل بعد كنت في دابة الألم والحرارة. لم تعطيني حركات جوفاء
وانضمامها الغريب. حتى مهلة معدومة للتفكير والتأمل وإمكانية الفهم كم
أنهت على هذا الانهزام الذي بدأ يهتني بسرعة.

ما تصورته مجرد لحظة حسنت في وقتها. وتحملت تبعاتها التي كنت

الجاهلة للزُمرَة العسكرية التي عُدت الكثير من البهوات القيمومية التي لم تكن تتطلب إلا ترميماً صغيراً. شعرت وقتها أن زمرهم لم تكن أقل جهلاً من زمرنا التي أبادت موروثاً عمرانياً مدنياً باسم معاداة الاستعمار. سددت حتى صخرة السماء، وتأمّلت من الأعالي ورقة المحر الدائكة لم أرتبطاً في أي من تلك المعضلات التي تشد راح اليد المدبرة لبربرية حي. وأمّرت بما يشبه الحُر، سوى بطعم القملة الممزوجة بملوحة البحر، وضخمة، استبي التي تلونت بالورقة. وهو يهتم في أنني

الغريب أن كل ما حدث، وكأنه كان منظمًا مسبقًا تزوجت بسرعة وبسريّة
حضرت تلك سنوات طويلة على الضفة الأخرى، لم تكن قصة واسبي الحسن
من قصتي لم ينتظرنى طويلاً، لم يحزن ثانية واحدة، لم يمسك بيدي
قال لي بعد ذلك في لحظة عاصف: يا سبي، أنت تعلمين أنك قد أصبحت
أزواجاً في الحياة عندما لم يكن قصدك في ذلك، ولكنني كنت أريد أن أكون
نفسها، من امرأة لم يحدثني عنها إلا مرة واحدة قال لها صديقة قريبة،
تقاسما معاً الأيام المرة، والأيام الجميلة. أتساءل أحياناً بغرابة الماقل
هل من الضروري أن نقيم على حماقة الرواح لنترك متآخرين عمق الفجوة
وقوة الحماقة غير المحصورة التي كان علينا تعادوها في اللحظة الحاسمة.
لم نفعل!

أخبرني في العمق، وهل تزوجت إشعاعاً لغيرته؟ لا الحنون ولا الميرة أعطينا
 مرة شيئاً يستحق الذكر كل ما حدث، هو أن الحياة استمرت بدون
 أنا وأحرامنا والكسارنا الخفية. شيء واحد ظل يحرق في بفتق وجهه
 على واستحالة صحو لون عيبيه من دهشة ما كان يسمعه ويراه

صحيح كما في وكان رمى حفنة من الملح على النحر المفتوح

انتهت بين يديه مرة أخرى كالتفاحة المصروقة

على مقاومتها. في النظرة لكل ما كان يحيط به. كنت أخونه في جزيرة شعرت فجأة أنها لم تكن إلا لي ولواسيني الأسمى من ذلك كله. كنت أكون في الفراش حتى عندما أجهد نفسي لكي استسلم له. كان علي أن أدخل حذاء الدوار والدوخة. وأرائي بين يدي واسيني. في جسده. تحت رحمة ألسنة التي تجيد معرفة أسرار جسدي زاوية زاوية. لأتمكن على الأقل من إرضائه. لم تكن طلبات رياض كثيرة في الفراش. ومجنونة بالشكل الذي يفرضه لا أفسد شيء إلا أنني أقتحم التسلق في سلسلي من حبل لأخوض حبل. وبجسدي نحوه بهيف. في اللحظة الأخيرة. التي كثيراً ما تكون قاسية. لكنني كنت أرمي خلفي البحر لا أصرخ بأعلى صوتي. وألقي برجلي في البحر وأخرجني من البحر.

أفكر شيء في اليوم التالي. في بعض في بعض وفي حيارائي. واسيني. في الحديقة بين هذه الدورات المعقدة. ويكاد ينفذها جيداً. الهرم الروحية التي لا قوة في الدنيا تستطيع ترويضها. مدمرة عندما تتوغل من العظم واللحم.

عندما عدت من كريت. كان وفاقى مع رياض قد انتهت. على الأقل في الحاضر. أدركت في حالي أنني كنت بحاجة من العزيمة لا وقتاً. لم يزل. ولكن لأنني في النهاية من النوع الذي لم يصنع إلا لوجل واحد.

- ٥ -

فجأة اكتشفنا كان لحظة الحب بدأت الآن فقط.

تشبثت بواسيني. هذا المرة. كمن يلتصق بقشة النجاة وضعت حياتي كلها ليس في كف عفريت. ولكن في عين قدر أعصى. لا أعلم متى ينقلب علي.

لقد زاد اشتعالنا مع الأيام. وكان الرباط المقدس لم يفعل شيئاً سوى أنه جعلنا أكثر اشتعالاً. القبلية الجيدة. أصبحت سكتية ونشأها ألد وأعمق وكان ما كنا نحصل عليه اليوم. أصبح مستحيلًا غداً. التذبح.

في الشوارع في آخر الليل بعد عرض مسرحي أو سيمفوني لم يعد إلا حلقاً فارياً. لكننا عندما نحصل عليه. نشقق به لكي لا يفلت من بين أيدينا وما كنا نحصل عليه ومجرد الرغبة فيه. أصبحنا نتحارب عليه أحياناً متتالية. في تلك حزمة صلياً منه. ونحن في أقاصي السعادة. ومقدار التعب. كانت تأتي اللذة المسروقة استثنائية ومتعة ومنهكة القوى. ولكننا كنا نحس بها ويحترقنا كنا سعداء لذلك. وكان كل ما كان ينبعث من لحظات جميلة. كان له طعم فائقة الحنة. ليس لأن كل منوع مرغوب. فهذه جملة مستهلكة ومعروفة وفقية جداً وفجة. ولكن لأن في كل جسد قنبلة موقوتة لا تفككها إلا يد ساحرة واحدة. وأنامل من يد. ولصمات من صمات ونظرات من غيم كل الأصابع التي تمر عليه ولا تعرف سره. باردة ومبتة.

من الأحمق الذي قال أنه ينظر إلى نوبة «عاصف»

ما كنت أخافه. بدأ يصل إلى رياض أكرت له أن ما سمعه مجرد كلمة طائفة وبدأت أشعر كلما خطوت خطوة. أن شيئاً ورائي يقضي خطاي.

كانت عبور رياض كثيرة. مزروعة في كل مكان. لهذا أصبح تمن القنبلة أسابع من الخوف قبل الوصول إليها. وعندما أصل لها علي أن أهدر وأن أفعل ذلك كله خارج أمكنة المعرفة.

أول مرة قابلت واسيني بعد عودتي من جزيرة كريت. شعرت بلذة عذبة بحث كل إحساس بالخيانة. بل إنها فذقت بي مباشرة إلى مرتفعات كريت وأنا في لباسي المنقش. تحت رحمة رياح ساحرة كانت تريد أن تسرقني من بين يديه. وهو «يوشوش» في السري.

- راح تجنّني هذا المجهول ويتجملنا ما أفعله.

أعتقد أنني منذ تلك اللحظة المسروقة. دخلت في السرية والغموض سرية العشاق الذين يخشون عميقاً خنوتهم ليست نائمة أبداً على ذلك. كل ما عشناه مسروقاً إلى اليوم. كان هو جنتنا الوحيدة. وفردوسنا المسحور ما تبلى. مجرد عادات مكرورة تشبه دورة الحياة المغلفة.



تجاه عيني المتهمة. رابته من وراء الأتعة المسكرة، بقاوم الموت
وبركض باتجاه شمس كانت كل يوم تزداد قرأاً منه، وبركض بلا بأس ولا
محل نحو حقله لم يكن خائفاً أبداً من حرائقها الدائمة سألته وأنا المص
رحبه المقلب بحرارة

- حسبي.. قلل من خطابها الحنون إنك تنحى نحو النار كالغراشة
- أسبق الزمن، وما ينتظر كرمنا الأرضية بدورانها نحو الشمس
تنتقل يوماً، وستتحول إلى رمال وإلى قفر، مثلها مثل بقية الكواكب.
مهرباً ما الوحيد أنها منحت الحياة لمحببتها الجميل، قل أن يصوبها دوار
اللذة القاتل، وتنتهي في جاذبية حرائقها

- مالي ومال الأرض، أخاف عليك من حنونك.

هو الآن تائه في مدن الله الواسعة، وأما مسمرة في مكان اختبرته، وأتعمل
صيفه وقهره يونس ومهايا، في الطابق العلوي، وأما في السكينة يوم
الجميل، أتمسك أنفاس وأحسني الصائغة، وأحاول أن أتامل بعين حبيزة
رايات المنسكة عند باب بيتنا الذي لم ير النور أبداً، لأن حنونه كان أقوى من
كل شيء آخر، حتى من عقله، أو ربما العكس في الحاليتين يمكن أن يحدث
الدمار نفسه

يمكنني اليوم أن أدعي بلا تردد، أنني أفضل من يعرف حدياً كل أحراره،
ومست كتاباته السرية، من كثرة ارتطابي به، حتى مايا التي تشبه كقطرة
عسل، كلما رأته في التلفزيون في برنامجها الأسبوعي أهل التفاهل، أو في
«برنامج ثقافي عربي أو أجنبي آخر، صرعت بسعادة غريبة ماماً، معلماً.
انظري - عمو وأسيني ثم تعلس وتذبح البرنامج لحظة بلحظة، حتى النهاية
أراها وهي منغمسة في كلامه، الذي تحسه ولا تفهمه كله في الأخير.
نسائي عن الصغيرة والكبيرة، غشمتني الحياة كيف أمثل، وأسر أيضاً من
كل الأكاذيب التي تحيط بي، أحس بين ولدي كالعنقطة العوالة بمعلمها،
وأرى البرنامج معهما من البداية حتى النهاية، أمثل بجاذبية مطلقة، وكأنني
لم أكن حاضرة مع وأسوي في الاستوديو رقم واحد، يوم تسجيله الحصة،

في لحظات العزلة، والانكسار العميق، أعرض بحدة من واسيني، لمدى
من أعماقي بنبة طيبة أو مميته، لا يهم، حولني إلى امرأة من ورق، لا يهم
أبداً لا، ياخذ لثقتي، يسأله لثقتي، فيأخذها مني، لا يهم، لا يهم، لا يهم، لا
أأخذ من لثقتي، لا يهم، لا يهم، لا يهم، لا يهم، لا يهم، لا يهم، لا
كل ما يري جرحاً عالياً، يحرق أحراراً، لا يهم، لا يهم، لا يهم، لا
ومعني في عمق حجبهم اسمه اللغة، فقط لأنه كان بحموني وخاف علي، عيني
كيف أحب وأخرج مستعدة على نفسي وإرثي، هو الرقة من كثر هواجس
المسكرة

هو هكذا، وربما كان ذلك أجمل شيء فيه لا يستسلم لفجعية اليأس
بعض عيني ويحضي، كان المسألة لا تعنيه كثيراً، ولم يكن هو ضحيتها
حتى في أقصى الظروف، عندما وضع الفتلة رأسه في قائمة الذين يجب أن
يسدوا من على وجه الأرض، على جدران من الحياة، ولم يكمل أبداً حتى
الموت الذي سلب عليه بعضه كان يرى في الحياة وسيلته في العدمية
والاستمرار

كان لذلك كله سحر العائق الذي لم يستسلم لجمود المدد

كفنت أعظمه، وكان بحموني، كان هذا وحده يكفي لحياتنا الموازية،

-٦-

م...م...م... ما أحلى مرارتها، وما أدناها،

رشقت قطرة أخرى من اللهب كانت بلا سكر استعذت جزءاً آخر من
صفائي النهار من هرات الحياة الكثيرة

لا شيء تغير سوى أن الصورة تعدد أكثر، واتضح كل الأشكال التي كانت
تحتيط بي في سكتة كسرة وأحسني أكثر من تفاهل، وبدأت السماء تدب من
حديدي، في السكينة يوم الذي كأنه خرج من حرب نووية مدمرة

فتحت عيني أكثر شعرت بحدة الضوء الذي تحرب من الكوة مباشرة

والله اعلم ولا شك في صفة الفيل، ولم تكن في صفة الدجاج، فبالله على
وجهه صفة الفيل أن يتصور بسهولة، وأما في صفة الدجاج فتعذر
أن تصحها في قلبه، فلو أن أحدنا سمع في قلبه صوت دواجن أو دواجن
وكشي لم تكن مرادها، ولم أن لم يسمعها لتعرف أنها دواجن، بل أن يسمع
في الأسماء، ولم أن لم يسمعها في الأسماء التي هي دواجن، فبالله
حسبنا في صفة الفيل

هكذا علمتنا الحياة، وهكذا وبينا وصائل دفاعنا الخفية والدفاع
عن أنفسنا، قبل التفكير في الدفاع عن غيرنا

-٧-

هل أنا محتونة إلى هذا الحد، ليكن، هذه هي أنا، أظهر للجميع ولنفس
أخفى لأهل، مرت كما أن لا كما فتحتي، ولا حتى كما تتصور واسمعي أن
بظهرني من خلال مريم التي احتلت كل رواياتي، بمنحي حرية تشاورني
أحياناً، وشجاعة لم أكن أهلاً لها دائماً
أنتري أمام نفسي، كما ولدتني أمي، لا لتري موى للأصمان في أن أرى
أنا أنا فقط أرى ما عاينته من الحياة، وسيداً من هذه الأساليب

يوم مرض واسمعي لم أسأله أي سؤال يمكن أن يورثه في جيروم
الغصة النفسية، وصمت كل شيء في كفا، وهو في تلك الأيام، ولم
نحوه حملت حقيقتي وصافرت إلى باريس لا أحسن من جعل
كان يعرف سر هروسي المضاعف إلى مدينة تعرف جداً أمراري بها، لا
حسني دائماً التي كانت تعرف تلك سائتها الطفلة، وأحرمتني الفيل من
بوصوح وبلا تردد ماما. هل قرأت جريدة الممر؟ ولم تزد كلمة واحدة، من
تفرتني مريم، كل شيء كنت تكتبه في الفيل، وأسمي حسناً
أدخل إلى النهاية المشددة، بعد الأزمة القلبية المجهانية التي أتت به من
هزتها فميتها، ومن حيرتي أدركت كل شيء

في باريس، هربت من الجميع، حتى من أخت زوجي التي فضحت الليل
في بيتها حتى أتمكن من الهرب في اليوم التالي، بسهولة أكثر كان واسمعي

بمروءة جينا جيموني، واعتذر في باريس في تلك الأيام، في
مستأني، قال وأنا أكله في أحر الليل على هاتفه الذي سلمته لي ابنته
بني، حبيبتي، سأقبض على الحياة بأسماني حتى تميلين، حياتي نفسي
أحذر فداها، لكنني كنت أعرف جيداً، بل على يقين مطلق، بأنه لن يموت قبل
أن يولي في واسمعي في هذه الحياة، وسأشارك في حياتها، في
بالحياة

جلت بعد أن صميت كل شيء ورأيتي، ولا أري اليوم إذا كان هناك إنسان
عائل يخالف على بيتي وأبائتي، يفعل ذلك؟ سميت الكارتيل نفسه بأحزنته
ومستودعته الذين جعلوا من خط باريس - الجزائر، مسارهم التقليدي الدائم

أري كيف كان شعوري، ولكني يومها كنت أريد أن أصرخ أمام الجميع
في هذا الرجل قطعة من لحمي وليس فقط من لفتي، كتلة متناقضة من
الصلابة والعقل، كنت أعرف أن اللبل لا يرحم، ويختلف صاحبه لحظة الغفلة،
وأنا أعرف أيضاً أن واسمعي ليس من النوع الذي يستسلم للموت بسهولة،
سأحفظ كلماته كلها عن ظهر قلب في داخل كل إنسان قوة مضغوطة
تستطيع أن تفلوه نحو النجاة، وهو يواجه لحظاته الأخيرة، إذا عرف جيداً
كيف يستعملها في الوقت المناسب، وقد لم يجرى نحو الموت إلا استسلم لها

-٨-

افترضت الأسوأ

على الرغم من إيماني بمصائبه وقوته، بدأت أنهيها لكل العوارض، وأفكر
كيف أمارس حداذي بعد وفاته، وكيف أقول حقيقتي خارج لغة واسمعي
وخارج سلطانها، قلت في خاطري، لأذهب نحوه لأخر مرة وأقول له كل ما
في قلبي قد تنحى تحت جلدي الناعم مادية غير معروفة، أو «مازوكية»
مضمرة، من بدري، ولكنني فكرت أن لا أترك حياته بين أيدي الفتلة، يعيشون
بها كما يشاؤون، أخدمه بعد موته، قلت وأنا أتخسس وجهه المتعب في
ذاكرتي أن أكتب شيئاً سيرته كما أشتي كتابتها بكل شجاعة عندما كان
في عز عتوانه، كنت أملك كل ما يؤهلني لفعل ذلك اللغة، الجنون، الحقيقة
الصامدة، الصراحة المرة، وتفاصيل الحياة التي حكها لي عبر السنوات



الفاطنة. حينئذ داهى كاري بيكيني أحياناً، وبمكة معه

ما زالت أراه كما الآن، تحت لمبة زائفة، وسط غلالة الويسكي وأسماء
السجائر وهو يحكي لي قصته بلا توقف:

- أحياناً وأنا في لوس- أنجلس مدينة الملاكمة الهاربين من شره
النور أغبر شارع سونسيت بولفار^{٩٠}، غروب الشمس، الذي يمتد كنهج مليء
بالألوان والجنون بلا حد ولا ماء، قاطعاً المدينة إلى جزأين، اتصال ببراب
هل العابر هو حقيقة أنا، الطفل الذي ولد في قرية تهاديا من خرابط
ما بعد الاستقلال، على يد امرأة ساحرة كان اسمها حنا ربيحة. كانت دائماً
تقول لأمي إن ابنتي سينبئني في هيله عندما كنت شابة كانوا ينادونني
ربحة لتنبئة سيلطع البحار والفقار ولا يسأل عن مخاطر السفر سيعبروا
محملاً بالتخيير. انساو! إذا كان العابر هو حقيقة أنا، أم مجرد وهم، فغلب
يتشبهني، يرضيني أحياناً في لحظة انزلاق نحو حلم سرعان ما يندود! هل
الطفل الشبح هو أنا أم لغيري! شخص آخر أكثر حظاً مني حالفته للظنود
الحملة بأن يخرج من دائرة الضيق نحو ضوء قوي، كثيراً ما كان سمعنا
للأبصار من كثرة أنفه ونوره الحاد! هل كانت المرأة القابلة، حنا ربيحة ذات
الأيدين الرشيقتين وذات الشعر الأحمر، تدرك أنها كانت توطنني في الحياة
وهي تخرجني من بطن أُمي بلطف وتسلم المستبينة برنس كل أولياء
الصالحين، بأنني لم أصح كأي مولود طبيعي، فقد أصبت بسعال خفيف، ثم
الحمض عيني على فرجة حنا ربيحة، وابستعت وكأنني كنت أعرها وسعيد
أنها كانت هائلة أُمي لم تكن حنا ربيحة تعلم أنها كانت تدفع بي عميقاً
نحو حجر الحبات المسحقة، التي لم أكن مهياً لها أبداً.

مازلت أرى واسيني، كما في المرة الأولى، لزعر الحمصي، عندما فتح
لي قلبه، وهو يتحدث عن شيء جمعنا وجهنا نحلم كثيراً، وأحياناً نفكر
كيف نجمع أتلاء الصانعة التي مرقتها حواف الدنيا الجميلة والصعبة، لم
أعلم والدي، بالخصوص مايا، كيف يناديان رياض بكلمة أبي، بدل مدامه
ماسمه الخاص. لا أدري مصدر ذلك، ولكنني كنت سعيدة أن أكون خارج
الكذبة المعممة

من ليثني إلى لزعر الحمصي

المسيح يصعد إلى السماء

«عز الحمصي، حبيبي»^{٩١}، معصيتي الجميلة

عذرة المرة ساحقتك في عمق العين، وفي يومو للدفعة! أتم تتعلم أن
سحر سحر مدينة تذكرك بحظه من مسروقاتك الأبدية

أدري لماذا أعوذ لأولي مداسي ربما لاني بدأت الصبر بنوع من
الأمومة معك منذ طفولتي الأخيرة عندما شارفت الظفار أن تلمحني معي
لولا نوتة الرافلة المسبوكة عندما أطمعني وأنت تقول في لحظة شرقية
دومني يا أمي المسبوكة

- دلو أبداً حبيبتي شو الموت على كيفه لم أكن مستعداً يومها
للمصباح له وحيداً لم أظن، وأنتي رست فقط قل شيء لأرجاج قلبك
أراك في غرفة الربيع لم أعوذ لاني متى لما كنت، وربما أكثر مدونة حنا
نحن نتمنى في عز الحنون كلما هزنا النهايات الطحانية، فكلما عرسنا
الفر بالموت، واجتهاد بسحر القناعة، وصعدنا تهربنا إلى الأفاصي -

سحرت كثيراً أنهم ما زالوا يفترون في عزفي وأنا التي تصورت أنني
فكرت في تفتيح الحياء القاسية كما تلمحنا أنت بنفسك، فميتت أصبحت
معروفة وبمعتها أن نناقش في كثرة الأسفار والترحال والبوهيمية

ترددت كثيراً قبل أن أقبل الدعوة وأسافر إلى القدس مع فرقة موسيقية
السياسة - فرقة غاموا يهودون ليلي، الرتبة المنظمة المتسامحة إلى القدس
للتعلم الغامر، فبعد أن التحيت صليحة في عز الإحلال، فبعد مجرعة
سلام، ولدت على أن أعزف المنجور من طبقات أجدادي مع ييلابوينا^{٩٢}، التي تلت
لم أظن أنني ألتها القديمة من موقديها الصغيرة لأشك مارلوس^{٩٣} فسأوا
الأمير من محاكم التفويض المقدس، ومن موقعي كحفيدة موسيقية^{٩٤} لم



بحرق القلعة بهاءها الروحي كان علي اتخاذ كل الاحتياطات الممكنة .
تدني حسني عن جسدي قلنا أيتها وطيرسي سقطت لك علي وسعدت
في رحمتي قبل أن تخرج من هذه الأرض

ثم تشبهت هذه العود أن يكون أنا من يهرب . ثم سمع الناس سدا
هذه القلعة لك سقوط الطير . قد في الغيبي ولا تسلي . ان كنت مطلعة
وما يسمي في ذلك . قد في أريد . معي حسني . سرت لك الإبر
سوفت مني ومن جدي الاندلسي سيدي بومدين لتفويت لم أعظم بعد
يكون من شيئا . هو نفس التي يقع شيئا على علي في المرد . من
درونها العنيفة وممراتها الضيقة . مدينة سرفت أمام الجميع . ولا أحد من
من نحتها فتمت حسنا . قد في الغيبي . قد في الغيبي . قد في الغيبي . قد في الغيبي .
عبر وأخذ من كل ملاحظته قلنا لتفويت سدا . ولت نفس في أريد .
الصغيرة . وتطويرون بين أناملتي كالأشعة السواق

ناهت وفي قلبي أحلام كثيرة ودهشة مخزنة عميقا في بهاء الروح

لم أبقي طويلا في القدس هكذا كان الاتفاق منذ البداية ثلاث سنوات
وبعدنا غادرتنا مدينة الله كانت كافية لأن تهزني من الداخل كم اشتبهت
معني لنعير معا . كل شوارعها الضيقة وأحياءها التي يتسج لنا بالمرور
فيها . ومساجدها وكنائسها وجوامعها اليهودية . لكني أدركت بسرعة لماذا
رقعت المجيء معي لقد تركونا في مطار بن غوريون ننتظر أكثر من ست
ساعات . مع أننا لم نكن نحمل فئال . سوى بعض الآلات الموسيقية . الكثير
متيا كانت حوتنا في ذمتنا فقط . لم نكن قلنا ولم نرفع علما بغير قلبها
حولنا تراكبت من شيء واحد . هو أن الكثير ممن استضافونا كانوا مثلتنا . من
جسالة قسلا . لأن لم يكونوا يرون أنهم من العيش في سلام في مسند
مستريح . وفي الحلق التي بد قاسا . بعد مصرية مصرية . كان مشرقنا
خمس . وحسنا . من غير أن نرس لحارب المرحوم بعد الاستقلال .
عزفت نشيدي الاندلسي . غرقت في نوبات من المكاء المرعد بشيء واحد
معني . هو العودة إلى كل يقينتي التي كانت تساق إلى أن أعزها . بقدر
نك . بنني وبين اليأس أية مسافة لا لغوية ولا مكانية ولا حتى روحية ربما

مخفنة . ولكن كان ذلك هو إحساسي العميق . تصور ماذا اكلنا عندما
جريت الطرفة كلها إلى بيتها . كسكي وهراني مائة بالمائة . مثل الذي كنا
نأكله عند ماما يمنية في المدينة الجديدة . أيام السبت عندما نهرب في
فجر الشمس . نحو محلها المليء بروائح البهارات الهندية

كانت الزمارة مؤلمة . ولكنها لم تكن خائفة . نحتاج إلى زمن أكثر . أكثر
تفويتا لكي يعود الوضع إلى طبيعته الأولى الضغائن اليوم في قمتها
قد انكسر قلعة في كل مكان

أنا الآن في ليبيا مع رياض للمرة الثانية . كما قلت لك من قبل . مدينة
سدا . وبلا خوف ويمكن أن تأتي متى شئت . وتبلي هنا رأيت أهم الأشياء
فيها في زيارتي الأولى تعال إذا استطعت . ساكون أسعد مجتونة لك تعوننا
على سرفه اللحظات الجميلة ولا توجد قوة في الدنيا تمنعنا من جيوننا
الحمل أنا أيضا قلبي أصبح مشدودا إليك ولا أنسى . في لحظة سكبنة . أن
احمك كل هذا للحراب المؤذي الذي يجعل لنا قد يكون العمر أديل الحسد
هيبا . وإن كنت ترفض رؤية ذلك . لكنت ستجد قلبا حيا بعمر اللحظة التي
عرفتك فيها وأنت تقدم لي رسالة طولية مرشحة بين يديك . وتريدني أن
أخرج من سفوة الشمة . وأنت لا تدري أنني كنت ملتصقة بك ولا أنفكر
مثل الغاكبة المتأصبة إلا اليد الشبيهة التي تقطفني منذ أكثر من ربع قرن
وقلبي ينفض بشدة كلما سمع اسمك أو شم رائحة الشبهك للذين نجدهم
سر ورائعهم وجيرون عطرهم غشنا لا نطق . ساجد الوسيلة المناسبة
لرؤيتك سبتهم القاصرون الآن أنك كنت عشقا لمرأة نازية باعث كل شيء
للشيطان . أو حتى صهيونية . وزوجة تاجر مشكوك في إخلاصه للموطن⁴⁶
ليكن أنا لا أستطيع أن أحقق من سفرتي إلا شهوتي لنفس تربة مدينة
سكنها الأنبياء الطيبون . والأجداد . والقلعة . واللمص . وباعة اللحم البشري
مدينة خارج كل منطق للحياة . فيها شيء غامض يقاوم التسيان وحيروته
الأفهام المتفائلة تحت أسوارها

مما يسر واجتمع معي أبا وراى عبد الملك القبط وسيرت وشافيتك، ولهذا لمي سرعة العطب هي معي، وكل يوم تدفعني إلى التلطفون إليك، مما احك مع عمي واسيني أعتقد أني ذات يوم سأقول لها حبيبتي^{١٦} لقد أصبحت جزءاً من ذكورتها هي ميماسي في مثل هذه الأشياء، تشبهك وأنساء ماذا سيقول رياض إذا رأكما يوماً تفقان بجانب بعضنا البعض؟

مشتاقاً اليك حبيبتي، حاول أن تأتي

المتفارقة، فالمصاحبات الجميلة لم تعد مطلعة كما كانت

أفهم في ألتيك أنا الآن كوراثون ميد كما سمعني أول مرة عندما بدأت أدرس الإسبانية سوياً بجامعة وهران. أنا لمي التي أحبك وسعدت يوماً أحفلة جيداً وللمرة الأخيرة، لأن اسم مريم اكل كل شيء فينا وسعدت بسلطانها في دعه بسكن لديك لكي تتذكرني كلما احتلت به الآخر. والوحدة انس نهائياً اسم مريم الذي أثت ذاكرتك زمناً طويلاً حتى أصبحت تصدق انه حقيقة مشدوسة، وليس مجرد لغة هاربة داخل رومانسية مثالية لا جذور لها

مريم ماتت منذ أن غادرت مدينة الله، وعدت إلى اسمي، لمي أو لمي.

عيد ميلادك على الأبواب مرة أخرى، أنت هناك وأنا هنا

المدينة جميلة ولا شيء فيها سوى الموسيقى وسرير ميمى

أنت لا تعرف مقدار الحزن الذي يملاني، لم تره أبداً في حياتك لو يبعثني الله لحفلة لحفلة واحدة للقاء بك، وبعدما قلبأخذني إلى شاء لا شيء، سوى لأريك أنني ما زلت قادرة على تحويلك إلى نرات كما كنت أعمل ونحن نغلق على عتبة مدرج قسم الآداب، أو في ساحة الكونسرفتوار، بوهران. ياد كم يبدو ذلك الزمن بعيداً كم تمنيت هذه المرة أن أكون معك وحدي أن لا أكون مرمية في جنة بعيدة عنك، فلت كل معانيتها الجميلة. أنا وأنت فقط لمي عزلة لا شيء فيها إلا الخضرة وثلع واخر الشتاء، كما فعلنا ذات يومين في لانغا- لاندا^{١٧} عندما دعوتني وأنا لا أعرف أن ذلك كان من أجل الاحتفال بعيد ميلادي وحفل تدشين الأوبرا الجديدة

ياد، كم تنتمى الأشياء الجميلة بسرعة مظلمة وراهها جرحاً نازلاً

جرح

لحظة وجدت يومها لزعر الحمصي الحساس جدا الذي لظننا اشتبهت مغيبته وتقولته المعاندة كنت معك ليلتها أسعد امرأة، كأنني مرافقة ججولة من أول لقاء لها مع شاب تحبه وتشبهه كلما ابتعدت عنك فبدأت يديك لمي كعطر جميل قلتموني مجسدي لا نل أني أبالي أنا مريضة

كنت صالحة بها حميلاً فلت لي تعالى إلى باريس. وبعدد لا تصاني وسعدت في باريس التي كوينهاجن كنت قد حضرت كل شيء حتى بطاقات باريس على الموشين كنت محاطة أسعد امرأة واكثرها حفا تمنيت لمي لمعني في السجدة في النمشج الذي كان بداخلي، لو كانت لدي فرصة لعزف العزف على البيانو بالتمكن العازفة كانت رائعة ولكن أصابعها كانت ثقيلة فلت لمي بعض الفناعة الداخلية والكثير من الأحاسيس

كانت الدائمك دهشتك الجميلة، وكنت جنونك الذي بأسره

لمينا الليلة الأولى في كوينهاجن لم نفعل شيئاً سوى أننا استمعنا إلى التحجب المكثوم في دواخلنا. زمناً طويلاً نعمنا متقاطعين على سرير واحد وكأنك كنت توحد كل سحرنا المبطن إلى لانغا- لاندا

كنت قد رقت كل شيء، ولم تترك أي لتعبل للحسنة في الصباح. جاء إلى باب النزل، من يأخذنا إلى جزيرة لانغا- لاندا كانت دهشتي لا توصف من سحر الامتعة خصوصاً ونحن نتوغل في الجسر الطويل الرابط بين جزيرتين، حيث لا شيء إلا البحر والسماء بانسجاد الجزر الأخرى

ربما أنستك مشهقة الكبيرة، ذلك كله اشتي أن أذكرك من حين لآخر بعالم إذا لم نولفته سيموت بسرعة من الصعب جداً أن نغفر على أحمل مكاسنا الصغيرة في الحياة

قلت لي يومها إن المكان يلائمنا لمسيان الأمنا ونو ليوم واحد المور
 أنك اخترته بقصدية مسبقة، لكي لا نرانا أية عين حائلة لم تكن وحده في
 ذلك. أنا أيضاً كنت أريدك لي ولا أشرك معي حتى تسمات للبحر الجارية
 فما بالك بعيون انتكامل الحارفة، حنكك من بعيد ولم أسأل عما يعني
 أن يحصل لي بعد العودة كنت ممتلئة بك وبحبك هذا وحده كان يرد
 لأن يسفرني بأنني كنت أسعد امرأة في الدنيا لأول مرة أنامل وحبك
 في كامل صفاتي شعرت بك هزيلة ومنهجا، ووجهك كان متعماً تلك
 علامات تعجب القلب أردت أن أتبعك وأسبتي احذر، صحتك غالية علي وما
 في طرف ساحر كالذي كنا فيه، بدا لي كلامي سخيفاً وبلا أدنى قيمة أمام
 شيء كنا نحلفه أننا كنا مع بعض جنتك لأنني أحبك وأنتهي أن أجود بك
 تركتك في آخر مرة، ها أنا ذا حبيبي أتعبني أماتك من فرط شفائيني
 بكن يهمني شيء من الحياة غيرك وغير صحتك لكي نستمر في جنون
 يموت كلما استمرت الحياة، فتحنا جنونا جديداً وطراوة أخرى في عمق
 جبروتها وهسوتها لم بكن من حنك أن تهمل فيه المتعب كنت متأكدة في
 أعمالتي من أنك كنت تسير على انحنواف للخطيرة التي يمكن أن تسرقك مني
 في أية لحظة

وصلنا ليلاً إلى لانغا-لاند كنت قد حشرت البيت الخشبي على حافة
 البحر تماماً وكان المهم أن يقع هذا البيت في خلاء موحش لكي نعتك من
 العودة إلى أنفسنا المتعبة المنحرجة بمعنى بك مثل الرباط الملتصق بجدار
 لبحر تقصّل بيننا، ولا تحرمنا من التحلم في عمق موحشها. أفضل ألف مرة
 من نثار الصحاري وقطع الأراضي المشقة

على الرغم من السكينة، كنت خائفة من أن يكون قد راني أحد أسلافك
 رياض فهم أكثر. كان يعرف أنني بالانداعك لغرض موسيقي يتعلق بتدشين
 الأوبرا الجديدة، حتى أنه عاد أن يرافقتني ويخبرني عن كل شيء كنت
 مرهقة وخائفة ليس فقط منه، ولكن أيضاً من شيء غامض كان يحفرني
 من الداخل، وبغض حثي سكتنتي الجميلة هل تدري ماذا يعني أن تسافر
 امرأة متزوجة مع رجل، من أجل جنون جسدي هي نفسها لا تعرف عوالمه

سكنت تحت متوترة ولا أعرف ما الذي أيقظ مني ليأتي ورياضة. وهذا
 غير المحسوب غفماً وقلنا في محطة البنزين وشربنا قهوة ودخنا
 سجائر قلت لي وأنت تحت عن كلماتك التي لم تكن تسمعك، تصديق
 يدعي أنني تركت كل شيء وركعت وراء سراك المكيف إذا لم نفع
 ولم نسرق حقاً في الجنون. لن نرى بعضنا البعض. لن بمنحنا أحد
 واحدة للحد والسكينة كل الأيدي تسرق منا أحلى ما يمكن أن
 نبينها وأنا أولم في يوم عتيك، لمست إصراراً كبيراً على التماهي
 في الجنون. سالتك بغفوت ألم بكن من الأذى لو اخترنا مسلماً غير هذا
 لذة والم عذاباً في لحظة غريبة تعبت أن أولم كل شيء، وأقول لك
 كل مسافة أعدتني إلى المتطلم، لم أعد قادرة على تحمل كل هذا السراب لم
 شيئا قرات كل شيء في عيني المتعتين سمعتني من يدي وتمنت
 وخيمة ليكن لم أكن أريد رؤيتك على هذه الحالة بدا لي كأنني
 أجند وأنا ما زلت مثبته في عيتك لا أستطيع حبيبي أن أفر لك لحظة
 سيرك التي عملت بكل سعادتنا ألم بكر من الأذى أن نهرب ونحل مع
 بعض مع ماها التي تعودت على تحمل هروبي وغيابي المتكبر يونس
 أصبح يتساءل كلما رأيته حبيبتي بما متى تلبين قلباً معنا أصبحنا
 سائق إليك كثيراً لما مايا، كلما رانني في حيرة قالت ما ما سافري وعودي
 لنا بسرعة إذا صادفت عمو واسبتي، سلمني لي عليه أنا أيضاً أحبه دهشت
 من جملتها العفوية أنا أيضاً أحبه، ولكني لم أسأله عن التفاصيل تحسرت
 في كل مكان هذه الخطة مدسنة وكأنها تراق في باخلي لأنها بعدها
 ظليل واصلت غيها وبموزها، أو على الأقل هكذا بدا لي منذ مدة لو نر عمو
 واسبتي في التلفزيون أصمت تواصل هل ينحب هو أيضاً لجمهور حفل
 افتتاح الأوبرا الجديدة في كوبنهاغن، أكن على شفقتي لا أريد أن أكذب عليها
 في بالذات أغض على لساني لكي لا تخرج من فمي أية كلمة يمكن أن تدمر
 كل شيء أضع يدي على قلبي لكي أحنفظ بالسر سنوات أخرى لم أصنع
 جواباً سريها كانت مايا نفسها تعرف صحالته ربما لم يدع إلى ذلك لا
 أعرف بالضبط

تتشاور إلى لانغا-لاند كان طويلاً جداً استغرقنا وقتاً كبيراً في التفتيش

عن البيت الذي كان كأنه ينحفي في غابة استوائية. لا شيء فيها إلا دويج
والبرد والبحر الذي يتألم عند قدم البيت عندما دخلناه لأول مرة كان نذرة
وأردت أن أدفنه قلت لك لا تفعل شيئا. أنا أعرف جيدا كيف أنتش الحزن
في ألسنة هذه المدافاة الصاعدة صويت وتكفي لم أسمع عن هذه البرد
السعد في الماضي من حزنك والفرق في ثقافة التي سمعها لي ومن
مستعدة أن أحرق العالم مقابل أن أبقي في أحضانك. وليكن البرد قاتلا لك
شاء جلسنا قلت لي بلغة نكاد تكون همسا لنسمع إلى الموسيقى قديما
ربما اعتقنا بعض الدفء صلتك زادي الجميل من العزف على الكمان في
فرص قلت لا أريد أن أسمع الموسيقى التي يشترك فيها الجميع أريد فقط
أن أسمعك مطبختي خاص كونيك قلت والله تصدق من قديما في الشجر
أن يلتفتل السحر ثم سمعنا في الجوز المطبق الحسية الجميلة وقصص
الطراير المطفوعة السطحة التي تتنهد على الإحساس هذا السحر
الأجساد حلتهم الضوء قديما قدمت الصداقة الواسعة التي لم يأت بها
شيء إلا بعد طويلا وفاسل الجملة سمعنا رائحة حبيب الطوط ناسي
من عادي الصداقة هذا الدفء وضع في السحر قديما طويلا كنت أعرف أنك
لا تتحمل البرد ولا تحببة حبيب امرأة جميلة ثم التلاء على وقت لي مرة
أعبر إلى أن أسمعك الحزن القديم الصغير من طموح استقلت قديما في
مفتسي وسمعت خيبة في صوتك الطرية التي يصبح صوتها جادا وادعنا
على أن نعد من أن وتكون مثل يور في ذلك عندما على حرمك الضال وتعبنا
من حزن في الأصابع وليس في الألة كان يقول عندما تكون الأصابع حية
ومليها بالسحر في شجرة ناطق تحزن لتعلم وتكلم مثل امرأة وعرفت
تكون الأصابع نفسها ميتة تقتل دائما الأشياء فيه الجمال هو لا شيء سوى
تساقط الأصابع وصوتها الضال في هذه روحية متكاملة القوة الطليقة
مثل السحر الصافي بما أن تعني كل الأصوات المتوحد. وإنما أن أريد في
دفننا

عزمت لك ليلتها سوزان لونغيم. ليس لأنني كنت أحبها ولكن لأنني كنت
أيضا قريبة من الغروب. بلا دها. ومن للحبها ويحدها. وحنتها

تنا لتعلم. وخلف وزينا فجأة احتضنته القربت مني أكثر كل شيء مر
بجهد اشعلت الحرائق في داخلنا لقنا مارسنا الحب مخوف. أو هكذا
نحزن. نعم منقصة لك مدة ثلاث ساعات. وبعدها قلت واشعلت المدفأة
التي بدأت تحب في الصانور. كان الجو رائفا على الرغم من برودة تأملت
وحدة في غفوتك انبثقت في أعمالي كان لزعر الحممي الملغون يبدو
من وراء عينيك النائميتين على الرغم من التعب. كان وجهك صافيا كخبر
يعني أردت أن أقبلك. ولكنني خفت أن أوفقت بقيت لحظات طويلة أتأملك.
والدعوى وجهك الذي انعكست عليه السنة لهد المدفأة في شكل خطوط ذعبية
حاضرة الاختراف كل ملائكت شعرت بتعبك العميق فضلت أن أتيتك نائما
بما شجرت نحر الحزن قلت قد تعودت أني حاضرات الحزن في كل هذا
حاليا في بحر تارة ليست العاصف. العاصف الذي حلت به من أعب
طوى في كنفها نطقت صيف قديما شعرت ناسي قلت طيفا ناسي
الجمرة حلتهم وحسن من الأسرار ولتلك الحبات الجميلة الجميلة التي
لم أظن بعد لا شيء إلا أهدا ذلك الذي في عيشة الأرواح نمت ناسي
والعاصف الكور الضربة على بقايا لك. الفالج هذا وهذا تحببة أن تكون
على استقامت أول شمس تسعدنا هذا من بعد. ولتلك قلت متعبا فارتد
قلت أرفع لك من سكر حزن. والحب كان وسعنا شيء وحيد لم
يقف البحر نكتما لحبيلته عاصفا في جزيرة ألبان. لاء. عادنا وحسنا
ونستلما كان على ألسنة الساعتر وفي الرغام من البرد. نؤمن ناسي
ونبات ناسي قدام أن أركض بمقابل فوني على أمداد السطحي أم أكر السحر
في شجرة جوي بدفلة الأمواج الدافئة وهي تعبرني ركني شعرت فأبني
ظلت صابرة. صبية وأقرن العائقة من شجرة رأسها على ظهر صابرة
وكتبت على الحفلة بلا توقف. أهدا قلت أراعي وصبرنا كالمجنونة. أما
فلتت بعد ذلك فهد في سائر وهو في الواسع

أنايل البحر شو كبير... كمر البحر بحدك
أنايل السماء شوبعده... بعد السماء بحبك
كمر البحر... وبعد السماء... بحدك يا هدهدي.



عندما اخبرني عيني أول شعاع صباحي في لائها- لاأند انتكأت على حائط صغير ونمت والهة، وتركت الأشعة تدغدغني وتهددني كأن موسى حيلة تنوّل في داخلي في اللحظة نفسها التي كنت تحتلسمي من ورائي، وتقبلني على رفتي- وأنت تضحك

- ويمك يا هراة؟ حبررتني عليك؟ من غير المعلوم أن تكوني أنانية في هذا الحد وتسرفي الشمس، وتشويبي الفجر- وحرك

- شعري كنت تسمع قلبي الحبي، يا صديقي ويمك في اللحظة غدا كنت أحلم بك كنت أضحك إلى صدري وأغني لك فيروز التي كنت تعشقه بجنون- من صوتي

احتضنتني بشدة أكثر، قلت وأنت تشدني بقوة حنوك دغيني استفيد من ساعات الضوء الخفيفة أن أرى وجهك في كامل صفائه مدة الخوه في مدن الشمال قليلة، فليلة جداً إلى حد أننا نكتشف فجأة أن خطوط الظلمة صارت ترسم على السحاب والبحر والظلال الصغيرة أسواً في صر البحر أن سمياً قليلة

بقينا في الساحل الخالي حتى لظلمنا الشمس كلها نمنا على السطح متكئين على بعضنا البعض قبل أن نعود إلى البيت مستنيرين بإحدى دالعية لم نخسها من قبل

شرمت الفهود واستكبت على الكتلة بجانبك، ثم الشعر بالعود في المرأة

لم تحدثني عن عبد ميلادي كنت أحرق قلبي تنتفض اللحظة الجميلة التي تسقط فيها الأشياء في موالعها الحقيقية في العساء حضرت الطعام وكان ردنا للغاية أزعجني ذلك لأنني كنت أريدك أن تأكل شيئاً خاصاً من يدي- ولكني كنت سعيدة أننا وصلنا أجراً إلى بعضنا البعض تمنيت أن تطول أمسيتنا دهرأ كاملاً- وأن لا تسرق منا اللحظة لحظة واحدة- اللقاء معك يريحني كثيراً لأنه يجبرني على الوقوف في مواجهة مرابا الأرواح المنكسرة.

وانتخني عن عزة فارغة غير مجدية، لم أربط بين ما قلته لي عن طابقتك الروسية، أنبا، عاشقة لباليه، التي التقت مع صديقها أوليج. عندما سألتك ضاحكة عن مقامراتك، وعن حياتك الباريسية أفت تعرف جيداً أن وجود هذه السيدة بجانبك يحرقني، لأنني امرأة، وأعرف جيداً ما يتخطى داخل العيون لأول مرة أفضيت لي بحقيقة حياتها طويلاً قلت لي إن صديقها كان يريد الزواج منها ولكنها رفضت، ويوم صرحت له بحبها العميق لك، خرج من بيتها ولم يعد أبداً بعد أن ترك لها ورقة يؤكد فيها أنه كان يعرف كل شيء- وأنه يستحي من حبيبها الجديد

سوى بعض الحمامات الطارئة، أنبا امرأة ذكية

سألتك معاً
موسى
رايميز

كل فنتتها لم تترك لتواصل حماقتك معها

- لأنني بكل بساطة أحب

- تحبني وتنام مع امرأة أخرى

صمت تذكرت فجأة ليلة روما الميسرة

الغريب أنني لأول مرة أصدقك في كلامك عن أنبا، أو أنبثا كما يسميها المقربون ولأول مرة أشعر بسعادة خامرة على الرغم من الألام القاسية التي كانت تأكلني من الداخل بكتب بهراوة وانفعلت منك، وانتكأت على الحائط الملتصق بالمذفاة كنت متباعدة من أن تلك المرأة ستقتلني لا محالة لجلبتها شادنتني بكل عربي، ولغيرتي الطائفة، وربما حبررتي وخوفي من فلادانك مع ذلك لم أكن مستعدة لتضييع تلك اللحظة وسط هذا الصمت الكبير مثلما فعلنا بغباء في روما كنت أشعر برغبة كبيرة في أن أصل إلى عمودك ومناظرتك العميقة لكي أجذك مرة أخرى كما أشتي فأنت تركض بسرعة ضوئاً في الحياة، بينما كنت أعيش دورة مغلقة، ومكررة بشكل دائم

كلما صمت، سحبتني نحوك حتى أزلت عني لعمامة أنبا وتخيلاني

التبطلانية نحوها هل تدري أنني فكرت في قتلها لا لشيء سوى أنها فكرت
بوما أن تزيحني من قلبي. الخطر لها النوم معك. الخطر لك حماقتك التي
أعرف إلا بعضها. ولكنني أكره المغرسة واحتلال أمكنة الآخرين كان قدرك أن
تفني حياتك معي وليس مع امرأة أخرى

لم تكن ليلة ميلادي عادية فقد أعدتني ليلتها إلى أولى حالات غيبوبة
المجنونة كان الوبسكي يصير من درجة الجنون. ويلقي حالة الغيبوبة في
الحب شعرت به ثققتني وتمازيت كليا وتحن ثققت بمحاذاة بردمان
القديم التي كانت تشتعل مثلنا مرة أخرى أرى في عينيك شعلات صمبا
ومطهر من النار الملتبنة على «الصوفة». أحسست أنها كانت عاجزة
عن تحمل هبلنا وإبداعاتنا المحنونة لم على الأرض الدافئة. والتمرد في
تصاليون المغروش بزمية قديمة لم تحس بطوقساتها إلا عندما دخلنا
إلى الحمام الأمكنة تحررنا أحيانا من تلك الذاكرة لا خوف في القلب. ولا
حارس لنا إلا الأوراق وخشخشات الخشب الذي كان يحرق داخل العرفاء
والكتب التي كانت تعطوق البيت في شكل تاج جميل كنت مدهلا كلما
انفجرت صرخة اللذة التي تدفعني إلى العراخ. لم نكتفها كما تعودت أن
نفع. لم تضع يدك على فمي. ولم تتمم مقطع الأنفاس شششت... لسنا
وحدنا وتركتني أتهاوى في عمق اللجة الصاخبة لا اسمع إلا اصداه صرختي
البدينية وهي تعود نحوي وتلتصق بحمدي

انساءل اليوم هل سيكتف ليما عمر آخر لنتمكن من استعادة الحياة
الثارية شلوها ما تزال معلقة في عينيك لأنني أثق فيك وأحبك. وربما كنت
مجنونة بدون أن أدري لأنني أحب سرايا. كلما تجمع ماؤه بين أصابعي
انسحب حتى قبل أن أشرب وارثوي منه أحبك تأكد لي أنني لن أكون لغيرك.
ولا حتى للرجل الذي سرقني من ليلتك

في لانغا-لاند شعرت أنني ولدت مرة أخرى ليلة واحدة أنستني سنوات
الشوم. وأحزان أوبرا وهران الفارغة. وأحضان حبال المرحاجو. ومركة سبدي
النهاري عندما أسأل اليوم في الحواري المصحفية. عن مكان ولادتي. أتردد
كثيرا قبل أن أجيب أصعب قليلا أسترجع ليلتي لانغا-لاند اللبيل كانتا

عرا حديدا عشقه هاربة من حمدي ومن أسلتي وحتى من خوخي عليه.
يملك حله أشعر بطعمه تحت لسانني مثل الحلوى التركية لينلان كانتا
سنا المدهشة *

سني عمري الهارب بسرعة البرق

هل يمكنني أن أولف التزمع على حواف لانغا-لاند؟

اليوم جمعة. و كل جمعة في بومباننا. حزينه ومدينة مالتعب. أنت
دائما تهرب مني كالريح أو كالزئيق أسأل نفسي ماذا لو كنت معك مجرد
صخبلة تحاورك في حماقتك الخفية. وليس امرأة تعشقه ولجس عليها
كما أصابتك الوحدة والغراب مما يحبط بك

كم أشتي أن أقل معك أن أظل كل رحلاتك. وأعطى صاحباتك

لا شيء هنا في لبينا حبيبي إلا البرد الشديد. لكن المدينة جميلة. بل
مذهلة أنتظر فقط أن تفاجئني بمحبك. أعرف أننا لن نكون أحرارا كما في
لانغا لاند. ولكن على الأقل يمكننا أن نتهب ما نريد من ساعات الفرح أقرأ
منكرات كازانزاكي تقرير إلى لريكو التي تقوى عندي شبيهة الرقص نحوك
ملفظة العينين هل تدري عمق ما تفعله في القلب الجميلة.

لقد خرجت باكرا من الفندق وبدأت أبحث عنك في أوجه المارة أقول
ربما ويكت راسك كما تعودت أن تفعل. وحتت وكنتا نحوي! أعرف أنك تكافد.
عني من جنوني. ولكنني أستطيع أن أشغل عقلي قليلا للحفاقة على استمرار
حماقاتنا الجميلة

شوقي هو الذي يتكلم. أنتظر حركات وأتامل عيون العابرين بلا جدوى
احتاج لتفكير كبير لأنني أعرف أن شيئا في النهاية سيلودني نحوك دون أن
يترو لي خيارات كثيرة. مع أن خوفنا ما يتملكني من حبيبة ما لم أعد قادرة
على تحملها هل رأيت؟ أنا لا أتصرف كذلك لأن لدي وقتا زائدا كما تقول. بل
لأنني لا أملك غيرك في هذه الحياة لا قدرة لي على التعامل مع الوقت الذي

لا يزينهم في ذهني بلا معنى، بطريقة خاصة أحده فيها الأولويات، وأستد
يمكن أن يوجل دون خسارة ويمكن استدراكه، وما لا يمكن تأجيله
لأنه سيموت إن لا يمكن تعويضه وجوده، بالنسبة لي على الأقل، لا يعود
أحرر بشدة عندما أتذكر كل الزمن الذي مضى قبل أن نلتقي، وكل الزمن الذي
سبقي قبل أن نلتقي، وكل الزمن الذي سيقف فيه أنا أنيتك بعصاه العارية
أي انسان طبيعي كان سيبقى منه ويطلق عن سرايه ولا نتي محبت
بله، قانا ماؤلت أصر على هذا الوهم الذي لا يخلق في صنع بداية حسنة
ونكتشوتية أخرى تصارع طواحيك الهوائية دون كلل

تعال حبيبي فلجنسي غير نظام دورة الرثابة أعدني إلى أرضنا، لاند -
لاند هل تدري، أيها الأحمي، أنك كنت الوحيد الذي يستطيع أن يفكر في
المرأة الدائخة تحت وقع الحقيقة وكأس الويسكي الرشيقة، كحبة ريشة
ويئلاذ معها وبها بالرائحة والمذاق الخوا غللي في غيايك يشتغل بلا
ثوفا كنت دائما اخطف للهرب بعيدا إلى ذلك المكان الذي يضم كل أنواع
ولا يوح بها إلا لبحر الذي يتسلل إليها من الشرقة ويحرك مدافنا غيرة
أو حبا ومتواظا معنا مثلما فعلنا في أمكنة أصبحت اليوم من أثاث الذاكرة
الحي، إلى أن فتحنا نوافذ لاندا- لاند الجميلة الأفرار هكذا حبيبي، ليست
تالامة إلى الحد الذي نتمور، تطلق ملها حيث نفلن أن كل شيء سرح
مستحيل، وتعلق أخرى مثلما يحلو لها

كلما تذكرت ساحل لاندا لاند، أحسست بشيء ما في داخلي يشعن كل
شيء في الدنيا يجعلنا نتصرف ونبدو على غير ما نحن عليه، كنت دائما
أنتظر فرصة الذهاب بعيدا وهيأت نفسي، قبل السفر لارتداء أجمل ثوب
عندي والتزين بطريقة مثيرة، لفع لأرى تلك الابتسامة الجميلة على وجهك،
وأنت تستقبلني كما يجدر بوجل أن يستقبل امرأة بحبها، لم ينتلها منذ
زمن طويل، امرأة يعثر عليها داخل كلماته وبصيصها في زخم الحياة الذي
لا يرحم، ولا يعطي أهمية لأولئك الذين يلقون على الحواد، تستمع إلى
بعضنا البعض بحب، أنتظر إلى عينيك اللتين المستقل إلى أن أنظر إليها
دون أن أخاف منهما ولا عليهما أسألها عن كل ما أريد وتجيبن بالصوت

الذي جعلني أعلق بهما ذات يوم تحكي لي عن المصنونة الروسية،
شيء الذي تلتصق به كقدر جديد، عن أسفارك الأخيرة وحتى تلك التي تنهبها
من كتاباتك التي تسكنك، عن مشاريعك القادمة، عن أحلام جديدة تولد
من الصف الجميلة وداخل مشتركها المعاند، عن آخر الكتب التي قرأتها
والسفر عن آخر موسيقى هنك من الأعماق ولم لا عن آخر امرأة أهدتني
ومسك متدورا إياما طويلة إلى سحرها قبل أن أطلق على السطح وبصبح
أحد ورقة بهضاء، عن قلبك الهش الذي أنيكته كقبرا ولم ترحمه، عن ذلك
الحساس العميق باليقين والياس من حياة تشبهها، ولكنها لم تعد ممكنة
تصلي لي بدور خوف من جرحي خلف سيجارة تدخنها بأناقة، وكأني
صيفان رائحة، احتفالا بيومي أنا التي لا أحس به إلا في وجودك وتسمع
من قلبك من الخوف والأنواق والأحلام الصغيرة والجميلة، والصراعات
المتواترة مع محيط لا يرحم، لكي أبقى حية وأحبك كل يوم أكثر، قبل أن
تصلي بدني وأترك السماء نفل غلي وعلى من حولي تخيل امرأة تحمل
سند بيديها فقط لكي يمر الذين معهم مسلا! أنت، مايا وأنا وننسى
بعدا كل شيء، حتى ارتطام السماء العنيف، التي هربت من فلالها الراكدة
تحكي النكات العارية والملعونة، التي تملك منها الكثير أراك وأنت تفعل
حد البقاء وستمع إلى الموسيقى وأنتم في أنك الغريبة إلى قلبك

- تعال حبيبي سأسمعك إيقاعات ساحرة ستخمنها وراي من بلاد
الثلج والعرلة،

تسلم لي، لم نعلم عينيك أحسك على الكتبة العريضة، وننتظر
تخطل وبيع ما ساقته يأتي صوت الكمان دافنا وهادئا I am your lady
صمتت بخناد الشبهة أن أكون أرائته الوحيدة في تلك الأراضي المكر أنظر
في عينيك اللتين صارتا أكثر ليذا أسحب تحوي بالنظرات وأهددك إلى
أن تغرق في العمومة واللذة التي لا تقاوم عندما أقب، أضع رأسي على
صدرك، وبسي تصاور يدك داخل الموسيقى، حتى يصعد من داخلنا إيقاع
مشترك بينهما الأنين لئلا، يتمتع كالسكران، وأنا غارقة داخل عالم بلا
حدود، يعوم في صوة بلوري مغنى للابصار



« أما زلت تحبينني ؟ »

أرفع رأسي وأفتح عيني بإبصار صغيرة وماترة، وأنا على صدرك

« هل هناك خبري ؟ »

هذه هي اللحظة الأنسب للإجابة عن سؤال كهذا.

أنا أقال في عيني، وأظن إليك بأسرار معلنة

« أحبك يا ميهول فقط كم أحبك لما تحترات أيتها الإحتمق متى طرح هذا

السؤال »

ننهار على إبقاعات I am your lady تدور في مكاننا، ننحدر

فأكثر نحو فحوات لينة وناعمة مثل الحرير هل هناك حنة أجمل من هذا

اللحظة ؟ ننام شفتاك على شفتي دون أن تكسر إبقاع الأغنية ولا إلفاع

البرص

حبيبي، كم تكون لذيذا حينما تكون عاشقا ومرناحا، لا وجود لأي

حسابات وأحزان في رأسك حين تطرد كل شيء ولا تبقى إلا على ذلك الحاضر

النفسي الذي استمتع أن يهرب من جبروت عقلك، ويحافظ على غفويته

الأولى، وعلى عشقه رغم كل شيء

« تعالي »

نومسي في أنني تتعجبني بمرارة الغيرة من موشيل بمرارة

من يعبد كغيمة زرقاء هاربة نحو أفق غير مضمون، هناك حرم حبيبي العليل

في راحة النوم، الإحتمق في استكاثرتي بما في باريس، أنا لك سبيبة، أنا

نظيفة فعلمت كل الحماقات ولم تعد مفضلة العينين كما كانت في أول

لقاء، بعد تكلفتي طويلا، وأنا لك الزور فيصعد إلى راسك صبيحة خمرية

أريد أن أكون عبيد، وأنت لك كاهن تقاصلي جسديك كمن يفهم ذلك للغير

الأخيرة أقل كل قطعة فاك، من رأسك حتى أخمص قدميك، كما تفعل أنت،

قبل أن نشغف كحرفين متشابهين، أو كحلقة موسيقية لا حدود لتمدداتها

وشواعتها

« أحبك يا ميهول لو كنت تدري كم أحبك لما تحترات أيتها الإحتمق على

« طرح هذا السؤال »

كل شيء مزوَّج وساحر، كل ما كان يحيط بي وأنا في أراضي لانتفا-

لانت، يحشني أظف من ريشة رائعة جسدك جفون الكمان الورد النرجس

والسحرة التي تستقر فوق رؤوسنا وتتقوى معنا وتفسر عريشا وجنونا

به حناوت أن يظن تلك العليقة وأن تصدقا سكر قارة على شعبي ما

لهم، وما سيجني لفتيا خال الأساء الجميلة أثبتت بسرعة أتملي صفة

بين حاضر متعب، وذاكرة ترفض أن تتخلي عن أسواقها انزلق على جسدك

كانك فحاة صرت ملكي وحدي أغض عيني كالأطفال كي لا أرى إلا ما

أنتهي تمنى معلنا في السلف أنساءل هيم تفكر يا ترى، في؟ ربما تقول

يلدري، ما كان عليك أن تقود هذه الطفلة الضمقاء إلى كل هذا الجنون،

من هذه الأراضي العكر، الخالصة من أية أنفاس أخرى سوى أنفاس النباتات

ويعتبر العلاقة والبحر، أدبر وجهك نحوي، لأقطع تفكيرك دون أن أقول

« شيئا »

« يا أحمل ميهول في الدنيا أحبك فهل تسمعنني ؟ »

تغمضي بقوة نحوك تغبل كل ما تصل إليه شفتاك من جسدي الذي مازال

حارا قلمات صغيرة وهاربة تملي لحظات مستقلين كما لو أننا كنا نملك

العالم، يد في يدي، تضاعلت بيننا كل أزمنة الوحشة والخراب، ثم لا شيء

سوى مسافة للحنون، وأخرى، أريدها أن تغل بعيدة وأن لا أفكر فيها أبدا،

بفعل أن تكون أجود

قلت لي وأنا أغمض عيني بأظفار صبور

« أريدك يا أريد أن أضع عيني بصدرك الاستكاثرة والرمادية »

حبيبي

المول في صمت تسانك عليك من هزة عيفة تمرلته مني

أعرف ذلك أعرف أنك تعيش داخل الزمن وخارجه، عليك أن تجد أحفدة



تحمل الزمانيهين معا. وهي غير موجودة على الإطلاق. أعرف أن في داس
يتصارع العاشق والزوج، والحبيب والكاتب، والمجنون، والعاقل، والبعيد
داخل التبه، والراجل نحو أرض مستحيلة. أعرف أن هوجو التي تحيط به
أصبحت من قولا، ولم تعد قادرا على تحملها أنت الذي لا يتحمل الأشياء.
الباردة إذا لم تكن تعرف كيف تموت الالتزامات فليكن أن تغفل إلى نفسك
في المرأة مباشرة عندما تكون منكسرا، أو خارها من حمام الناس الذين
يعيشون بجوارك لابد أن تكون زوجتك تكبرني معها حق الربع قرن نسي
عاشته معها، لم يمح صورتي من مخيلته أبدا ماذا إذن لو استيقظت يوما
ولم تحدثني بجوارك؟

الشمس تشرق أرحوك.

أرايت ترفض حتى التفكير في الإمكانية التي ليست بعيدة ما رأيك
في امرأة تعيش على وقع تحولات جسد هنس لرحل مجنون لا يعبر اهتماما
كثيرا لراحته؟

تلمسني ملامسي مثلما تزعيتها قطعة قطعة تحضر لي شايًا سائعا
بسعادة كبيرة وخفة. وكأنك أخيرا تخلصت من كل شيء. دفعة واحدة. حتى
من الظل الذي كان يغطي علاقتنا طوال الأيام الماضية بسبب حضور انما
بيننا. انما مثل عصفير الحنة. الغرد بسعادة بدل أن أتحدث وأطير بدل أن
أمشي على الأرض لأنني من فرط السعادة، كنت أخلف من البرشة

في الصلابة وضعت راسك على ركبتي واستلقيت على طول الكفة، ولبيت
شروي لي كل ما يفلل صدرك وكل ما يحمله غنبا ولوايا أنضأ كنا نتحدث
عن حلول لمشاكلنا بطريقة مضحكة كان تعتدل لأنانيتك وتطلب منها أن لا
تحتج عليك لأنك لا تزال بكامل قواك العقلية. ونضح كثيرا حتى نغفل من
حجم المشاكل فتمتعت أن تتوقف القرة الأرضية بومها عن الدوران حتى لا
تقترب الشمس من الأفق الذي يعلن النهاية السريعة لواحد من أحمل الأيام
في حياتي

توشت في أدنى

الشمس تشرق

مخرج

تلمسني معففي الألفاظي الخشن. ثم تغلق خنجر الميت الخشن

مخرج

أنفاس الهواء المار أشعر بالنعاش غريب في رمتي تأخذني من
وتسحقني نحو ضباب البحر لكي أملا عيني بسحر لائفا-لاند للمرأة
الأخيرة. ربما

ماذا بعد أيها الرجل العنيد والمهمول

ما زلت أتعايل عليك فقط لرويتك والشعب من وجهك أراوك عند غي
الشمس تشرق في فمها كما ذهبت أو تغلق عينا تسم على
الجنون المشترك ها أنا ذا مثل شهرزاد، أتعايل عليك كي تبلى قريبا مني،
وتنسى لك السكين الحاد الذي يلحقني به غيابك كل يوم ألف مرة أكثر
الآل صفحة، والألف رسالة التي وعدت بها منذ لحاننا الأخير في لائفا-
لاند. فقط لأقاوم ساديتك الملعونة، وجنونك الذي لا يلاوم ولا أدري بعد
كل هذا، إذا ما كنت سأنجح في إقناعك بالركض نحو سكينه هذه المدمنة
للطبية أشتي أيها المجنون، إن استقلت في مطار فيينا، فلا تخذلني أريد
للحننة واحدة، وعلى الرغم من العسر الذي يتحسس كل مساء نبضي
وتنفسي. أن أكون عروسك التي تركض نحوك أول ما تغفل من الطائرة،
واسرلك نحو أقرب بزل وهناك أمارس عليك كل الجنون الذي دفنه غيابك في
جسدي أريد حبيبي. أن أكون أول من يراك في فيينا، وأول من يهلك بحرارة،
وأخر من يودعك أنتظرك عمري، ولن أمل من ذلك

أنا

إلي. حبيبتي التي تشبه في كل شيء. حتى في هبلها
القدس. فيينا خريف ٢٠٠٧

الفصل الثالث

www.rewity.com
^RAYAHEEN^

بهاء الظل



المسبح النبلى يفتح فى الخارج كوردة مثقلة بالماء والنعصره
عندما فتحت الباب، تسمرت رائحة زهر المنفصح إلى عمق السكرىموتور يوم
بلور، شعرت بها تدخل منداة بعض الطير يبعث فى حانة خاصة من الانتشاء
الجميل قبل قليل. مات من عرفتى بونس ومايا كل شيء على ما يرام
بنامان كملاكين ابتسامة ماها لم تتغير. وحزن بونس لم ينسحب من على
والامسة البانحة لطيفتهما كم لو ان يهدوه تنور السكرىموتور كانت سلاج
المسبح قد التفتت كلها تأملت بلورة الأفاق النبلى كان حسلاً على الرعد
من كتل الصداق النبلى فتي كأحد من حين آخر نطقه، والرعة طامتها على
كل المعيط قال هذا لنا بشبه لماماً لساناً صريراً لها كذا

خط النبلى والرؤى فكرة جديفة الحزن يمشى من كتاب إلى حجرة
واسمى فى حيز الجدار بعد نكسرى ما يرافقه فى حيزه ما يرافقه فى حيزه
مع الزمان أن حجرة واسمى الأولى والحضرة ما أشو شفاة من حجرة من
كتابتها حتى ولو نعت ولم يمشى من كتبه إلى حيزه من كتبه من كتبه
الزمن واسمى لساناً لا يحب من رسلها حكيمة أو على الأقل بعضه فتي
تقصية لى وذلك لشيء البانحة منى من سبها بين أيدي قرانه الذين أجوه
وضعت طريقاً إلى حيزه من سبها هو أن لا تدخل فيها، ولا أغبر حرها
واحدة وبها ملها نعل هو سابقاً أنشروها كما هى. حتى ولو اضطر لى ذلك إلى
أن أفسد من أنبلى حتى سكن الفجرة بلورة، لى لا أنكم جلتك تنسوت
ولا أعوى مثل ذئبة محروجة فى صدرها

لكسى فجأة، عدلت عن هذه الفكرة. عندما عرفت أنه تعال للشفاء، وعاد
إلى الحياة أكثر إصراراً على مواصلة قدره الجميل

ما حصل لى بعدها هو شيء غريب بصاهي الحالة المرمية أصبحت
محبة مزوجة بلرح دفين، لأنى كنت قد حضرت كل شيء العناد حتى
الناس الأسود الذى اشتبهت ارتداده ذات ليلة حزينة فى حضرة واسمى،

المتفخرة بتقائها العربي، التي أدخلت عليها جهنمات غريبة

اعتذر لواسيني أني صنعت كتاباً كاملاً من رسائلنا، وحتى من بعض
أهل عبرنا، التي لا يبدو عليها أنها نصوص أدبية فقط كما يتبدى ذلك
روايات، وكما يوهمني أحياناً. كان يتخيلى أن أتوغل في عينيه لأكتشف
الحيلة هذه الحرارة الوجدانية لا يمكن أن تكون أدبية فقط يا واسيني
إلى. يتسم كعادته، ثم يهيم في أذهنته وكأنه أدهم دلالة كل حركة
من أصابعه، من يده، من نفسه، من ملامحه، من فزة رأسه من قيامه
فسره من حركاته. كل شيء فيه كان لغة لا أحد يتقنها غيري أدرك جيداً
بعض من التدبيرات الدقيقة التي يحاول واسيني تشجيعها خوفاً ربما
محمداً لا يرحم، أو بكل بساطة حفاظاً على دواخله التي يرفض أن يطأها
الأخرون هو يدرك جيداً أنني لست متفقة معه وأسمي هذا جيتاً ذكورياً ؟
أكثر ولكني أعذره

- ليعذرني واسيني، مرة أخرى -

مقد تلصحت، وعلى مدار ربع قرن، على أنفاسه، وبخاخات جسده، وعلى
كل نصوصه، بل وعلى ظروف كتابتها، واستطعت أن أقبس بميران الخوف
الذي لا أحد يملكه غيري، برحة العشق المبطن فيها استطعت في النهاية
أن أحجم منها هذا الكتاب الذي لم يقل في نهاية المطاف إلا شوقاً خفياً
لذلك أشعر أنني مغنية به بقوة حتى عندما كان يوحه لغوري من حين لآخر
وأيذهب إلى الحميم سدة الأخلاق والصور الغريبة، والكذب، فهذا ليس شائئاً،
وإعذرني واسيني أني كنت حبيبتك، حقيققتنا، بدون إنزئه. لم أر خسرواً

ثم من منا يستأذن الآخر، عندما يتعلق الأمر بحماقة الحب ؟
واسيني، يا رجلي الهارب مني إلى طوبى لتلك اليد الموثقة صدفاً
ورعدة، يدك التي بلغت بي في عمق التجسيم المخلص الذي اسمه التقيّة
والحب الذي لا شيء يصعبه إلا إبطاع الحمون .

الذي حرمني تغتته من كيمس وبياض العريس، فكرت حتى في نصن الدمار
الذي توضع على كاهله، على رأس جبل جده، في عزلة وسكينة تامة، حتى
لا شيء، إلا الفراغ والندح الذي يذهب ويحمر عند قدميه على هذه
الصامتة ينام واسيني، الطفل الذي قضى العمر كله يبحث عن المتفاح
البري. ويسابق ظله الرافض صوب المتجر. ويحاول أن يملأ كفه بأسف
الشمس وفراشات النور وصبة غير رسمية، ومع ذلك حفظها عن ظهر رأس
قالها لي ذات ليلة مسروقة على حافة نهر النابيز، في لندن، وهو في أحد
لحظات التيه عيناها ليلتها كانتا مائنتين بالنور والألق، وبعض
ضحك كثيراً ولم يتم إلا عندما أصابني إغفاءة الجرح على صدره

الغيت بسرعة فكرة الرسائل لأنها فقدت حداوها، قبل أن أعود لها ثانية
في أحد تلك، وما أعلمها من، واسيني نفسه كتب لي لا أزال أكتب
الذي اقترصته منذ البداية، نشر الرسائل، الخوف الذي يطرحني من نعت
سيدة الفل والورق، ويقرني أكثر من امرأة الحياة اليومية التي لها جسم
ودوخ وأحاسيس، هذه المرة لم تنبني أهد لحظة تردد أو تأنيب ضمير ليد
لنفس، واسيني نشر بعضها متحفياً وراء من الرواية، وأما أنترها كما ور
في أصلها، ولست في حاجة إلى التفتي إلا ليس لي ما أحسره إلا في
الحياة الثقيلة

طبعاً، لن ألبس صوتاً ذكورياً لحماية نفسي من الخوف، ولكني أتمكن
من التعبير عن أشواقني وتطلعي ظلمة تفعل الكثبرات من التكتات العربات
لتصوير حقائقهن الخفية، ولكنني سأكون أنا بكل أرض العنقي الذي يشفع
لي هذا الحنون، المؤذي ربما، لي وله، ولكن هذا أيضاً هو رمان الكتابة
القاسي فأنا في محيط من المقتلات، إذا لم يقتلني واسيني، وهو لن يفعل
ذلك، لن أتمو من مخالفات رياضي، الهادي والصور، ولكنه عندما يهجو،
سأحاذ كل شيء في طريقه كالتفومان، وإذا غفرت لي ماها التي تحس بالذي
المضمين، لا أعتقد أن يوس عندما يكرر قليلاً، يتحمل عبء الفئلة المحيطين
به والمدمجين بالديس والفسافة والتقاليد المريضة لن ترحمني القليلة التي
يتمني لها والذي لأنني أعست سلبها، وأدخلت عليه ما ليس منه ولا قبيلة

بتصور جميع في بيتي، أن الطابق السفلي الشبيه بالقبور، لا يصلح لرمي الزوائد، ما عدا حبيتي صابا، فهي تعرف أنه مكاني الأليف. كلما والى حزينه، قالت لي انزلي ماما إلى الكيل وأرتاحي قليلا. اكثري أو سمعي إلى الموسيقى. أنت في حاجة إلى أن تكوني وحيدة يظنون أن هذا المصالح ليس لكثير من الدائرة المهمة للموت، وينسون أنه أيضاً ذاكرتي كلما لم نعد أعماقه، ارتجف جسدي بقوة أول لمسة من واهبي بعد زواجي في هذا المكان. اشتبهته أن يأتي. كان رياض بفايض حبيب الحرير الصناعي في الجبابان ضما على سرير حديدي قديم جداً لا يزال صوته يصح في راسي تلمسته وأنا أشعر أن جسدي كان يقشعر بقوة لأن يدي لم تكن يدي. وأنت كنت بدء التي كانت تغمر جسدي وتترلق عليه كغيمان الغواية لم أشعر بهت ملتصقة به حتى الصباح، ولم تفتني ولا ذرة خوف.

فتحت الخزانة القديمة، التي أغلقها دائما ففرت في البداية من الزوائد الطويلة التي تغطيها بها عندما طرحتها من الحمام المشترك هو بحمام المشترك، ولكني أجبرته على التعري والاستحمام معي. عند انعكس في لحظ الحب. نسي كل شيء، ولم يعد يابه بما كان محيط به.

فتحت صناديقها الداخلية التي بها البستي الخاصة، «تيمورت» بورتقالي. فممان نوم أغلبها لم ينسها له لأنني أصبحت أراه خارج المدينة، وفي أماكن بعيدة. فملت جزءاً منها إلى بيته الخاص على الحافة. في العاصمة قيصم واحد ارتبط بذاكرتي. لونه حدي، مائل نحو زرقه حلبيمة لا يزال التمزق الموجود في جانبها الأيسر يبين عتف اللحظة التي دفعت به إلى تمزيقه على وجهتي في صوت التمزق متعة غريبة كأنه كان ينزع علي غشاء العفة الشافه تركته على حاله. لم أحبطه. بل لم أغسله من عرق تدفق ليلة بكاملها على حواشيه الأكثر حساسية ورائحته مازالت كما في المرة الأولى عندما اختلط جسداً اشتريته من روما هو أيضاً. في رحلة أدتني كثيراً بسبب حضور طائفه الروسية أنها. العرب أنى عندما رأته، انزلت بسرعة دمال الفحل لم يسألني واسيتي ماذا كنت أفعل. كان يعرف جيداً أن حنيا أحمز كان

رحموني ثم هذا اللباس الأسود الذي ارتديته عندما كانت البلاد تحترق. كنت من باريس سألتني يوماً ماذا تفعلين يا مجنونة؟ قلت له أريد أن أكون امرأة جميلة ومحببة كالصداق حديداً في القصر ويخرج مع صديقته المسكينة التي تجلسي ولم أسمع صراخاً أبداً في بحر القسي شيء. من صديقتي، أحمز أحمز كثر الكلام، لا أحد.

تعلمت الرقص لا لأكون راقصة محترفة، ولكن لأن ملووبي نصحني بذلك. صديقي السمنة وأمراض الوزن الزائد طبعاً لم أكن راقصة في حياتي. ما كنت غني، واسيتي في سيدة المقام، لم يكن إلا لعبة أدبية استوحاها من صلاتين حالة راقصة حقيقية عرفها في دمشق، في صهرجان الموسيقية الكلاسيكية في مسرح بصري. وحالات متعددة أخرى، ربما كان واسيتي الجاسوس للحديث عنها. أنا اليوم صممت أن أتحدث عن حياتي بلا وسائل كما أنا. كما اشتهت أن أكون أو على الأقل، كما كنت في الحقيقة وكيس على الورق.

جأة سمعت همس واسيتي في أذني يأتوني من مكان ما من زوايا البيت
- يا دينك ما احللك
مهنة.

- أسمعهم. قلتها بدهوه. «شوف واش كاين لداك».

كان حارسان من حراس النوايا يعبران الطريق، ولست أدري ما هي القوة التي منعتهما من أن يطلعا متى أن أظهر لهما أوراقا للشوتية، والدفتر العائلي الذي تعودوا على طلبه من كل الشباب والشابات الذين يصادفونهم في الطريق كنت مبهولة. لأن تلك الليلة التي أصبحت اليوم بعيدة. لم نعد إلى البيت ولكننا ذهبنا عند صديق قصبنا بقية الليل مصححة

سمعت الدرج الصفير رأيت كل تشكيلة قفاني المظلم الدائرة، المصطفة كالأدوات متحفية غالبية. أستطيع اليوم أن أعدها كاملة منذ أكثر من عشرين سنة وأنا أحافظ عليها كالذي يحافظ على كبر نمون كوكو شاتيل بواروي. أيف روشي فان كليف، سينيما، حادور لانكوم، سينا وينشي لوتشي. غونتيه. أيف سان موران

كررتها مرتين حاولت أن لا أظهر أي ارتباك في كلامي فتحت الشامة والأنفة عنديا فلها، فهي، بدون شك، تعرف زوجتي الحقيقية

شعرت أنها امرأة ملعونة حقيقية. انسمت

عرفت كل شيء من عنديها ومن كلماتها

- Ah bon, je ne savais pas. Surtout ne tardez pas³⁵

لكن واسيني خفف من الوضع بتمتات خرجت بصعوبة من حرج

هنا -
- Je t'explique une situation. Mayan aime son mari comme
son fils et son père³⁶

انسمت وانسني سألني بعد ذلك

وهي تمع بالقرب مني، عرفت من رائحة العطر الذي كان على جسدها، اسمه، على الرغم من رائحة الأدوية القوية. أردت أن استفز واسيني الذي يحس كثيراً عطوره إلف سان - لوران، ولكنني عدلت عن الفكرة. كان الوقت ضدي

انسمت بعدها بقليل. مارلت امرأة الظل، ولا يجب أن يراني أحد

لا أتذكر الشيء الكبير من تلك اللحظة

كانت إغفاءة واسيني طفولية، حتى وهو في فراش الغيبوبة، مسجاً بالأنابيب والخيوط والأجهزة المعقدة. كان يمكن أن يموت لولا التدخل السريع، ولولا هذه الأجهزة التي كانت تعدّه بالأكسمين، وترافق سبولة دمه، وينفضه، وبقات قلبه النقص. كانت هذه أول وآخر مرة أراه فيها في المستشفى

اليوم، كلما اشتقت إلى واسيني، وكلما اشتبهت المكاء في فنته، انسمت نحو السكربتوروم، وبقيت هناك الوقت الذي أشاء، أخرج بعدها مرتاحة القلب والذاكرة

هل قلت كل ما كنت أنوي قوله، لا أعري بالتخبط.

من حق واسيني أن يطلق النار على برواية مخونة. كما تعود أن يفعل معي كلما أحرقه غيابه، وحتى مع عيري، أو يرفل ضدي دعوى قضائية فقد فررت من تلقاء نفسي. أن أخرج كل شيء من نظامه الخاضع، وأحترق عذرية الظلام. وأضع هذه الرسائل بين أيدي قرانه الذين يحبونه ويحبهم بصديق.

أعرف أيضاً أن بعض الذين لم يكن لهم حظ في الحياة، ولا يحبونه لهذا السبب. حيفرون هذه الرسائل بشقة السود، ويسمدون جداً بها، لأنها توفر لهم مادة خاماً يقضون فيها سنة ينحتون فيها فطلمهم وحبائهم. هذا كله لا يهم أبداً، ولا يشغلني. إن الثورة التي نكث هذه الرسائل هي أصدق لحظة لا يستطيع أن يعيشها جميع البشر سيصت الأعداء بعد المعاملة الأولى، لأنه ببساطة، أن تكون بهذه القوة من الأحاسيس، عليك أولاً أن تكون إنساناً. أو على الأقل مؤهلاً لذلك

لم أبذل جهداً كبيراً لإيجاد عنوان لهذا الكتاب سوى رسالته الأخيرة التي بعث لي بها يوم خروجه من المستشفى، والتي كانت تحمل عنواناً جميلاً: ليلى، ظل النوردة. أنشئ السراب لقيمته وأرسلتها أيضاً على الأقل بالنسبة لي، لأنها توقظ في بعض ترجيبتي الدفينة، وبهاضي الداخلي احترتها من بين عشرات الرسائل التي انتخبتها من محزونات الصندوق الخشبي

وأنا أرتب أليستي الكثيرة، تذكرت أحزن رسالة كنت قد حاررتها تحتها كتبها واسيني يوم افتقد عزيزاً أخاه. كلما اشتقت لواسيني في صفاته وطفولته الأولى، ذهبت نحوها وقرأتها من جديد، وكأنني أقرأها للمرة الأولى أبكي لم أجدتها

لها مكانة في هذا الكتاب. أعرف جيداً درجة حب واسيني لأخيه الذي غادرنا في وقت مبكر. كان عزيزاً أيضاً صديقي وحليفي في الأهم الصعقة كلما انغلقت على سبل الدنيا، أو حرجني واسيني، أو هز يقهني فيه، كنت

المسبح النبلى يفتح فى الخارج كوردة مثقلة بالماء والنعنعة.
عندما فتحت الباب، تسمرت رائحة زهر المنفصح إلى عمق السكرىموتور يوم
بلور، شعرت بها تدخل منداة بعض الطير يبعث فى حالة خاصة من الانشياء
الجميل قبل قليل. مات من عرفتى بونس ومايا كل شيء على ما يرام
بنامان كملاكين ابتسامة ماها لم تتغير. وحزن بونس لم ينسحب من على
والامسة البانحة لطيفتهما كم لوتد يهدوه تنور السكرىموتور يوم كانت سلامح
المسبح قد انضمت كلها تأملت بلوراة الأفاق النبلى كان حسلاً على الرعد
من كتل الضباب الغليظة التي كانت من حين آخر تغطيه، والرعد هاتما على
كل المعيط قال هذا لنا بشبه لماماً لماماً من رتباها.

خط البانحة والروشنى فكرة جديفة الحزن يبعث من كتاب من حيرة
واسمى فى يوم الحمار بعد نكسرى ما يرافقه من تروكة بلوراة نكسرى
مع الزمان أن حيرة واسمى الأولى والحسرة ما أشو شفاوية من حيرة من
كشافته حتى ولو نعت ولم يمشى بلوراة من حيرة من حيرة من حيرة
الفرق واسمى لماماً لا لمحبى. واسمى الحكيمة أو على الأقل بعضه الذى
تقصية لى. وذلك لشيء البانحة منى من حيرة بين أيدي قرانه الذين أجوده
وضعت طريقاً إلى حيرة منى هو أن لا أندخل فيها، ولا أغير حرها
واحداً وبها مللما نزل هو سابقاً أنشروها كما هى. حتى ولو اضطررتى ذلك إلى
أن أفسد من النبلى حتى سكن الحيرة بلوراة لى. أنكم حيرة تنسوت
ولا أعوى مثل ذئبة محروجة فى صدرها

لكسى فجأة، عدلت عن هذه الفكرة. عندما عرفت أنه تعاللى للشقاء. وعاد
إلى الحياة أكثر إصراراً على مواصلة قدره الجميل

ما حصل لى بعدها هو شيء غريب بصاهي الحالة المرمية أصبحت
محبة مزوجة بلرح دفين، لأنى كنت قد حضرت كل شيء العناد حتى
الناس الأسود الذى اشتبهت ارتداده ذات ليلة حزينة فى حضرة واسمى.

المتفخرة بتقائها العربي، التي أدخلت عليها جهنمات غريبة

اعتذر لواسيني أني صنعت كتاباً كاملاً من رسائلنا، وحتى من بعض
أهل عبرنا، التي لا يبدو عليها أنها نصوص أدبية فقط كما يتبدى ذلك
روايات، وكما يوهمني أحياناً. كان يتخيلى أن أتوغل في عينيه لأكتشف
الحيلة هذه الحرارة الوجدانية لا يمكن أن تكون أدبية فقط يا واسيني
إلى. يتسم كعادته، ثم يهيم في أذهنته وكأنه أدهم دلالة كل حركة
من أصابعه، من يده، من نفسه، من ملامحه، من هزة رأسه من قيامه
فسرده من حركاته. كل شيء فيه كان لغة لا أحد يتقنها غيري أدرك جيداً
بعض من الخديعات الدقيقة التي يحاول واسيني تشكيكها خوفاً ربما
محبطاً لا يرحم، أو بكل بساطة حفاظاً على دواخله التي يرفض أن يطأها
الأخرون هو يدرك جيداً أنني لست متفقة معه وأسمي هذا جيتاً ذكورياً ؟
أكثر ولكني أعذره

- ليعبرني واسيني، مرة أخرى -

مقد تلصحت، وعلى مدار ربع قرن، على أنفاسه، وبخاخات جسده، وعلى
كل نصوصه، بل وعلى ظروف كتابتها، واستطعت أن أقبس بميران الخوف
الذي لا أحد يملكه غيري، برحة العشق المبطن فيها استطعت في النهاية
أن أحجم منها هذا الكتاب الذي لم يقل في نهاية المطاف إلا شوقاً خفياً
لذلك أشعر أنني مغنية به بقوة حتى عندما كان يوحه لغوري من حين لآخر
وأيذهب إلى الحميم سدة الأخلاق والصور الغريبة، والكذب، فهذا ليس شائئاً،
وإعبرني واسيني أني كنت حبيبتك، حقيققتنا، بدون إنزئه. لم أر خسرواً

ثم من منا يستأذن الآخر، عندما يتعلق الأمر بحماقة الحب ؟
واسيني، يا رجلي الهارب مني إلى طوبى لتلك البهائم الموشحة صدفاً
ورهوة، يدك التي بلغت بي في عمق التجسيم المخلص الذي اسمه التقيّة
والحب الذي لا شيء يصعبه إلا إبطاع الحمون .

الذي حرمني تغتته من كيمس وبياض العريس، فكرت حتى في نصن الدمار
الذي توضع على كاهله، على رأس جبل جده، في عزلة وسكينة تامة، حتى
لا شيء، إلا الفراغ والندح الذي يذهب ويحمر عند قدميه على هذه
الصامتة ينام واستبني، الطفل الذي قضى العمر كله يبحث عن المتفاح
البري. ويسابق ظله الرافض صوب المتحجر. ويحاول أن يملأ كفه بأسف
الشمس وفراشات النور وصبة غير رسمية، ومع ذلك حفظها عن ظهر رأس
قالها لي ذات ليلة مسروقة على حافة نهر النابيز، في لندن، وهو في أحد
لحظات التيه عيناها ليلتها كانتا مائنتين بالنور والألق، وبعض
ضحك كثيراً ولم يتم إلا عندما أصابني إغفاءة الحجر على صدره

الغيت بسرعة فكرة الرسائل لأنها فقدت حداوها، قبل أن أعود لها ثانية
في أحد تلك، وما أعلمها من، واسيني نفسه كتب لي لا أزال أكتب
الذي اقترصته منذ البداية، نشر الرسائل، الخوف الذي يطرحني من نعت
سيدة الفل والورق، ويقرني أكثر من امرأة الحياة اليومية التي لها جسم
ودوخ وأحاسيس، هذه المرة لم تنبني أله لحظة ترد أو تألب ضمير لي
لنفس، واسيني نشر بعضها متحفياً وراء من الرواية، وأما أنترها كما ورث
في أصلها، ولست في حاجة إلى التفتي إلا ليس لي ما أحسره إلا في
الحياة الثقيلة

طبعاً، لن ألبس صوتاً ذكورياً لحماية نفسي من الخوف، ولكني أتمكن
من التعبير عن أشواق وتسللي ظلماً تفعل الكثبرات من التكتات العربات
لتصوير حقائقهن الخفية، ولكنني سأكون أنا بكل أرض العنقى الذي يشفع
لي هذا الحنون، المؤذي ربما، لي وله، ولكن هذا أيضاً هو رمان الكتابة
القاسي فأنا في محيط من المقتلات، إذا لم يقتلني واسيني، وهو لن يفعل
ذلك، لن أتمو من مخالفات ربابس، الهادي والصور، ولكن عندما يهجو،
سأحاذ كل شيء في طريقه كالتفومان، وإذا غفرت لي ماها التي تحس بأنني
المضمين، لا أعتقد أن يوس عندما يكبر قليلاً، يتحمل عبء الفئلة المحيطين
به والمدمجين بالديس والفسادة والتقاليد المريضة لن ترحمني القليلة التي
يتمني لها والذي لأنني أفسدت سلبها، وأدخلت عليه ما ليس منه ولا قبيلة

بتصور جميع في بيتي، أن الطابق السفلي الشبيه بالقبر، لا يصلح لرمي الزوائد، ما عدا حبيتي صابا، فهي تعرف أنه مكاني الأليف. كلما والى حزينه، قالت لي انزلي ماما إلى الكيل وأرتاحي قليلا. اكثري أو سمعي إلى الموسيقى، أنت في حاجة إلى أن تكوني وحيدة يظنون أن هذا المصالح ليس لكثير من الدائرة المهمة للموت، وينسون أنه أيضاً ذاكرتي كلما لم نعد أعماقه، ارتجف جسدي بقوة أول لمسة من واهبي بعد زواجي في هذا المكان. اشتبهت أن باني، كان رياض بفايض حيط الحرير الصناعي في الجدران، نسا على سرير حديدي قديم جداً لا يزال صوته يصح في راسي تلمسته وأنا أشعر أن جسدي كان يقترع بقوة لأن يدي لم تكن يدي. وأنت كنت بدء التي كانت تغمر جسدي وتزلق عليه كغيمان الغواية لم أشعر بهت ملتصقة به حتى الصباح، ولم تفتني ولا ذرة خوف.

فتحت الخزائن القديمة، التي أغلقها دائما ففرت في البداية من الزوائد الطويلة التي تغطيها بها عندما خرجنا من الحمام المشترك هو بحمام الحمام المشترك، ولكني أجبرته على التعري والاستحمام معي. عند انعس في لحظ الحب، نسي كل شيء، ولم يعد يابه بما كان محيط به.

فتحت صناديقها الداخلية التي بها البستي الخاصة، «تيمورت» بورتقالي. فممان نوم أغلبها لم ينسها له لأنني أصبحت أراه خارج المدينة، وفي أماكن بعيدة، فملت جزءاً منها إلى بيته الخاص على الحافة، في العاصمة قيصم واحد ارتبط بذاكرتي. لونه حدي، مائل نحو زرقه حلبيمة لا يزال التمزق الموجود في جانبها الأيسر يبين عتف اللحظة التي دفعت به إلى تمزيقه على وجه في صوت التمزق متعة غريبة كأنه كان ينزع علي غشاء العفة الشافه تركته على حاله. لم أحبطه. بل لم أغسله من عرق تدفق ليلة بكاملها على حواشيه الأكثر حساسية ورائحته مازالت كما في المرة الأولى عندما اختلط جسداً اشتريته من روما هو أيضاً، في رحلة أدتني كثيراً بسبب حضور طائفه الروسية أنها. العرب أنى عندما رأته، انزلت بسرعة دمال الفحل لم يسألني واسيتي ماذا كنت أفعل. كان يعرف جيداً أن حنيا أحمز كان

رحموني ثم هذا اللباس الأسود الذي ارتديته عندما كانت البلاد تحترق. كنت من باريس سألتني يوماً ماذا تفعلين يا مجنونة؟ قلت له أريد أن أكون امرأة جميلة ومحببة كالصداق حديداً في القصر ويخرج معي (سيدة) السيد الذي يحبني ولم أستمع يوماً أبداً في بحر نفسي شيء. من بعد سبتي، أرحم أحمز كثر العيون، لم أجد.

تعلمت الرقص لا لأكون راقصة محترفة، ولكن لأن ملووبي نصحني بذلك. سبتي السمنة وأمراض الوزن الزائد طبعاً لم تكن راقصة في حياتي. ما كنت غني، واسيتي في سيدة المقام، لم يكن إلا لعبة أدبية استوحاها من صلاتين حالة راقصة حقيقية عرفها في دمشق، في صرحان الموسيقى الكلاسيكية في مسرح بصري. وحالات متعددة أخرى، ربما كان واسيتي الجاسمي للحديث عنها. أنا اليوم صممت أن أتحدث عن حياتي بلا وسائط كما أنا. كما اثبتت أن أكون أو على الأقل، كما كنت في الحقيقة وكيس على الورق.

جأة سمعت همس واسيتي في أذني يأتوني من مكان ما من زوايا البيت
- يا دينك ما أحلك
مهنة.

- أشعر أنني قتلها بدمه «شوف واش كايين لدامك»

كان حارسان من حراس النوايا يعبران الطريق، ولست أدري ما هي القوة التي منعتهما من أن يطلعا مني أن أظهر لهما أوراقا للشوتية، والدفتر العائلي الذي تعودوا على طلبه من كل الشباب والشابات الذين يصادفونهم في الطريق كنت مبهولة. لأن تلك الليلة التي أصبحت اليوم بعيدة، لم نعد إلى البيت ولكننا ذهبنا عند صديق قصبنا بقية الليل مصححة

سمعت الدج الصفير رأيت كل تشكيلة قفاني المظلم الدائرة، المصطفة كادرات متحفية غالبية. أستطيع اليوم أن أعدها كاملة منذ أكثر من عشرين سنة وأنا أحافظ عليها كالذي يحافظ على كبر نمون كوكو شاتيل بواروي. أيف روشي فان كليف، سينيما، حادور لانكوم، سينا وينشي لوتشي. غونتيه، أيف سان موران

كان متحفى المري

- حتى في الموت. لا تتخلى عن كونك روائية،

يتسم ثم يقبض في غلوته كاني لم أكن موجودة

عندما دخلت عليه أول وآخر مرة، وعمرت جناح الأمراض القلبية
التي التي يديره البروفيسور فيبر، الأستاذ المختص بجامعة باريس
التي، قادمة من بعيد، وبعد أن هربت من أخت زوجي، لم يعرفني واسيني
في البداية. لكنه، كما قال لي فيما بعد، إنه شغ محوري، ورائحة جسدي
عندما انحنيت عليه مصدر كان يعرف خطاها جيداً، لأقبل مشهية، شفتيه
الساكنين، تمتع ليلى حميبي. كانت المرة الوحيدة التي أشعر فيها بالفرح
بلغة استرجاع اسمي، بدل اسم مريم الذي تهرني

التي التي يديره البروفيسور فيبر

التي التي يديره البروفيسور فيبر

التي التي يديره البروفيسور فيبر

التي التي يديره البروفيسور فيبر

التي التي يديره البروفيسور فيبر

التي التي يديره البروفيسور فيبر

التي التي يديره البروفيسور فيبر

التي التي يديره البروفيسور فيبر

التي التي يديره البروفيسور فيبر

قلته نسمة فقط بللت شفتيه الباهتتين. ثم أصبحت من المستعفى
قول أن يصل شخص يعرفني. فلا وضع اعتبارياً لي في هذا المكان بالذات.
خلفت، على الرغم من أن اليوم لم يكن يوم زيارات، ولا حتى الوقت المناسب
حتى عندما رأفتي طيبة اللب الشابة العامل، الدكتورة مانزو شيرمان، وأما
أنحس وجهه وبلاحه التي انكسرت للبلأ، فوجدت وجودي قللت لها بلغة
فرنسية فيها الكثير من التردد

- Je m'excuse, c'est mon mari. Mon mari. Je viens de très loin
pour te voir.⁹⁰

عشرت على الكثير من أشباهي الصغيرة. حتى صندوق الرسائل الأنثوي
الذي استعده من البنك برضا واسيني. كان في البداية بهذه الخزانة
أن أسحب نحو مكتبي أحفظه في عمق بؤبؤ العين لكي لا يلمسه نفس
غير أشوائي. الرسائل هي كنز الثمين. البعض منها مرره واسيني مع
بين نصوصه الروائية لكي لا يتنبه له أحد. بعد أن أجرى تغييرات كثيرة في
هياكلها، بعضها الآخر بعث به في شكل رسائل مريبة مشفرة كانت تعبر
شاعراً، عبر الإنترنت. يقول واسيني إن هذا الصندوق هو آخر ما بقي من
فلسفة جد الأساتي. أي شيء فيه ولها معنى في الحياة. وبما أن
نساء أخريات، لا أريد أن أعرف. أريعه لي وله. كان تحت المظفر بين
الإغفاءة والبقلة. في مستشفى الأمراض النفسية، كوشان سان فانسون
بول Cochin-Saint Vincent de Paul، يمارس في جناح العناية المستعب
أفهمت أنني بحاجة لكل ما يحبه. مهمتي بعينه وأدرك الحداثة التي كنت
مصدر ارتكابها، أو هكذا بدالي على الأقل. كنت أمك مفتاح البنك الذي ولدت
فيه كل أسرار. استل صحة متعبة وهو يفضي لي بالسرا. ذهبي للبيت
فانت شريك الأولى في الهدى ووريثي الوحيد خذي كل شيء لن نجدي
كثيرة ما يستفاد ميداليات ذهبية من اليونيسكو وأخرى خاصة
الأدبية المتواضعة. تخبرتك الوحيدة. رسائله ورسائل هي
كباناً واحداً. احتفظني بها. وإن شئت أحرقها، سأعذرك. لا بد لي
حافظتي على نفسك وعلى مشاشة الآخرين

- لا تنتهي من هناك حتى وانت على حافة الموت قصود نساء
التي التي يديره البروفيسور فيبر

- ليس هذا ما أعنيه. عندما تفرين الرسائل تعرفين من النداءات
الداخلية نحو قلتي ليس فقط اشتباه. ولكن أيضاً لأننا في حاجة إلى
أمان نلده في حياتنا اليومية يلعبنا خلود لا نعرف مصدره. ونحتاج
لن يفقدنا

كررتها مرتين حاولت أن لا أظهر أي ارتباك في كلامي فتحت الشامة والأنفة عنديا فلها، فهي، بدون شك، تعرف زوجتي الحقيقية

شعرت أنها امرأة ملعونة حقيقية. انسمت

عرفت كل شيء من عنديها ومن كلماتها

- Ah bon, je ne savais pas. Surtout ne tardez pas³⁵

لكن واسيني خفف من الوضع بتمتات خرجت بصعوبة من حرج

هنا -
- Je t'explique une situation. Mayan aime son mari comme un
bon mari.

انسمت وانسني سألني بعد ذلك

وهي تمع بالقرب مني، عرفت من رائحة العطر الذي كان على جسدها، اسمه، على الرغم من رائحة الأدوية القوية. أردت أن استفز واسيني الذي يحس كثيراً عطوره إلف سان - لوران، ولكنني عدلت عن الفكرة. كان الوقت ضدي

انسمت بعدها بقليل. مارلت امرأة الظل، ولا يجب أن يراني أحد

لا أتذكر الشيء الكبير من تلك اللحظة

كانت إغفاءة واسيني طفولية، حتى وهو في فراش الغيبوبة، مسجاً بالأنابيب والخيوط والأجهزة المعقدة. كان يمكن أن يموت لولا التدخل السريع، ولولا هذه الأجهزة التي كانت تعدّه بالأكسمين، وترافق سبولة دمه، وينفضه، وبقات قلبه النقص. كانت هذه أول وآخر مرة أراه فيها في المستشفى

اليوم، كلما اشتقت إلى واسيني، وكلما اشتبهت المكاء في فنته، انسمت نحو السكربتوروم، وبقيت هناك الوقت الذي أشاء، أخرج بعدها مرتاحة القلب والذاكرة

هل قلت كل ما كنت أنوي قوله، لا أعري بالتخبط.

من حق واسيني أن يطلق النار على برواية مخونة. كما تعود أن يفعل معي كلما أحرقه غيابه، وحتى مع عيري، أو يرفل ضدي دعوى قضائية فقد فررت من تلقاء نفسي. أن أخرج كل شيء من نظامه الخاضع، وأحترق عذرية الظلام. وأضع هذه الرسائل بين أيدي قرانه الذين يحبونه ويحبهم بصديق.

أعرف أيضاً أن بعض الذين لم يكن لهم حظ في الحياة، ولا يحبونه لهذا السبب. حيفرون هذه الرسائل بشقة السود، ويسمدون جداً بها، لأنها توفر لهم مادة خاماً يقضون فيها سنة ينحتون فيها فطلمهم وحبائهم. هذا كله لا يهم أبداً، ولا يشغلني. إن الثورة التي نكث هذه الرسائل هي أصدق لحظة لا يستطيع أن يعيشها جميع البشر سيصت الأعداء بعد المعاملة الأولى، لأنه ببساطة، أن تكون بهذه القوة من الأحاسيس، عليك أولاً أن تكون إنساناً. أو على الأقل مؤهلاً لذلك

لم أبدأ جهداً كبيراً لإيجاد عنوان لهذا الكتاب سوى رسالته الأخيرة التي بعث لي بها يوم خروجه من المستشفى، والتي كانت تحمل عنواناً جميلاً: ليلى، ظل النور. أنشئ السراب لقيمته وأرسلتها أيضاً على الأقل بالنسبة لي، لأنها توقظ في بعض ترجيبتي الدفينة، وبهاضي الداخلي احترتها من بين عشرات الرسائل التي انتخبتها من محزونات الصندوق الخشبي

وأنا أرتب أليستي الكثيرة، تذكرت أحزن رسالة كنت قد حاربتها تحدياً كتبها واسيني يوم افتقد عزيزاً أخاه. كلما اشتقت لواسيني في صفاته وطفولته الأولى، ذهبت نحوها وقرأتها من جديد، وكأنني أقرأها للمرة الأولى أبكي لم أجدتها

لها مكانة في هذا الكتاب. أعرف جيداً درجة حب واسيني لأخيه الذي غادرنا في وقت مبكر. كان عزيزاً أيضاً صديقي وحليفي في الأهم الصعقة كلما انغلقت على سبل الدنيا، أو حرجني واسيني، أو هز يقهني فيه، كنت

أذهب نحوه، وأقول له كل ما في قلبي عزيز، كان الوحيد الذي يعرف أنني
للمميز وتمزقي. وعرف جيداً كيف يصغي إلي، ويمتحنني هزواً ينسحب من
ألامي وجراحاتي

بكلية واحدة، كان عزيز بصيرة وطفه، يرجعني إلى أحضان واسيني
- ليلتي واسيني لا يحدث فقط. ولكنه يتفكك ويحييا بك تأكدي
إذا تركته سيموت اختنافاً

أبكي بحزن، فبشفت بأصابعه الملوكوتية دمعى، وأحييا بكى معي

- أنا أيضاً لا أرى حياتي خارج حياته. فلماذا يوديني الآن؟

- أنا أعرف جيداً أنه يوم يفقدك لن يعود إلى الحياة حتى ولو سجدت
ألف امرأة غيور أن تدركه الوحيد في أعماله ملل عنيد بعضه، ويصده
وقهر طيلة الرحلة. وبعد كل ليلة، يمشي في سجنه الذي يمشي فيه
أنت مقلبه في السجود كلما خال منك شعور أنه يمشي وإن حياته
جميلة وكلما ابتعد عنك، أحسنت أن شيئاً فيه انكسر. ويحتاج إلى تجبير
سريع.

أي سحر كانت تفتحك كلمات عزيز في؟ وأية قوة كانت تدفعني مغمضة
العينين نحو هذا الرجل

- "فتأبني أحياناً أفكار شيطانية لو لم يكن واسيني، لأحببت عزيزاً".

كان يشبه في كل شيء، حتى في طفولته التي لم تقتلها الأيام، رفض أن
يقادر القرية، ليس فقط للمساء محائب أمه التي كانت مرحجه الأول والأخير
في الحياة، ولكن لكي لا يخسر ذرة واحدة من طفولته، وعطرها، وغفوتها
المدينة سرفت الكثير منها، من واسيني

كلما رأيت عزيزاً، استحضرت بسهولة واسيني في حاميته الأولى الأكثر
صدقاً، والأقل ارتباكاً واهتزازاً وجنوناً.

==

من واسيني إلى عزيز

مسالك الغريب ١٠١

غداً عزيز، حبيبتي الغالي، لقد نسيت أن لك قبراً مازال ينهض في

حبيبتي الغالي عزيز.

لنت دائماً هكذا. لم تنفجر إلا قليلاً

ثم تكن فجأة الموت هي المخيفة. تعودنا عليها حتى في أكثر صورها
لماً، وتحملناها مثل الذي يركض مغمض العينين على الحافة فقط ليستحم
بالشمس، وهو يعرف جيداً أنه في يوم ما، ستأكله الهاوية بلا رحمة وليس
نهاباً هو الأصعب على الرغم من قسوته وصرامته، لكن الفجوة الممتدة،
التي خلفتها ورائه، وانسماكتها الهاربة، وضحكاته المسروقة، ونظراته
الشحية التي تخلي بصعوبة قلبها الوجودي، هي الممؤنة

فقدت دائماً تريد أن تخرج باكراً لتكتشف أسرار هذه الدنيا الغامضة ولا
تعود إلا ومعه كل الأحاديث المستعصية. وما أنت تفعل ذلك بلا أدنى تردد
ولكن هذه المرة لكي لا تعود أبداً فتخبرنا عن حصيلتك التي ركضت وراءها
عمرًا بكامله كل الذين سبقوك إلى هذه الرحلة المخيفة، لم يعودوا أبداً
فلماذا لم تطرح على نفسك هذا السؤال التلق؟ هل بالغت الموت في متفكك
الرحلة؟ أنت سيد العارفين أن الركض الدائم على حواف الشمس بحرق، أو
بدفع نحو الهاوية التي أمتك كل من اختار مأوى الأسئلة المستعصية

ربما كنت الآن في أعالي مرتفعات الروح تتأملنا جميعاً وتضحك من
فكر معرفتنا، ولكننا هنا نفتقد ممرارة كبيرة ولا حل لنا إلا بقولك كما
كنت. لا تضحك مني كثيراً أيها الضفي، ولا تفركت بنيتي الضميمة، ولا جسدي
المتداني في غيبي، فأنا ناس كدمعة، ومزج كقصر من زمال لمسة واحدة
تكني لأن تجعلني مجرد حطام

حبيبي. مثل التوحيدي الذي عشت عزلة وخيمته الدائمة. عشت وحيداً. وجدت كما اشتيت - وحيداً لم يكن عبورك على هذه الدنيا إلا لمعة ضالعة في سماء ظلت دائماً ملددة ولم تمنحك المضاء الذي اشتيت دائماً. عندما تظلم الدنيا لي عينيك تأتيني راضاً وأنت تحدث كعسي شلى ... ان يفتح كل من يحب. بخياراته

- هل تدري لم أحرق أبي حيان التوحيدي كل كتبه؟ هل تدري؟ لا لا. لي كما يقول الآخرون خوفاً أو تقرباً من حكم الأعياء الوزراء كانوا الخد ما يشغله مثالي الوزيرين لم يكتبه حقاً ولكن مشربة من السلطان والجد الجور الوزيران. هما أول من أشاع عنه فكرة الرغبة في الثغر متبداً اختبرهما. فعر فراس الهشاشة الذي كانا بنامان عليه

استفرك بمسدة فقط لتخرج ما في ذاكرتك المتفردة

- ليس هذا ما يقوله العارفون

- عن أي عارفين تتحدث؟ لقد ثعب لم يكن الزمن زمنه كان يد أن يشرق المسالك الصعبة. نحو سماء أخرى غير سماء العادية التي حولها الأعياء إلى طاوله للأكل والشعب الإشارات الإلهية دليل على أنه بأسراره الكامنة فيه. وحده كان القادر على استنطاقها أحرق كل شيء لأنه كان يعرف أنهم لن يستطيعوا فهمه. وأنه كان بعيداً بسنوات عديدة عن العبياء عصره الذين ملكوا الدولة والقرار كان التوحيدي أصغر من عصره القرن العاشر المليء بالتصلب والموت والبطون ١٠٢

عزيز

كم هي مضنية مساندة ايها الغريب

لا أريد أن أسألك عن مضيق الآن. لم أعد مهتماً لأنني أعرف أن هذه اللعبة لا تشبه السابقة لعبة التعادي في الجنون حتى المنتهى. لكن حبيبي هذه المرة فعلتها لأن اللعبة أنتجت كثيراً ولم تعد قادراً على التمليل مللما لفعل يومياً في حياتنا المتكررة بتسل ملق وسخيف. وأحياناً سخيف لكن

حبيبي. لا تطلق تصرفك أفعمه جيداً وإن كان يؤدني في انصميم لا يمكنني أن اتخيل أبداً أن هذا المساء لن أسمع محرك سيارته وهو يتوقف عند الباب وأرى يوسف مثقوباً بسمير وسحر وهم يركضون نحوك بفرح شديد. يقتربون حيث قبل أن ترتسم على ملاصيح علامات الانتصار بعد أن وجدوا ضالتهم لم صوتك الذي يسبقك بما هل تعرفين ماذا حدث لي اليوم؟ وتحبيك امي بطيبتها المسيحية المبهودة خبر وسلامة يا وليدي خير وسلامة. ربما أنون قد فقدت ذلك منذ زمن بعيد. ولكن الاحساس بوجودك وحده كاف بإعادتي إلى الأيام التي انصحت بسرعة قبل أن تسحب وراءها

هل كان من الضروري أن تفعل ذلك كله فقط لتفنعنا بأن لعبة الموت مثل صدفة الحياة تماماً. جنون حاد وخطير

عندما كنت في الدنيا بصمت دلتها صمتاً يسر صبح على الحماة ... خالفت لأم دفنت منذ أربعين عاماً زوجها وابنتها وانتظرت شرف ... بين يدي الابن الوحيد الذي رفض أن يتبد حنينه مغريات المدن ... وبلى بجانبها كما اشتته أن يكون وعلى الرغم من زواجه كانت ... صباح تقوم مع أذان الفجر. تحضر قهوتها وتفتوره قبل أن ينسحب نحو العمل في المساء. لا تنام إلا إذا سمعته يعلق باب غرفته التي تعودت على صوتها ويغلق بالفتاح. عندما يصفو كل شيء تخفى عينها بحثاً عن نوم تحركه فطرة ندى متدحرجة من الاعالي. أو حليفاً لورفتين من أوراق الدالية التي تخرق صحن الدار. اتكنا على بعضهما البعض

عزيز

لا شيء حبيبي

أبكيت يا عمري المتكسر ويا حولي الهارب مني إلى اسكيت. ولا شيء يملأ قلب الآن إلا بقايا صورة لوالد لم يمهله الموت ولم يعطه الوقت الكافي ليمارس حبه الأبوي فهل تدري يا عزيز فداحة الخسارة وفسوة اللعبة؟ ذهب ولم يمنحه لحظة فرصة رسم القيلة الأخيرة على جبين زوجته أو خدي ابنه

حبيبى المستعصى على الظلم، وأنا داخل هذا كله

هل كان من الضروري أن تمنحني رغبة الكتابة مقابل موتك؟ لم يكن لي حاجة إلى ذلك كله لئن كنت لي أن الدنيا مجرد سبجارة تتدلى بالحركة وأنها لعبة طارئة لا تمارس إلا باستثنائية. وإن كل شيء طارئ في هذه الدنيا، الموت وحده هو المثلث والباقي أعرف هذا، فلماذا جريت في ناسد بها عمري؟

سبحان

ابها الغريب في قرية، والمعبد في غريته

ضباطنا ضاقت حتى أصبحت مثل آخر نفس قبل التسليم بالموت. والقلب لم يعد كما كان، فقد سُرقت منه كل أزمته الحبيبة المحبة زادت واتسعت ساحات حربها الفاسية. والدنيا ضاقت حتى صار اتساعها القدر من خرم ابرة التسلل الممكنة قوارت واللبل صار فينا. ممارس خلوته مع كاس القهوة الأولى التي تشربها قبل أن نفتح أعيننا على الناس هل تدعى الحلم الذي كنا نفتح له قلوبنا عن آخرها لنكتشفه ونفاسم أسرارها الحلم كان بيتنا وسقفنا الجميل الذي جعلنا نزل ركضاً وتحيط - بيئاً - ونطلب منها أن تُشرحه لنا تضحك وهي تردد لقد ذهبت هنا التي كانت سيدة السر ولا املك إلا هوامشه. نصرخ بصوت مشترك الشرحي لنا الهوامش وتدخّلنا في معرات ومسائل نغيب في سحرها. حتى توصلنا إلى نقطة السر وتكتفينا. فيبرق الثور أخيراً في أعيننا^{١١٢} وكنت كلما رأيتني أراوده وأنت صغيّر. جئست تستمع لتساؤلي في النهاية هل يمكن أن يحدث ذلك كله بكل هذه الدهشة؟ وأكثر. كنت أجيبت كنت تحلم بأن تكبر بسرعة لكي تستطيع أن تقطف نجمة هاربة وتدخلها في كفك خوفاً عليها من التلاشي. وإن تستعير من السماء زرقها كلما تكلمت الدنيا في عينيك ومسح السواد أشواق الأرض والسماء بخرويه المتلاحنة كان يكفي أن تفتح عينيك لترى النور والألوان المدهشة قبل أن تغرق في حبات المعطر للقاعة

عزير

مقد مدة لم أرك كما أشتهي، ولم ترني لتخبرني بأن البلاء تغيرت كثيرا

والحق لا يمكن أن نعيش إلا فرادى. من من الناس يعرف أنك مريض وأنشباك الصغيرة مطحونة. إذ تواجدهم كل يوم في منعطفات المدينة وأنت داعب لمؤعد قاتل أو لعمل ممل. يسألوك

كيف الدنيا؟

ترد وأنت ترسم ابتسامة تسخر بها من انكسارك. وتحاول أن تصافقها على ما تبلى من خلوتك

- Heureusement qu'il y a le rêve, sinon c'est la perte totale de tout sens.

يردون عليك بعثية

- Il n'y a plus de goût. La vie qui existait est morte depuis longtemps.

- Mais non, rien ne mourit, c'est juste nous qui mourront un jour.¹⁰⁰

مذا أن دفنا عمتي في هذه التربة. في ذلك الشتاء الموحش، واحتارت في الموت لتختصر خمسين سنة من المعنى. لم أتفت إلى هذا المكان شعرت أن كل شيء تغير أبداً وما كنا نعرفه لم يعد لنا وربما لم نعد له صرنا لا نعرف المكان وصار المكان لا يعرفنا حتى أنني تساءلت يوماً وأنا انظر لعينيك الحاريتين ما معنى كلمة عودة؟ هل حبيبة نهود إلى المكان الذي تخلق عنا وترمى ذات زمن؟ كل شيء يتبدل ومثلما لا نعد على النهر نفسه مرتين. فندفن لا نعود أبداً إلى المكان نفسه كل الذين اشتبهوا أمكنتهم الأولى وعادوا لها. تركوها من حديد بحسرة لم يعرفوها ولم تعرفهم يقولون لتكررت لهم ولكن في الحبيبة لا شيء يتكرر لشيء آخر إلا إذا لم يعرفه كل شيء يتغير. والبشر ليسوا هم البشر المقابر ليست هي المقابر الاسطح التي تعودنا الركض عليها تعبرت وأصبحت مناهات عالية تشبه السجون والسجون القوية صارت قهوراً هل هو قدر الإنسان الأبدي؟ ها أنا ذا اليوم أعود بعد ست سنوات غياب فقط لأضع نفسي عينا أنك رحلت. وأن اشباك الصغيرة لموت أمكنتها، أنك ابتداء من اليوم لن ترابط في شرفتك.

ولن نفلح منها لنقول لنا صباح الخير يا سكان الفوايق السفلى، سلام -
النور يا سكان البحر الذي يخبثن وراء المرتفع الصغير

على اليوم أن أروى نفسي كثيراً لتقليل الكارثة ولافتتح - ربما عبرة
الألف، بأن ما حدث لك كان من فوط الصدفة للمعينة ضمن ألف احتمال
للحياة في لحظة حزن قاسية وبأس منكسر. صرخت وأنت تصرب على
حيثك صلب. ولعلنا أنا بالذات وليس غيبي من ٩٩٩ حالة احتمالية، قد
تمنعت بحسرة بعد أن انقضت عنتك طيب. ولعلنا الآخرون أيضاً لابد
يكون هناك ظلم في الطبيعة! فلتنا لم صمت طويلاً

هناك ظلم في الطبيعة جبسي ظلم يعمل أحياناً حد السادة المفرقة
لا قوة لنا أمام عنتيتها وعناها

عزيز

أنت دائماً هكذا لم تتغير إلا قليلاً. مازلت تسترجعنا نحو قبر وحدك
تعرف مخاطره ونهاياته وتتمادى في غيك وأنت لا تعرف أن اللعبة يمكن
أن تصبح ملذبة عندما نتكرر كلما سأتك عن التوقف عن استرجاع
نحوك بحنون وشبهة طفولية. تضحك بسماحة وأنت تمحو أوراق الرهان
الرياضي الذي كنت تحبه تحك رأسك من تحت شاشتك الزرقاء التي تشبه
شاشة صبادي ميناء الفزوات. وتحرق سيجارة وعينك شاحصتان في
بوسك وفي إطار صورة مبهم لوالد لم تعرفه إلا من حكايات أمك، والذين
عرفوه عن قرب

- لا بد أن أريج يوماً هذا الرهان المنحوس يمكن أن يكون ذلك الواحد
في الألف أو المليون الذي يريج! لا بد أن يعمل متى سوء الحظ ذات يوم
وانتزح منه الفرصة الوحيدة المتمكنة الحظ ليس خطأ مكتوباً بالأخضر على
جباه الآخرين الذين كتب لهم أن يربحوا باستمرار صحيح أن من يحرر
يتعب كثيراً ولكنه سيصل يوماً. ربما بعد بقية أو بعد قرن من الزمن وطز
إذا لم يريج. الحياة كدف الريح في البريماء، كما يقول الشيخ المعزيت يكون
على الأقل قد متى نفسه عمراً يكامله حتى النهاية وهو يعتقد في اللحظة

ومعلمة التي ستغير حياته رأساً على عقب

- جميل أن يمتنى الإنسان في عالم لم يؤهلنا منذ البداية على الأمل أو
على تحمل الكدمات القاسية والخيبات المتتالية

- هل تدري ماذا فعل أبو حيان التوحيدي يوم انكسرت أشواقه على
جدران سدة القصور. وسادة السيف والكتب والأوهام

- لعن الذي لم يمنحه منصفاً ومالا كتب مثالب الوزيرين

- ها قد عدنا للحكاية نفسها التي أشاعها عنه الوزيران المعيبان
بقدره. الصحاح بن عباد وابن العميد هذا اختزال لم يكن التوحيدي هكذا
بهذه البساطة. لقد أحرق كل كتبه، وعرك الأبدية الساخنة في كل يده
كيف يحك مسحوقاً ليحوطه إلى دواء، ثم فتح أبواب النور في داخله الذي
عنته الخيبات المتتالية من بشر لم يكونوا يستحقون مناصبه. لبدأ
رحلة اليأس الذي لم يكن قد عرفه بعد الإشارات الإلهية ليست إلا وسيلته
للدخول إلى دهاليز الروح المظلمة التي نل عذاب الدنيا بغطيتها. قبل أن يجد
الطحوه الصغيرة التي تلووه نحو النور أنا متأكد مائة بالمائة أن التوحيدي
كان واحداً من إخوان النصفاء يحملون أراءه وأفكاره في الوجود نفسها. بل
حتى أن هناك التباساً بين لغتهم ولغته. يا الله - التي يمتنى يا خوبا. خير
من الذي يقطع التباس^{١١٥} ولا تصبح ضحايا الحياة نفسها

أرايت يا عزيزي خوبا، فسوة اللعبة! لقد خللك السنوت بسرعة يا
ابن أمي لم تكن تعلم أن الموت سيقلب كل المعادلات ويمزق ما كان يبدو
يقينا إلى ملايين الذرات، ويختار أنت لتكون الرقم الواحد في الألف، لكن
هذه المرة في لعبة الموت عندما دخلت إلى المستشفى لم تكن تفكر منطقاً
في الاحتمال الأوحده للموت، ولكنك فكرت باستماتة في ٩٩٩ فرصة للحياة

أنت

رهانات الدنيا غير مأمنة، وتمانيك في اللعبة كانت عواقبه كبيرة



أبها الغريب الطيب، الذي لا بلغت وءاء أبداً حين يلعب مع الدنيا بعد الانتفاء، أما أن لك أن تنسى هذه المظاهرة؟ أما أن لك أن تترجل قليلاً ومما تحفة واحدة فقط في أن الموت طاحونة الانقياء والعظماء والانهال، من عشائنا لم تعد قادرة على تحمله، ألم يكن الوقت بعد لتترك أنك حزين الثلاثين سنة التي عشتها كنت فقط تتدرب كيف يمكنك أن تمك ذلك، بيدك وتلوح به كالفراشات الملونة التي تملأ تلك عندما يحسر حشر لنزوانك لم تمنح عينيك وتنسى كل شيء ولا ترى إلا الفراشات التي تنسج من الخارج إلى داخلك المتعب لفتونه وتمونه إلى لوحة كنت الوحيد الذي يشعر بوجودها

يا ابن أمي الصغير، يا روح الأنقياء والصالحين، ويا زهو العاشقين أبها الطفل الطيب الساحر والمسحور، الذي وشوش ذات صباح في أذن الموجه النهائية التي ارتفعت في حضنه، كلاماً مبهما لم يفهمه أحد غيرهما، ثمها من ذراعها الأيمن ورماعا في عرض البحر وهو يصرخ بأعلى صوت أرحمي من حيث زلت قدمك، وإذبح بحرك وغامت رؤاك، الأهي ولا تلتفتي وراءك القنلة يتربصون بك لتبتعك بعد زمن سبتغرك الهرب الإلهام، فلا مكان لك إلا المحر، ولا روح لك إلا الماء ولا حبيب لك إلا ملحة، ولا شيء لك إلا سواك، الأهي فأنت الحليفة الطفلة الانتقاء على صخرة مسخرة لمهجور أهول لك من أن يملكك الذي يبدلك لأنه لا يعرفك ولا يحسك لتعميق

ويا ابن أمي الذي وضع بذرة النور في كفه ورماعا في برية الفلج ليحمل منها صاحبا أبدياً للرمل أبها الغريب الذي مشى نحو رمس، وحده كان يعرف أسرته، وسار نحو شمس سال ظلامها على الدنيا من يملئني بحوك أبها الحبيب، من يلك إلا حروفك المبهمة لنفسه الفلج من يملئني لأحديائك معانيها الخلبة ويبدد الطبق والعلنة من باتك بحفنة تراب لتفرد وردك الأخيرة ورحلات في اثماء من يعرف لفتك ليدرك كم خسرت حينما ضيعته

من يعيدك إلى فقط لأشيع قليلاً من وجهك أتلقي ملامحك للمرة الأخيرة وأزهو بابتسامة أشتي أن أحتفظ بها، لغير تلك التي رأيتهما لآخر مرة، وأنا أدرك خطأ، أنني سأراك ثانية

وحكك أبها الغريب تعرف كم الدنيا خادعة ولهذا تقابلها بصمتك وبضحكاته الساحرة وسحرك الذي لا يقنى وحكك إذ تحزن تضع الموجة في حبيبك، وحقيقتك الوحيدة في عينيك، وتساغر وأنت لا تعرف إلى أين تتجه، كل المساحات ملكك وكل السموات ممالك

- إلى أين تهاجر وحكك هكذا أبها الطفل المتعبد، انطرافات موصدة واليقين لم يعد يقيناً، والخوف أصبح سيد الريح، والأرض التي فقدت توازنها أصبحت كرة تعود داخل فراغات الهلاك توفك قليلاً يا ابن أمي، إلى أين أنت ذاهب؟

تسمع النداءات التي تأتيك من بعد سحيق تصبح السمع أكثر، مهن رأسك وتواصل وكأن الخوف لم يعد يعينك، وأن لا شيء في رأسك إلا الذهاب، حد التهلكة، وراء لعبة الموت تتوقف قليلاً، تتأمل الأرض والسماء والعصافير والفراشات الهاربة من البرد الذي هجم فجأة، لا تلتفت، تواصل انحدارك بصمت لأنك تعرف مسبقاً أن لا أحد يملك القدرة على السير معك إلى منتهى الرحلة، تستبويه يا ابن أمي غوايات التهايات وشظف اللعبة المبهمة لو تتوقف قليلاً فقط وتستمع إلى نداءات العصافير التي تطغى، وحفيف الفراشات التي تغلق طيريك، ونغمة المطر الذي يغسل أذواقك المنكسرة وحزنك

لو فقط تتوقف للحظة، وتلتفت صوب كل ما يحيط بك ويحضنك

- إلى أين يا ابن أمي؟

كلمة واحدة منك كانت كافية لتوفئك من خديعة اليوم تتوقف قليلاً مرة أخرى تهن رأتك ثم تواصل سيرك بصمت أقل، وكأنك لم تكن معنياً بالأبدي التي كانت

- Boof, La vie c'est comme les mots, toujours fragile et

éphémère

عبر

لديها الغريب كل ضفاف الدنيا الجميلة إذ تمضي حيث يشاء انفسه
لا حيث يشاء قدر الله لك الفرحة المسروقة من عيون اليتامى التي لا قوة في
الدنيا تغطي بريقها الأبدى لك رمشة المعشوقة إذ تنام باستكانة وأمان
تراعي حبيبها بعدما خذلها الملوكت والكث العارفة والله يا ابن أمي لم
يعد يسأل عن أحد لقد أحرقت سلعته وتوسد الرماد وشاهد الموت

لم تكن المسيح يا ابن أمي ولعلك كنت شبيهه فلا تطلب سلطان
فقد تخلى عن كل شيء للرياح الساخنة التي قادتك نحو يتم الفراغ
فل تدري يا ابن أمي ان الحياة أصبحت قوساً طارئة في رحلة غير
مفيدة، لمحتنه بد رهبة وأخلفته بد ليست حقاً هي اليد الأولى نفسها

-1-

وحده أبها الغريب الذي قل أن يتوخا بالنور، ويولد بين مرارة موتين
عندما كانت لحظة خمرها سبعة أشهر، كان الوالد قد احترق في
مشهور مع الموكب الأولى التي حملت طويلاً بوفن سرق منها ومن سالم
مع الطقات الأخيرة من الحرب المينة، وعندما جئت أنت الي النجيا، ذهبت
زليخة بعد ولادتك بسنة هي كذلك لم تلتفت وراءها عندما اختارت الذهب
لم تكن تؤمن كثيراً بالحلول الوسطى، لم تعطي الحياة أكثر من مهلة
صغيرة، يوماً واحداً في الفراش، ثم انطلقت

ولدت عارياً بين العين وشوقين مستحيلين

فتحت عينيك في خلاء موحش، وحيداً كنس ضائع وككتاب ممنوع

أرعد الآن تعود من أكثر من ثلاثين سنة، عندما جئت لأول مرة إلى الدنيا،
كان ذلك داخل خيمة قديمة، كلما اصطفت الرياح الشنوبية، تساقطنا إليها
جمعاً، ماما قيزار، خيرة زليخة، زهور، حسن، نقبض على عمود الارتكاز
حتى لا تفلت الخيمة كنت صغيراً، لا شيء في عينيك سوى الدهشة الأولى
تسترق السمع إلى تمرقات الرياح في الخارج وتنامنا بعينين داغتين
ونظفنا نعب، فتناغي وتضحك ونقل الليل بكامله والفين وعندما تنبذ
العاصفة، يكون النوم قد أخذك بعيداً

عندما بدأت تكبر، لم تتحمل ثقل الكلمات الغائبة لم تجد في حضرك إلا
أما عندما سألتها عن أبيك، وضمت على صدرها، كان حبيبها مرا، ثم نظرت
في السماء الفارغة ولم تقل شيئاً أبداً، ولطفت تؤمن طوال حياتك أن أمك
والدك كانت مثله تماماً، بل هو في كل تفاصيله تأخذ الإطار الأوحى
في صورة الوالد، وتبدأ في تفحصه لتنتهي إلى حبلتك الوحيدة
عندما استبحان الله، فليكن من نوراً

واستغفر

.. وبين راء تضور الشمة..

تضحك لا تعرف شيئاً آخر إلا الضحك عندما تزعج وهمتلي طلبك
بالرماد تضحك أو تضمت لثرة كل حبيب الغليان إليك وحده
.. أنتم ما تعرفوا والو ..

لم تعرف إلا بعد سنوات أنك كنت تصنع الأشياء مثلما تشاء، مثلما
يصنع الغريب ومنا من اللغة ليمكث فيه بعيداً عن الأنظار اثني مذكره
بارض لم تعد له وطن لا بلا ولا يموت، ولا يستعمره أحد، وحده بملك
مفاتيح السر والشمسة وتحتل العنات
أبها الغريب.

وحديثك خضت غمار العداية ومثلما فتحت ألوانك بيد البسرى أغلقتها
بيمينك متحدياً جيروت الله قلت في وله الأنبياء الذي لا يعرف اختبار
موته، لا يعرف أبداً كيف يطارق مفاتيح حياته



نسمع إلى ضيق جراحة الأعصاب وهو يشرح لي العملية وتعداداتها حتى في هذه اللحظة لم تنس أن تستل استراحة مرة من أعماقك بدو أن العملية معقدة جداً يا خويا! الله يستر أتمنى فقط أن يتركوا يدي سالمين على الأقل.

كاه قلبي أن يشفي وكنت أن أخدمه وأهربي بك خارج المستشفى لئلا تغتربا كما كنت أعتقد من موت كان ينتظرك على طاولة العمليات أرسعون يوماً مضت وأنت غائب كيوسف

كل الذين يعمرون بالقرب من بيتك يسألون عنك ولا أحد يره إلا ابتك الصغير سبعهوا لدا أو بعد غد مازال يظن أنك تأخرت في العمل كما تعودت أن تفعل أحياناً ما بك مازال مفتوحة. وأصدقائك الحميمون صامتون كلما مروا عنك انحنوا قليلاً عند نافذتك التي تغل على الشارع ثم انسحبوا بصمت وهي البهجة الثاني يعيدون الصلوة والصلح المنكسرة لنفسها

أربا العريب في أرض التيه والظن والنسيان السريع كل تدري أنني أحترق وأن تشاراً مرا، بسمه الرمان، أصبح بمأ الطيب والأكثرة؟ ربما كانت بقايا قصصنا الطفولية التي أخذتها معك ولم تترك لي إلا أعداءها الشقية

أرى رتقت الآن وخلقك وبكامل ومعادلتك أراك مرتسماً على وجه أم لم تذهب إلى العظيرة لكي لا تشرق أنك خرجت لشجرة الأخيرة. ولين تعود امدا

أرى أسنلتك الهاربة عن والد تأخر كثيراً مجنبه، بعد رحلة النار

بالحرف

والد لا يراك عبري وسط غيمة هاربة، بلا راحة ولا توقف ولا مطر

عريب

أيها الثغري.

هكذا أنت دائماً

ألم تجد وقتاً مناسباً للانسحاب الهادي: غمر هذا

هذه المرة لم تكن تمرح أبداً كنت حاداً إلى حد الانسحاب من كل الأمتك التي تعودت ارتياحها. اليوم لم أعد أملك القوة الكافية التي تؤهني لتفعل خروجك، فقد نسيت أن تطلق الباب وراءك لتذكرني دائماً أنك خرجت. منذ أن تركتها. أمكنتك فقلت أسماءها من فرط التعاطف بك

تصور جببي، كنت خائفاً عليك من موت آخر صار كل من يخلم بخسار ولكنك دائماً تلحظنا وتأتي حيث لا أحد ينتظرك. حتى في الموت لا تنس أن تكون صوفياً وبسيطاً وخطيراً ككلامه

يظني. الدنيا ليست بهذا القصور الباردة عندما فتحت الخزانة ووجدت بعض المسك المذخلة معنطت الصلوة وأوقدت القنبر عادت في لا تلبسه إلا في المناسبات والأعراس. جواريك المبعثرة عبر رفوف الخزانة كل شيء يقول بأنك كنت هائلاً. قبل ثوان قليلة، تنهيا لموعده وحده كنت تعرف اتجاهه. قلت في خاطري وأنا أعمس فوضاله الجميلة هذا الطفل لا يتروى أبداً عزيزاً يكفيك من الغوضى. «مانيش عارف سروالك من سرواكي نظم روحك شويه». أرحوك. وعندما ألتفت تحرك أراك بجديتك الصرامة تطارد سمكة متحيرة ترسده في عينيك الخاضعات. أم ثلثا كل شيء يتفكك. الزهور التي نسيت هذا الصباح أن تسقيها. العصافير التي تعودت أن تأكل من كفيك. بساتينك وصوفيتك العالية التي لا تطيب من الدنيا اتشبه الكثير. قهقهاتك الأخيرة وأنت تستمع إلي كدر نكتة هائلاً حسن وأنت تكرر بدون أن تستطيع كتم ضحكك التي كانت تغرق كمية الملح عندما توضع في النار «بابا بابا بابا بابا» يا بما واش هذا «ورمشات عينك الخائفة من شيء مبهم كنت وحده تحسه في لحظة هرب كل شيء من وجهك. واختبأت العصافير والفراشات رأيت انكساراً يمر كالسحابة على وجهك المتعب.

أراك حيث لا قلب غير قلبي يفهمه حتى في انغلاق سرته

قلت لي ذات يوم كيف هو هذا الشهيد وجهه، مشيته، كلامه، ملامحه ولغته؟ حرجه وحزنه وأسئلته؟ شوقه وحبه وخوفه؟ حنينه ودمعه ووجدت كنت دائماً المنتهي رؤية والذي في لباسه العسكري التحسس بديه الغائبين أو الحشنتين بفعل القسوة، لا يهم انتهى أن أشم فيه رائحة شجر العنبر واللوز والصنوبر والحلواء وأنتهي أن يضعني في حجره ويهضم علي كل قصص الموت التي نطقت منها بأعجوبة بلال إنه كان حكاية رائعا منذ صبا، فليطه لي لم أعرف إلا قلبا أسمى من أرواح شجرة وسعدا لا يحيط لي

أحمد ملاح - الشبي

لكن الموت اشتهاك قبلهم جميعهم وسرق غفوان مفولتك

تتشم كأنك عشت كل الأزمنة مثلك، بابا احمد، عندما امتلأ قلبه بالحب احترق ليست الشهادة في النهاية إلا لحظة اختيار المسلك الصعب نحو لعمنة حارقة، حتى هو عندما خرج ولم يعد، لم يقل الشيء الكثير لأمي قات لها ساعات الليلة أو معد ليبتئين قالت: أنت تخمين سراً التفت صوب ساحت الرمادي لكي لا يعكس وجهه ولا فظه، تم خرج ولم يلتفت عندما وصلوا خير استشهاده، سألت عن قبره قبل لها أنهم أخرجوه من سجن التوسر في ذلك الليل الصليبي الحارق كان غطشا وحزينا، طلب السجناء منه أن يترك البسمة، ولا يأخذ منها إلا شيئا خفيفا كوما عند الزاوية وقال لامي الديوحفصي المرتكن في الزاوية المقابلة قل لميزار أن تضع الأولاد في عينيها، وإن لا تنسى أن بيننا شباك النسي، لن أنسلها أبدا قل لها أن تسير فقط على تعليمهم وتحفظهم لغة لحدادهم قل لها بلا خوف ولا خجل أن تعيد زواجها إذا شاءت، فئن احزن، هي جميلة والحياة فرصة من يوم، لم يعد أُمي كل يوم، منذ أن عرفتها، تلف على قبر منسي كل صباح مشاء الفاتحة، تترحم على الميت وعلى والدي، ثم تتسحب من المقبرة

عزير

ماذا يمكنني أن أفعل الآن غير التوغل في الحزن، غير انتقارك في

الوقوف على قبرك وانتقار عوبتك مسرحاً بالحتم ولحققات السهو، ضافي توجه كما كنت

مررت هذا القبر على قبرك أنا وإبني البكر ماسم وريما ويوسف ابتك كما تريد أن نزرع بذور اللورد التي اشتريتها ريما من متسلة ماريسبة جميلة فالت وهي تستر دمة شاردة لم اشبع من وجه عمي عزيز، لا أنكر سوى أنه كان يحملني بين ذراعيه كلما بكيت أو غضبت ويدخلني لم تبقي من وجهه إلا بعض الحصى النهائية كنت متأكد من أننا عندما نعود في موسم الربيع، وربما قبل ذلك بقليل، سنجد النوار قد أزهز على قبرك واللورد قد تفتحت وعلقت كتبا، وكستك الأنوار التي كنت تشتتي رؤيتها

يقولون إن الزيارة قبل القبر تسمح لمن في القبور بسماعنا في القبر تفتتح كل الجواب اعتقد انه الآن تسحر من سادجتي التي لن أشقى منها أبدا ومن عجري في استدرارك تحوي لتقبيل جبهتك

كانت التربة في كامل طراوتها في ذلك القبر البارد

ريما ويوسف منهيكان في الحفر في الأعماق لدفن بذور اللورد عميقا خيوا من لعنة العير الذي يعرف كيف يتميدها سألتي يوسف وهو يمسح

باصبعه من الأربة التي خلفه

- عمي

- نعم يا فلمي

- هذا الذي بنام تحت الشراب هو بابا عزيز

- عزيز يستريح من تعب أنهك كتيرا

لست أري ما ليذي دعاني إلى ترتيب هذا الجواب ريما لأنني كنت في حقل لا يجد من النوار والغنائات السحرية، في أرض الضحايا، أرضا الطبيعة، أرض واء عزيز الذي كان عمره لا يتجاوز الخمس سنوات وأدعوه إلى أن



لا يمتد كثيراً لكي لا يغرق في عمق الحشائش العالية، ويديه في غنى النوار والسنابل الساقطة وشجر اللوز الذي كان نواره الأبيض والمنفلسج البار يغطي كل شيء عفت لا أرى إلا شعرة الأصفر الذي يتعالى كلما ركعت سعياً قبل أن يغيب نهائياً. وأصرخ وراءه بأعلى صوتي ولكنه لا يرد. الخاف عليه أجري صوب شجرة اللوز العاتية أجده منيماً في عش حقله وجده أمامه كان يحاول أن يعلم صغارها في حضنه حوقاً من البرد على أجسامهم البهشة العارية أقول له عزيز، سيموتون إذا أخذتهم إلى البحر يره بلا أدنى تفكير، لكنهم عراة أقول ستأتي أمهم وتحضنهم وإذا بقيا هنا سيموتون لأن أمهم الخائفة منا. لن تأتي برحبهم إلى عتيم كما كذب في المرة الأولى، ثم ننسحب ويراف حركة أمهم من بعيد وفحاة بأدنى رافضاً

- «خلاص لقد التحقت بأبنائنا هي شام الآن معهم بعد أن شيعوا
- لنتركهم حبيبي يرفحون قلباً لا يتحملون حركتنا ومحبنا.
انتبه إلى يوسف اليواك باستقامة كما في المدرسة. قبل السحرة الصباحي والاستماع إلى التثنية الوطني. ينتقل اعتداده كجائتي وسبح وجهه من الأثرية بالآثرية العالقة في يديه
- الرجل الذي بنام تحت هذه الثمرة الدافئة هو أبي يوسف الذي ظل مغفلاً في عقل أمي ولم يخرج إلا ليمنحها بعض المبرور. بعد السحرة ربي أبي الصلير الذي تعود أن يلمسنا في كل صباح بكى. جديد يرتاح قلباً هنا

- «هو عزيز الآن؟
قالت ربما موجبة كلامها ليوصل
هو عزيز الذي لم ينس أبداً أن يلعب لنا الأذوار الشقية، ويدفع بنا إلى التمداد لقبول موته وهل تموت الملائكة؟

تمتة يوسف لياسم وكأنه كان يفضي له بسر جميل

- إن عندهما يستيقظ عزيز سعيد نفسه مكدلاً بالنوار والورود لقد وضعنا على رأسه كأساً رخامية تمتلئ بالماء كلما سقط المطر، لكي نشرب منها العصافير العطشانة بما عمي، أو للعبارة من هنا. كما حكى لي حنا

- الطيور تهاجر وتعتش هي أيضاً في رحلتها الطويلة لن تجد مكاناً آخر من نوار عزيز ومائه وثلاله الدافئة وحديقته التي ستكبر وتتكون أكثر لقد كان عزيز طيباً ولن يزرع إلا الخبز والمحبة حتى وهو على الضفة خرى من الحياة»

تأملت الشمس الهاربة قد خرجت من دكنة العمم الأسود والتفليل
الحيل التجميع دفن حبسات النوار عميقاً حتى لا تأتئها الطيور الهاربة
فمن أشعة الشمس العذبة بعياه البحر الغريب من حواف المقبرة. وبأعطار
سنة الباردة، قد بدأت تخترق الحيل الوحيد الذي كان يسد عنا من حين
آخر وأشجار السرو العملاقة التي لحرسها العابرون نحو البحر في سفرة
الموت والحياة. والصنوبر الحلبي الذي يحوط بحزام أخضر كل المقبرة
ويزرع فيها الحياة في كل ربيع^{١٠٧}
وهي تذكرك لتتحدث نحو مرسى الجملة المرسى لليلة التي طلع
في صلب البحر

الحرائر العاصمة، شتاء ١٩٩٩

بدأت أشعر بقليل من التعب.

غريب! حجة أدركت كأنني كنت ألهث، بلا توقف، وراء شيء عسير يصعب القبض عليه؟ شيء يشبه السراب ولم يكن ذراعاً أبداً.

أحاول أن أنسى كل التفاصيل البامشية وأعود إلى الوضعية التي أبدأ فيها أشتغل إعادة ترتيبها لهما أكثر.

أنا لا أدري أصلاً ما الذي أيقظ شهوتي في الذهاب نحو ذاكرتي المرحومة لم تكن مريم وحدها. حربي معها كانت واضحة، وكنت أعرف جيداً ما كنت أريده منها بالصيغ الرهائاني معها لا بثوبها أي غرض يا أنا، يا هي

لم أكن ولم أتساءل ما هي القوة الجبارة التي قادتنني نحو المطابق السعالي من بهتي، محمداً أساراي الذي لم أرتده منذ سنوات إلا قليلاً، قبل الذهاب إلى الإنترنت الذي يخبرني رسائلنا بدون أن نضطر إلى البحث لها عن مكان أمي يضمن السرية ويخفف علونا مشقة الذهاب إلى المرشد

كلما انضمت ملاعب الفجر، شعرت بأني شارفت على الانتهاء من مهمتي

أنا أيضاً لدي حساسيتي تجاه الأضواء الاستثنائية، وأشعر بقوة البياض الذي لا يلبسها إلا في الليل. البياض الذي أصبح الآن أكثر صفاءً وأقل حدة.

لست بكل تلك المرحسية الوهمية أعرف أن واسيني يحمني ويدرك حياً أنه لن يتخلص مني حتى ولو شاء. لكنني لا أشك مطلقاً في أن كل ما فعله واسيني عني، قد يمتدح أيضاً على الكثير من سائه اللواتي لسن في النهاية إلا استعارات لامرأة واحدة ووحيدة ومكها واسيني من كل تفاصيل الحياة. ومن امرأة شكلت كل مدار حياته أنا لا أرمي اللورد لنفسه، ولكنني مشبعة بتواضع الحقيقة المستسلمة لبطيختها. أستطيع أن أجزم أن واسيني لم يترك امرأة غربي، سيور زماً طويلاً، وربما طويلاً جداً. قبل أن يعود مثل المعتاد.

الجريح لموت بين ذراعي مثلما فعل أوتاسيس مع المويرانو ماريا كالامس، أياً ما قبل موته. وسجدني في انتظاره، ولن أسأله أبداً أين كان؟ ومع من؟ سأحك على رأسه، وأنظف وجهه من أتربة السفر وغبار المسافات، ثم أتركه ينام على ركبتي أو على صدري. وعندما تتركه رعدة الكوابيس، سأقبله وأقبله من فمي، فطرات الوبسكي، ليستعيد لذة هدونه.

سأصع هذه الرسائل بين أيدي من يشتري قراءتها أعتقد أن لي حقاً كبيراً فيها مثل واسيني، وربما أكثر منه لأنني أنا من يملكها الآن. بها شوق لا يموت أبداً وأنون مشترك. سأستغل الفرصة لتصحيح بعض حماقات واسيني، وأخطاك المقصودة، حول وجهة الرسائل ومتابعها، وأمكنة كتابتها وأرجعها إلى أصولها من الأنيق أن تنشر هذه الرسائل كما كتبت في المرة الأولى، وليس كما دخلت في رواياته لتفقد جزءاً من خصوصيتها. وظيفتي الآن، أن أعيد الحقيقة إلى مسارها الذي محته شخصية ورقية لم تعرف أنها تحت رحمة من يملك القلم، ومن أعطتها جسداً وشفقة وأفرحها الصغيرة. لكنك، للأسف، عندما فتحت عينيها، بدل أن تشكرها على تضحياتها، وتذمها الكبير، وجدتها معتمدة في فراشها كالأمة، تلبس البستها، وتتغزل كعبها العالي. بل تنام في البستها الداخلية ذات الألوان الدافئة، وتتغزل في لونها المنقسي عندما صرخت بأعلى صوتها

- مريم! هذا ليس مكانك.. اطلعي برونو!!! -

تهدأت في وجهها، ثم التفتت حوب بياض الحائط لكي لا تسمعها ولا تراها وهي تصرخ بأعلى صوتها. تعوي

فمأة رأيت البياض نفسه الذي تماهت فيه مريم في ذلك اليوم

كنت أدري ما الذي دكرمني بسفيان، صديق واسيني

كنت يومها منكسرة يوم زرت واسيني في المستشفى لم أعد مباغرة إلى وغراب. فلت سأذهب إلى فراغفورت ليوم فقط أو حتى أقل، لتنفيذ جنون

كان قد ركبني. عندما فانتحت سفيان عن المشروع، قال تعالى أنتظرك. من لي يومها وأنا في محطة فرانكفورت، كان كل المسافرين كانوا متجهين نحو المكان نفسه وفي القطار السريع نفسه، الكأنة نفسها التي تعبر القطار والنقص في التوقيت أكدت لسفيان أنني لن أبقى كثيراً في فرانكفورت. مضطرة للعودة في اليوم نفسه نحو باريس. كان يريد أن يسألني بالتفصيل عن حالة واسيني الصحية، وكنت أريد أن أسأله إذا ما كان مستعداً للقاء معي في خنوني إلى أقصى الحدود. وفر علي كل متاعب الرحلة. مباشرة إلى نزل ماريتيم^{١٠٠}، الذي كان به مقهى مريح، ونفساء جميل حتى الاستراحة فيه

عالمه المشروع لم يقضه يوماً بدم بارد. في الحقيقة لم يلد له ولد جديد.

— أذا مريم يا سفيان؟

— أعرف أنك مريم، وأعرف أنك صديقة واسيني. طمئنني، كيف حالت ذهبت إليه حتى المستشفى يوم مرض، ومنعوني من الفطور. قالوا لي، في العناية المركزة، والزيارات ممنوعة حتى يخرج من حالة الخطر.

— وضعه بحسن كثيراً، ولكني لم أت من أجل هذا ثم عاودت تأكيدي

— أعرف، قال ضاحكاً، بدأت أشك في مخي؟
— حبيبتي التي تحدث عنها كثيراً في نصوصه،

ضحك سفيان مرة أخرى، وكأنه كان يحاول أن يدخل معي لعبة لم يكن قادراً عليها حك على رأسه ولحيته القوضوية، فلهذا، قيل أن يفتح عينيه عن

— سأزوره في الأسبوع المقبل، نحن نعد معاً لمشروع الأعمال الكاملة أرحنا كل النجوم الدافئة التي كانت بيننا وسوء الفهم.

— ليس هذه أيضاً ما حدث من أخته. أنا هنا من أجل شيء آخر، ربما كان أكثر خطورة من حالة واسيني نفسها

— حبرني يا مريم

— حتى هذه أخطأت فيها أيضاً. أما ليلي ولم أعد مريم

— عرفت هذا لم أكن أعرفه أبداً. أما لم أسمع إلا اسم مريم من فم واسيني والأصدقاء المشتركين.

— أرليت يا سفيان، حتى أنت! كلكم لا تعرفون إلا المرأة الورقية، سيدة البحر والحفاه والتمائم البيتة، ولا أحد كلّف نفسه معرفة امرأة من لحم ودم، لم يكن لها دائماً حظ مريم

— في هذه معك حق. اعترف لك بجهلي واسيني. ولكنك لست هنا فقط لتعلميني أنك ليلي ولست مريم. أعتقد أن الموضوع أكثر خطورة

— هل هناك أخطر من إنسان يسرق منه اسمه؟ هويته؟ ويحول بلهجة فلم إلى مجرد كيانات لغوية لا حياة لها

ظل سفيان صامتاً قبل أن أواجهه بسؤال آخر، لم يكن أبداً ينتظره مني

— هل أنت مستعد لطباعة كتابي عن علاقتي بـواسيني؟

— دوحطني يا مريم. عفواً ليلي، قالها كما يفخمها عادة العراقيون والله دوحطني. قلت إنها مزحة لنفسي ما حدث لواسيني، وما أنا أجد نفسي أمام امرأة، يفتخر أنها مجرد امرأة ورقية ولغة لا أكثر. تصر على كيامها المروق. أكثر من ذلك، طباعة كتاب عن علاقتها مع رجل بين الموت والحياة هل واسيني بخير

— لي وضع أحسن، بإمكانك أن تزورم. قضيتي بسيطة وعليك أن تتدخل



معاً خاصاً لعمدها أريد أن أكتب للناس جميعاً، ليس لسد امرأة ورفقة،
ولكنني امرأة حقيقية، وأن صورتني التي أظهر بها في كتاباته ليست هي
الحقيقية. شيء أكثر صعوبة وقوة

عندما حكيت له قصتي الكاملة، وما كنت أنوي القيام به، بقيت عنده
تدورين في محجريهما كأنهما كانتا محاطتين بالفراغ، لم يستطيع مقاومة
دهشته

- هل فكرت جيداً في الموضوع أليس صدمة واسيني هي السبب؟
تخافين أن تظهرني هذا الرجل يكشف كل ما خفي من سيرته؟

- الأمر يخصني ولا يخصه إلا بشكل هامشي. الكل يناديه واسيني، ولا
أحد يناديه بغير هذا الاسم. أنا لم أعد المرأة التي أرادها أن تكون في
وشهت الكثير من النساء والرجال على حد سواء، هي

- أبلغتني في دوامة غريبة. أنا منذت أولاً لفكرة مذهلة من الناحية
الأدبية. امرأة ورقية تريد أن تسترجع هويتها، لكنني خائف على واسيني مما
يمكن أن يلحقه من ضرر، جراء ذلك

- هو من سلمني كل الرسائل

- ولكنه لم يوصيك بنشرها بهذه الطريقة

- أبة طريقة؟ أريد أن يعرف الناس عذابات امرأة الظل. وما أكثرهن في
حياتنا اليوم. لم يمتبه لهن أحد، فأنا أبحث لهن. هل أنت موافق

- أريد أن أعرف رأي واسيني. قبل أي قرار

- شغلك. إذا لم ترد. لن أخرجك، سأرى ناسراً غيرة فضلك لأن كل
أعمال واسيني عندك، مما يسهل مجيء القراء محوكم

كنت أعرف سلفاً أن لعبة مثل هذه ستفريه، وستدفع به إلى القبول، هو
المفهوم بالمنوعات والكتابات التي تخرج عن المعتاد

مستند في أدب السيرة الذاتية

- موافق إذن

- خورش قصة، نحرب

أعرف أن سفيان كان جاداً إلى حد بعيد فرصة أن أعود إلى طبيعتي
الفنية. أنا امرأة فنانة، وعازفة كمان. قبل أن أكون مجرد شخصية لروايات
بعثتها الناس، أو يستهونها، أو حتى يكرهونها

قد يكون قلبي متيناً إلى أقصى الحدود، لأنه لا يسيء إلى واسيني وحده،
ولكن إلى كل محيطه المباشر ربما قد أموت في قلبه وذالكته وحواشه
مهائياً، بعد أن يطلع على حماقتي التي تواطأت فيها مع ناشره المبهول
ملك، سفيان، الذي التقينا به، أنا وإسبني، آخر مرة، في معرض فرانكفورت
للكتاب. يترك لنا دائماً بيت لمدة أسبوع، ويقيم في الشوارع والبازار، فمن
أن ينتهي بين أحضان صديفته الألمانية التي طلقها، أو طلقته، منذ أكثر من
عشر سنوات

قول أن أعود في قطارات فرانكفورت-باريس السريعة الليلية، أكدت
لسفيان. أن ما كنت بصدد القيام به، ليس فيه أي أدنى لكانيه وصديقه، مجرد
هزة عصبية لواسيني كي يعود من جديد إلى الحياة، ويعيدني إلى وضعي
الأول كما كنت دائماً، حبيبته التي تتح عيبه، وجسده، وكراس خطاباه معها
وعليها

- يجب أن تصدق أنني تعبت من أن أظل فقط امرأة من ورق. أخطئ في
ظل بارد بدأت الرطوبة تأكله وتغطيعه برمادها الأخضر

انتبهت الآن فقط أنني كنت في شهره الذي يحبه

تأتيني دندنة صوته ناعمة ووفية، مراقبة لوحدي ولحوي. مغموسة في
شعدي المر الذي كان يشتبه دائماً سماعه عندما يفالعه الله والمبهم



من لبلي إثني سبني

«رجع أبول وأنت بعيد

بعيد»

تبقى حبيبي غريبة وغريب،

أنا وأبول»

على حافة الساحل المتسي

سبي البالي

اعترضني المطر بعيدني إلى أيامنا القديمة. هي شهوة لا تغاوم للشكابة لك على الورق نعم التورق، مثل أية مجنونة عليها أن تدع يوماً حياتها لكي لا يملكها التكرار صنعت أن اخترق النظام الجديد الذي الفته وعودني على السهولة. لريد أن أقتل لك على الورق. أن أنقل إلى البريد المركزي بوسط المدينة. أن أتعب للحصول على طابع بريدي من بائع غيب مفرط غني عشر طابع لكي يستل على مهمة الحياة القاسية

أستل لك يا مدام أسرار من القلوب في حدي ؟ سبي في حدي

تبقى أحد لاء في لاء

«مش مقول» مع هؤلاء البشر الذين يتراقسون من أجل لاشيء»

«نعم مع هؤلاء البشر الذين يتراقسون من أجل الفراغ، أنا منهم وأنت أيضاً»

«أعود بانته أنا مع نفسي. ومع نفسي فقط»

كان يلمد طبعاً اللهاجين والعمال الذين يشكون الطابور الواليف من أجل طابع بريدي ولا تسمع إلا الحمل المتكررة أبدأ خويا يرحم والمريكة اعطني تانمر ١٠٩ لفرنسا واحد لبلجيك حبيبي من فضلك طابع لكندا خويا عنده طوابع للماركان «ما تعرفين وين حات أستراليا» ولكن أحتاج إلى طابع لذلك البلاد وليدي زوجته مثلك، فزحت أنه تزوج. وأنا كنت اظنه قد مات وكلاء البحر الحمد يا رب العالمين، راه في أستراليا. وتزوج من امرأة مسلمة. أحسن من أن يضيع نهائياً أستراليا ولا ملاد مبيكي هلا

«نحملني حمسي. لا حل لدي إلا الحقيبة التي تخرجني الآن من أوهام مريم. وترجع لي حنون لبلي الذي ظل دقبتنا تحت ركاب اللغة السوية والمائلة أيضاً»

من يعرف أنه وراء لفته الحميلة التي برع في صنعها. ضحية في مزيج الأخير لا تغلب شيئاً سوى أن يسمع صوتها الخافت حياً واسهني لم يبدري أنه كلما كتب كتاباً، وفي عزيراً غالباً عليه بين أوراقه، بحثاً عن التوسائل جنوناً. لنسبانه، لقد تعثت. تعثت طويلاً بين دفعتي كتاب، الكهف، وما أنا ذي أقوم اليوم من نفس الكهف. ومن غيار الصنين المميدة ولا بهم إلا لم يفتني الناس ولم أفهمهم، بإمكانني أن أنعم مع كل شيء. تصني حتى ولو كان قصير. تصني كبراً أيلسلي فقط ولا سبي لاء إلى قلباً مستأجراً في لاء

«عمري لقد انتهى كل شيء ونسبت اليوم أنني مريضة. وأنت تكتب لي لحظات فقط، مجرد كائن ورفي استرجعت لحمي. ثم لمي وأنت تكتب لي أنني تطلعت أمامي لسنوات قبل أن أتمكن من تحميمها»

ما زالت امرأة مهولة لم تغيرها السفين والتكنولوجيا إلا قليلاً بعد أن تذكروها حبيبها في أيام الاحتفالات والأعياد، وتنتهي أن تقف متعة في الطابور فقط لترسل رسالة إليه. ولا يهم إذا اعتبرها بعض رواد المركزي في المدينة، متخلفة وبقية قديمة. هم لا يعرفون أبدأ، أن للبريد طعماً خاصاً، لا يضيء في شيء رائحة الكمبيوتر المشتركة بين الناس حسب رائحة الحبر، ولذة الخوف من رسائل قد ترجع نحو مرسلها. ويستند بالصداقة القاتلة، سرها. لا تحمل قوة الإيماء، الذي يغطي بشكل حاد على كل حماقاتنا، ويسانسنا الصغيرة

أشعر أحياناً وأنا أسمع الناس البسطاء وهم يظنون طوابع «بريدي» لمختلف بلدان العالم، أن الجزائر بكاملها هاجرت، ولم يعد بها ما يجذب على البقاء، ثمراء الطوابع بوضوح يشكك واضح، قتل ساستنا الذين لا ينتشرون إلى أبعد من كروشه المتفتحة، لم أكن أعرف ذلك أبداً لقد هجر «الساكن» والمشتقون، طوابع البريد المركزي لم يعد الطابع البريدي إلا شيئاً قديماً ملتصقاً بطبقة لم تعد تعرف شيئاً خارج الكمبيوتر. زمن نحبه لأنه سيء، حيناً وبخس العالم في جيوبنا، وتكرهه لأنه يسرق كل خصوصياتنا الحميمة

في إحدى العرات، سألني شاب، وأنا أتصيب عرفاً للحصول على طابع بريدي لا أعرق ولا أتهد نفسي طبعاً من أجل شخص آخر غيرك استكثر منها جميعاً هذا التجهد

وعلى ما أظن، طابع «الجميلة» الشترى للبريد وسرير الراحلة التي يوفرها لنا

- لم أفهم، واش هو الكمبيوتر؟

ليس سيرة سخرية لم يدره

الكتب تصو بسيرة وفيه مسطحة

- وين أختي، أنت من بلاد الواق الواق وإلا من الجزائر؟

- لا لا، من الجزائر من وهران تحديداً، وين جات بلاد الواق الواق،

صمت قليلاً، لم يعرف لماذا يحيدني فقلت له

- عندما تعرف وين جات بلاد الواق الواق، أخبرني الله بحفظك،

ذهبت وتركت مع حيزته، هو لا يعرف طبعاً أن بلية الكمبيوتر عزت نسي بكامله، وأن وفوف في البريد هو لذتي الوحيدة التي تصل حد الانتشاد لكسر الرقابة الكبيرة أحد متعة في الوفوف فقط، وتأمل الوجوه، والتد

من أجل رسالة أوصليها إلى الصندوق البريدي، وأطل معلقة لمدة شهر، يدي على قلبي أنتظر أن تخبرني أنها وصلت وقرأتها، وأشد أحياناً على رعتي حدي خوفاً من أن يعيدها ساعي البريد، بسبب تغيير عنوانك مثلاً، أو أنها لم تجد من يستلمها وتسقط بين يدي رياض مثلاً، صوت، في المدة الأخيرة، لا أضع عنواني على القفا، وأتركها تضعب في فراغات الدنيا، أفضل من أن توفقة الوحش الكامن فبعض يستلمها في غيابة في البريد يسألني بائع الطوابع، وأنا أسلمه الرسالة بعد أن أوصلت عليها ملابغاً اشتريته من

خمد

- فرنسا

- نعم، فرنسا خوبا

لا يوجد عنوانك في الخلفية

- ما نحيت محط عنواني

- ولو كان تضيع الرسالة

سيرة تضيع ما شعها ساعدي طير، ثم طير، وسائل لمعني حتى تصل ولمدة منها على الأقل في المصير، كنت تدرك أن الأسير يظل الضيق

- هذا شيء آخر شغلك يا مدام

يتسم ثم يضعها في سلة الرسائل الجاهزة للإرسال

شعرت أنه فهدني هذه المرة بسرعة ولهذا أصبحت أشترى طابعاً بريدياً، ألصقه على الرسالة، ثم أرميها في الصندوق الخارجي الملتصق بالبريد المركزي، وأتقاضي بذلك أي سؤال لا أشتري سماعه

أحاسب بداً نقدها ونتحول إلى نسخ مكررة نكتب بالطريقة نفسها حتى ونحلم نمارس حياً بالطريقة نفسها، مع أن الحياة إبداع مستمر



التي، ومعرفة نحو مسارات أخرى. قد تكون أجمل وأدفاً لكن ليس من جد
أن لا تفكر فيما يفكرون فيه بالذات وصمت

طوال ابلع غيبوبة. كنت كل يوم أكتب لك الرسالة تلك الرسالة. وأنت
أن تحبب عنها. أن تقوم من سريرك الباقي. وتحذني عن أسرارك الصغيرة
كان عليك أن تفعل ذلك حتى لا تسجنني وراءك أنا أيضاً هل تحببني حس
بعدك ستكون ليدياً إذا ظننت ذلك أنت قلبي حبيبي وأنت هو الذي
المنطلي في نابض الذي يوطئني إلى الحياة بأصرار كبير. ويمنحني قربة
العشر والمقاومة وعدم الاستسلام

لا أملك فرصة التخلص مني أبداً. استمرار في الحياة هو أكبر استسلام
لي من قدر تستدرجه لي كل مرة بكثرة حملاتك

لقد استعدت انهاء مرضك. في الليالي التي لا تنهي. كل انعطاف
التي عشناها معا وأحسست بفداحة ما لم نعيشه كان بإمكاننا أن نغير
الخطوات بجمال أكثر وجعلها أسعد لحظات العمر لماذا مكرنا العمر
دائماً بالمصيرنا وتلصقنا في حق الآخر؟ هل لأنه على الحافة وعلى
نعتد له بطريقنا قبل فوات الأوان؟ تذكرت ذلك كنه دفعة واحدة على
بطلاني انك في تلك من العصور ما يتلى لسجل كل الأمل في حبيبي
وعليك أن تعرف. ومشاركة من أنك تعرف. أن في داخلي أرواحاً كثيرة جداً
بإمكانها أن تهلك كل شيء دون أدنى تردد ولا خوف ودون أن نعرف على
المقاء معها طوال حياتنا. لو التقينا في زمن آخر. ولو لم نرتكب حماقة مؤ
فرض علينا. لرسمنا أجمل قصة حب ممكن أن تقرأ وحدها حياة بكاملها

يا دينك. لو تدري كم أحبك وكما أنتبهت. لتركت سرير المرض وركبت
إلى أحضانتي ولكنت لم تدرك ذلك لأنك منسغل بالمسوة خلية وحدك تدرك
سرهما كلما فكرت فيك أحسست. بأنه ما عاد ممكناً الاختباء داخل الخوف
والوهم. ونحن نتعري من كل خوف ووهم ما عاد ممكناً أن أتربك تمر هكذا
في حياتي دون أن احتفظ بك في أعين لحظة في وكلما تحسست بعيني.
أحسست بشيء منك يتكور في هنا. وينتظر لفترة طويلة داخل رحم الحلم

لقد كنت يوتس ومايا. وأنتهي أن يأتي ما يملأ عزلي. هل تعرف أن مايا
كانت حياتنا المشتركة. ولها في الفراشة الدائمة التي تجعلني أتمنى
بالجهد تلك أنتهي أن أتحرك من كل مخاوفي وأنتقي بك. وأعرك بهدي
وأفعل كل لحظة في جسدي. وحين أغضى عيني وأنت تموت على عميق في. لا
أز شينا سوى تلك الألوان التي تملأنا والألوان التي تغلف حبيباتنا. ولا
أسمع سوى أنفاسك المعجنونة وهي تتقطع على جسدي الممنوح لك بكل
غفلته. وموسيقى الليل التي تحبها لا لن يموت العمر ولن تنفني هذه
لحظات أعرف أنها ستستمر طويلاً ولو كان ذلك دائماً على حواف الليل
سمحتنا الله مزيداً من العمر. ومزيداً من الجنون لتمارس ما تبغى من
حياتنا. كما نريد وحين نشبع. ونحن لا نشبع أبداً منها. سندعب نحو الله
بكل طغيان. ونشكره مثل الأولاد الطيبين. ونطلب منه أن يكمل معروله ولا
يخوننا جمعة أن تبقى معاً. ولو كان ذلك على الحواف التي يشاؤها

لقد كنت العصور العصور حيرة إلى غير العصور. وأنت في
عزك وصوتك أصبح أجلى وألمني رهان لاستمرار حياتنا مع بعض أحبك
وأنتظر أن تتعالي تماماً وأنتظر أن تعود إلى حافة الساحل لنختبئ مرة
أخرى وأسمع عن جسدك كل الأذى الذي لحق بك في غيابي شوقي لك دون
حد. لكن خوفك عليك كبير أيضاً قل قلعة لقبلة المجنون التي لن أسمع له
ثانية أن يلعن هذه اللعبة المتكررة كلما أحسست بالخوف. تنفسي حبيبي.
فأنا عطر الصلحي قبل أن تبدأ المدينة حياتها وكلما أحسست بالتعب
رج راسك على صدري وأغض عيني وسترى كل ما تشتهي وكلما أحسست
بالحزن. تذكر أن في هذه الدنيا. على الضفة الأخرى من البحر الذي شاع
قبل الأوان. إنساناً يضع حياته كلها بين يديك. ويحبها بحباتك. وحين يهزئك
الأخرون أو يتلفظ عليك. افتحه لي وأفرغ المارة والحسرة على عالم ليس
رحيماً دائماً وبأسرع من على وجهك كل الانكسارات. وأفلح جيبك وأضعف
الي حتى تأخذك لحقة اللذة

أحبك يا سبتي حبيبي. قلبي العنيد والمكابح باستمرار أحبك يا كمشة
نور والأوان متشائمة يا غود النيامين الذي يقاوم باستماتة لكي لا

بنكسر ولا يصطلم للمرد والعزلة ومناهي الروح احبك وانتظر أن تسعني
البدن، وتصلط على شفتي « بلا مزية حذاء.. وتفرط جسدي كما تشتهي.. بلا
مزية حذاء.. وتأكلني كما يمدو لك.. بلا مزية حذاء.. والا حبيبي، ما يعني
هذه الفداوات المجنونة التي تأتي من اعماق نفلة هينا

احبك، وأوووووووووووت فيك يا ملعون أرجوك حبيبي، نفاذ فقط، في
المرات القادمة ان تعاود لعبة خطيرة كهذه، لأن الغدر لك لا يمنح جنون
في هذا اليوم

« يا لاس صرختك محتونة، فهل نظن اني امك غفلا لملاومتها»

حبيبتيك التي تنفردك على حافة ساحلنا العنسي

وهران، ربيع - ٢٠٠٨

هذه واسيني إذن، كما شاء أن يكون، هذه أنا كما هويت

تأملت المسدس سبع رصاصات، وقبضة أصبحت الآن دافئة

غاب الكمان نهائياً ولم يبد إلا طله، بعدما وضعت في الزاوية الخلفية
المكتب الذي يحتل جزءاً كبيراً من السكريتوريوم. أدركه الآن بعد كل هذا
الحزن الطويل الذي أرغمني أن أصعب شيء تصارعه هو قتل امرأة، رفيقة
خرجت من سبيلها وأصبحت كوابل مستعدة

لقد كبرت مريم بحائلي مثلما يكبر للمرضى

- لا دم في يدي ولكني أعتقد أنني حشرت مريم في اضيق زاوية،
مثلما كان يفعل واسيني كلما شعر بالحزن ورغب في عيش حذاءه للمرة
الأخيرة.

إذا اضطورت إلى أن أطلق النار عليها، فلن أتردد ثانية واحدة، سأقتلها.
وأنتلذذ بالرصاصات الصغيرة وهي تحدث ثقوباً متتالية في جسدها الغضبي
الذي سرق مني سعادتي وتوازني، سأشقي غليل ربع قرن من الصمت

لا يوم بعدها إذا استيقظ واسيني من غفوة الطويلة أو لم يستيقظ عندما
يعود إلى الحياة الطبيعية، سجد كل شيء قد انتهى

اليوم، لا أشك أبداً في أن واسيني أحبني بصدق، ولهذا قتلت بلعبة مريم
التي حلت محلي بعد أن ألبسها كل الأقمعة الجميلة التي جعلت منها امرأة
استثنائية. لكنها أخطأت في قدراتي على الشر مع الزمن، تأكد لها أنها
أصبحت امرأة لا يمكن تخطيها، وأنها دخلت في أعماق الناس، ولن تموت
أبداً. مثل من يستقر في الذاكرة بظل حياً، لم انفردت به وفراشي، وأحلامي،
وحديثي، وورودي، ومحت وحاولت محو جودي نهائياً حتى من ذاكرة
واسيني نفسه، لولا الأسفار المسروقة وطيراني مع واسيني عبر العالم، الذي
تربطني منه بعمق، لأحرقته. أشكر الأقدار بلا تردد أنها وضعت في مسالكنا

صديق الأختار الصبيحة التي وازدادت وشعباً كان يسير مع الأختار المختار
لقد أخطأت مريم خطأ فائلاً لأن الأحقاد نعمي وأنا الآن عمياء

سبحاً المجد قرايا لا شعورياً لاختلاف التي عليها أم يكن مملوك
عليها عقد الشتي وأبنيها العديد من القدرات فطنتها حياة الجود في
أصل من التواجد فيه صدقة في بؤسها أو في القبح البشري حينما سجد
بني وأبني مثل موحدة لبرصية وعزائي إلى مريم صخر ككأن ورقي
لا أكل جود عند القراء في مطامع الكتب والمواقع يقضي العسر كله
معلقاً على ورقة حيلة أو على حيلته القرائية لا ماء فيها ولا حيلة
لشتي في حيلته سيرة غير موفقة في طمع الغلب، وقد رأينا أنبه
من مطامع العبد وتكاد كان يصعد صعداً إلى فقرة القارئة التي به
أسقط ميموها الأبد غير من الصيلة لم يمسح سطر لغوي حواري
إلى طابعا في العلوم السياسية وأنا لا علاقة لي بذلك سلقاً في فقهه
التيه السطحة بعد الاندماج صحيح إلى برصية شهراً قليلة في المساعدة في
قسم الأبد في وقراء قبل أن التعلل بكسر قوتها العبدية، يقضي بالبيان
الموروثي الملائم عرفته مصدر الحكاية فطنتها فقد انطردت لندا الصيلة
أن يحس الضيق المادى على طامع الأمان الثالثة التي أصبح عليه رأينا
الضمان بالتحليل والنظر الإلهائي، فالتعبير الدلالية والحرارة كان على
الشعر حينما حل شمس رومية، وهذا مثل قتيبة قدسلي على عبد العبد
الشمس حينما على البشر وبمقامه هي الدافعة مريم من ١١١١ ولست أنا
ولوهي وأبني، سادسها الله هي حيلة ميموه لم تعرف هل هي حيلة
طوقاً أم عروة في صخر الحلال مريم الأرملة والركبي في سواد لبرصية
بعد أن حرق شتي بؤسها الميموه في السيرة شتي أميلاً إلى في تلك
التيور حيل الصيلة الصيلة وفي أعين الأخرى أروا حرقاً ميموه لا
قوة ريشتي أوت في مستطلي بارك على وقع كبداله الأخيرة في سيرة
الضمان حينما مريم على حرقاً وميموه الاستثنائي من تراخي أو جاذبي
أفعله أبدأ وعلى وقع القدرات الصيلة وضع من رأسي رصاصاً صعداً
سبحاً رصاصاً عرفت القفس التي هو البناء في سنة ١٩٨٥، لم يحطلي

ميسرة على ريشتي العبدية، لقد خلقته ميموه على هذا التوسل
العظيم، ولكني لم أكن أبدأ راقصة في حياتي أعرف جيداً مصادر الاستعارة
الحصيل في وأبني هو أنه كان يحكي لي عن كل التفاصيل ربما سأرويها
ربما عندما أخرج من القسط الذي أعاني منه فقد تعرف على راقصة باليه
في دمشق وجاز سبطاً جزءاً من سن الشرع حينما عن سحر شعور التي
الصدق بنفسها، قد أن وفارقاً على أيمان كيلة الشتي لا والله شمساً ليحاء
كأن يصعداً بسطط غروب، وأما مريم على حيلة القفسين وقد ولد حسدا
كل نصاراً وهي تلك من ورير القفلة أن يهتم بها وقد ألتفت بعد أن
تركها ورويتها وغرباً معها إلى المغرب، على وأبني لتفتت وضع يسرها
تلك السورة من حيرة وهذا أن يعيش على صيرة التي صعداً معها إلى
البدن عرفت أن برصية كمال وعاء صوره في سيرة وهي تظهر في القفلة
كقارئة ومريم عرس من الأمان الصيلة أم ريشتي في بارك في أيام
الشمس الكبرى في سنة ١٩٩٢، مريم ألتفت ريشاً في دائرة الماء وأقرب القفلة
التي يقتلها من بؤس وتلك مستقلة به ألتفت إليها قبل أن يرقص سحر
وإبر القفلة التي سجدت أن القفلة عليه حتى قد أن ألتفت كبد أول رأينا
قد أن هذه التفاصيل التي لا تتعرف أفرحتي شمساً سحر أنه مريم التي
أولس صعداً من جامعة القصور التي لا يولما دوات الأسماء وأن يبد
الأ عندما تم لعباً الميموه الصيلة لم تقع من نحو سكران الموت في
على القفسين مع أبتني سارة في مشهد حياتي جعشني أسد جاذبة
من أسد أسد من أن الصخر وأبني ألتفت سارة ونسر أوتسار أن القفلة
الوحيدة التي حرقته من القفس وقفلة هذا القفس على حيلة مايا التي
ولدت الصيلة ونحسني وأبني بكل التفاصيل الصيلة التي تلتقها الشدايق
كبد أسبياً ويروا لها تلك السيرة البرصية التي ذكرني فيها باسم قد أسد
مريم كان ذلك في وقع الإبرية الصيلة وهذا لأنها فائد الشدايق والغرب
أبدأ أرواها الوحيدة التي الحيلة من ربه سداً كثيراً لقد حوتها الصداقة
الشتر كبدت أرم فهد، والماء أيضاً التي صيلة وجد كز واحد ميموه
حباته أرم صيلة التي أوتسار ميموه أم أفتسر من وأبني تركت صيلة في
أعالي التي الحياة، وحركت حواسها الدافعة أيا التي كانت ألتفت على أرم

من عيون حسابه، قبل أن أنتهي بين أحضان أحدهم، رياضي، يصب مداد
واسني التي لا تحصى كل امرأة طهيعة تهتز لذلك عندما تتحول إلى امرأة
في قلب وخيال رجل تراحم على الرغم من أنني تمنيت أن ينشئ بها دمه،
معي منذ ذلك اليوم، وفي ذلك الخراب القاسي، وعالم الشكوك والريبة، إلى
نمائي، ولد اسم مريم الذي لازمني أكثر من ربع قرن. أكذب إذا قلت إنني لم
أكن سعيدة بكل ذلك الألق الذي أضفاه علي من خلال مريم، ومتواضعة جدا
إلى أقصى الحدود. كنت قارنته الأولى. مريم لم تكن أنا بالضبط، لكنني
فرحة بشيء وحيد هو صورتي المذلة في أعماقه الخفية، قبل أن يتحول
ذلك كله إلى كابوس قاتل. تكذب من تقول إن ذلك لا يدغخ حواسها الدقيقة
بأنها امرأة مشتبهة، ويحبها الآخرون. تكذب ولا تقول الحقيقة الكثير من
عرفتهم، تمنين أن يكر في مكان مريم، أي في مكاني، إلا أنا، فقد كنت
مع الزمن من هذا الحمل الثقيل كل هذا للنور المدمر الذي كان يخرج
الكلمات، وهذا الألق الغريب الذي يجتاح داخلي ليجوله إلى قطعة زجاج
شفافة. وهذه القوابات التي لا حد لحريتها وسلطانها على الناس، كانت على
جسد أسير خفي في ذلك مع الزمن معاً إلى أبدي.

-٢-

في مرة من المرات ولكن بعد مريم غلبت دهراني الخمسة والستين من
سني وأجلسني على رجليها اليسرى بينما علق مدادها مع مداد مريم في
أصابعها، ثم نظر أمامي هذا كغير من الرجال كانت تسأل من كان
وصفيته، حتى أن هناك بعضا الكشاكش أحيانا وعريانة معروفات
ثم قال لي

- انظري عيني هذا الشاب في عيون الناس أن صاروا عيون روجته
العبيدة

لم أفهم جيداً ثم بدأ يقرأ علي بعضها لكنني أوقفته كمن ينزل سكونه
باردة على أوردته كانت تنفض بالحياة قبل لحظة.

- عمري... أنا متعبة ماذا أسأري في عيون الجميع أزوجك؟ لا محظرتك؟

لا محظرتك؟ لا أحد غورك وغيري يعرف هذه الحقيقة فأنا أولاً وأخيراً، روجته
رياض! لست أكثر من امرأة ورقية، يلمسها كل الناس. مشاعة للجميع. يحلم
بها من يشاء، وربما ينام معها ذهباً من يشاء أيضاً. تحت رحمة كل القراء،
من العاقل والحميل، إلى القارئ المأزوم، الذي قول أن ينام، يعض عيني
على حنيتها الذي لا يجد في روجته، ولا حتى في أمة امرأة أخرى. ويستمني
عليها حبيبي، لست أكثر من امرأة الظل، تعطي كل شيء، بما في ذلك جسدي،
ولا حق لها في أن تعفل عن حبها، فناءها، مريم، له كل الحق في أن يفعل
ما يشاء الكثير من الناس يحبون مريم، والكثير منهم أيضاً يحبون إصرارها
على الحياة، ويحسون كل المبررات لحياتاتها الصغيرة والمتقكرة ويرون
أحبها لأنهم يرتمون بسرعة في أحضانها ويتحولون في رمتها عين إليها
حتى أن تظلم الحياة من جديد، لكنهم، عندما يسمعون بليلي تقوم
مريم، بنفس الذي تلذذوا به وأحبوه، صبرونها، ويرجمونها بالذلة نفسها،
نهمة الحياة الزوجية هل فكرت في هذه الآراء واجبة وأنت تشرق مني
أسمي لأوحي وتمنحها لمريم؟

أبيد جيهاً أسأري في القهقهة لا تملك حسنة فاعلموا، ليس أختي
الطلة لا تنزف ولا تقطر دماً، ولا تحلف أي أثر على الطلقات التي تنكث
أختها مريم ليست أكثر من ذلك السعي اليك تنكث الأختاء من الأختاء
إلى الأختاء الذين في كنفها يحتلون في قلب من التورط في حاله فذكر
حتى لم يفسدوا حال هذا السوء السعي هذا

ولما لي امرأة راسية على فسطح حتى الكثير من جملها والأخت
عندما انتهت من قراءة الكتاب بكيت على مريم، ولم استطع كفتة
نموعي أشعر أن ما حدث لها يمسني وأني معنية بها بقوة مصورها،
محببي مريم ليست أدياً ولكنها جزء من الضي التي تظلم من أن نطوئه
ربما كنت أنا أيضاً مريم، أبحث عن مثل أعلى سرق مني في وضع المنابر
تساهدون على كفتة أسى وزوجي وأختي.

ثم وضع الرسالة جانباً، وأخذ رسالة أخرى كانت مطرزة بمختلف
الألوان، وقرأ غرر الجمال الذي وضع تحتها سطرًا أحمر

- لا أومن كثيراً بالأسقامات، إذ لكل إنسان تجربته الخاصة في الحياة.
لكنني وجدتني في مريم، ثم في لفتة وعلى فكرة هما الشخصية نفسها
لأنك عندما هربت من مريم سقطت من حديد في سبيلها يجب أن تعرف
أنني أشبه مريم في ألبستها، في حركاتها، بل حتى في القلادة التي وضعها
على صدرها، وحتى في رغباتها المجنونة في الرقص وتحدي عالم نرجس
لا يعرف كيف يفزع تشبهتي حتى في اللباس الأحمر الذي تشتهي ارتداؤه
وهي لونها البفنجي الذي تفضله على كل الألوان ..

ضحكت بمرارة

- هل تروي هذه الشخصية القوية التي تمثليها في الفن البفنجي في
لونك؟

- لا أوافقك على ذلك، من دون الشكر ثم إنه لم يعد لي صدق أو سرف
منى ووصفته في متناول جميع النساء - اللون مثل العنبر ذهبي - نسمة
تفرض أية امرأة عاقلة، حالة الشراكة فيها.

- لم أسرق، مريم كانت مهوولة حالات مسجماً كاملاً به، وعامت هدايت
بكل ساعاتها، وفي الفجر عندما خرجت منه، كان جسداً مثل جسد فرقة
بمفسحة

- أنت من علمه إلهام مني لا شيء ليس لك، ولست، وديك
الرائحة

فهم واسمعي قصتي جداً حينئذ نسوة وأنا سألتك على كنت اليسرى
ومبني.

كنت مستسلمة له كمسبية لم تكن تنظر إلا من يهتم بها، وسعيدة أنه فاز
في لحظة من اللحظات، أن سألتني عن النار التي كانت تلتهمني من الداخل
كالحطب الباهس، جاء في وقتي، لأنني كنت قد بدأت أشعر أنني كنت وحيدة في
الأمس وحلوتي، كالتيمة في عالم لم يعد يباه بها، ولم تعد تعرفه.

- اسمي هذه الشامية، المفروض أن تستشير مرأة نرجس فيك.

- انزعمت من سامي خطيبتي لم اكلمه قلت له الفراء مريم في طوق
الصحراء ونعلات نحدث أنا غير قادرة على أن أقول له بالتفصيل العمل ما
يستلزم في نفس انسيا له عندما قرأنا حادي بال صباح وهو يسدل عين
نساء التي كانت عليه، منه كان طفلة مسكت أنه فهدني حيناً الأول مرة
بمس سامي كبرياءه، وبأني فحوي كما اشتبهته، رجلاً هشاً وحميلاً،

ثم قرأ رسالة أخرى، أضحتني قليلاً

الواد لم يولد بحر القنصل سبع عشرة مرة وفي كل مرة ابن مريم
بشكل مخالف. لقد أصبحت أيلوثني التي أضعها كل ليلة عند رأسي -

- بعينها القصة لا، بل وقلبك قد يحس صامع العيون

- قليلاً من الغرور لا يؤذي أحداً، ولكن ليس هذا هو المهم

- هذا لا صنعت أن تشعر مذهب كبير وأنت تقرأ علي هذه المقامير، وتغنى
صبي، أن وراء تلك السعادات العابرة، مصور امرأة، كل يوم تموت قليلاً.

- الكتابة شيء آخر، أكثر تعقيداً، وليست مجرد صدى لحياة الناس..

- أعتقد أن القصص أيا كان مريم وفتة من حبي ومن سعادتي
الصوفية ومن حبي لنسي أشبه لك أولاً بالفتاة في القصة من القصة من
مخلوقات اللعوبة، ولكني أنا - نعم أنا - إنسانة ولست مخلوقة أربية عندما
أكون في قصتي من أيام لا يتغير بها - وتساوينا فلما سألني يوماً،
ونس قليلاً، مثل شخصيات العديدة التي يمكنك أن تستعدها متى شئت
وكيفما يحلو لك، إله ساحتك الورق، ودواؤك اللثة هذا الإله لا ينامني
حبيبي في حاجة إلى إله لا يشرك في شئنا

- مريم هي أنت، ولكن مرمزة لقد أضفت لك كل ما كان ينقصك. حولتك
إلى راقصة باليه وأنت سوبرانو وعازفة كمان. من من القراء يعرف قصة

الرافضة التي صادفتها في دمشق وسحت معها في المدينة مدة شهر داخل كل مرافق الحنون الممكنة شهر واحد كان كافياً لأن يهر كل لناغاتي من الحياة، ولقينيائي وحتى أوهاشي ربما احتجنا إلى وضع آخر غير هذا، من ندر أن دفن الأدب ليست أجل من الحياة وليست دوتها، ولكنها هي حياة أخرى لحظة ملقطة بصمت اللغة وصحبها، تأتي عندما تتوقف الحياة الاعتيادية من أن تكون كما فتحتها. طبعاً محاسن الحياة الموازية أفسى لأنه لا تعرف من أين، متى تأتوك الضريرة القاسية من شخص لا تعرفه، سيء حال في لحظة من لحظة من المعنى لا يتركها الناس اصدقائك، لكن يمكنهم أن يكونوا أبعداً أعداءك. شخصية وريقة لا تعبرها اعتبارات كثيرة، يمكنها أن تحملك شأناً قاسياً من شؤون الحياة فتزكزين قصة ذلك الرجل الذي رأى في ساسافندا، في ضميم الغائب، لحظته المناضلة في الاتحاد النسائي^{١٠} ظل يتردد على حريدة المساء، كانت تنشر الرواية مسلسل في خريف ١٩٨٦، ويتصدى حطوة، حطوة حتى عرف كل حركاتي، قبل أن يدخل إلى الحريدة يلتقي بمديرها، الذي أقنعه بأنه لا علاقة للرواية بحظيته أبداً، وأنى من هيران، ولست من الجزار الماسمة، مما أهل كل شكوكه. وأصر هذا الرجل الغريب الذي كأنه خرج من رواية، أن نقرأ على صمعه نهاية الرواية لبعضن لغة أكلر. فاكنتل أن لا علاقة للنهائية بما عاشه مع حديقته التي افترق عنها وظل متعلقاً بها. عندما بهض للخروج، وضع سكة الحزازين الطويلة على المكتب، وتخرج خارج مكتب المدير، وهو بكرر والله عمره طويل هناك الحزاز^{١١} كنت أنوي أن أضعها في ظهره صباح السبت المقبل عندما يغادر مبانرة السجن القتل يوم السبت بحرمه من الجنة ويضعه في صف اليهود يومها. ثم أن النضر ليس في رقابة تعرفها جيداً، ولكن في القارئ المحتمل. يحتاجون إلى من يعطيهم يقيناً لحباتهم الحارقة والباردة. حتى عندما ينفصرون على ارتكاب جريمة قتل، يظنون أنهم في حالة من القتل الافتراضي التي لا علاقة لها بالحقيقة.

- لكنني يا عمري، لست كافئاً افتراضياً، أنا امرأة من لحم ودم وألم

كل هذا لم يخل عشتكني العميقة، بل عمق الغرور الذي تخلفه قبل مدة لا أضيف شيئاً من عندي. أقسمت أن لا أقول إلا الحقيقة، ولا شيء يهيجني الآن على الأقل. على فعل ذلك سوى حرقتي الداخلية، لقد تأخرت كثيراً، لم أفهم كيف أخرجتني مريم، قناعي السري، من دائرة الحياة، واحتلت مكانها في كل شيء؟ مررت مدني الجميلة التي زرتها لحظة مع واسيني، مكنت أنواني التي اشتبهت بها، خصوصاً البنفسجي والأزرق في النهاية، استولت حتى على جسدي وسكنته مثل الحنى، بكل ما فيه من حماقات وجنون، وتعطش وحرية مكبوحة، لا أغفر لها أنها نامت في فراشي مع رجال لا أعرفهم، وشعمت رائحة عطرها التي كانت من عطري، فاهتت بالبهستي الحميمة أمام حبيبها وهي في أقاصي السكر الجميل. تماماً مثلما أفعل! وصل بها الحنون إلى أنها منحت خزانتي الخاصة وأخرجت منها كل شفايفتي وأصقفتها ببسدها في لحظات العفوان! على مدار أكثر من عشرين سنة وهي، تسرق مني مساحة جميلة، أو شيئاً فتمياً، قبل أن تأخذني بكلتي كانت تفعل ذلك على مرأى مني ومن واسيني

- غيبوبتك أعطتني كل مبررات الانتقاء -

لقد أصبحت هي أيضاً وحيدة دون واسيني النائم في غيبوبته. لقد صممت فجأة وتوكلت على نفسها، وانفصلت في سرها الخفي. لم أع أراها كما تعودت أن تفعل معي، كل صباح، في فراشي وهي تتمطط في حالة فسوى من الكسل الليلي، بقامتها الرشيقة كانت أحياناً نسطع ذلك أمعانا في إيذائي

-٤-

أشعر أن اللغة التي مرقت جسدي، كانت دون حرائقي الحقيقية

ما زالت على قيد الحياة، وممتلئة بالنور وبقد لا يصاهي من الحنون، كما هي لغتنا الأول، ولكنني تعبرت كثيراً عما كنت عليه في السابق ربما

لأنني فُتكت وأصِفي قبل الآوان، في مستشفى الأمراض العقلية بمباريس، يوم استعديت لاستبدال موته بصبر وأناة. فأصبحت مستعدة للتصرد عليه أيضاً فقلت ذلك لأنني كنت أريد موته. فأنا لا أحبه قطعاً، ولكنني رهنه من أجل إسعاده

كنت في حاجة لصمته، لأنفرداً لحربي المصيرية ضد مريم. ولم أجد أفضل من لحظة عيبوته التي تمنيتها في أعماقي أن تطول حتى أسيء مهنتي. ولكي لا يمنفني مما نويت ممارسته ضد مريم التي أحرقته في ما هو عتيق

لقد نعمت. ولم يكن لدي خيار آخر غير ذلك.

ليجرب قليلاً. هو العقاد في السنوات الأخيرة، على الأضواء العلوية والجواثز، وفنادق الخمس والست نجوم الفخمة، والقصور. وأسعار المصروف والدرجة الأولى. ليجرب للحظة واحدة، ما معنى أن يقضي الإنسان أكثر من عشرين سنة، في الظل، بدرجة أقل من سارق محبوس في بيت، أو بين حصى كتاب! لا يستطيع أن يصرح بأجل حظ وأجل صدقة في حياته. حبه أعرفه جيداً أن وأصبي خارج كل هذا المهرج الشكلي، ولا يهيمه مطلقاً ذلك، بعد اختيار الحياة البسيطة لأنها تشبهه لكن. ليجرب ذلك فقط من أجله. يأخذ مكانه يوماً واحداً فقط ويعيش كامرأة الظل. كما أعرفه، أعتقد حاربه أنه لن يستمر في الحياة أكثر من يوم سيجده المايرون على حافة الطريق العام، يقطع ملايمه يجون، أو مسترا في مكانه، بعد أن يكتف حملة واحدة على في ربة طفلة، بعد أن يكتف في تحت لك مستند في يوم واحد لا يستند فيه إلى قلبه

• نعيم عمومي فلنأنا أو تخيلتك فلنأنا لقد صنعت من يوم واحد لا حياة فيه إلا التكرار لهذا صنعت حبيبي، أن أخرج من دورة التكرار الفائقة. وسأبذل في عقيق المعنى، وأملس شهوتي البغينة بالقلل متأخرة، ربما لكن ربما يقول المثل الفرنسي¹¹³ Il n'est jamais trop tard pour bien faire .

نشر هذه الرسائل ليس إلا للخطوة الأولى نحو حماقة أعظم، هي في طور التكوين كالبركان. فقد ظفنتي يوم بداية عيبوبته، أن أحمل قلعه وأستمر في الكتابة كأمل شيئاً لم يكن. أكتب زانوش دباسورواه، وأهل الكتاب، في يومئذ النظر والوطن بأصحه، أو حتى باسم مستعار. لا يهيم الأكثر أهمية أن يعلن وأصبي حياً أعتقد أنني أمك النار الداخلية التي أنشأ بها الكيانات الحية. فقد أصبت بعدواه في وقت مبكر من تحريمتنا، وأصبت هو أيضاً بعمومي المومسقي

قد يكون ما أقوم به الآن هو مجرد بروفا قاسية، لكتابة امرأة فاض عليها ظل قاتل لامرأة من ورق. ظل الموت

رسائل وأصبي هي أجمل ميراثي وهي من أبقت في هذه الرغبة، وإن كان ضعيفاً القاسي والهن. أنها ليست أكثر من لغة. كلما عثرت على رسالة له، تذكرت ما قاله لي يوماً في إحداهما: كلما كتبت عن الحب، كانت الرسائل تعطيني المفضلة في الكتابة على الرغم من كونها لغة غير هامونة المسالك لم أفعل الشيء الكثير سوى أنني استعملت حيلة الكتابة لأجعل من المستحيل ممكناً في قلبي رسائل أشعر بالدهشة كلما قرأتها ولهذا كل ما أنشره في الروايات هو حقيقة محاطة بأجمل كذبة هي الأدب. عندما نجتمع كل الأيام التي عشناها انكشفت فجأة أننا لم نعيش زمناً طويلاً ولكنه كان لأن يجعلنا نتشبه بعضنا في الحياة والسعادة الحب هو أجمل اكتشاف للحققي، وإلا لكائنات الدنيا مجرد صخرة لا شيء يحركها سوى التآكل اليومي () ليست لبلى، ولا حتى مريم التي سوفت كل وحداني. هي امرأة واحدة في موحج الحباة والحب واللذة التي ترفض أن تسقط في دائرة التكرار القاتل () اشتيت لو كنت أسير الطوائف أن الحير ففلام هذه الكذبة التي نعويم فيها جميعاً أن أقبل بالحل الوسط ما دام الزواج مجرد عقد ليقطب الاثنان، المرأة والرجل معا. على احترام ارتباط الذي يصيح مفرساً، ولكن بشرط احترام كل البقود، وربما كان أهمها تحديد مدة الزواج، خمس سنوات مثلاً، عشر أو حتى خمس عشرة سنة، لا يهيم ولنضع في حاشية العقد جملة مكتوبة بشكل ضار ومميز عقد قابل للفسخ بعد انتهاء



العدة، أو للتجديد بتواضي التواضع بهذه الطريقة يستفيد الحب ألقه. إذ
يمكنه أن يمشأ خارج الإحساس العميق بالحرية والصدق. غلبت الحرية في
أية علاقة هو مثل لها

أمر رأسي حزناً وأمضي داخل صمتي وعزليتي

تسكنني ابتسامة لا أستطيع كتمها

لا أكنم ردة فعلي الداخلية

- يا ربي لو لم تكن قد خلقته لاحتججت على
سبلته بسرعة حول عذبة كالتعبان القاتل. ويخلفك اهدر من لفتك. هل
توجهك حتى أنت.

أضحك بمرارة من هذا الجنون المتعادي في لحيه وجيروت اندفاعه
يكون رأسي نظراً كثيراً في شيء هو نفسه غير قادر على تطبيقه. ولكنه محض
في جوده. تجريبي معه محنونة، وجنونها الكبير في محاطها وأسرارها

أعلم جيداً أن سدة الشرع. وحراس ميزان الأخلاق وجميعيات العالم
على العائلة، ومؤسسات استمرار صفاء النفس النازية، وكذبة الأمة العربية
وجميعيات الرفق بالحيوان... صياليون كلهم بحرقي، أو بوضوح - فليس
أشوشة مثقلة مصنوعة بإتقان. وقد ألعن حتى من رأسي. لا أريد
نفساً في شيء ولا في شيء آخر. لا أريد أن أكون في شيء. لا أريد
بصحة، أو الذين يتصعدون هوائه، وهم كثر، عذنا في هذا السياق. لا
في العبرة تصليح. ووتره الشارقة صغيراً أو قسماً. لا أريد رأسي
دائماً. كلما قرأ شتائم الذين تخصصوا فيه، أو سمع شيئاً منهم يخصه

• Il est difficile d'être aimé par des cons. 11 •

أعجز منه أني وضعت رسالته الحميمة في الهواء الطلق، لترى بعض
النور، وتخرج من الظلمة، وأنا لا أعلم قوة اليد التي سمحتني لحو الصدور
النفساني لحدود الأندلس الذي كان يحسن فيه أشواقه وأسراره، وإمراؤه عن

اليد. عندما سقطت الرسائل. في العرة الأولى، لم أسمع غشقة، ولكني
سمعت أنيناً مخفوقاً يأتي من بعيد فهمت لحظتها لماذا قال لي رأسي
وهو ينهني في المستنق - لقد أصبحنا كياناً واحداً، احتفظنا بها. وإن
كنت أحرفتها، سأعزله. لا بهم. فهي لك حافلي على نفس الآخرين لا أريد
أن يلحق أذى بمن وضع سره. ولله في خلق كفي. وبين أصابعي

أنهم اليوم جيداً، لماذا قال ذلك قبل أن يندس في غيومته الطويلة

هناك رسائل تنهني في كل شيء، حتى في التفاصيل الصغيرة، ولكنها
ليست لي. أحببتها في غفوة ما، وعرت منها وخفت أن تكون وراءها امرأة
حظية بدأت تسرفه مني. كل الأمكنة التي ذكرها رأسي عشنا فيها قسماً
والخائف كذا عاشرين فقط. ولا لزوناها هاربه من أنفسنا وذواتنا
يكن الزمن قادراً على احتضان أشواقنا وأسرارنا الجميلة. ولهذا
نغضبي منه أننا لم نتزوج. وتخليه عني لمصلحة حريته، وإنجابي مايا
منه بشكل مسروق. بطل شيء مجنون لا أعرف سره، بقوذي نحوه لا أدري
إذا ما كنت سأتمكن يوماً أن أقول لمايا بصوت عال: هذا أبوك الذي منحك
أحمل شيء الحياة، ولي أجدل الأمكنة التي لا نراها إلا في الأحلام. تحت
أحمل سماء في الدنيا وأصفاءها. وفي أدفا غابة لا تعيش فيها اللعابين
والأفاعي صداً. لا تعيش فيها الزواحف المؤدية

حرجي الصامت هذا. لن يشفى أبداً. وسيزيد اتساعه مع الأيام بحيث
يصبح رفته مستحيلاً. اعتقد أنني سأحملة مني إلى صمت أكبر منه، الفير
وأحتاج إلى حياة أخرى. غير هذه. لكني أتمكن من قول كل ما ينقص علي

أحتاج إلى رثا ومع، وقلب أصلي، ووجد لا يشيع أبداً من الدنيا

من ليلى إلى سحر

الحياة داخل حقيبة سفر

حبيبي حبيبى

شفاء يمضي، وأطر بحره، وما زال طماننا مشدودين إلى المستحيل

كثما استعدت وجهك، ارتفعت من شدة خومي عليك

لم أستطع أن أقول خلف من حنونك، وقلل من السفر أعرف عنك
ولكني أعرف أيضاً غذاء الموت القاصي الذي لا يسألنا مطلقاً عن الصالحات
عندما يصمم على فعل ارتكاب حرامه التي لا تنتهي، لو كان الموت إنساناً
لحاكمته حبيبى، ولأنزلت عليه عقوبة النفي الأبدي إلى اللامكان. سجد
بموت لحبها، لأنه لن يجد وقتها ما يسرقه من حياة ولكنه للأسف، سجد
بسكن دوائنا ويتوزع عبر مسامات جلدنا، فبعثت بأجسادنا كما سجد
ويطير في داخلها كل شأبله الموقوتة

سبني الغالي

اعذرني هذه المرة أيضاً ستكون وحدك ليس لأنني لا أريد أن نتفلق
لكن شيئاً أصبح بطورني حول فقدان غريب لم أكن متنبأ له أريد فقط أن
أهدأ قليلاً كنت أتمنك أن تأتي لتحتفل بجنوننا تحت أحمل سماء استعد
شمسها ماها، ولكن الفاروق منحننا من ذلك أنا مدعوة لبوس أنجلس بمسح
الوقت. للمشاركة في سهرات مشتركة بين فرق عربية أمريكية وعازمين
عرب. يأتون من البلاد العربية سره جميل لأول مرة أريد أنه يعكنا أو
نعيش ولو موقناً. حياتين مختلفتين في زمن واحد

سعيدة حبيبى إن العيبونة لم تترك فيك أثر رجائي

واسعد لأن الفلوة نفسها. أرحمتني إلى حواسي المدينة

هذه الزاوية التي أنشغل فيها داخل مترو لبوس أنجلس. تمتلئني فورة
العودة إلى نفسي على الريلم من التصحيح وحركة البشر الآن تمتلئ من أن
أجعل كل شيء وائلي، وأن لا أبقي في المشهد المباشر إلا وجهك

الناس هنا يبدو الشعب واضحاً على أوجههم واحد، لأن الدنيا منحنه
الكل من قدرته على التحمل. آخر. لأنها تزعج منه أكثر مما يتحمل. متفوق
حول أنفسهم وفي عيونهم حزم ما بقراً بوضوح وبدون جهد كبير في
روايتهم ينكشف كل شيء يأتي صلبير الطغارات حاداً مختلفاً بتولف
العجلات التي تلتصق بالحديد بقوة. ممزوجة بالباطعات الكونترتي وصوت
كيني وجرير الدافى والحشم بنفوس في لحني بقوة وينفذ إلى الأعماق
أنت تعرف هذه الأخاسير حيداً وتلفن الإساءة إليها حين يذبح في العمق
ورائحة الرحيل تلوح من السكك الحديدية. وجرن موسيقى العجايب والأفول
الدائم الذي يشبه عجلة تدور وتدور. ولا تتوقف أبداً. طاحنة في طريقها
الإلهام والأشواق والأحزان. مزيج من الخوف والسعادة. أشعر كأنني أسافر
للمرة الأولى لا شيء تغير في هذه المدينة العظيمة منذ لحائنا الذي أصبح
اليوم بعيداً، سوى أن الوقت يمضي بسرعة مربعة

افكر لك الآن وأنت تستغل طائرارك بسببولة، والأسئلة المبهمة التي
تنتابك قبل أن تغلق الأبواب وتحلق في الفضاءات العتلية حيث لا شيء
إلا سكبلة الصدفة اتفائلة تنسج كل شيء. أو تحاول على الأقل فعل ذلك.
فترجل بالوجه الذي تعود به لا شيء تغير بالنسبة لك لأنك تحمل حباتك
داخل حقيبتك دائماً أينما حطت، قسمة حياة مدعشة يمتز أن تعيشها
وتجعلها جميلة في النهاية، لو أحصيت الزمن الذي عشته على الأرض
ستحده أقل بكثير من الزمن الذي قضيتته هارباً من الحاذبية، في الفضاءات
والمدن السعيدة، بين أيدي المدن لم تكن لتسأل عن شأنها. حتى كانت أن
تسرك مع حق حبيبى، كل رحلة هي موت مؤقت حتى الوصول لحفلة
السلام الروح عن الجسد لزمن محدود

لست بعيداً عني في هذه اللحظة قد تكون حائناً في الميسترو المقابل
أو في المطعم الموجود عند مخرج الميترو أو حتى في المحطة المقابلة

فترة غيابك الذي يطول ويقتصر. واستعد مرة أخرى لاستقبالك لا في بيتي، ولا حتى في كهفي، ولكن في المطارات وغرف الفنادق الطارئة. وفي اللحظة التي أراك فيها، أغمي نفسي لتوبيدك بالألم مضجرة، وإحزان، لكي لا تعود إلى مثفالك منكسراً أصنع كل الإقتسامات الجميلة التي ترميك في رستك وتعلمك عنى هل مر بذهنك أن المرأة التي تتردى السواء ونحيك بجمون، كلما ودعتك، عادت منكسرة إلى برودة كهفها، وحتى لا تموت بفصة طائفة تبني نفسها لاستقبالك أو اللقاء بك وهي لا تدري أنك لست في النهاية (أصبحا عابراً)

أسفة حبيبي، على هذه اللغة التحزينة وأنا في مدينة عشتقا وصفاننا

أتمنى أن تسرق وقتاً جميلاً نتحدث فيه عن أجمل الأتشاء. ولا أريد أن أفصح عليك سعادتك، كما يحدث معي عادة وكأنني لم أجد قاهرة على نجاح خطوة السعادة. أشعر أحياناً أننا لن نجد متسعاً لذلك لأن ذلك انظر الأثر الذي كثيراً ما يتزل فجأة على قلوبنا، يمنع حتى عبوتنا من الارتفاع في لحظة صدق ظل قصتنا الذي يزداد كل يوم لثلاً لعماد يصر البشر على أن يكونوا أنانيين إلى حد العمى ماذا لو يكونون بسطاء ويلتحنون قلوبهم على أنساعها، لم يصر الجميع على صنع كذبة كبيرة. قد تكون حيلة لم يصدقونها ويستعيتون من أجلها، قبل أن تتحول إلى كابوس يروى بسوء كل شيء في طريقة، لم تحرمني المدينة من أن أمارس صدقي في كل يوم، فغرم أن انظر إليك فقط كما أشتي، أقل عينيك بدون خوف من العارة، وحبك بين يدي وأمسح من عليه غبار الأسفار المتعبة.

لا تدري كم اشتاق إليك حنك هذا الصباح وكذا فقط لأحس بك في هذه اللحظة وأنتظر قدومك لاسعد بوهج اللقاء بك مرة أخرى. قاومت في الصباح، ولغة طفولية كبيرة في الفوه، وجئت فقط لأنك في هذه المساء وأنا مدركة سلفاً أنك لن تأتي. لاند في هذه اللحظة بالذات، في استواري بين أسفائك وربما مع مترجمتك الموبدية الأنيلة في قلبي آخر مساء قلتها لي عندما دعوتني أن أسافر معك مثلك أريد النوم على صدرك على اتجاهه اليسرى. الملبسة بالهشاشة والحب، أر اسمع نوحك قلبك واغفو على

موسيقى سوزان لوبزبغ التي تعطينها حد النيدل ثم لا شيء إلا أنفاسنا التي تتقطع قبل أن تستقر داخل رحلة نوم لذيذة لا شيء يحرك واحنا الأبدية

اعبرني حبيبي اني لست معك لا بهد احملني فقط في قلبك، وسأحمله ما أيضاً في قلبي كل ما تملق من عيري لا تهتم. الباقي سيأتي من تلقاء نفسه كلما ألمضت عينيك على وجهي. وجدني أمامك. أسحب نحوي بانسامة مشعونة أسفك نحو شلالات النور، وأغرقك في عرس من الألوان وأملك بعمق البحر، لأراك في أبهى شيوكتك

سك الآن حبيبي لقطار لوس أنجلوس يقصر للمرة الألف. أسمع نحيبه في كل ما يأتي ممزوحاً بهذا المزاج المر الذي اسمه الحياة، وما بين الكماز، سريز القارة التي سرقنا، كل واحد في اتجاه، قبل أن تستسلم للمسافات لتسطح بالمحركات المتفائلة التي تحترق دماء السماوات المتعالية

حبيبي داني ودواني احبك لا أعتقد أن هناك كلمة أكثر جمالاً وأكثر خراباً منها أسحبها بك أربعة حروف مختلفة ومتونة قادرة على منح الدماء إلى ملاين الفتيوب المتعبة، وعلى اشغال حرائق لا حدود لخوابها، في التفوق لا تنمي أدباً أن كل مدني لك بما فيها مدن الحسد، وكل دروس لك بما فيها معاريج الروح لا ننسى كثيراً تذكر فقط أنه في مدينة ما. وراء هدير التحييلات، قلب ينبض لك وبعبث على توليدك وعلى وفقت التفاسي

حب محبون وهمل لا يحد، وقيلة خائفة أحفظها للثاننا القادم

لوس أنجلوس ديسمبر ٢٠٠٨

أشواق استوكهلم

تجلى الغائبة، هل تشعرين بما أشعر به الآن؟

أنا متعبة حبيبي وأشعر كأن زمناً قليلاً يصفق على قلبي سعيلاً

سعيلاً

كتمتد لأتزال تغلق في رأسي عندما افترقنا، في آخر مرة

كنت سعيداً أني عثرت عليك من جديد بعد أن كنت أضعفك وحيداً ولكن رأيتك حزينة وخفت عليك من مريم. من نفسك لأول مرة تغشع الموضوع معي بهذه الجدية المربكة لم تكوني في حاجة إلى ذلك لو سألتني من قبل لقلت لك بلا تردد كل مريمات الدنيا لا تساوين دمعاً واحداً تنزل من عينيكَ مريم ليست إلا استعارة للعجز المستشري في مسقط عجزنا. وجانبنا الخفي الذي نزيدة جميلاً، ولكن قوة طالعية تسحقه اسم أعيننا بدون أن نستطيع فعل أي شيء في مجتمع بنام على أعظم الحداث. لا جال لنا إلا الدخول في الصنعة والتحول إلى بهارات سبعة أو العفورة حتى ولو كانت وساماً يدانية مريم فأنها غير صالحة لتستحيل سيدة ووسيلة فاشلة تسقط في الحساب الخلفي من حيلنا الظاهري عسبي أظلم عليك من استحالة تقود بسرعة غير منتظرة نحو جنون آخر. يصعب فهمه وتفسيره

كنا في حاجة إلى هذا الهروب حتى ولو ذهب كل واحد في اتجاه عندما نخرج من موت أكيد. تحتاج إلى أن يسمعنا الآخرون لنقول لهم ما في القلب. وكنا نخاف أن يسرقنا الموت بدون أن نتمكن من قوله وما أنا. أشكر الحياة أنها وضعتنا في المسالك التي استهينناها لم يكن الكلام سبيلاً في حضرتك قلت لك لقد خرجت من الغيبوبة الطويلة، فقط لأحدك. غير وأتمادي في طي الجنون حتى الأفاسي عروينا الأخير. كل واحد نحو مريم

هو شكلنا الجميل للإصرار على الحياة، خارج كل التحفظات المسبقة

أراك الآن بكل تفاصيله وكذلك هنا، بالقرب من وجهي وأنت تتألمين ملامحي التي بدت لك كابية ومنهكة، وحسدي الذي بدأ يخسر من وزنه. والخطوط التي ارتسمت بسرعة على خديك كأننا مشرقين قبل ولدت لمسير نتحسبنتي كمن يتكشفني للعرض الأولى كانت كلها علامات يفيقية على أن الخطر الطائر الذي كان في الخارج، أو على الحواف أصبح الآن داخل الجسد بعد أن رزع كل رماده على الوجه

قلت وأنت لا تعرفين اللغة التي كان عليك إتقانها معي

- أرحوك حبيبي، قلل من خطاياك اليومي والسفر المتواتر والسهر الم ينمضك الطبيب بذلك، فلا تكن أحمق وتواصل استدراج الموت لحوك بجنونك المعهود أرحوك. لا يمكن للأفراد اتني أخطائك مرات عديدة، أن تغفل مستمرة في ذلك أرحوك

- ليني هل تدوين يأتي ملا سفر. رجل مقتول عندما عدت للطبيب منها ومرهقا. قال لي المؤكد هذا شأن سفره طويلة! أين؟

الخليج أبو ظبي وسي

التي سلكنا لفظاً ما أصعب لنا الطي

أصعب بقله لم أكن في عملي وأنا معها

- لقد ليست الحوارات الضالعة كما نصحتني أحقق نفسي بإبرة، تحت جلد المص. بعيداً عن الحرارة قليلاً بدواء Lovenox 400 U-I-Xa/0,4 ml كما تجاوزت السرعة الأربع ساعات، بعد أن أوقفت نهائياً إبرة Innohep 18000 U-I anti-Xa/0,9 ml بعد ستة أشهر من المواظبة المستميتة والجديدة. وبعد أن أوقفت نهائياً تناول حبات Lo Prévisean الخاصة بتمميع الدم لمنع تكون الجلطات في الأوعية، وعوضتها بشيء خفيف هو مسحوق Kardiégic 75 mg لتفادي مضاعفات توقف الدواء بشكل فجائي لدى حساسية من

الأسفريين. ولكن نسبتها القليلة لا تخزني أبداً

لكن الطبيب الذي كان يعرف هيلي أجاب:

- كان من المفروض أن أحرمك نهائياً من السفر. لأنه أفضل للمريض. ولكنني أعرف أيضاً أنني سأفقدك في الأربع وعشرين ساعة التالية، إذا منعته من السفر. ولهذا ظلمت منك أن تخفف قليلاً مرة أخرى أرحوك، من أجل حياتك. أن تكون حرة قليلاً والى بعض الشيء.

في تلك الحصة وأنا كلما سألته: لماذا لا أذهب إلى الخارج؟ أو إلى البحر؟ من الطريقة التي سألته بها مع بعض وسيلة السبق التي أضعها في الاعتبار. التفتت إليّ دائماً من جديد.

صمتُ يومها ولم تقولي شيئاً ثم تمنعت وأنت تحاولين أن تنسي بعض جنوني.

- هل تذكر حبيبتي ما أحس به الآن؟ ربما كنت لا تعرف هذه القوة الساحقة التي تعانين بها وتعيدين حولك كلما ابتعدت قليلاً! انسي من الأفضل أن توفك سطرانك لمدة سنة ترواح، وبعدها تروى كيف ستتطور الوضعية إيجابياً أكيد.

هالتي دي التفاصيل تندفع نحوني بقوة وأنا داخل هذا المقهى انظر وصول مترجمتي أعمار استوكهولم باردة في هذا الفصل ياه كم أنهيت أن اخرج أنا وأنت، وأن شريكك تحتها كما لم نفعل أبداً في حياتنا! مهما كانت باردة، فهي ثورت إحساساً غريباً بالدفء مثل أعمار جزر الكاريبي يمكننا أن نجعل منها لومنا الملون ولو لمدة ساعات، ونعود بعدها إلى غرفتنا في الفندق الدافئ، المعلق على جبل يحتضن المدينة الناعمة كلها، ونعري أجسادنا بحذر التعاشق الذي يريد أن يديم لحظته اللذيذة حتى الموت.

قلت لك هل تأتئين؟ أنا في حاجة إلى نفسك، ملاصقت إلى عطرِكَ

ومعاً...

- إنني مدعو من مكتبة استوكهولم الدولية، ومركز الأبحاث المتوسطية فهل بغيتك ذلك؟ أريد أن نكتشف مع بعض مدينة لا نعرفها إلا من كتابها ومن حادثة نوبل!

كنت أعريت مالمكان، وشوة العاشق الوحيدة

تسرت بك لحظتها تضعطين بقوة على أسنانك لكي لا تصرخي بأعلى صوتك أرحوك أولئك هذا الدمار المتعمد ضد صحفك

- حبيبتي لا أستطيع السفر معك ولا حتى منعك من السفر لقد تمسكت من ذلك واستسلمت للأفكار التي أتتني من قلبي أن تحفلك لي اهتم فقط بصحتك كما تعرف. لا أستطيع إلغاء المسيرة فانا ضمن قوتك امريكية غريبة في لوس أنجلوس لو كانت المسافات قريبة لجنتك بلا تردد أبداً. كما فعلنا دائماً لكن هذه المرة

البارحة زرت مرتفعات المدينة الملكية مع مترجمتي. حيث يوجد العصر الملكي الذي يفرض نفسه من بعيد على النظرة والأكاديمية جانوة نوبل وملحقاتها بما في ذلك متحفها الصغير بدت لي كمجلس قضائي دولي لا يختلف كثيراً عن TPI المحكمة الدولية في لاهاي رابت المكان الجميل الذي تحكم فيه مصائر الأدب العالمي، ورأيت وجود المحظوظين الذين كانوا يعملون في المكان ولم تبق إلا لظلاله الخالدة كان وجه ألبرت اينشتاين وعملياته الحسابية حول النسبية، صورة تملأ المداخل الرئيسية والفريجة يشترنني مترجمتي ومرافقتي بسعادة بدت واضحة في عينيها. بان اسم محمود بروهيش الذي ترجم إلى العديد من لغات العالم، بدأ يتكرر كثيراً في الاوساط الناقذة، وأنه يحتمل أن يكون هو الفائز هذه السنة أكثراً أن الخبر وصلها عن طريق شبه رسمي ولكن سألته بعفوية عن مشاكل حتى في المسلمات، أو ما يبدو كذلك لماذا تلمت لكن؟ قالت الصراع على اشتهار مع أسماء أخرى طبعاً لم يكن ذلك غريباً فالحائزة تشغل بهذه الطريقة دائماً وهذا جزء من رهائنا لكنت صعب أن تمنني الناس بشيء محير صبح في النهاية كارتناكي كان يقن أنه اخذها وفل ملتصقا بها بعد

من الديكوتوميا المفبضة. ونحت مثيراً جديداً أكثر جمالية وأكثر حرية من محمود درويش كل خاصيات الذي يستحلبها مامتياً ولو أعطينا لأمير عوز لصفقنا. لأن الرجل كاتب كبير أولاً وأخيراً. وهذه الصفة وحدها تجعلها لأنها تمجدل دراً غالباً من الإنسانية والنساء

ليست المرة الأولى التي برشح فيها درويش في مرة من المرات كنا في رحلة مع بعض بين عمان وباريس. سألته عن حديثه ما يحكي في الكواليس. قل صامتاً للحفلات قبل أن يقول ميتسما الدنيا كما ترى يا صديقي ما زلتا تكذب ونسافر ونعيش كما نستهي إلى حد بعيد. ولا شيء تغير في النظام العكس هو الذي يفاجئ. أما والجمال هكذا. فلا شيء يغير سؤال الدفنة ثم صمت من جديد قبل أن يواصل وكأنه استردك شما في له نسبه. محب أن لا تكذب على انفسنا ثويل. كما تعرف ذلك جيداً عابرة عظيمة وهي تعبير عن أن الإنسان تخلي حواجز الحدود المرسمة التي تضعه على حواف يمتدعها الآخرون لكي يصل إلى قلوب الناس لكن يغير ما هي عظيمة. فهي تعمل ضعفاً خائفاً في داخلها خطاها أنها في الأغلب الأعم أنها مثل هملت. تستبعل مأخوذة بانما سعد قوات الاوان تردده قليلاً ثم واصل بالهتفال بدا ظاهري على شفطيه وأصابه وهزة راسه. وحتى عيرات كلماته التي جاءت منالحة وسريعة وكأنه كان يريد أن يقول كل شيء. في أقل وقت ممكن صراحة لا أعتقد أنها معنية بشيء كثيراً. وكل ما يحدث من ترشبات هو من فعل كتاب وأشخاص لهم حساسية خاصة لهم الحرام. بل ربما بعض الإصرار. بل ربما هو أي شيء شعفاً معاً ومع قصاباً. أو بسبب بعض الجباه من ظلم كبير لم تر فيه عين الفاعلين في نويل إلا نجيب محفوظ. ثم أغلقت بعمدة الأبواب بشكل شبه نهائي. لا يغفل اعتقد صاهلاً أن امام الكتابات أشياء أبسط وأثمن يمكنه أن يفكر فيها صحت مثلاً. قلنا ضاحكا أسطرته كانت من أجل إجراء بعض الخصوصيات است في باريس. لضياء الإنسانية الكبيرة التي تستحق أن يتعب من أجل التفكير فيها. والعمل على ترميم نفسه على الخير وعلى حقد أقل. لأننا في زمن بحبس بالأحقاد أفيد للكتاب وهذه الأرض التي تفقد كل يوم بعضاً من أنفاسها وحياتها. أن ينسى ما يقوله الآخرون عنه. وأن يكون فقط حسداً

بارفه وعصيره ثم ضحكه مضيقاً قبل أن يدق عيقه في ثاملات داخلية كان قلعه وحده يعرف سرها ليكن يا واسيني. لما الشعر والخير والمحة. ولهم كل ما تملق

عذراً. لقد ثرلرت عليك كثيراً وتحديث في موضوعات لا علامة لها بشأن تلك نغمتي أجبنا فثرتك أشواقنا لحدة للريح ولا نصادم حريمها

اتركت حبيبتي الآن. لقد وصلت مترجمتي وساعاود الاتصال بك

لقد سقطت الأمطار طوال اليوم ولم تيرحي قلبي أبداً كنت أراة هي كل خطواتي تشدين على قلبي وروحي وداكرتي بقوة أفكر فيك بلا هواده تمنى أن لا تكوني مريضة. وأن تكون صحتك على ما يراه أوصحت أنا أيضاً أن لا متأخري عن الطبيب والتحاليل كتاباة اقتناخ الرحم التي حدثتني عنها باستخفاف. تلتفتي له لا يكون للأمراة أهمية ولكن لا تتهاوأي في

الحيات

بلي العاليية أجعل قدر في حياتي

في القلب شره آخر. أخاف من أن أخرجه الآن دفعة واحدة. فاموت بعض الشوق الذي لا سلطان لي عليه اكتفيني حبيبتي بالشكل الذي تشبهين. وكما يروق لله أحلمي مني نارا تملنن به كلك قبل أن تلتصبه للمرة الأخيرة. ونلذفي به لغرامات الريح العاصفة المنحيتي فسحة من الدور. لكي ألتصق بالحياة إلى آخر نفس. فقط لأراك كل صباح وأقول لله صباح الخير. وسأستطع أعتك حبيبي. دور العسة يداد الحسنة خلت وحلي لكي أنفي منك وأنسى أن في الدنيا مال مكمل اسمه الموت لك القلب والاتواق وأجمل ما تجعله اللاكرة. لكن لا تنسيني. فانا أنفسي بك. وأعيش على وقعك. وربما بفضل وجودك في هذه الدنيا لا بهم أبداً أن ذاكرتي منعمة ومثلثة بالخيمات والهزات الجميلة أيضاً. عليك فقط أن تظلي داخل هذا القلب. وعلى كل خوافة البشة. لأنك وقعته الدائم وقلاته الحبة والنور المشيع دوماً في هالبرز المعتمة الملبنة بالثيدير والقعوض

استوكهولم، ديسمبر ٢٠٠٨

يتسرب الصباح بهدوء وسكينة، وتتكشف أكثر، لشكال الأشياء المحيطة بي. المكتب بكل تفاصيله ودقائقه الصغيرة التي تلعب على سطحه، من أقلام ومسطرة أبيض بها حجم وطول الفراغ، ومميرة قديمة، ومقص، وأجزاء صلبة من الورق، والمسدس الذي غاب تحت كومة الأوراق التي حركها الهواء الباردي قبل قليل. الخزانات ذات الأحجام المختلفة التي يحتوي بعضها على ألبستي المميمة التي لا أنزل إلا لأشهر روائعها، وأتذكر بسرعة العمر الذي كنت أضعه يومها، ثم الأمكنة، الارتجافات التي جاءت بعد أول لمسة قبل أن أغرق في فراغ أبيض ناعم وحلو، مثل الشهد الصافي، ثم الجنون المصاحب لذلك. السرير الحديدي القديم الذي يشبه أسرة عسكرية يمكن طيها وجمعها بسرعة، كان مستهجنًا في الراوية المظلمة مخافة أن تكشف أسرارها. صندوق لعمال الثقليل الذي كان يضع فيه رياض ماله ومسدسه قبل أن يغيره بأخير أصليب وأحدث. وأنعم بحيث لا يرى أبداً وهو يتخفى وراء لوحة فنية اجتاث رياض أن تكون عادية حتى لا تثير شبهة السارق الزرابي التي عُبرت كلها وعوضت بالسجاد الفارسي الغالي. حبالون من طراز لويس الرابع عشر، يعطي للانطباع كأننا لسنا في قديم واسع، ولكن في محل بيع التحف الثمينة ثم الأشياء الصغيرة كالكؤوس العميلة التي صنفتها في خزانة قديمة وضعتها في الطرف الأيسر المكتبة الدائرية التي تحتل الزاوية اليمنى من الكريستال يوم التحف الصغيرة التي كلما رأيت إحداهما، تذكرت ليس فقط تفاصيل المدن التي متنا في فتادقها وشعرنا للحظة أن العالم كله ملك لنا وحدها فقط، ولكن أيضاً كل تفاصيل حنون السرير وهزات الروح

الضمة الباردة التي انزلت من فجوات الكوة، أبلقت الجسد قليلاً

الصمت والسكينة وكان العالم فارق الحياة فجأة

كل شيء في مكانه، ما حصل من تغيرات في نظام الأشياء، كان بسيطاً عندما نزعنا بعض الأوراق التي كانت تغطي المسدس، انتمت إلى أنه كان هذه المرة مصوباً تجاه الباب، وكأن هناك بدأ تحركه في غللة مني، أو تلعب به كما يحلو لها الكمان اختفى في الزاوية الخلفية من المكتبة، وشعرته

لا أشعر بالحاجة إلى النوم، ولكن الشعب بدأ يفيد بعض حركاتي، وكثيراً من ردود فعلي تجاه كل ما يحيط بي

يبدو أن كؤوس القوة التي شربتها، لم تعد تجدي نفعاً الآن.

كنت بالفعل أحتاج إلى هذه النسمة البحرية المحملة بمذاقات العذبة الفجرية التي توفقت في أناشيد والدي وهو مفتوح نافذة بيتنا القديم ليلاً ليضحك قليلاً. وطمئنني بسريره المعهودة بأن البحر لم يغير مكانه. لقد أقوم في الصباح الباكر على تلك النسمة وعزفه الذي يشبه البذاءات التي كانت تأتي من عمق محيط ما رملت حتى اللحظة اسمها، كلما حلوت في نفسي لم يترك لي شيء ناصر أرقاً موسيقياً فقط ولكن أنيناً عميقاً يصورها بحجة ثقيلة لا أعتقد أن ظهري قادر على تحملها ومع ذلك يستحق والدي أجمل ركن في قلبي. لقد ورثني عنونه الهادئ، ومنحني فرصة جميلة بأن أكون أنا، تماماً كما اشتبهت أن أكون

بعض الناس مرة أخرى ليس لأنهم وكان تحت البحر شيء ما يتغنى وراء صمته ودوران الدائم على سطح المكتب كما لو كان على غير العادة شعرت فجأة بألفة غير طبيعية نحوه. أنا التي لمعت في سماء لي مرة واحدة على سطح السلاح الأصفر أو الأحمر على سطحه يقول لي دائماً السلاح الناري غير كل القيم البشرية، وقلدها على رأسها الإنسان الرجولة والكرامة، وسأوى بين المذموم والحيسان، وسيفنده ما تراه من كبريائه

اعتذر من قلب والدي الحزين، سي ناصر لم يكن ذلك إحساساً أبداً ولما أشعر بغيره من الناس لم يتركه من الناس، وكثيراً ما كان يناديهم في قلبي

لا يا بابا أنا امرأة كاملة لن أخضع هذه المرة حقاً.

حقاً الطيبي إنني، هي أن أرفض. وضعت أفراسي على الدرجة أنه كلني ومنعني من كل حركة. حسي الهبلي لواسيني جفلي أنقاض عن حقي في وضع مريم في مكانها على الرغم من تماديها كلما كلمته عنها. رمت في رأسي بشكل مكرور إجابته لبلي عمري - مجرد امرأة من ووقاً أي ووقاً أكاد أصدر ما على صوتي ووقاً بقتلني إنها تحرقني كل يوم قليلاً، ثم تلقى في الرزوية تتألمني بسريرتها المعهودة ويراتها المغلوطة. وصلت إلى درجة أنني فكرت يوماً في حرق روايات واسيني كلها لأنها لم تنته أبداً إلى أنها كانت تعطي الحياة لألة مدمرة وساحقة اسمها مريم. كنت منكسرة وهزينة عندما جمعت مؤلفاته راكبتها فوق بعضها البعض. كان عددها عشر وأني وضعت من تحت البوابة الزرقاء. ومن فوق الليلة السابعة بعد ذلك لا تفسير لدي لهذا الترتيب الذي لم يكن منطقياً ولا تاريخياً. فتحت بوابة المدفأة الغازية التي كانت حراوتها تصلني حتى السجاد الفارسي الذي كنت أجلس عليه. عندما هممت أن أرمي بها في عمق اللهب، راودني إحساس غريب جداً كأنني أعود إلى أوقات حبيبت مريم. بعد ذلك اشتد الأول مطلقاً في يدي وأنا أبكي بحرقه، وكان بدأ غامضة ثبته بقوة في الفراغ المحاذي للدار بسرعة استدركت أمري، إذ بدت لنفسني سحيفة، لا أختلف في الجوهر عن أي رقيب صلب. من للوحة العاشقة لم أبلغ ليلتها حتى سطوة أحر عصر صلب في محاكم التفتيش المقدس التي حدثني عنها واسيني كثيراً بأرام مثل الحداد في كل مكان. أنذكر كيف صودرت روايته مصرع أحلام مريم الوديعه. وكيف ضحك بشكل هستيري لم أراه فيه من قبل، عندما طلب منه أن يعرض اتحاد الطلعة لأنه لم يعد موجوداً بالاتحاد الوطني للشبيبة الذي كان ينشط يومها. قال لي واسيني بمرارة المشكل أن الرقيب مختلف بشكل مدفع ثم كيف يمكننا أن ننصو تغيير شخصية نقابية معارضة. شخصية تسير في ركب النظام. ووفق ما خلط لها سلفاً الرقيب المستكين لا يعرف أن الاتحاد الطلابي خيار تاريخي. بينما اتحاد الشبيبة هو مزيج فراغ سياسي استمر ملياً بعد سنوات، بالصمت في اليوم العالمي لحرية الرأي، صادر عمال مطبعة بعلبك، الملحجين، ورايته حرايا



الضيق، حتى إذا أدركت أن هذه المرأة هي نفسها المرأة التي رددت لها حجابها، أبلغ أن الرواية قد طعنت بقاصمة اللورق في الوقت الذي كانت فيه الحداثة الغوندية تباع في الأسواق الوطنية بلا أدنى رقيب، شيء من العمل الذي يصعب تصوره.

تذكرت كل الحكايات والتفاصيل التي دارت بوفي وبين واسيني حول هذا الموضوع، بدت لي فكرة حرق الكتب شبهة بعمل عملي لا جدوى من وراءه، ربما سيغطي دفعا إعلامياً أقوى لمريم، وهذا ما لم أكن أريده أبداً. لم أكن أعناون إعلامية كثيرة وغريبة. مريم تتعرض لعملية حرق من امرأة مرصعة تعار منها. أو- مريم ضحية لتصفية حساب قديمة. أو- تبلى تفتقم من شخصية ورقية وتحاول حرقها. أو صديقة الكاتب واسيني تعار بالجنس الأدبي- أو- زوجة عضو مرموق في الكارتيل الجديد ترتكب جريمة قتل غامضة. أو- تبلى، العازقة المرموقة في الفرقة الفيلارمونية لأوروبا، وهجر نظف عقلها بسبب امرأة غامضة. أحببناشي الغنية، دفعتني إلى توليف سيرة حرق روايات واسيني، لأنني بعملية حساب بسيطة أدركت أنها غير محتملة. وأني لن أضرم مريم في شيء.

مشتري مع واسيني بضعني دائماً على حافة التساؤل كيف أكون أنا بكل استقلالياتي؟ وكيف أكونه بدون أن أمسه في جوهره؟ رهاض كل امرأة عاقلة ولا أدري، بعد كل هذا الهبل، إذا بقي لي شيء اسمه العقل، لكنني، على يقين، أن من يلعنني في علته إرضاء للمتخوفة الأخلاقية، هو عند حسن لها، يدرك في سره جيداً، أنني لم أؤذ أحد، ولا حتى نعله. أنا لم أفل إلا ما يعلأ القلب ليس قلبي وحده، ولكن قلب الكثير من النساء اللواتي قضين عمراً يبحثن عن مرادف خفي لخبائثهن وانكساراتهن أكثر مريم، ولكنها دائماً منطقها اللوحي الضعيف، لا يحميها كثيراً مصانيرنا الحيانية، الثمن في النهاية يكفها كان، لن يكون باطلاً. أما أنا فأنا أشعر أعيش يوماً بقسوة وعزلة في الغريب هو أمي ومريم. نتشابه كقطرات دم العذراء المهدور، لأننا معني خارج السرب، وخارج النظام المقيم، الذي يصعق في دواخلنا المتعبة.

مجرد هزة عنيفة، ربما أدرك واسيني بعدها، قبل فوات الأوان، أنني لم أكن

مجرد امرأة ورقية، وأني لست طومة إلى الحد الذي تصوره وهو بعد أشرفي صراً وعلناً على مدار أكثر من عشرين سنة. ويكتفني، ويعيد صباغتي بكل الحذر الذي يتصلب به طوبى منحن، أو صاحب منحن، ولم أكن أبداً ملاكاً مفترضاً لا يعرف للخلق طريقاً. امرأة، كلما تألمت، وضعت السكينة الساخنة بين أسنانها، وزمت فمها، لم صرعت بكل قوة، حتى لا يسمع صوتها العابرون.

- هذه هي أنا إذن، لا أكثر ولا أقل.

-3-

لست مريم المشتبهة، وربما لم أعد حتى لبلى التي كان واسيني يحفظها عندما تلف على أراج مدخل المدرج، وتسحب من على ظهرها كمانها، ثم تعزف جنون والدها ملا تولف كثيراً ما نسبت نفسها، فتترك الدمع يخط وجهها الطفولي الطيب ولا حتى لبلى السلوعة كما كان والذي يشتبه أن يماريني قبل أن يسحبني نحوه، ويضعني على ركبتة اليمنى، ثم يبدأ في تحميمي كيف أحرك أصابعي على خطوط الكمان، ومشي أضغط على القصة، وكيف أحركها لاستخراج أنينه الداخلي كان يقول لي دائماً

- حفظك يا لبلى، انما لك طويلة وناعمة، تعطينك حرية كبيرة في الحركة.

كل شيء صامت من حولي، يحمل في عزلته طعم الخسارة

لا أدري إذا ما كنت في حالة سوية، أم في حالة بداية خسران العقل بحيث انطلقا الكثير من الحواجز، ولكنني على يقين أنني صادقة مع قلبي. لقد أنهكتك كثيراً بالتصفي وراء أغشية شفافة، لم تعد اليوم كافية لتحملني أنتحمل بصمت الصمت، كل ما حدث، ويحدث لي

حماقة من حماقات امرأة ورقية أو حقيقية، أو حتى ملتصة، لم بعد الأمر بهم كثيراً. لا شيء يهوي أنها أحدث رجلاً حتى انتفتت به بشفتي. صمتت، وبلا سابق لئذار، أن تخرج إلى النور بعد أن أنهكتها الصمت والعزلة. ما هي لي الآن تأتي، محملة بذاكرتها المظلمة، ويكلم ما يمكن أن يتسبب في خراب

أكبر هو يعرف جيداً أنها ليست المرة الأولى التي تخسره فيها وتموت
بشطارتها المعهودة، أو يستعبدتها في أكثر اللحظات بأساً واختناقاً. و
تكون المرة الأخيرة أيضاً

صحيح أن عزيز الضرب لم يعد موجوداً، وبيننا لبقرب الشقة ويرمم
العقيق، ولكن شيئاً من طفولته المسروقة، مازال قائماً في وادي، وهو
يكفي لأن أطمئن إليه من عنف الهزات القادمة

- ٤ -

وصلت إلى سقف التحمل

كان يمكن أن تكون حياتي أجمل حظ في الدنيا، لو لا ظل مريم
أنها توغلت في مسامات حدي وأراحنتي بكتفها العريضين وكأنها
تمارس لعبة خطيرة مع امرأة تكبرها سناً، ولم تعرف شيئاً من أسرار
الشهوة كان يمكن أن أكون أحمل عشيقه في الدنيا لو لا ظل الورد. كما كانت
تسحق نفسها كلما رأت جسدها وهي يمزحلق على المرايا، قبل أن يندفن في
عقبها مختلطاً مدندنتها الناعمة

يا صانع الخوف والوحدة.

أنا مريم. أنا ظل الورد.

عجيلة من جنون كارمن، حمائم ليلي.

هيل ربيعة^{١١٥} وتبه حرد^{١١٦}.

أنا مريم. أنا ظل الورد.

أشعر أحياناً بصعوبة المهمة، بل واستحالتها. لم أستطع أن أزغ
من جذرها ومهبها على السطح، تحت شمس حارقة، وتركها هناك حتى الموت
ذبولاً وانتفاخاً، فكيف أتمكن من سجن الظل الهارب، أو قتله، لهذا كانت غيرة
واسيني الطويلة التي اقترضت وجودها بقناعة حسامة، هي احتيازي الأول

كثيراً ما كنت

كان علي أن أستغل الفرصة بشكل كامل وبلا تردد، على يقين أن ما أملكه
اليوم من تصميم، قد ينتفي غداً عندما تتغير الشروط المحيطة

لا ألق أبداً في الوقت، ولا في الزمن.

«غفوة واسيني الطويلة، هي لحظة ضحوي القصيرة»

١١٤

من سمى إلى ليلي

هذه المرة أيضاً، سأخذلك بعنادي

ليلي عمري

الحبيبة الغالية

أنا في فينيسيا الإيطالية لمدة شهر، في متعة لكتابة صيرتي ليلي
رغمي نظرياً شوقياً منذ خروجي من العسكرة لم أكتب ليلي إلا رسائل
التيها مثل هذه المرة لمدة ثمانية عشر يوماً في مقابلة حواليا
الغندول التي بقي إلى نثار يشبه الغبار الملون كثيراً

الأيام هنا جميلة وليست أبداً متشابهة كل التقلبات هنا تتم موسماً
المراكب والعبارات الشائكة، سيارات الأسعاف، التجول، المريد، التنس
وجمع الزبانية، لا بد أنهم يخسرون دم قلوبهم للحفاظ على هذه الحيرة
حبة

لقد تعودت على اسم ليلي، أو ليلي، وكان شيئاً آخر لما كنت في
ما هو، لأنني كلما حاولت الكتابة استيقظ في شكله المبهمة في
حياتي أو شيء ليلي حتى وصلت إلى صيغة اسم ليلي، بل
وانصت إليه بقوة، بل اشد عليه مأساتي

الكتابة أيتها الغالية هي حائطي الوحيد العتيق، هي شهادتي الصادقة
صد عسر يتخالف شيئاً فشيئاً لدرجة الانهيار والتموت

عرفت عندما كلمتني بالقتال، أنك كنت خارج البيت لا تشغلي
بهذه التفاصيل، بينما عمري قرابة ربع قرن من العشق والبهل، ولي
الصدق لقلول ما في القلب، وتحمل ما يضره فأنا أعرف أنه لا يريد أن يولي
الآخرين أعرف أيضاً أنك في حالة من شبهة بالحبيبة التي تلود حتماً في
الخوف من كل شيء، حتى من النفس ليلكن.

أيتها الحبيبة نحن لا نحصل دائماً على ما نريد، العكس أحياناً هو
الأقرب إلى الحقيقة هكذا تحيل الله الدنيا، وهكذا بناها دورة من العنافضات
التي لا تنتهي أبداً يومً فنهض فيه بسعادة نحسد عليها، ويومً آخر تستيقظ
منذ لحظته الأولى، على كوابيس لا تحصى

ليلي، مائي الجميل

تتمادي في المقاومة الدائمة ضد كل الرياح التي تسير وفق ما لا نشتهي
خمس جزءاً من العمر في الدوران لدرجة الدوخة لمستريح قليلاً، ثم تعود
إلى التماسي في عجلة الريح بعد زمن قاس وصعب، تكشف فجأة، وأحياناً
بصدفة الأقدار، أن كل ما فعلناه لم يكن إلا صورة مخفية لهما من الداخل
نظام يريد تشكيلنا مثلما يشتهي، فرفض يده وأصابعه وأتوانه التي
باعتنا علينا، وعندما تلتفت يميناً، ثم شمالاً، تكشف أن الناس الذين
كنا معاً تخلوا بسرعة عنا، ربما في الوقت المناسب، وبدوا بدورهم وفق
مداراتهم في عيوبهم راحة، وعمرهم أطول

مكافؤ أن نفسي لا شيء معين، سوى لنتمكن من الاستمرار في الحياة

عدت الآن فقط من فيلم جميل، لجان لورينو^{١١١}، يتحدث عن التمييز
العنصري الذي ينشأ في داخل كل كائن مثل الحيوان القاتل والمنوحش، لا
تدري مخاطره إلا عندما يضغنا في مواجهة أنفسنا ولانكرتنا المتكسرة الفيلم
أخرجه وأنشده كلينت إيستوود^{١١٢}، الذي عرف كيف يمدح، في زمن قصير،
صورة راعي البقر التي التحقت به توجه بذلك خارق نحو حساسياتنا
الدمية، وهماشتنا الإنسانية والامس بأصابع ناعمة، كل ما يتخفى فينا
من الخواص الإنسانية وتوحش مخمر وحش فانت مثلاً فعل في وأن مليون
دولار ببجي^{١١٣}، هل تذكرينه، لقد رابناه في أحد شوارع أمستردام، ليس
معيماً عن محطة القطار، عندما تركت كل شيء وراءك في بروكسيل وجئت
راكضة وأنت تقولين ليكن، لن أعيش كثيراً، وفي حاجة إليك، ثم ان بروكسيل
لتي أزود مسرحها لتفشيظ سهرة موسيقية كلاسيكية، بمناسبة الأسعوط
للغالي الحظي الذي كانت الجزار صيلته ليست بعيدة لم أسالك حتى
عن الكذبة التي اخترعناها لكي نتمكن من معاداة ليلكن ومن سهووض

كنت لك فقط تعالى فأنا في متعة كتابة. أنتزله لم اصدق ظننتها صعبة
من حماقاته. ثم ذهبت لاستقبالك ليلاً، في محطة القطار، وأنا غير مستعدة
قلت وانت تعانقيني تروح معي فين؟ لم انغمسنا في هبة مظلمة من
سابق من البعد والفقار

احتاج احبائي الى ان انسى كل شيء، حتى نفسي لأزاني في مرآة الآخرين
وأحذف عما أنا فيه بجانبني جاري، لا يجد ما يأكله أو أينما الروسية التي
كان بحزبك وجودها معي، طابعتي ثم زميلتي في التدريس، التي شلت
نفسياً بعد حادث سين، مشتتة فقط أن تحس بنفسها أنها مائكة لحياتها
وأنها قادرة على الحركة، لا للتسوق، وإرتياد المقاص والمسارح الغريبة
التي كانت تأسرها والركض المجهول وراء وهم الحياة، فهذا حلم لم يعد
ممكناً أيتها لم تعد تتحرر على طلب ذلك تمنى فقط الذهاب نحو النجاة
لروية شروق الشمس أو غيابها هل تدوين ما معنى ذلك كله، انه يستحيل
مع الحياة وإن لم يعلم بذلك فما يعني هذا الحياء ولا يستحيل الحياء، ولا
السلامة

أنا لا احاول ان اخطف عليك، ولكنها رؤيتي للأشياء، في الحياة حد
فترة فحسب لي أكل صد عروسي، الشخصية لا تخرج يوماً وعيني
أبدل جهوداً كبيرة بهذا الانحاء، ولا أطلب من الحياة الشيء الكثير وخاصة
تفجيني الكتابة ونمض القلب لشخص أحبه، ويمعنتي مبرراً اضافياً للحياة
لا تسدين إذا قلت لك ان الكتابة منعنتي أجمل الأشياء، الحب، السفر، العمل
التعرف على أُناس في القارات الأربع، حب الناس، ولا بهم إذا كُوت لي أعز
خلال حربي، فهم غير مبهمين في حياتي، وأحسد نفسي لأصل يوماً الى فرد
عدم الرد عليهم ولا اعتبارهم الحماة أحمل حدة وأكبر احتشاله ربما كان
مثل عالم يكتشف دواء مالمدة هناك كان بالنسبة لمكتشف المضادات
الجوية، هكذا كان ايضاً بالنسبة لنبوتن وهو يكتشف قانون الجاذبية،
وهكذا كان بالنسبة لكالميت وغيره^{١٠} وهما يكتشفان دواء السل بفعل
السهو والسيان والخطأ الصائب لا يزال الله تحت دجلة الضوء لأن الحياة
هي الضوء نفسه أنت تعيشين فيه لأنه منه

قد لا تكون محبتي لك كافية، ولا أدعي أنها تمنحك النور كله، ولكنها
توفقت من حين لآخر على لينة هاربة ومسروقة فقط لتقول لك يا محبتي
لومي البود جميل ومن العبت تضبيعه كما كان يقول حاك بريار عن
يوم مشمس جميل هذا اليوم ومن العبت تسليمه لرب العمل^{١١} قبل
ان أعرك. وأنا في تبه تحرية لو قيل لي ان امرأة حفيها ستضعني على
الحافة وتلفت قلبي عن آخره، ما كنت صادقة لكن ذلك حدث. وأنا سعيد
مثل مشاعر هذه الحافة، وأنا لا أدري لأي ملك ستقودني، ربما نحو الموت
لكني غير نادم، بل غير سائل لأنني في أدق لحظة صغيرة من عمري، سأقول
اشهد أنني عشت ومنحت الحياة أيقاً لغربي الباقي غير مهم فلا خلود في
النها إلا لنهار الأجسام

لعل سنوات، كنت أظن ان العائلة هي كل شيء، لكنني عندما وقعت على
الحالة الأخيرة لم أر شيئاً آخر سوى غير كان يفترض ان أملاً حنوياً ولم
أفعل الباقي أمنحه ما استطع، لكن حياتي ملكي، وربما مأساتي الكبيرة
هي صراعي من أجل حريتي. أحياناً أتوصل الى عيشها، وفي أحيان أخرى،
الشعر ينغص قاس عليها، فلا أعرف ماذا أفعل، لكنني أصل دائماً الى إيجاد
المسلك لست من النوع الذي يستسلم ولا لانتهيت منذ الطفولة الأولى

كثمت عن طفولتي وعن لقوة الفكر والحاجة، لا رغبة في ذلك فقط
لأدرك هول السافة التي قطعها لك الطفل الملهب والصغير والمثعون أيضاً
وهو يظن ان الدنيا لها حدود اسمها القرية بحثت معي أحياناً أن ألك في
وسط أهم شارع في نيويورك، أو في لوس أنجلز، وحتى في باريس أو في
أمستردام، في پاس- تير في الكاريبي وتحت أمطارها الدافئة، أو وأنا القطع
ببو مطار فوكيو الذي لا ينتهي، أو وأنا أتعثر عبر حائط للبحر، أو حتى
وأنا في عمق صنوبر الربيع الخالي، هل بمقل أن كل هذا يحدث لذلك الطفل
الذي لم يخرج من قريته إلا بصعوبة، وكان يظن أن كل سكان المدن هائلة
وأنه سيسرق في أول لغة تحت الناية العملاقة لا يا عمري، الدنيا تمنحنا
فترات لا نصورها في حياتنا، وحتى لو لم أعرف أنا، كانت حماقتك الجميلة
وفض حريتك بقوادك نحو سحاب أجمل، وأعم وأفضل من ذلك التروبادور



التشابه في مسائل الدنيا، ويمضك الحياة التي تلبق بك، ويمشي بك مسافة طويلة وحيلة نحو أجل خفاياها

ربما أشياء كثيرة تلبق عندك الآن عن حياتي، وحتى عن جنوني الذي تشعلك. لا تخافي، فأنا أحيك، وكل كلمة فتحتها لك، خرجت من قلبي ويره أشعر أن قلبي يكذب عنيت. سادفته حيا حتى ولو استعطفني عن خطته دلة يكادها لا بهم أن تنقضي ضدي لأنني سرقت اسم الأول، ولا بهم أن نوري مريم مصيدة كل النساء لأنهن كهن بشبهتها. ولا تشبه واحدة منهن! اليوم أن أظفر أن هناك ربة في هذه الدنيا، حتى قد يدع عودك وأن هذا الرجل ولحق به بريد، صبرا مسجونا مصروف وبغرة لا يسهلها إلا أن دعيت العالي ليس معها هل تدرين الآن لماذا أنوي أن اكتب سيرتي مثلما أظفرها ببساطة لأنني لا أريد أن أتركها بين يدي أي شخص آخر ليري لا أحد يعرف متاعاتي الداخلية مثلي وخيقتي الكثيرة لقد رايت وجوههم التي المطعني يومها في العلني، لأنها كانت وجوها لا أعرفها وجوه شخص عداوا من قبورهم، لا ليقتلوا مكانا لهم بين الأحياء ولكن ليقتلوا كل من لا يشبهنا خرجت يوما من القدس، ربي طفت أن ألقا عاصي هذه لا تعرفها في عندما تصل الخيمة القاصية انقيا وعندما ألقيا تخرج مرارات كثيرة دفعة واحدة خفت يومها أن أموت قهرا أمامك ولكني قاومت لا لأرضي أحدا، ولكن لأبقى حيا فقط ربما ارتكب الأثافيون أهم خطا في حياتهم لأنهم نهووس لأحقادهم الدفينة تحت ركام الضغائن، ولا ادري كيف ستكون العواطف ولكن شيئا في اندثر للمرة الأخيرة في ذلك العلني، وربما بشكل معلن ونهائي شيء مات في ولا حل لدي

على فكرة، وجدت عنوانا لسيرتي وأنا أعرف دلالة جيدا عشتها كما انتهتني ما رايت، أتحدث عن الحياة مليعا وليس عن امرأة كان يمكن أن يكون. عاشتني كما انتهتني ولكنني في هذه الحياة سأكون رومانسيا قديما فالحياة لم تنجح لي في حل فكر وصلت عداوتي لسانها لسانها من انطباع في السمعار ولا حتى عسلها كما السببها قديما لم يسعدني سماعي ثماني على القنصل لا يعيش أدرا الحياة كما نرىها لها نظامها الذي

بهرنا أحيانا كلما انفلتت سبلها أعود إلى شياستي الأولى، وأنصت إلى الطفل الذي في، فهو لا يخلدني لأنه خارج كل الأنماط وكلما انزلت قليلا عن الطريق «تضبطت» الرؤيا في عيني، أعادني إليها وهو يبهني فقط بعيني، لم أعد قادر على فعل شيء أدم عليه بسرعة لا العمر يسمح ولا الرغبة متوفرة كلما اتفلق المبحر استرشدت بالطفل الذي في، عندما أتعبه من الحياة، إن أيقمه، سأخذه معي كنت طوال عمري مثل القواشة أركض بجمون نحو النور القاسي والفاصل، أخسر أحيانا جلد الوجه التي أتركها ورائي ملتصقة بزجاج القنديل، شعر الحاجبين من كثرة تغرس قداسة النار رؤوس الأصابع من قربة شهوة لمس السنة الذهب الأزرق ولم تكن لدي نظارات واقية من النور المبهر والعممي للأبصار لم تكن ملاكا أبدا، ولا حتى شيطاننا قادرا على شفاء كثر فقط أنا، لا أكثر - ولا أقل، حيرني هي أكبر فيويو العتيقة وقد تفتلني يوما لقد حصلت عليها بمسيلة فلأريد فطانتها بسهولة أنت جزء مهم من هذه الحرية، من هنا أيضا أؤمننا وجرحنا المشترك

تتناهين أحيانا عقدة نذب غريبة، فأشعر أنني أعزبه بجنوني وحيرتي صرنا أتمنى لك كل الراحة في الدنيا لك في ماها، ميراثنا المدهش والسري استطيع اليوم أن أشهد أننا مررنا على هذه الدنيا بسرعة تشبه سرعة الصواريخ العابرة للغارات كنا نريد أن نعش كل شيء، في اللحظة نفسها وإن لا نخسر ثانية واحدة من جموننا لهذا لم تجد وقتا كافيا لمستمتع بالمشكل الكافي لكننا، على الرغم من ذلك، التهمنا كثيرا من الزمن الذي أعطى لحباتنا صدقها، ولأجسادنا فخر العيش الجميل كثيرا ولكن حسدنا فلا لحسين كتفاح الحملي كلما انعمشت عيني رايت نفسيها قد تجاوزنا بالكاد العشرين تخيلي ربع قرن، بلا قولف من الحب والعباب التحميل تخيلنها للحظة أننا قضيناها في حياة زوجية ها - ها !

لا تحزنني عمري على لقد تجاوزت مرحلة الطفل، لأنني بكل مسانعة انتقلت ويرات أتحتل وأتحول إلى نثار لي أحلام، كل الدنيا لا تكفيها أحشاح إلى حياتين متوازيتين لكي أكمل رحلتي أشعر أحيانا أنني بسرعتي هذه



عشت أكثر من قرنين ولهذا اتج عليك أن لا تتركي أبدا ما يعطيك
معنى عميقا الموسيقى اعزلي حبيبتى وحده في الأوبرا. واسمعي صديقة
أحسن من التشكي والدخول في تامة الموت مثل الآخرين اخرجي كلما كان
ذلك ممكنا ولا ترهني حياتك بأحلام رجل وأوهامه. كيلا كان حتى يوم
كنت أنا لحد كنا عاشقين بلا ضجيج أبدا

هل تعرفين شهوتي الكبيرة الآن ما هي؟ أن أجيء نحوك واعذبك وزد
وأنا على صدرك قليلا ثم ادعوك لثقتي على صدري أيضا وأتركني أتعادي
شيئا نفسيا نحو منظر جسدي بكيف كلما لمعت جسدي في سحر
متواتر مع الخفاتي ونومي بعدها لن اطلب شيئا آخر أقبل الموت بمصدر
مفتوح على الدنيا

اشهد الآن بعد كل هذا الزمن الهارب. أن وهران خلعت قصتنا بالشمع
الأحمر وصوتك الغذب سكن الدم ولن يفادهم أبدا

تركتك عليك لأنني كنت في حاجة لأن أسمعك ما في قلبي وانت لمالتي.
فرب النافذة المزجاجة التواسعة المفتوحة على أحد أطول جسور فينيسيا
سكان في تاملين هذا الرجل الذي لا شيء سيخفيه يوم لا سمح الله
التي يركض عينا وراهها.

أله صدي أسود قلبه مسطحة

مازلت هنا في هذه المدينة الساحرة. وأعرف جيدا أنني خيمت هناك هذه
المرة أيضا إذ فضلت السفر إلى فينيسيا بدل المجيء إلى حافتنا البحرية
في الجزائر. لأنني سأكون الغائب الأكثر على قلقت ليكن عزدي الوحيد هو
أنني لا أريد أن أفكر بسفرة مسروقة. ثم أعود رافضا صوب فراغ كل يوم
بينهم التفتت

سجني الذي يعشق لشجرة ألباني عن الفراق لا يحرق الحزن

فينيسيا ١٩٨٥ - ١٩٩٠

من ليلي التي سجين

لو فقط... تقتل مريم...

سيمي الحبيب

سعيدة من أجلك قد يكون من الممكر جدا كتابة سيرة ذاتية أمامه فهو
آخر ستمتته طويلا. ولكن أدرك انشغالك اللغوي. ثم أن البقاء في فينيسيا
كل هذه المدة سيجررك من دوائر الخوف أنا سعيدة لكل هذه اللحظة التي
اعانتك الى الحياة أكثر قوة. بدل أن ترميك في دهاليز الخوف والارتباك
في الموت

سأتركك لهدوك في فينيسيا. ولا أريد أن أخلص عليك وأنت في مدينة
تعود إلى طفولتك ومايك أشعر أنك سعيد ولم يدخلك ملل المدن. لأنك
في مكان يخرج عن العادي

صدفني حبيبي أنني حررت على ما حدث لأنني المسكينة. حتى أنني
بدوت لنفسى. في لحظة من اللحظات. في أقصى درجات الفجح الدنيا ظالمة
والتمنى أن تعزيني على كل حماقاتي تجاهها غيرتي هي التي وصفتني في
مسالك الجنون والتكراهية لا أدري لماذا علينا أن نغلق الناس لنعاود النظر
إليهم بشكل آخر أكثر حياء وتسامحا. لا أعرف. ولكنني حزينة على حمايتها
وجسدها المفلتوق على أفاسي الجنون والحياة أنا مفاكدة من أنها ستجد
نظاما آخر لحمايتها لا بللها ورغبتها في أن تكون كما تشتهي

حياتي تغيرت قليلا. على أن أنظر للأشياء المحبطة بي نظرة أخرى. كان
عني أن أتحقق في حيوته. حوله لاستطيع أن أقوم لعلنا سرقك من مريم
كل حياتي ويبدو لي أنني بدأت أنتصر عليها فقد مرضتني حبيبي وعلي
أن أكل بوفرة من الحياة لأصبح لك حريص من حياتي دون أن أفسد قلبي
وأشعر من تملؤك بدمع لك فتسنى ومحتسى ولكن على أن أقول صدقة حتى
ولو تألمت قليلا. ولكنني انقضت عنها وأصبحت أراها. وأنظر إليها بشفقة



قلت في نفسي أول ما فتحت هذه الحرب إنني يوم أتوصل إلى أن أسير النار على مريم. سأعود إليها كما أريد لا تسألني اليوم على ما أنا فيه. في رأسي شبكة عنكبوت أحتاج إلى وقت كبير لأفك كل خبوطها وعقداتها

سبحي حبيبي

ها زلت أعيش على توفيقك الصعب، والمستحيل أحياناً

عندما دعيت، ملكت لم أرفض أنا في صيف غرناطة الأندلسي مع فرقة اسبانية الشباب الذين فيها رائعون اشتبهت أن أخرجك لثاني، ولكنني فضلت أن أعود إلى أعمالتي، كما قلت لك لأتمكن من تمزيق كل تلك الفشاوة التي أصبحت تؤذي بي ولم أعد قادرة على تحملها، خصوصاً بعد مرضك تخيل، في ثانية واحدة أحسست بنفسى لا شيء لا أمك حتى حق قول ما بحق لأي إنسان أن يقول أن أزوج في مستشفائك كما يفعل جميع البشر! أن أفكك بدون خشية من العنسى المحيط! أن أمد رأسي وأتركك تمسد على شعري. وتغسل جسدي للحظة أخيراً! مثل المحكوم عليه بالإعدام كنت. مع ذلك التفتظ المؤقت، ليس له حتى حق الأمانة الأخيرة التي تمنح عادة للمحكومين قبل أن يعدموا

هل لي أن أقول لك حبيبي، إنني شعرت بنفسى فجأة أنني لست أكثر من غيمة هاربة، وأنت لم تكن أكثر من سراب! فاس هذا الكلام، ولكنه أيضاً حقيقي

هي أنا، امرأة لم تتعود على رؤيتها. هل تلقن أنني أرفض أن أمارس معك جنونا المعفاه في مدينة بحرية ستقيم بها شهراً بكامله! لا حبيبي لم آتي إلى فينيسيا لأنني فضلت أن أكون وحيدة، وأتركك مع أشواقك، ربما استطلعت استرجاع لزعر الحمى انهيار منك، مسهولة أكثر ربما التفتيت بعزيم وهو يضحك من آخر لحظة لظنها له ربما رأيت والدك الذي لم تشبع من وجهه قبل أن تسرقه للثروة منك. ربما صابحت حدثك ونعت في حجرها على وقع حكاية مخطوفة جدك الأندلسي. ربما رأيت ماما ميزان وهي تدوي جرحها المفتوح بقرية القرية ونثار الحصاد. أريك أن تجد في سكينتك المفقودة. وفي هذات الحميلة، كل ما سرفته الحياة منك في غفلة من نيامتك

أنا أيضاً حبيبي، أعيش وضعا نفسياً صعباً أعادني إلى نفسي منذ أن تصورت أنني فقدتك. قلت لك في رسائل سابقة الإحساس الغريب الذي تلبسني، وكيف وجدت نفسي وحيدة! لا نستغرب أريجونا حتى رياض لم يعد يسكنني غداً مجرد ضحية من ضحايا جديس سالفير، أو سالفير منه، لأننا لم نعد نصلح لبعض نقد غرق حتى الآن في وحل الكارتيل يتحدث عن القتل والانقلابات مثل الذي يتحدث عن أشياء طارئة في حياته أي إنسان عادي المشكك أنه يهددي بشكل غير مباشر بيونس وبامبا في قضية ابني لا تسامح أبداً استطيع أن ارتكب جريمة الأمومة بلا تردد لا أرى حياتي خارجهما عليك أن تقبل مني هذا التحول الذي لم أعد أنا سبده ان الحرائق التي في داخلي تزدد كل يوم انشاعاً. شيء لم تنكسر بقوة مثل البلور ولم يبق منه إلا شظايا يسير من الصعب تحبيره أحتاج إلى قوة العزلة والانفصال عن كل شيء. لأتمكن من إيجاد توازن مقبول، لم أعد قادرة على تحقيقه

مريم ليست رهناء فقط، ولكنها الحياة المسروقة نفسها
قلت لي ذات مرة وأنت تسخر مني كعادتك

- أي مريم يا مهبولة! كل مريمات الدنيا لا تساوين دمة واحدة تغزل من عينيك مريم ليست إلا استعارة للعجز المستشري في محيطنا عززنا، وجانبنا الخلق الذي تريده جميلة، ولكن قوة طاعية تسحق أمام أعيننا بدون أن نستطيع فعل أي شيء. في مجتمع ينهم على أعظم الكذبات، لا حل لنا إلا الدخول في اللعبة والتحول إلى بهلولات سخيفة، أو انقاومة حتى ولو كانت وساندا مدائية. مريم فتاعنا ضد حياة ليست سهلة ووجوه فائقة نتغلقنا في الجانب الخلفي من جنونا أنت الثور الذي به أرى الدنيا

ضحكت يومها، ولنا لا أعرف بم أجيبك. ولا كيف أريك صدرك لكنني استطيع حبيبي اليوم أن أقول لك بلا أدنى تردد

- لا يا عمري. لا مريم كنت عن أن تكون مجرد امرأة من ورق بمنزلة أن تحرقه متى نشاء، لقد أصبحت سلطة. وصرت أنا وأنت أوراها في يديها

تفعل ما تشاء بما وبأسرارنا تدخل كل الجبوت والقبوب بلا استئذان! الجميع يعرفها من يعرف ليلى القابضة في مكان ما من هذه الأرض من يعرف أحزانها وتزلفها من يعرف أنها هي أصل الأنبياء امرأة الظل حبيبي. لا أكثر أنت نفسك لا تستطيع أن تعلن عن حكا لها كما يفعل الجميع. وتعلم إنها هي التي تعني معنى جميلًا لحياتي.. صحيح أنك تخالف علي من تلك المرات. ولكنك تسبق أيضًا في حكايتي قصة علي من تلك قرن من المذبذبة معك حكايتك استرح قليلاً عمري، اخرج من الأدب لعلك وتوجه نحو الحياة فقط لتراني وتؤكد من أنني لست مريم أرى في مريم هذه الازمواحية الغريبة التي لا تغلق إحساس غريب بدأ يترس في صدور زينة وأنت تحت رحمة الانبياء التي تربطك بالحياة كانوا خاطئين على كل شيء فبك قلبك. تنفسك حركتك صوتك ولم يكن أحد يعلم أنك عمري حياتك كلها في انتظار امرأة ستأتيك من وهران، حاملة في يديها قرص الحياة لقد صليت من أجلك كثيرا وطلبت من الله أن يمتدح من أيام عمري لثلاثا. نصفها. كلها. ويمسحها لك.

لا أدري ماذا أقول لك حبيبي، جرحك يتوغل في بعمق ويلا نهايات

أشعر كأنه علينا أن نوقف كل هذا الوضع بواحد من الحلين. إما أن نرمي كل شيء وإما أن نرتد سلفا. سجد بلا في آخر الدنيا وهذا يعني ما تنفي من العمر مع بعض، أو نختار الحل الأنسب والأقرب إلى العقل. ونخرج مريم من بيتنا ومن كتبنا ومن ذاكرتنا. ونعود إلى أنفسنا كما اشتبهنا نحرق الألفعة ونواحه الأنبياء بتجاعة حلقية وليس بالاستعارات

لقد استفادت مريم من جسدك وعاشت داخل الثقة. بالمتعة التي اشتبهنا والاشكال الذي أرادته. وعشت معك اللحظة نفسها ولكني بكل ماضي الغتصاب المنكر. الذي ادفع ثمنه كل مساء مع رياض أو مع أشباحك. اعطتك هي أيضا طفلين. ولم تفعل أكثر مما فعلت. ولكنها ظلت داخل متعة الجميل والنعوت والاستعارات والבלغة المدمنة. وظلت أنا داخل المتعة التي تتعاقب ورضا عظم وأسرة الرب. أقول حواء حواء لو ليس ربي ويذهب نحو مركز التحليل من أجل اختبار DNA مايا لبرتاح من شوكه

مع حق. يجب أن تذهب أمواله نحو ابنيه البيولوجيين يحدثن أحبانا عن مشقة توريث كل أمواله وعقاراته عندما أقول له. بونس ومايا. يلتفت صوب بياض الخائط ولا يقول أية كلمة أحبانا أقول لنفسي لم الخوف من شيء مارسته بعمق مفتوحة. ليفعل الكارتيل ما يشاء. ربما جروني من ثقل كذبة لا أدري إذا كنت قادرة على الاستمرار فيها هناك شيء غير عادل وضعت الطبيعة في طريقنا وحاصرتنا به ولدك منك ومن زوجتك ومن حقد أن تسعد بهما. لكن أنا. مايا ابنتنا ولا علاقة لها برياض سوى أنه روج أمها. وما حاسة الشم تشتغل فيه بقوة مثل حيوان بري. عندما يشعر فحاة أن الإبناء الذين يرضعهم ليسوا له. لا يتوانى عن اكلمهم أو تزييفهم كما تفعل القطط والتمور عادة. وحياتك أكل رأسه ورأس الكارتيل التي ينتمي إليه قبل أن يمسسها بأذى

حبيبي

هل برمت شغقتنا

لا أعنف. ولكن شيئا انشور أعطاني الإحساس بأنك سلمت امرأة لنديبا لا تطلب لي اليوم لكي نستمع إلا أن تحضر معي جنازة مريم. لكي نستطيع أن نستمع مع بعض. وأستطيع أنا أن أعيش بحالك عالية الرأس وليس كسارقة. مريم التي خرجت من طفلة مجتونة منك. أن لها أن تخرج من حياتك. أن تذهب للمرة الأخيرة نحو الحرب متحل ثمام فيه متحول لي للمرة العليون. إنها مجرد لغة. وأقول للمرة العليون أيضا لا لا يا عمري بهذه الثقة. تمنحها فرصة الاستمرار بيننا سجد لذة لا تضاهي لننام في سريرنا. وتعيش على صمتك وتواطئك غير المعلم معها بلقر ما تمنح الحياة لها. تقفني. لأنها تشبهني وليس أنا تحسنتي يوما بحرية المرأة النورية المعقدة. ويعقدة استحالتي أن أقولها بالتحليل بعيدا داخل أتوان السماء. ويقاني مسرة على أديم أرض احترقت منذ قرون وأصبحت جرد صغيراً من رمادها

هذه هي اللحظة التي تنابلي الآن وأتمنى فيها. فلا تغضب مني

حبيبي

«باسطاً عمري... باسطاً.. باسطاً»

أخيراً تحول الجنون إلى حقيقة

رتبت كل شيء قبل الخروج. كنت أنسى الغلاف الذي يحوي وثيقة مخبر التحاليل المقابل للبريد علي أن أعرف وضعية هذا الرحم الذي قالت عنه الطهبة منفتح وشكن غير عادي، وكان كل معضلاتي اليومية الأخرى لم تكن كافية أبداً

سدسي الذي أصبح لسه وحمله لا يرعجني أبداً، على الرغم من ثقته الزاخم.

شعرت وأنا أرى كومة الأوراق المسحوبة، والمصورة، والمكتوبة. والصور، التي انقضت من شكل كتاب على حمار مطاوع، فالتفت في لحظة مسروقة من الحياة تحول كل الجنون الذي كان بداخلي في لحظة إلى علي، وبهذه الصورة صورة امرأة التي قالتها في وقتها، في لحظة من رهاقة في المس. ورفعة فيأضة لتفتيش داخلها بقسوة.

الشمس على عتبات التحلي النهائي

وضعت المائتين والخمسين صفحة داخل الغلاف الكبير الذي أحضرته خصيصاً لهذا الغرض. حسنة، ثقيلة، مؤنثة في بني. لم أظفرت بها كتابت اسم سفيان وعنوانه في متحف شيدول، بفرانكفورت، حيث يعمل كخبير في الفن المصري. مع احتفاظه باشتغاله في مجال الكتاب كناسر ألماني - عربي يهتم بالترجمات أكثر. عنوان المتحف أضمن من عنوان دار النشر، كما أكد لي في آخر مكالمة.

Dr. Mohamed El-Agnaf
Cairo, Egypt
Dr. Mohamed El-Agnaf
Cairo, Egypt

نظرت إلى الساعة للمرة الأخيرة.

استغرمت مرة أخرى من اصطاف الأرقام نفسها، في خط مستقيم. حالة



كما تلاحظ، لم أئس شيئاً من تفاضلي الحياة الأكرة تنفذ لحدة الطبيعة والانكسار. وتنام مثلنا عندما نسكرها بنبيذ السعادة والأغوار الجميلة في مرة من المرات قلت لي اعزلي حبيبتي كل المقاطع التي تشبهين. ولكن اكتبني أيضاً، فأنت تملكين حاسة جميلة وعميقة. غفلة اكمني. صمت. لا لأنني عاجزة عن الكتابة، فقد ابتليت بأجديتك ولغتك منذ زمن بعيد، ولكنني قلت أنتظر المركان العاصف الذي يعيدني إلى مصر. التهر. أشعر اليوم. بعد كل هذه الفنايل الموقوتة التي تنفجر في داخلي الواحدة تلو الأخرى، اني بدأت أعود إلى مباهي الطليعية ها أنا ذي السب. نكن. في غيابك لكي أستطيع أن أكون

اعتذر أني خسرت مواعيد كثيرة منك. وكان أهمها موعد فينيسيا ليس مهما أنا أحس أحياناً أني خسرت موعداً أهم من هذا كله يوم صدقت أني فريم أئسعت نيا شاني قبل أن تنادي «مسحح في السيدة» من صراع في بيبي وهي متخيش. وانحول أنا إلى مجرد امرأة مقتولة. تعيش في حلال جنونها

سيسي الخالي

امتحني حبيبتي فقط فرصة فتل مريم فبك. لكي أستطيع أن أعيش معك غنية عمري. مثما أنته واستكمل في ديدة. ولا سفلتي لئلا الإجابة عنك. ولم تعد اليوم تهم كثيرا لك الإجابات كتبها. في ريع هزر من الجوف والصمت، والأفئعة الكثيرة التي أستطيع اليوم أن أفتح مثلاً خاصاً بـ

ريخ لون من الصبر والتماسي

ريخ لون - باسطاً، ٩٢٢ حبيبي - باسطاً،

حبيبتي التي لا تنفك عن الإنصات إلى قلبك المتع

غرناطة، أواخر شتاء ٢٠٠٩

- يا بهما! أين كانت هذه المليحة!

وأنا أعبر بهو الكمبيوتر يوم الضيق، سمعت منين اللهاية التي كانت
تعد علي هدوني بحثت عنها بمعني، ولكني لم أرها تحسست صوتها
صممت القبور، ولكني لم أسمع شيئاً من ملينها، وكأنها كانت تلعب معي
لعبة اللط والفرار

رأيت نفسي في المرأة للمرة الأخيرة، قبل الخروج.

لم أحت ذلك عن سبق إصرار وترصد، ولكنني وقعت وحيا لوجه أمامها.
تأملت وجهي طويلاً كنت بدون أية مساحيق أريد أن أراني قبل أن أخرج
من الكمبيوتر يوم، معلما أنا لناسي البنفسجي الجمول تذكرت مريم،
المولعة بهما الأخرين ربت شعري، صممت على وجهي، بالصلط عليه
قليلاً لكي يسترجع حمرته الهاربة، ثم مسحت على عيني بهدوء لكي أنزع
كس الثقل الذي نزل عليهما من قلة النوم. فجأة رأيت أن وجهي الذي بدا
مرتبكاً، لم يكن يشبهني، أو على الأقل هكذا شعرت كانت ملامحي غريبة،
لا تستقر على قرار تتحرك باستمرار كالموجات النيلية التي تنهادي مداً
وجزراً تغيب وتظهر كسحب هاربة، تنكمس وتتداخل. شعرت بدوار عريب
ربما كان التعب هو السبب أغصمت عيني قليلاً، ثم فتحتهما، ولكن الوضع
لم يتغير. كان وجهي خليطاً مني، ومن وجه امرأة مبهمة. امرأة من شباب
والوان، اختلط فيها الأحمر بالأزرق، والبنفسجي بالأزرق النيلي لأول مرة
أدرك أنني لم أكن أعرف وجه مريم، لم أرها ولا مرة واحدة في حياتي! فجأة
رأيت بعض ملامح ولسني تحتلط بوجهي كان متعباً هو أيضاً. ثم سمعت
الذمالة الرقاة المحفنة التي احتلت الحنفية رأيتها تدخل في عمق المرأة
كانت كبيرة. ذهاب اللحم كما كانت تسميها جدتي، التي كلما التصقت بشيء،
أفسدت فكره أنواع الذباب لدي. لم أستطع أن أفصل بين الوجوه كلها، ولا
حتى بين الأشخاص التي تداخلت فيما بينها كلوحة زيتية غومت ألوانها في
الماء كجبراً أغصمت عيني مرة أخرى لأتقارب الدوار، لكنني عندما فتحتهما،
كانت الألوان والأشكال الغامضة لا تزال تنقطع، من حين لآخر تنفصل عن

سمعت تنكسر معي كثيراً إنه وقت الحفلة الذي تحدث عنه الأجداد العدا
عندما تصطف الأشياء المتشابهة، وعندما تنقطع بين الأرقام في خلط واد.
فكرت أن أكتب رسالة أحبرة لواسيتي أحدثه فيها عن هذه الصدمة ولكني
تراجمت استدركت في اللحظة نفسها أنني انتهيت من كتاب. لم يكن في
النهاية إلا رسالة طويلة ثم أتى، للمرة الأولى، لم أر حدود للكتابة له.

كان الكمبيوتر يوم هادئاً بعد كل هذه العاصفة النووية الداخلية التي
عشتها بدأت الأشكال كلها تلتصق مع بعضها كبريد معد أن تسبح في الماء
من كل الجهات، غير المتكامل كالأشكال المتكسرة وقت الضيق، لم أكن
أستطيع أن أخرج من الكوة فكرت في مريم لحظة، ثم تملك يدي نحو
المنسج للمرة الأخيرة

لم أمنع نفسي من التناؤم وأنا أرى أرقام الساعة مسطرة بهذا الشكل

فجأة، أعادتني استقامة الأرقام، هذه المرة، إلى الرقم الأول الذي تلاًنا
في خط واضح، عندما جلست خلف الكمبيوتر، ووقعت وأسى لأول مرة صوب
الساعة التي كان الزمن فيها يبدو مستقيماً وواضحاً

لم أجد وقتها بعدني وسلاسلتي لم تزل الأرقام المستقيمة واستدائلي
في عيني، سلاسلتي التي كانت على شكل من هذه السلاسل بالصلط اللطيفة
التي كانت تحسني ملاماً ولدت في اليوم الرابع من الشهر الرابع كنت
بالصلط اللطيفة والسلي بالصلط اللطيفة والسلي منذ ولدت في اليوم
الرابع من الشهر الثاني

نسيت أن حياتي شارفت بسرعة على نصف القرن، وانفتحت عيني لمريم
في لحظة الصراخ الصعير من شيا لم تكن بالصلط اللطيفة وكذا استمررت

ولهذا عمري، أعذوني، باسطاً.. باسطاً

المررة الأولى في حياتي التي لم أفكر فيها إلا بنفسى
لم أَر إلا المباحث الذي منحا من مخيلتي كل شيء، حتى وأسيني.

- ٤ -

في الخارج. كانت السماء زرقاء
لمعت الشمس المنسولة التي أصبحت فضية بقوة. خرجت هذه المرة
لأدافع عن حقى في المعصية والحياة وبعض الجنون نصف ساعة قبل أن
يفتح البريد لأبحث بالكتاب، وربع ساعة بالضغط قبل أن يفتح مركز التحاليل
الطبية أبوابه لأستلم نتائج التحليلات الرحمة

تدهرجت قليلاً حتى وصلت إلى مخبر التحاليل. كان قد بدأ يستقبل
زبائنه منذ أن اشترى أحد الخواص هذا المخبر الذي كان تابعاً للمستشفى.
تغيرت أشياء كثيرة فيه، خصوصاً رقة المواعيد أحسن.

كنت سعيدة أنى لم أنتظر طويلاً. سلمتني الموظفة مشرورة التحاليل.
وهي شخصتي بضرورة زيارة طبيبى الخاص بأسرع ما يمكن مثل هذه
الأمراض لا تتحمل الانتظار. قالت بصوت يكاد لا يسمع سألتها وعرفت
وربما يغاد أيضاً

- هل هناك ما يستوجب ذلك الآن؟

- في البريد. ولم أستقر العرفى أن أفرج مكان محلى

وأنا في الشارع، استرددت أنفاسى من جديد.

- وأش عذف عزيزتها بما تقولوه. مجرد مرضة. تعلى لنفسها حق
شخصية مختصة. سطر مع شخصي بعدما ألقى من البريد

لم يكن لى أي حلم آخر إلا وصول هذا الكتاب إلى البريد المسجل، ليدفع
إلى قرنتكورت، ومنها إلى بهورت. كنت مستعدة لتحمل أسئلة عامل البريد
ولقل دمه ما هي المحتويات؟ لماذا أتعبت نفسك يا مدام؟ كل هذه الرسالة؟
فأجيبه بشكل إلى وعبى أيضاً. كما تعودت أن أفعل معه مجرد أوراق

مرفونة على الكمبيوتر مخفوفة إذا شئت. وير وهو يكتم مصقولة ردة فعله
المنعرج. يا مدام لماذا أصررت على تغليب نفسك دائماً على ربحى

عندما دخلت إلى البريد. حصل بالصبط، ما توقعته. كنت على رأس
الطاهور

- صباح الخير طوبيا طرد من الأوراق المرقونة

- صباح الخير يا مدام. كيف الأحوال؟

- الحمد لله

نظر إلى الطرد ملياً. قرأ العنوان بلغة الألمانية مضبوطة تماماً فوجأت
أنه من يعرف اللغة الألمانية بامتياز

K. M. B. B. B.

Deutsche Post

Schulstrasse 12, 10119 Berlin, Germany

- نسيت فقط أن تضعي كلمة Germany لأنك تظنين أن كل الجزائريين

يعرفون أين تقع فرانكفورت. قلنها لك وأعبدا عليك مرة أخرى، لماذا كل

هذه المتاعب يا مدام؟ بإمكانك أن تبغنى بالمخطوطة مباشرة عن طريق

الإنترنت والإيميل، بواسطة الملف المرفق Attach. Files. كما يفعل جميع

المثرفي زماننا الإنترنت يوفر لك الراحة والوقت. ولا يكتفك شيئاً

- المشكلة أنى لست مثل جميع بشر زماننا.

- Vous plaisez! En fichier attaché, un geste aussi simple. le
courrier arrive au récepteur en un clin d'oeil

Al le fait bien. C'est tout ce que je ne puis vous dire. Les
autres ne peuvent voir la vôtre, et d'une manière de se faire
des choses simples. Je vous prie de me faire un geste aussi simple.
Je vous prie de me faire un geste aussi simple. Je vous prie de me faire un geste aussi simple.

- ما دخلني بالهوية والأرض؟ كنت أريد فقط أريد تسهيل المهمة عليك، لا أكثر.

- يكثر خورك، في نظرك، من أكون؟ ما هو اسمي؟

- مدام! الله يسامحك، أعرف القراءة والكتابة، لست أمياً، وإلا ما وضعت في هذا المكان. حامل شهادة ماجستير، وأحضر دكتوراه في الاقتصاد السياسي، لكن بلادنا تعلمنا، ثم تفقس بطالين. أنا أيضاً سيطفح الكيل على ذات يوم، وأترك كل شيء في مكانه بلا أدنى شدة، وأصبح مجرد رسالة يرسلها أهلي في هذا البريد بالذات، أو يستلمونها منه.

- سألتك من أكون ولم تجبني؟

- تريدان أن تعرفي كل شيء؟ طيب، ليلي يا سيدتي، أو ليلي في لغة المقربين. عازفة الكمان بالفرقة الفيلارمونية الوطنية التي كسرهما القتل، وتعيدون بناءها بصعوبة مع فرق أجنبية. زوجة تاجر كبير، عابر للقارات مثل الصاروخ، يتاجر في كل شيء، حتى في أعضاء البشر، مثل بقية عناصر الكارتيل الذين يعبثون بخيرات هذه البلاد. ساهم بأكثر من مليار سنتيم لبناء مسجد الجزائر الأكبر، لا تقرباً من الله، ولكن ليرضى عليه أصحاب الشأن... اسمحي لي يا مدام... الحقيقية... أنت أفضل منه. «ما يستاهلكش»، لا شيء يخبأ في هذه البلاد. أصبحنا عراة. أدخلنا الإنترنت وسترين كوارثنا.

كم اشتقيت أن أسأله عن تهمة تهريب الأعضاء التي ألصقها بعناصر الكارتيل، التي أسمع عنها للمرة الأولى، لكنه حرمني من ذلك عندما قام بشكل فجائي من مكانه مغيراً لهجته وحديثه. وشوش في أنفي لكي لا يسمعه أحد. طلب مني أن أضحك. أن أضحك ولو بلا سبب.

ضحكت لسبب غامض.

- اضحكي يا مدام، اضحكي أرجوك، حتى يظن الرقباء أنني حكيت لك نكتة فقط لأسليك وأخفف عليك من متاعب الانتظار. اضحكي ولا سيكون

أمري صعباً. كل الرقباء الذين يشتغلون هنا، هم في خدمة الكارتيل، بشكل أو بآخر.

ضحكت هذه المرة ببلاهة.

كان الرقيب يقف وراءنا يدور برأسه كالبومة، في كل الاتجاهات. عرفته من عينه اليمنى المقوسة، ورائحته التي تشبه رائحة الضباع.

ارتجت الأرض عن تحتي قليلاً، ولكنني تماسكت. ومع ذلك واصلت ضحكي. لم أضحك هذه المرة من قلبي، كما تعودت أن أفعل، ولكن من جفني. انسحب الرقيب باتجاه طابور آخر. قلت للموظف الذي كان يعرف الكثير، على عكس ما بدا عليه.

- ومع ذلك يا سيدي، فأنا لست ليلي ولا حتى ليلي.

نظر إليّ كمن يواجه امرأة مجنونة. تغيرت فجأة كل ملامحه.

- أرايت كيف تغير كل شيء فيك؟

لم يقل شيئاً. وزن الطرد. وضع ثلاثة طوابع عريضة عليه. ختمها. ثم رماء في صندوق كان على يمينه. لم أسمع إلا صوته المبحوح، يطلب الشخص التالي في الطابور. حتى بدون أن يرفع رأسه نحوي لاستلام النقود التي وضعتها أمامه.

- يا الله... اللي بعده...

لا أدري إذا ما كان قد خاف مني، أو خاف مما قاله، لم يكن الأمر مهماً في الحاليتين. كنت جاهلة، وربما مهولة. أحسست أن هذا الشاب المتيقن، كان مشروع قنبلة موقوتة. قد تنفجر يوماً في هذا البريد المركزي نفسه.

خرجت بدون أن التفت ورأيت.

نظرت إلى السماء التي خرجت شمسها من وراء دكنة الغيوم القوية. فجأة

شعرت بنفسي حرة. لا أحمل أي شيء. ولا حتى جسدي. فقد رميته في الوريد هو أيضاً مع بقية الأوراق.

لذكرت فجأة مطرووف مخبر التحاليل الرحمية، الذي لم أكلف نفسي حتى بفتحه.

جلست في زاوية الدرج، عند منخل البريد، كأية سائحة متعمية، وضعت حقيبتي بين رجلي. ثم فتحت غلاف الرسالة بعصبية لم ألهيها، كأنني كنت أريد أن أتخلص من شيء زائد فيّ. كانت خلاصة تقرير. قرأتها. لم ألهي الأحراف، وعلامات الزائد والناقص، والإشارات المختلفة، وكثرة الأرقام والكسور، لكنني فهمت نتيجة التقرير النهائية، لم يكن بها أي لبس أبداً.

Pap test (frottis vaginal) revelant des traces de cellules cancéreuses au niveau du col de l'utérus. Echographie transvaginale avec biopsie¹²⁴.

لم أرتبك، ولكن جسدي برد فجأة، وتجمدت كل حركتي. شعرت بالموت البطيء بيدائي من أصابع رجلي. ويصعد كالسهم المائل حتى الرأس.

كانت المرة الوحيدة التي تمنيت فيها أن تزيلي مريم وتأخذ مكانها كنت منحت لها بلا أدنى تردد.

لا أدري ما إذا كنت غاضبة على الأقدار أو على الله انتابتي رغبة عنيفة وغير محسوبة، للالتفات نحو السماء والصراخ بأعلى صوتي ضدكما شعرت فجأة، في لحظة الظلم القاسية والعبث العنيف، أنني كنت يصعد كتاب آخر، لم أكن مهية له، ولا قادرة على إنجازه أبداً.

« ربما كان كتابي »

أو كتابك أيضاً، مرآتك الخفية.

.. أو ربما لا هذا ولا ذلك. مجرد نثار عن، يشبه الحياة قليلاً.

تأملت السماء التي غابت شمسها فجأة من جديد، ثم ضحككت بمرارة.

« يا ما بقي للمعمياء إلا الكحل ! »

استحضرت فجأة ثقافتني كلها، وما كنت أعرفه عن سرطان الرحم، وأشكله المختلفة، بدون أن أقوم من مكاني. كنت كمن يسترجع سحافة قديمة.

« .. هو رابع أنواع السرطانات عند المرأة بعد سرطان الثدي، والقولون والبروستات. يمس سنوياً أكثر من ٤٠ ألف امرأة في بلادنا. ويدوي بطريقتين العمليات الجراحية المباشرة، أي بالاستئصال، أو بالإشعاع الخارجي، ويمس فقط الأجزاء المريضة، أو بواسطة حقنة إشعاعية تدخل في عنق رحم المريضة لمدة ساعات أو أيام، في المستشفى... »

تضيق كل شيء في عيني، ومع ذلك بقيت متوازنة. تساءلت في خلوة العجز والخوف من الموت هل هو انتقام مريم المسكونة بألف جنني يلف في صفها؟ أم انتقام الماريات التي أظهرت لي ما لم أكن أريده؟

شعرت بالإتهالك الكبير ينزل على جسدي، وهرغبة لا تقاوم للوم.

٦-٦-

حاولت أن أقوم من مكاني. أحسست بجسمي ثقيلًا مثل كتلة رصاص.

عندما رفعت رأسي لأتأمل عيني بالشمس التي ظهرت فجأة من وراء القيوم الثقيلة، امتلأ أنفي بعمق قريب من ذاكرتي. حاولت أن أعرفه ولكنني لم أستطع. ضغطت على خلاياي الدماغية لأستعيد اسمه، ولكن عبثاً. كل محاولاتي باءت بالفشل. استنشقت بقوة وتحسست مصدره. التفت لأشعورياً نحو كل الجهات فجأة توقف نظري عند امرأة كانت تعطيني ظهرها. كانت تتخفي بين امرأتين ورجل، لكن جزءاً من جسمها كان يظهر بكامله. استغربت فيها شيء مني. كانت ترتدي شالي البنفسجي، وفيبعتي الزرقاء، ومعطفي الإيطالي، وكوفييتي الليلية. بل كانت تحصل في يدها مطرقتي



الدم الأولى التي نزلت من صدري، ولونت قميصي اليفسجي الجميل بمقعة حمراء كانت تتسع أكثر فأكثر، كلما جريت.

«هل انتصرت؟ أم خضعت؟ الشيء الوحيد الذي أعرفه هو أنني... لأزال واقفاً على قدمي، مثقلاً بالجراح، وكلها في صدري. لقد فعلت ما استطعت... وأكثر مما كنت أستطيع... أما وقد انتهت المعركة الآن، فإنني أتي لأضطجع إلى جانبك، ولأصبح تراباً»^{١٢٦}.

سمعت صوته مرة أخرى الصوت والذيرة نفسيهما. كان هذه المرة واضحاً كهذا اليوم الجميل، من هو؟ من قال هذه الجملة التي أسفلتني فجأة في دوار الموت؟ أعرفه ولكنني نسيت.

أركض. أحاول أن لا أتوقف. أتشم الأشياء كحيوان بري ضائع. أشعر بجسدي أخف من الريشة وهو يتسلل بين الناس ببطء شديد. كان تكاثرهم المتزايد يشبه جذوع وأغصان الأشجار الاستوائية التي سلكتها أنا وواسيتي في جزيرة القديسات^{١٢٧}. يأتيني صوت سقط المياه الدافئة التي تخفيها وراءها ومارسنا هيلنا الجميل، في لمح البصر، انتابتني سايبا وهي تستمتع برمال الكاريبي البيضاء ومياه جبل الكبريت^{١٢٨} الدافئة.

أحاول عيثاً أن أجد مسلكي للعبور نحو الجهة الأخرى. أطيروا في الفراغات اللدنة فجأة شعرت بعيني تثقلان وتستسلمان لنوم لذيذ لم أعرفه منذ زمن بعيد. تملكني نوع من الدوار الساحر وقبل أن تتطفأ على نور شمس انعكست بقوة على سطح البحر الأملس كمرآة، لمع في ذهني للمرة الأخيرة اسم صاحب الصوت الخفي، الإله الكريتي المجنون، الذي كنت أبحث عنه. تأكدت نهائياً من مصدر الصوت، من مسلك مريم، ومن نوع عطرها. عطر أنثى السراب...

خريف ٢٠٠٩.